AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A13
v.2
Pt.

وزارة المعارف العمومية

تاريخ التعليم في مصر

من نهاية حكم محمد على إلى أوائل حكم توفيق

١٨٤٨ — ١٨٨٢

للدكتور

أحمد عزت عبد الكريم

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

مكتبة العرب
لصاحبها
الشيخ يوسف توما البستاني
بشارع الفجالة
بمصر

الجزء الثانى

عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق

١٨٦٣ — ١٨٨٢

69553

مطبعة النصر ٢٢٢ شارع فاروق بمصر تليفون ٥٥١٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى مقام

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

مولاى صاحب الجلالة

إن مصر مدينة بنهضتها الحالية فى شتى مرافق حياتها إلى جدكم الأعلى « محمد على » الكبير ، فقد أرسى قواعد النهضة ، وشاد البناء على أساس مكين من قوة الحديد والعلم والمال .

حتى إذا تولى أمر مصر جدكم العظيم « إسماعيل » قوّم البناء ، وأصلح ما اعتوره من ضيق أو قصور ، ووصلت مصر — بفضله — إلى مصاف الدول المستنيرة الكبرى .

وكان القدر يدخر لوالدكم الجليل — أحسن الله جزاءه — فضل قيادة مصر إلى طريق الحرية والاستقلال ، واستكمال أسباب النهضة القومية . حتى إذا قضى الله أن تتسلموا — مرموقين بعنايته — علم القيادة ، تبوّأت مصر فى حكمكم السعيد مكان الزعامة فى الشرق العربى ، وتهيأت لها مقوّمات الأهلية الدولية .

مولاى صاحب الجلالة

إن هـذه النهضة القومية العامة التى تدين بها مصر للميامين من آبائكم وأجدادكم إنما تعتمد — قبل كل شىء — على قوة العلم والتمكين له فى حياة البلاد .

وقد توفرتُ منذ سنوات على كتابة تاريخ التعليم فى مصر الحديثة ، وقد رفعت إلى سدتكم العلية منذ سنوات كتابى الأول (تاريخ التعليم فى عصر محمد على) فحاز من جلالتكم حسن القبول .

وهذا البحث الذى أتقدم به اليوم يصف تطور النهضة التعليمية بعد حياة منشئها وراعيها : محمد على الكبير ، وما حظيت به فى عهد جدكم المستنير إسماعيل من ازدهار ، وما حفل به عهده الزاهر من منشئات علمية ورعاية للعلم والعلماء .

وليس هـذا البحث — يا مولاى — إلا أثراً للجهود الرائعة التى تبذلها جلالتكم لتشجيع الدراسات التاريخية : بجمع الأصول ونشر الوثائق ورعاية الباحثين .

وإنه لشرف عظيم — يامولاى — أن أتقدم بهذا البحث التاريخى إلى سدتكم العلية وأتوجه بهذا الإهداء إلى مقامكم الكريم .

أدامك الله — يا مولاى — ذخراً للعلم والتعليم ، وأعزّ ملكك ، وحقق بك آمال شعبك ؟

المؤلف

أحمد عزت عبد الكريم

فهرس الموضوعات

صفحة

إهداء الكتاب ... ... د

فهرس الموضوعات ... ... ز

تقديم الكتاب : للأستاذ محمد شفيق غربال بك ... ... ع

تصدير : للمؤلف ... ... ت

الكتاب الأول

سياسة التعليم وإدارته

الفصل الأول : السياسة التعليمية (١٨٦٣ — ١٨٨٢) ... ... ٣ — ٢٦

الفصل الثانى : تطور النظام التعليمى فى عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق (١٨٦٣ — ١٨٨٢) ... ... ٢٧ — ٩٤

أولا : مرحلة الإنشاء (١٨٦٣ — ١٨٦٥) ٢٨

ثانيا : مرحلة التوجيه القومى ٣٦ ، قرارات مجلس شورى النواب (أكتوبر - نوفمبر ١٨٦٦) ٣٩ ، لائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ (٧ نوفمبر ١٨٦٨) ٤٨ ، ثالثا : حركة الاصلاح (١٨٧٣ - ١٨٧٤) ٦٧ ، رابعاً : مشروع التعليم القومى (سنة ١٨٨٠) — ٧٤ ، ميزانية التعليم ٨٩ .

صفحة

الفصل الثالث : الإدارة التعليمية ... ... ٩٥ — ١٦٤
(١) ديوان المدارس ٩٥ ، مديرو ديوان المدارس ١٠٢ ، وكلاء ديوان المدارس ١١٦ ، الهيئات الاستشارية بالديوان : القومسيون ١٢١ ، مجلس المعارف ١٢١ ، قومسيون المكاتب الأهلية ١٢٣ ، مجلس المعارف الأعلى ١٢٤ ، مجالس التحسينات بالمدارس ١٢٧ ، الهيئات الفنية بالديوان : التفتيش ١٢٨ ، إدارة المدارس الملكية ١٣٥ ، نظارة دروس المدارس ١٣٧ ، معاونو الديوان ١٣٩ ، أقلام الديوان ١٣٩ ، قلم الوقائع ١٤١ ، قلم الترجمة ١٤٣ ، قلم الروضة والمطبوعات ١٥٠ ، مكان ديوان المدارس ١٥٥ .
(٢) ديوان المكاتب الأهلية ١٥٦ ، التفتيش الصحى ١٦٠ .

الكتاب الثانى

التعليم الأولى — الابتدائى

الفصل الأول : المدارس الابتدائية الأميرية ... ... ١٦٧ — ٢٣٠
مدرسة المبتديان (الناصرية) الأميرية ١٧١ ، الأقسام الملحقة بها : ١ — المكتب العالى ١٧٧ ، ٢ — المكتب الخيرى

صفحة

١٨٥ ، ٣ — فرقة تجهيزية العمليات ١٨٧ ، ٤ — فرقة النجارين ١٨٨ ، ٥ — الفرق التجهيزية ١٨٨ ، مدرسة الاسكندرية (رأس التين) الأميرية ١٩٦ ، مدرسة المنصورة الأميرية ٢٠٥ ، مدارس أميرية أخرى : مدرسة الجيزة ٢٠٨ ، مدرسة قليوب ٢٠٩ ، مكتب طوخ ٢٠٩ ، خطة الدراسة الابتدائية ومناهجها ٢١١ .

الفصل الثانى : المدارس المركزية ... ... ٢٣١—٢٥٣
مدرسة طنطا ٢٣٥ ، مدرسة أسيوط ٢٤٠ ، مدرسة بنى سويف ٢٤٥ ، مدرسة المنيا ٢٤٧ ، مدرسة رشيد ٢٤٩ ، مدرسة الفشن ٢٥١ .

الفصل الثالث : المكاتب الأهلية ... ... ٢٥٤—٢٩٧
مكاتب المدن الكبيرة ٢٥٦ ، مكاتب الاسكندرية الأهلية ٢٧٢ ، إنشاء ديوان المكاتب الأهلية وأثره ٢٧٤ ، الناحية المالية ٢٧٩

الفصل الرابع : الكتاتيب الأهلية ... ... ٢٩٨—٣٢٥
كتاتيب المدن ٢٩٩ ، كتاتيب القرى والبنادر ٣٠٠ ، العقبات فى طريق الإصلاح ٣١٠ ، إحصاءات ٣١٦ .

الفصل الخامس : مشروع التعليم القومى : مقترحات قومسيون تنظيم المعارف لتنظيم التعليم الابتدائى فى سنة ١٨٨٠ ... ... ٣٢٦—٣٤٧
المشروع ٣٣٣ ، المبادىء التى يقوم عليها ٣٣٨ ، مدى تنفيذه ٣٤٣ .

صفحة

الفصل السادس : مدرسة العميان والخرس ... ... ٣٤٨ — ٣٥٥
تجربة دوزبك ومشروعه ٣٤٨ ، قسم العميان ٣٥١ ، قسم الخرس ٣٥١ ، إلغاء المدرسة ٣٥٤ .

الفصل السابع : مدارس البنات ... ... ٣٥٦ — ٣٧٩
مشروع إنشاء مدرسة للبنات فى سنة ١٨٦٧ ٣٥٧ ، مدرسة السيوفية للبنات ٣٥٩ ، مصير المدرسة ٣٧٣ ، مدرسة القربية للبنات ٣٧٥ .

الفصل الثامن : التعليم فى السودان ... ... ٣٨٠ — ٣٩٣
السودان تحت الحكم المصرى ٣٨٠ ، التعليم الدينى فى السودان ٣٨٣ ، السودان والتعليم الحديث ٣٨٧ ، إنشاء المدارس الخمس بالسودان ٣٩٠ .

الكتاب الثالث

التعليم فوق الابتدائى

التعليم التجهيزى والتعليم الخصوصى (أو العالى)

الفصل الأول : التعليم التجهيزى ... ... ٣٩٧ — ٤٣٤
المدرسة التجهيزية بالقاهرة (الخديوية) ٣٩٨ ، المدرسة التجهيزية بالاسكندرية (رأس التين) ٤١٤ ، الفرق التجهيزية

صفحة

بمدرسة الناصرية والمدارس الابتدائية بالأقاليم ٤١٧ ، خطة الدراسة التجهيزية ٤٢٢ .

الفصل الثانى : المدارس الخصوصية ... ... ٤٣٥—٦١٥
مدرسة الطب البشرى ٤٣٥ ، مدرسة الولادة ٤٧٤ ، مدرسة المهندسخانة ٤٨٨ ، مدرسة العمليات ٥٠٢ ، مدرسة الصنائع ٥٢١ ، فرقة الرسم ٥٢٦ ، مدرسة التلغراف ٥٢٧ ، مدرسة المساحة والمحاسبة ٥٣١ ، فرق المساحة بمدارس الأقاليم ٥٤٢ ، فرقة الكتابة التركية والعربية ٥٤٤ ، مدرسة الإدارة والألسن (الحقوق) ٥٤٦ ، مدرسة الألسن ٥٦١ ، مشروع إنشاء مدرسة عليا للإدارة ٥٦٧ ، مدرسة اللسان القديم ٥٦٩ ، مدارس إعداد المعلمين ٥٧٤ : ١ — دار العلوم ٥٧٨ ؛ ٢ — مشروع إنشاء « دار المعلمين » ٥٩٩ ٣ — مدرسة المعلمين المركزية ٦٠٧ .

الفصل الثالث : المدارس الحربية والبحرية ... ... ٦١٦—٦٩٢
المدرسة الحربية القديمة ٦١٦ ، إدارة المدارس الحربية ٦٢٥ ، مجلس معارف المدارس الحربية ٦٣٢ ، مدرسة المدفعية والمهندسين ٦٣٦ ، مدرسة الرسان ٦٤٣ ، مدرسة المحاسبة ٦٤٦ ، مدرسة المشاة ٦٤٧ ، مدرسة أركان الحرب ٦٥٤ ، إلغاء المدارس الحربية وإنشاء (المدرسة الحربية) ٦٦٢ ، مدرسة الخطرية أو (الأطفال

صفحة

العسكرية) ٦٦٤ ، مدرسة ضباط الصف ٦٦٥ ، مدرسة الموسيقى العسكرية ٦٦٥ ، مدرسة الطب البيطرى ٦٦٦ ، اقتراح إنشاء مدرسة للطب البيطرى فى سنة ١٨٨٠ ٦٧٢ ، مدرسة الزراعة ٦٧٣ ، اقتراح إنشاء مدرسة للزراعة فى سنة ١٨٨٠ ٦٧٧ ، المدرسة البحرية بالاسكندرية ٦٧٩ .

الكتاب الرابع

البعوث العلمية إلى أوربا

تمهيد ٦٩٥

الفصل الأول : البعوث العلمية إلى فرنسا ... ... ٧٠١ – ٧٦٢

أعضاء البعثات الباقون من عصر عباس وسعيد ٧٠١ ، الأعضاء الذين أرسلوا فى أوائل حكم إسماعيل ٧٠٧ ، بعثة المعادن (أكتوبر ١٨٦٦) ٧١٠ ، بعثة أركان الحرب (يناير ١٨٦٧) ٧١١ ، بعثات من طلبة الطب ٧١٢ ، بعثة التاريخ الطبيعى (مارس ١٨٦٧) ٧١٥ ، بعثة الإدارة والحقوق (سنة ١٨٦٨) ٧١٧ ، بعثة صناعية (سنة ١٨٦٩) ٧٢٠ ، بعثة الثلاثين طالباً (أوائل ١٨٧٠) ٧٢٠ : بعثة الطب البيطرى ٧٢١ ، بعثة المهندسخانة ٧٢٢ بعثة الرسم ٧٢٢ ، بعثة الحقوق والإدارة ٧٢٢ ، بعثة المساحة والمحاسبة ٧٢٢ ، بعثة المدرسة للتجهيزية ٧٢٣ ، بعثة الطب

(سنة ١٨٧١) ٧٢٥ ، بعثة الحقوق والإدارة (سنة ١٨٧١) ٧٢٦ ، بعثات الطب والحقوق والمهندسخانة (سنة ١٨٧٣) ٧٢٨ : بعثة الطب ٧٢٩ ، بعثة المهندسخانة ٧٢٩ ، بعثة الحقوق والإدارة ٧٣٠ ، بعثة الحقوق والإدارة (أواخر سنة ١٨٧٤) ٧٣٠ ، بعثة طبية (سنة ١٨٧٣) ٧٣١ ، بعثات متفرقة ٧٣٢ ، بعثات لدراسة الطب (سنة ١٨٧٩) ٧٣٩ ، بعثات لدراسة الطب والحقوق والعمليات (سنة ١٨٨٠) ٧٤٠ ، بعثات لدراسة الطب البيطرى (سنة ١٨٨٠) ٧٤٢ ، بعثات الحقوق (سنة ١٨٨١) ٧٤٤ ، بعثات الطب البشرى والبيطرى والحقوق فى سنتى ١٨٨١ و ١٨٨٢ ، ٧٤٥ . إدارة البعثة المصرية بفرنسا ٧٤٨ ، إنشاء المدرسة المصرية بباريس ٧٥٠ ، إلغاؤها ٧٥٦ ، ميزانية البعثة ٧٥٨ .

الفصل الثانى : البعوث العلمية إلى دول أوروبية أخرى ٧٦٣ ٧٧٥

أولا — البعوث العلمية إلى إنجلترا ٧٦٣ : بعثة بناء السفن وصناعة الآلات البخارية (سنة ١٨٦٨) ٧٦٤ ، بعثة من أركان الحرب (سنة ١٨٧٠) ٧٦٦ .

ثانياً — البعوث العلمية إلى إيطاليا : بعثة إلى المعهد الدولى بتورينو (مارس ١٨٧٠) ٧٦٧ ، بعثة الرسم والتصوير (سنة ١٨٧٢) ٧٧١ .

ثالثاً — البعوث العلمية إلى ألمانيا ٧٧٢ .

صفحة

رابعاً — البعوث العلمية إلى سويسرا ٧٧٤ .

الكتاب الخامس

المعاهد الخارجة عن النظام التعليمى الحكومى الأزهـــر

مدارس الطوائف والإرساليات الدينية والجاليات الأجنبية

الفصل الأول : الأزهر ... ... ٧٧٩—٨٢٠
الأزهر والمجتمع المصرى ٧٧٩، محمد على والأزهر ٧٨٠ ، نظاما التعليم الدينى والمدنى ٧٨١ ، بدء حركة التجديد فى الأزهر فى عصر إسماعيل ٧٨٣ ، محمد عبده وجمال الدين الأفغانى وإصلاح الأزهر ٧٨٧ ، الشيخ ابراهيم البيجورى شيخ الأزهر ٧٩٦ ، الشيخ مصطفى العروسى ولائحته ٧٩٨ ، الشيخ محمد المهدى العباسى وقانونه ٨١٢ ، إحصاءات ٨١٩ .

الفصل الثانى : مدارس الإرســـاليات الدينية والجاليات الأجنبية والطوائف غير الإسلامية (١٨٤٨—١٨٨٢) ... ... ٨٢١—٨٧٥
الأجانب فى مصر ٨٢١ ، إحصاءات ٨٢٨ ، مشروع مصطفى رياض باشا ٨٢٩ ، ١ — مدارس الطوائف غير الإسلامية : أولا — مدارس الأقباط ٨٣٣ ، ثانيا — مدارس الإسرائيلين ٨٣٩ ، ٢ — مدارس الإرساليات الدينية : أولا — الإرساليات

الكاثوليكية ٨٤١، ثانياً — الإرساليات البروتستنتية ٨٤٩،
٣ — مدارس الجاليات الأجنبية : أولا — المدارس اليونانية ٨٥٣،
ثانياً — مدارس الأرمن ٨٥٧، ثالثا — مدارس السوريين
المارونيين ٨٥٧، رابعا — المدارس الإيطالية ٨٥٧، خامسا —
المدارس الألمانية ٨٥٩، سادسا — مدارس خاصة ٨٦٠،
٤ — المدارس الحرة المجانية العامة ٨٦١ : بالاسكندرية ٨٦٣،
بالقاهرة ٨٦٩.

تقديم الكتاب

بقلم

حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد شفيق غربال بك

المستشار الفني لوزارة المعارف العمومية

بعد أن أتم « الدكتور أحمد عزت عبد الكريم » كتابه فى « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » انتقل لدراسة أنظمة التعليم فى عهد خلفائه : عباس الأول وسعيد وإسماعيل . وها هو ينشر اليوم كتابه الثانى فى هذا الموضوع .

والكتاب الجديد يمتاز بما امتاز به الكتاب الأول من مزايا الرجوع للأصول ، ودقة البحث ، واتزان الحكم ، واعتدال الرأى ، وتحرِّى وجه الحقيقة فى التفكير والتعبير .

ويعالج المؤلف فى كتابه الجديد ما جرى لما خلفه محمد على للمصريين من الأنظمة التعليمية . وقد بنى العاهل البناء وأحكمه ، فلم يستطع من جاءوا بعده إلا السكنى فيه : فلا هم بقادرين — من جهة — على مغادرته والسكنى خارجا عنه ، وليست لديهم — من جهة أخرى — الكفاية والوسائل لهدمه وإقامة غيره . فلم تكن لهم مندوحة عن الاستقرار فيه ومحاولة أن يعدلوا فى أقسامه ليتمكنوا من ذلك الاستقرار . ومن هنا جاءت نظم التعليم وخططه ومشكلاته فى العهد الذى أرخ له المؤلف — عهد عباس الأول وسعيد وإسماعيل — متأثرة كل التأثر بما وضع محمد على من خطط ونظم ، وما واجه من مشكلات . ولازال ظل محمد على — وإن انتهى حكمه — مخيما على العصر التالى له ، عصر خلفائه ، ولا زال الميراث الذى خلفه محمد على ذخراً يستمدُّ منه

خلفاؤه مادة للعمل ، ولا نكاد نلحظ أثراً لمؤثرات قومية أو خارجية حوّلت تطور تاريخ التعليم عن مجراه المرسوم وعدلت به إلى أهداف جديدة . لهذا جاء تاريخ التعليم فى عصر عباس الأول وسعيد وإسماعيل استمراراً لتاريخ التعليم فى عصر محمد على ، وجاء كتاب اليوم للدكتور عزت استمراراً لكتابه الذى وضعه منذ سنين .

هذا فى مصر ، أما فى أوربا فإن هذا العصر (من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٨٠) حافل بالحركات التى أثرت فى أنظمة التربية والتعليم ، فهذا العصر عصر النهوض القومى . والحركات القومية منها ما يهدف إلى (التجمع) كحركات الوحدة الإيطالية والوحدة الألمانية ، ومنها ما يتجه إلى (التفرق) كالحركات الانفصالية فى الإمبراطورية النمسوية والإمبراطورية العثمانية . وكان لهذه الحركات القومية جميعاً أثرها القوى فى تنظيم حياة الشعوب السياسية والاقتصادية والفكرية على أساس قومى ، وكذلك كان أثرها قويا فى تطور سياسة التعليم ونظمه : فالحركات القومية التى تهدف إلى التجمع أدت الى إنشاء أنظمة قومية للتعليم ، أنظمة غير متأثرة إلا بالنزعات والأهداف القومية ، وترمى الى تربية الشعب تربية قومية . أما الحركات القومية التى اتجهت نحو التشتت ، نحو بناء قوميات على أساس عنصرى ، فقد أدت — فيما أدت اليه — الى تأكيد الصبغة القومية فى روح التعليم ومعاهده وخططه وبرامجه ، ومن ذلك زيادة الاهتمام بتعليم اللغات القومية والآداب القومية والتاريخ القومى ، ونحو ذلك مما يكوّن المواطن الحق .

وهذا العصر الذى نؤرخ التعليم فيه عصر نمو الديمقراطية ، والسعى إلى بث الفكرة الديمقراطية فى نظم الحكم والاقتصاد الأهلى وفى التربية والتعليم ، فبعد أن كان التعليم ترفا لا يناله إلا الأغنياء والمحظوظون ، أصبح حقاً شائعاً للجميع ، تكفله الدولة للشعب بجميع طبقاته فى مدارس التعليم الأولى .

وكان من الواضح أنه لا يستطاع تحقيق هذه الغايات كلها إلا إذا أخذت الدولة — ممثلة فى الإدارة المركزية للتعليم — شئون التعليم كله بين يديها ، فالدولة هى التى ترسم الخطوط الأساسية فى السياسة التعليمية وتضع الخطط والأنظمة وتفتح — أو ترعى — معاهد التعليم . وتبعاً لذلك تختفى — أو تقل — المؤثرات المحلية فى مسائل التعليم ، فالهيئات المحلية — إن وجدت كما هو الحال فى انجلترا — لاتستطيع أن تواصل نشاطها إلا بهدى الإدارة العامة وإشرافها ، والكنيسة — فى فرنسا — يبطل نفوذها فى تربية الناشئين .

وعلى هذا النحو يجرى تطور نظم التربية والتعليم فى أوروبا من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٨٠ وهو تطور يتأثر — كما رأينا — بالحركات القومية والديموقراطية التى حفلت بها هذه الفترة من التاريخ الأوروبى ، وهو تطور يمس التنظيم أكثر مما يمس النظريات التربوية فى حد ذاتها ، اللهم إلا فى الدعوة إلى الحد من سلطان الدراسات الكلاسيكية وما تبع ذلك من محاولة إيجاد مكان فى المنهج للعلوم الطبيعية والتطبيقية والدراسات الإنسانية الحديثة ، وقد وجدت هذه الدعوة صداها فى التعليم الثانوى وفى التعليم الجامعى .

* * *

وهذه الفترة من التاريخ الأوروبى (١٨٥٠ — ١٨٨٠) تنتظم فى التاريخ المصرى عهد عباس الأول وسعيد وإسماعيل ، وهو العهد الذى وضع هذا الكتاب لتأريخ التعليم فيه . وقد أشرنا فى صدر هذه الكلمة إلى قوة التراث الذى خلفه محمد على وقدرته على البقاء من بعده — إن لم يكن بكامل جزئياته فبالروح والتقاليد — حتى كوّن المادة التى عمل عليها خلفاؤه ومنها شكلوا ما وضعوا من نظم أو أنشأوا من منشئات .

وتظهر هذه الحقيقة أقوى ما تكون فى عصر عباس وسعيد : فلا ترى فيه

إلا (نشاطاً) محدوداً فى دائرة محدودة : هى دائرة المدارس القليلة التى ظلت باقية فى ذلك العهد . فمادة العمل هى المدارس التى ظلت باقية من عهد محمد على ، والأمر لا يعدو فتح مدرسة مفروزة أوإغلاق مدرسة للهندسة أوإعادة مدرسة أخرى للهندسة وهكذا . فهو نشاط محلى ضبق الأفق محدود المعالم ، يلوح فيه مايتميز به ذلك العهد من ضيق الأفق وقلة الإنتاج .

وفى عصر إسماعيل — وفى السنوات الأولى منه خاصة — لا تزال (مادة) العمل موجودة لم تتغير فى مجموعها ، ولايزال النشاط مقصوراً — أويكاد يكون مقصوراً — على العمل فيها ، وإنما أخذ نطاق العمل يتسع بفضل إغداق الأمير المستنير على معاهد التعليم وما استلزمه تعقد الأداة الحكومية من وفرة الفنيين على اختلاف أعمالهم . فهذا التوسع فى التعليم قد فتح أبواب المدارس لعدد من أبناء الأمة أعظم مما كانت له — قبل إسماعيل — فرصة التعليم ، فكثرت معاهد التعليم وتنوعت أنظمته وارتقت مناهج الدراسة وتغيرت أساليب الحياة المدرسية . ولكن هذا كله لم يواجه المشكلة الحقيقية الكبرى الباقية من عصر محمد على .

وقد ظهرت هذه المشكلة من أن التعليم الحديث فى مصر حين بدأ على عهد محمد على اتخذ لنفسه هدفا محدوداً عاجلا : هو إعداد الفنيين لشتى نواحى النهضة التى ابتعثها محمد على . فكانت المدارس (الخصوصية) أول ما أنشىء من مدارس ، ثم اضطرت حكومة محمد على الى خلق المدارس الأخرى التى تمدّ هذه المدارس الخصوصية بالتلاميذ . وهكذا بدأ نظام التعليم يتخذ شكل الهرم المقلوب : يبدأ بالقمة دون وضع القاعدة . ومثل هذا لا يمكن أن يكون نظاما قومياً للتعليم . ولكن الحق أن (القاعدة) كانت موجودة بالفعل وإن لم تكن من خلق الباشوات أو الولاة ، وتتمثل فى تلك الكتاتيب المنبثة فى مدن

مصر وقراها ، وتقدم الى صبيتها تعليما أوّلياً محدوداً يقوم على حفظ القرآن . ولكنها بعيدة عن سلطان الدولة ورقابتها ، أكثرها ضئيل فى الموارد فقير فى المعلمين سقيم الوضع ، ووضح أن مواجهة هذه المشكلة التعليمية الكبرى يقتضى إما أن تترك هذه الكتاتيب ويهمل أمرها إهمالا تاما ، ويشرع فى خلق نظام قومى للتعليم جديد كل الجدة . وإما أن يوصل ما بين القمة حيث المدارس من الطراز الأوربى والقاعدة حيث المدارس أو الكتاتيب من الطراز العربى أو الأسلامى ، على نحو يحقق تعاون هذين الطرازين فى تعليم الناشئة ، إن لم يحقق اتحادهما ليتكون منهما نظام قومى واحد . وسعى على مبارك لبلوغ هذه الغاية ، ووضع لهذا الغرض لائحته الشهيرة (بلائحة رجب) التى تؤرخ المحاولة الحقيقية الأولى لإيجاد نظام قومى للتعليم فى مصر . وانتهى عصر إسماعيل والمشكلة الكبرى باقية لم تحل . وشهدت السنوات التالية لحكم إسماعيل (من ١٨٨٠ إلى ١٨٨٥) — فيما شهدت من محاولات الإصلاح وتجارب الحكم — محاولة أخرى لمواجهة هذه المشكلة التعليمية وحلها .

وقد بدأت التجربة الجديدة بتحديد للمشكلة تحديدا يمهد لعلاجها من أساسها : ويتضح هذا التحديد فى تفكير مصطفى رياض ناظر النظار وعلى إبراهيم ناظر المعارف وإدوار دور المفتش العام للتعليم فى ذلك الوقت . أصبح للتعليم العام أغراض واضحة تتجه نحو تمكين الفرد من أن يكون مواطناً نافعاً لنفسه ولوطنه ، أو على حد تعبير على باشا إبراهيم فى تقريره لمجلس النظار : « ينبغى اتساع دائرة المعارف بين جميع أهالى الديار المصرية وسريانها بالتدريج حتى تصل الى أهالى الأرياف ، لكى توجد عند ذرياتهم المستجدة احتياجا الى التعليم وإحساساً بما لهم من الحقوق الوطنية وما عليهم من الواجبات فى حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة » . وفى ضوء هذا المبدأ تقدم (القومسيون) الذى شُكل فى ذلك الوقت (سنة ١٨٨٠) لحل المشكلة التعليمية

الكبرى ، حلا يقوم على تصميم بناء قومى للتعليم يستمدُّ مادته من كلا النظامين الأوربى والعربى . واقتضت مواجهة المشكلة الرئيسية بحث المشكلات الجانبية الأخرى وتدبير حلول لها : ومن ذلك بحث معاهد التعليم القائمة معهدا معهدا وتبين حاجاتها ومعالجة تلك الحاجات ، ومن ذلك أيضا معالجة مشكلة المعلم ومحاولة تنسيق الموارد المالية المشتتة التى ينفق منها على التعليم .

وهكذا جاء تقرير قومسيون ١٨٨٠ فأرسى الأساس لما ينبغى أن تقوم عليه كل المحاولات والتجارب التالية . والحق أن سياسة وزارة المعارف فى عهد الإشراف الإنجليزى قد استمدَّت بعض مقوِّماتها من هذه التجارب التى أجريت فى الفترة القصيرة بين ١٨٨٠ و١٨٨٥ . فقد بذلت الإدارة التعليمية عنايتها لرفع مستوى معاهد الدراسة القائمة بالتفتيش المنظم ووضع الأنظمة الثابتة وجدية الامتحانات وتخيُّر المشرفين ، كما بذلت عنايتها لرفع مستوى المعلم ، وهو العنصر الأساسى لنجاح أى نظام تعليمى . على أن الإدارة التعليمية فى عهد الإشراف الإنجليزى قد شغلتها هذه العناية المتصلة بالحالة القائمة عن مسايرة النمو وإفساح المجال لنشر التعليم .

وفيما عدا ذلك ظلت المشكلة التعليمية الكبرى — مشكلة التعليم القومى الشعبى — دون حل ، حتى انتهى المؤلف من كتابه . وغاية ما نرجوه أن يستمر المؤلف فى بحثه لتاريخ التعليم فى مصر ، إلى أن يصل إلى الوقت الحاضر ، حتى تصبح الصورة أمام القارئ والباحث واضحة والمادة كاملة ووسائل الحكم أهدى سبيلا ؟

شفيق غربال

تصـــدير

« أثبت ... محمد على حق ولى الأمر فى الهيمنة
« على سياسة التعليم من أجل منفعة الوطن ، ولكنه
« ترك للأفراد والطوائف قدرا عظيما من الحرية
« هو أثمن ما خلفه فى سياسته التعليمية (١) . »

بهذه العبارة الموجزة وصف أستاذنا شفيق بك غربال سياسة محمد على فى التعليم أجمل وصف . فهى تقوم على قاعدتين : أولاهما تتمثل فى حق الدولة — بل واجبها — فى الإشراف على سياسة التعليم لتوجهها إلى ما فيه صالح الدولة ، وتظهر فى النظام التعليمى الحديث الذى وضعه محمد على وأخذه بين يديه وجعل منه أداة لإعداد شباب الأمة لخدمة الدولة . والقاعدة الثانية تتمثل فى الحرية التى تركها للمعاهد القديمة : الكتاتيب والأزهر لتتابع سيرها فى الطريق الذى سارت فيه منذ قرون والحرية التى منحها للمعاهد الخارجة عن النظام القومى وهى مدارس الإرساليات والجاليات الأجنبية . حتى إذا انتهى عصر محمد على كانت مصر تملك من نظم التعليم ومعاهد العلم — بفضل سماحة محمد على واتساع أفقه — ما يقدم للباحث فى أصول التربية وطرائق التعليم حقلا مليئاً بشتى التجارب والخبرات وللباحث فى تاريخ التعليم وسياسته مجالا متسعاً للدرس والبحث والاستقصاء .

---

(١) من تقديم كتابنا « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » .

ومن حظ الباحث أن أكثر مادة البحث لم يعفّ عليها الزمان . وجدنا بعضها مشتتاً فى الكتب والتقارير والإحصاءات ، ووجدنا أكثرها فى دور المحفوظات بعابدين والقلعة ووزارة المعارف ومتحف التعليم .

وقد قدمت إلى الجامعة منذ تسع سنوات الثمرة الأولى لبحثى فى تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ثم نشرته بعد ذلك بعامين . ويسرنى أن أقدم اليوم الثمرة الثانية : وهى هذا البحث فى تاريخ التعليم من نهاية عصر محمد على إلى أوائل حكم توفيق (١٨٤٨ — ١٨٨٢) . وقد قدمته إلى الجامعة فى صيف سنة ١٩٤١ فأجازته لدرجة الدكتوراه فى الآداب مع رتبة الشرف الممتازة .

* * *

وهذا العهد الذى أرّخت التعليم فيه من أكثر عصور التاريخ المصرى الحديث حساسية : فقد بدأ بحادث خطير هو اختفاء تلك الشخصية التى حكمت مصر طويلا ، وطبعت بطابعها القوى مختلف مرافق البلاد ووجّهت مصائرها فى السياسة والاقتصاد والثقافة والتربية والتعليم وجهة جديدة ، وانتهى هذا العصر بحادث بل — بحدث — لا يقل خطراً وأثراً فى توجيه تاريخ مصر وتشكيل مصائرها : هو احتلال الانجليز مصر فى ١٨٨٢ .

فهذا العهد من — ١٨٤٨ إلى ١٨٨٢ — قد ألقى عليه إذن عبء مرهق مزدوج معاً : فقد كان عليه — أو على حاكمى مصر فيه — أن يحتفظوا بالشعلة التى أضاءها محمد على ليسلموها إلى الحفدة والذرارى ، على أن يجنبوها ما قد يعتور ضوءها من خفوت ويستعينوا بها فى تعرف الحاجات الناقصة وتفحص أوجه القصور فى شتى مرافق البلاد .

ولكن حاكمى مصر فى ذلك العصر — على محاولتهم الاحتفاظ بهذه الشعلة مضيئة — تفاوتوا فى مدى الاحتفال بها . حتى إذا تولى إسماعيل نفخ فى هذه الشعلة من روحه ، فزاد لهبها سطوعا وضوءها نفوذا . ولكن هذا كاد يحجب عوامل التعطيل والتعويق

التى فعلت فى النهاية فعلها ، فكان الاحتلال فى سنة ١٨٨٢ . وهكذا اتهم هذا العهد (من ١٨٤٨ الى ١٨٨٢) بأنه لم يؤد الأمانة ولم يحفظ العهد ، وتنوسيت — أو أنكرت — الجهود الرائعة والخطط الموفقة التى بذلت فى نواح كثيرة من النهضة العامة . والحق أن كثيراً من هذه الخطط لو أتيح لها الاستمرار بعد ١٨٨٢ على هدى من التجارب السابقة ، وخاصة ما أجرى منها فى الفترة القصيرة (من ١٨٨٠ الى ١٨٨٢) لأنتجت خيراً كثيرا .

واذا كانت العناية بالتعليم تتخذ فى كل أمة مقياساً لتقدمها فإن البحث الذى أنشره اليوم يوضح تماما ما كانت عليه النهضة المصرية عامة فى العصر الذى أؤرخ التعليم فيه .

وقد اقتضت دواعى البحث أن أجعله فى أجزاء ثلاثة ، ينتظم كلّ جزء منها مجلد قائم بذاته :

١ — الجزء الأول : عصر عباس وسعيد (١٨٤٨ — ١٨٦٣) .

٢ — « الثانى : عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق (١٨٦٣ — ١٨٨٢) .

٣ — « الثالث : ملحقات بأهم الوثائق واللوائح التعليمية ومراجع البحث .

وقد كان هدفى طوال البحث درس المسائل الآتية :

١ — نظم التعليم : « الحكومى » و « الأهلى » و « الأجنبى » ، سياسة التعليم فى كل منها ، معاهدها ، وعلاقة كل منها بالأخرى .

٢ — المحاولات التى بذلت — فى عصر إسماعيل خاصة — لإيجاد نظام قومى للتعليم فى مصر .

وقد أدى بى تشعب البحث إلى درس تفصيلات كثيرة لدقائق العمل بمعاهد التعليم رأيت أن لا غنى عنها لتكون الصورة التى جهدت فى رسمها للتعليم فى هذه الحقبة من تاريخ مصر كاملة ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

وبعد فقد أتيح لهذا البحث أن ينشر فى الوقت الذى يعنى فيه المتحدثون على شئون التعليم برسم سياسة تعليمية جديدة وما يتبعها من أنظمة وخطط جديدة ، فإذا استطاع هذا البحث أن يهدى هؤلاء المتحدثين إلى المحاولات والتجارب السابقة فى كثير من المسائل التى لا تزال تواجهنا حتى الوقت الحاضر ، ويثير فيهم من التفكير ما يعين على استقامة الطريق ووضوح الهدف ، لحقق هذا البحث خيراً كثيراً . ذلك لأن دراسة تاريخ التعليم لا تقتصر قيمتها على توضيح ماضى الأمة فى أعزّ ناحية من تاريخها القومى ، وإنما هذه الدراسة خير هاد فى معالجة مسائل التعليم وتدبير أحكامه فى حاضر الأمة ومستقبلها .

* * *

والآن — وقد أتيح لهذا البحث أن ينشر — أشعر بأن على واجباً يجدر بى أن أؤديه ويسرنى أن أتيحت لى الفرصة لأؤديه : هو واجب التوجه بالشكر الخالص إلى حضرة صاحب المعالى الأستاذ الدكتور عبد الرازق أحمد السنهورى بك وزير المعارف العمومية ، فقد تفضل بالاطلاع على هذا البحث مخطوطاً ، وسجل لصاحبه كثيراً من عبارات الإطراء والتقدير ، وأمر بأن يطبع الكتاب على نفقة الوزارة ، فمكن لهذا البحث أن ينشر . فلمعاليه منى خالص الشكر وعرفان الجميل .

أما أستاذى الجليل ، محمد شفيق غربال بك ، فأعتقد أن نشر الكتاب فى الوقت الحاضر — وقد كانت له فى التوصية به اليد الطولى — خير مثوبة لما بذل من جهد فى الإشراف على البحث وتتبع مراحله حتى انتهى إلى المطبعة . ويضاعف شكرى له ما أسبغه على الكتاب وصاحبه من شرف التقديم إلى جمهور القارئين ، فأضاف بهذا فضلا إلى مأثور أفضاله .

ويسرنى أن أقدم خالص شكرى للقائمين على دور المحفوظات بعابدين والقلعة ووزارة المعارف ومتحف التعليم ، فقد كان لمعونتهم الثمينة أثرها فى استجلاء كثير من النتائج الهامة التى وصلت إليها فى البحث ، وأخص بالشكر حضرة صاحب السعادة يوسف جلاد باشا مدير الإدارة الأوروبية بديوان جلالة الملك المعظم وصاحب العزة چورچ جندى بك رئيس قسم المحفوظات التاريخية بالديوان وحضرات الأساتذة المترجمين والموظفين بهذا القسم .

منشية البكرى — نوفمبر ١٩٤٥

أحمد عزت عبد الكريم

الكتاب الأول

سياسة التعليم وإدارته

الفصل الأول

السياسة التعليمية

١٨٦٣ — ١٨٨٢

تولى إسماعيل حكم مصر فى ١٨ يناير ١٨٦٣، فكانت توليته فاتحة صفحة جديدة فى تاريخ الاصلاح الداخلى وعلاقة البلاد بالغرب . وأتيح لاسماعيل أن يحكم مصر ستة عشر عاما شهدت فيها البلاد من التغيرات العظيمة فى شتى مرافقها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ما طبع عصر إسماعيل بطابع خاص وجعل له فى تاريخ مصر الحديث مكانة ممتازة .

بدأ إسماعيل حكم مصر بعد أن انقضى على حكم محمد على لها خمسة عشر عاما ، ذلك الحكم العاصف الذى اتجه بتاريخ مصر وجهة جديدة ورسم لحكمها أسلوبا جديداً ووصل مابين مصر ودول الغرب واستعان بعلم الغرب ونظمه ورجاله ، وأقر علاقات مصر بالدولة العثمانية على أساس يمنح مصر — فى نطاق الالتزامات التى اتخذت صبغة دولية — القدرة على الانتعاش والنمو .

عاش محمد على وحكم فى عصر شهد أخطر الأحداث وأدقها اتصالا بالعالم الإسلامى عامة والعثمانى منه خاصة : كان القرن التاسع عشر قد استهل أيامه الأولى والمسألة الشرقية قد فتحت بابها حملة بونابرت على مصر وماصحبها من اعتلاء النفوذ

الروسى فى الدوائر العثمانية ونزول القوات العسكرية البريطانية فى أرض مصر . ثم جلت القوات العسكرية الأوروبية عن أرض مصر : جلا عنها الفرنسيون أولا ثم تبعهم الانجليز ، على أن « المسالة الشرقية » ظلت على هذا من النواحى البراقة فى خطط بوناپرت القنصل ثم ناپليون الامبراطور ، وواضح أن مصر قد غدت من النقط « الحساسة » التى تنتظمها المسألة الشرقية ، بل أصبحت فى الحق واسطة عقد هذه المسألة.

وفى الفترة التى استعرت فيها الحروب النابليونية كان محمد على فى مصر يمهد الأرض ليقيم عليها أساس البناء ، كان يجتهد فى تجنيب مصر ويلات هذه الحرب — إن صح هذا التعبير — بالدأب واليقظة والعمل المستمر ومواجهة التيارات الموائمة حينا المخالفة أحيانا ، وليس من شك فى أن انتهاء هذه الحرب وقد سلم منها العالم العثمانى — ومصر خاصة — قد أزاح عن محمد على عبئاً طالما أهمه ، فانصرف إلى تشييد الأساس ثم البناء بناء القوة والعلم والمال . وفتح محمدعلى أمام مصر والمصريين آفاقا واسعةورسم لهم مثلا عليا حملهم إلى التطلع إليها والسعى معه لبلوغها ، رسم لهم ماينبغى أن تسعى اليه أمة ناهضة فى ظل حكومة واحدة تقضى على تشتت السلطان وتوحد عناصر الأمة جميعا وتدفعها الى البناء والتعمير ، فتح لهم أبواب العلم والحضارة الغربية ، ومد أبصارهم إلى ماوراء حدود بلادهم فى الشمال والجنوب والشرق ، ونبههم إلى التيارات السياسية والاقتصادية التى تجرى حولهم ، وحملهم على أن يدركوا أهمية الموقع الذى تقوم فيه أمتهم ، ورسم لهم الوسائل ليفيدوا من مزايا هذا الموقع وليتجنبوا أخطاره .

وإذا كان فتح المسألة الشرقية من جديد قد وضع حداً لكثير من آمال محمد على وأهدافه ، فقد قضى محمد على وقد خلف وراءه هذه الآفاق الواسعة والمثل العليا التى رسمها ، وقد انحصرت بعد سنة ١٨٤٠ فى تحقيق الخير لمصر وحدها فى ظل تسوية

— إن تكن ظالمة لمصر — فانها تمنحها القدرة على الانتعاش والنمو .

وهكذا رسم حكم محمد على المعالم الأولى لخصائص التاريخ المصرى الحديث وأوضح لخلفائه طريق العمل للمحافظة على التراث الذى خلفه من ناحية وللعمل على تنميته والبلوغ به إلى أقصى غاياته من ناحية أخرى . فخلفاء محمد على إذن لم يكونوا مطلق القيد ليختطوا لهم فى حكم مصر وسياستها خطة جديدة ، ولكنهم كانوا مقيدين — سواء أشعروا بذلك أم لم يشعروا به وسواء أرغبوا فى ذلك أم لم يرغبوا فيه — بالتسوية التى انتهى اليها محمد على فى تقرير علاقات مصر بالدولة العثمانية وتوضيح صلاتها بأمم الغرب . أما ماعدا ذلك من الحكم فمرجعه خصائص كل منهم من خلق ومزاج ورغبة فى العمل أو صدوف عنه .

ولهذا نرى أن السنوات التالية لحكم محمد على لم تشهد انقلابا عنيفا فى ناحية السياسة العامة لحكم مصر وصلتها بالدولة العثمانية وبالأمم الغربية ، لأن هذه الناحية — كما قلنا — رسمتها اتفاقات معينة اتخذت صبغة دولية . ولكن هذه السنوات لم تشهد مثل هذا الاستقرار فى ناحية الإصلاح الداخلى ، تلك الناحية التى تأثرت بعوامل أخرى منها خلق الحاكم ومزاجه ودرجة ثقافته واتساع أفقه ورغبته فى الاقبال على العمل أو صدوفه عنه . ونضيف إليها هنا قصر المدة التى تتاح لحكمه أو طولها .

ومن هنا لم يتح لجهود محمد على فى الاصلاح الداخلى من بعده اطراد النمو ، بل لم يتح لها ذلك الاستقرار الذى هو مساك كل نهضة اصلاحية . فرأينا عباسا يبغى أن يتخذ فى حكم مصر وعلاج مرافقها الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية أسلوبا جديدا ، حتى إذا جاء سعيد أهمل ما عمله عباس ، ولكنه لم يتقدم لوصل الطريق التى انتهى اليها محمد على ، ولم يستطع سعيد — أو هو لم يرد — أن يرسم لحكم البلاد خطة ثابتة موجهة .

وإذا كانت العناية بالتعليم تتخذ فى كل أمة مقياسا لنهضتها العامة فى سائر مرافقها فان الخطة التى سار عليها عباس ثم سعيد من بعده فى التعليم خير مقياس لما بلغته النهضة المصرية العامة على يدى عباس وسعيد . حتى إذا تولى اسماعيل كان ميدان العمل متسعا لجهوده فى شتى مرافق الإصلاح . وكان اسماعيل خليقا بأن يتابع السير فى الطريق التى انتهى اليها محمد على وبأن يترسم خطاه فى الإصلاح ، ذلك الإصلاح الذى زاده بهاء وعظمة فى أعين المعاصرين سيرة عباس وسعيد من قبله فى حكم البلاد .

أما فى ميدان التعليم فقد وضع إسماعيل الأساس الذى شاد عليه النظام التعليمى طوال عصره بل فى العصور التالية .

وإذا كان خلفاء محمد على — عباس ثم سعيد — قد عملا للحيلولة دون العودة بمصر إلى مركز الباشويات العثمانية الأخرى ، إلا أنهما رضخا — ولا نود أن نقول قنعا — بالقيود التى فرضتها هذه التسوية ولم يحاولا العمل على تحطيمها ، وأكثر من ذلك أنهما لم يستطيعا أن يسموا إلى الآفاق البعيدة التى فتحها محمد على والمثل العليا التى رسمها ، فانهار كثير مما بذل محمد على الجهد والمال فى تشييده .

تولى إسماعيل وقد تسلم تراثا مثقلا بالمتاعب : تسلم إدارة مختلة ، دواوين ملغاة ، نظاما تعليميا منحلا ، اقتصادا أهليا ضعيفا حديث التكوين على أثر انفكاكه من قيود الاحتكار الحكومى ، امتيازات أجنبية وضعت من القرن السادس عشر وتطبق فى القرن التاسع عشر ، نظاما قضائياً معقداً يسوده الظلم والفساد ، وتسلم اسماعيل مع هذا كله عقود امتياز لشركة أجنبية تشق قناة عبر الأرض المصرية وحكما مختلا فى السودان . وأهم من هذا كله أن الآفاق البعيدة التى فتحها محمد على قد ضاقت والمثل العليا التى رسمها قد

انكمشت ولم يعد يؤمن بها سوى القليلين من (عترة) محمد على وحفظة عهده .

٨ حقاً إن اسماعيل قد تولى الحكم فى ظروف دولية مواتية : فقد أقفل باب المسألة الشرقية سريعاً بعد انفتاحه فى حرب القرم واطمأنت الدولة العثمانية ولو — إلى حين — إلى تقرير علاقاتها بالدول الأوروبية . ولكن عصر اسماعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩) كان يجتاز مرحلة من أدق مراحل التطور الأوربى وعلاقته بالشرق : فهذه المرحلة قد شهدت نمو الرأسمالية ، وما صحبها من انتقال رءوس الأموال و (تشغيلها) فى البلاد التى تقدم فرص العمل والكسب ، وكان من الواضح أن الشرق أصلح الميادين لتقديم هذه الفرص ، وتشغيل هذه الأموال يتخذ أشكالا منوعة : فمنها شركات مساهمة للصناعات واستصلاح الأراضى وشق الطرق الخ ، ومنها مصارف مالية ، أو بضائع منقولة ، وسفن حربية وغير حربية ، ومنها تقديم القروض للحكومات والأفراد . والمال يصحبه ضغط اقتصادى وثقافى وسياسى ، وقد ينتهى آخر الأمر — كما حدث فى تونس ومصر — بالضغط العسكرى .

ولكن إسماعيل — وقد رأيت التراث المثقل الذى تسلمه — لم تهن عزيمته : والوثائق الباقية من حكمه تدل على أنه بدأ العمل توا منذ تولى حكم مصر فى الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ . (١) ففى اليوم التالى لتوليته دعا إليه قناصل الدول وصور لهم الرسالة التى عاهد نفسه على أدائها فى النقط الخمس الآتية :

---

(١) بل إن اسماعيل كان يغتنم فرصة توليته الحكم نيابة عن عمه سعيد لينشط للعمل : ومن ذلك أنه بدأ سعيه للاصلاح القضائى بانشاء المحاكم المختلطة فى الفترة التى أنابه فيها سعيد فى سنة ١٨٦٢ ، فعهد إسماعيل إلى شريف باشا بوضع مذكرة فى هذا الموضوع .

١ . النظام والاقتصاد فى المالية ، ومن ذلك تقرير مرتب سنوى له لا يتجاوزه .
٢ . إنماء الشئون الزراعية وتحسينها ، ومن ذلك إلغاء السخرة .
٣ . تشجيع التجارة الحرة .
٤ . الاهتمام بالتعليم « أس النجاح والرقى » .
٥ . إقامة العدالة وتوزيعها بين الناس بالقسطاط .

كان إسماعيل يدرك أنه لا ينبغى أن يبنى للجيل الذى يعيش فيه وحده وإنما عليه أن يبنى لهذا الجيل وللأجيال التالية ، وقد أدرك أن إصلاحات محمد على لم يقدر لها أن تحيا من بعده إلا لأنها لم تهدف إلى المستقبل قدر استهدافها للحاضر ، وأنها لم تجد ذلك الرأى العام المستنير الذى يحفل لهذه الاصلاحات وينهض لحمايتها من عوادى الجهل ويمكن لها فى البقاء ، أما اسماعيل فقد كان يؤمن — بما آمن به محمد على — من « أن فى أولاد مصر قابلية ونجابة » ، كان يؤمن بخصب العقلية المصرية إيمانه بخصب التربة المصرية ، وقدرتهما على أن يحققا للعاهل المصلح المستنير مايتطلع إليه من مثل عليا وآفاق واسعة تتمثل فى هذا البرنامج الخصب القوى الذى أخذ على نفسه — فى مستهل حكمه — أن يقوم به . وقد حرص إسماعيل لهذا على أن يوجد — أو يشجع على قيام — الرأى العام المستنير الذى يلبى حاجات النهضة وينافح عنها ، وهذا الرأى العام المستنير لا سبيل إلى تكوينه إلا بالتعليم ينشره اسماعيل حتى يصل إلى الفلاح فى قريته والصانع فى مدينته ، ويتغلغل فى ريف مصر ومدنها ، حتى يؤمن المصريون جميعاً — بفضل انتشار التعليم بينهم — بجدارة المثل العليا التى يريد إسماعيل أن يوجهها نحوها والآفاق الواسعة البعيدة التى يصورها لهم .

وهذه النهضة الحافلة التى اعتزمها إسماعيل وصورها فى خطابه للقناصل تحتاج إلى

العقول المفكرة والصفوة المثقفة المتعلمة : فاصلاحاته الاقتصادية ودواوينه ، والقضاء وتنظيماته الجديدة ، وإداراته المختلفة فى مصر والسودان ، وهذه السفارات التى يبعث بها من وقت لآخر إلى أوروبا وعاصمة الدولة العثمانية كل هذه تحتاج إلى الفنيين والمثقفين ، بل إلى الصفوة من الفنيين والمثقفين .

فالتعليم عند إسماعيل إذن غاية فى نفسه بقدر ماهو وسيلة للتوجيه والبعث الجديد . لهذا لانرى النظام التعليمى — فى عهد اسماعيل — كما رأيناه فى عصر محمد على مقصوراً على بضع مدارس ابتدائية وتجهيزية وخصوصية لا تستطيع مهما توفرت على أداء رسالتها أن تحمل ثمرات التعليم الحديث إلى جمهور الشعب المصرى فى ريفه وحضره ، وإنما السياسة التعليمية — فى عهد إسماعيل — تهدف إلى غاية أسمى من هذا : تهدف إلى انشاء نظام قومى للتعليم يستمد عناصره من كلا النظامين : الحديث الممثل فى مدارس الحكومة ، والقديم الممثل فى المكاتب والكتاتيب الأهلية . وإذا كان عصر إسماعيل قد انتهى ولا تزال هذه الغاية بعيدة ، إلا أن التجارب التى أجريت والمشروعات والبحوث التى وضعت والإحصاءات التى جمعت والخبرات التى اكتسبت كل هذه كانت عظيمة الأثر فى توضيح السبيل وتمهيده لتلك الغاية السامية .

وإذا كان إسماعيل يستطيع أن يؤجل بعض برنامجه ريثما يمهد الأرض ويقيم الأساس ، فانه كان يشعر بأنه لايستطيع أن يؤجل اهتمامه بالتعليم ، وهو عنده «أساس النجاح والرقى» ، وهكذا بدأت عنايته بالتعليم وتجديد المدارس منذ الأيام الأولى من حكمه ، وظل طوال حكمه يواليها بالتأييد الأدبى والمادى وسط مناحى العمل المتشعبة ومشاغل الحكم وأزمات السياسة والمال .

بل إن هذه المشاغل والأزمات لم تصرف إسماعيل عن العناية بالتعليم ، وإنما زادته به

عناية واحتفالا ، أن كان التعليم أهم مقوّمات النهضة وأقوى سند لها .

تولى إسماعيل فى الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ ، وكان النظام التعليمى الذى وضعه محمد على قد غدا أنقاضا ، ولن يستطيع أحد أن يقول إن وجود مدرسة للطب بالقاهرة ومدرسة حربية بالقلعة السعيدية [١] يكون نظاما تعليميا . ولكن اسماعيل وجد عند توليه معاهد أخرى للتعليم كانت قائمة بمصر منذ قرون ولم يتعرض لها السلطان فى قليل أو كثير ، فظلت محتفظة بكيانها وخصائصها ومكانتها فى نفوس الشعب ، ونقصد الكتاتيب فى المدن والقرى والأزهر فى حاضرة البلاد . ولكن هذه (المعاهد) لا تكون نظاما تعليميا : إذ لم تنظم بينها أية صلة يكون من شأنها أن توجه التعليم نحو تثقيف الناشىء فى مختلف مراحل حياته . والتعليم نفسه — قبل محمد على — لم يصادف من عناية أولياء الأمر ما يدخله فى نطاق الخدمات التى تقوم بها الدولة وقنعت الدولة بأن تسير الأمور فى الأزهر وهذه المكاتب سيرتها المألوفة . أما محمد على فكان له فى سياسة التعليم وجهة خاصة ، اتخذه أداة يكون بها الفنيين الذين يحتاج إليهم ليعاونوه فى النهوض بأعباء الخدمات التى نظمها فى الصناعة والتجارة

---

(١) يقول اسماعيل سرهنك باشا (حقائق الأخبار ... ج٢ ص٢٧٩) إن اسماعيل باشا لما تولى لم يكن بمصر سوى ثلاث مدارس أميرية ، ولكنه لم يذكر اسمها . ويقول يعقوب أرتين باشا (L' Iust. publique en Egypte. p. 95) إن اسماعيل باشا وجد عند توليه مدرسة ابتدائية ومدرسة تجهيزية ومدرسة حربية ومدرسة للطب والصيدلة والولادة وكلها بالقاهرة ومدرسة بحرية بالاسكندرية ، وكلها فى حالة يرثى لها . والواقع أنه لم يكن بالقاهرة فى عصر سعيد مدرسة ابتدائية وأخرى تجهيزية والمدرسة الحربية التى كانت بقلعة القاهرة ألغيت قبل انتهاء حكم سعيد بعامين ، وكذلك انهارت المدرسة البحرية قبيل حكم اسماعيل .

والجيش وغير ذلك من مرافق البلاد . وكان ينبغى أن يتخذ فى إعداد العمال أسلوبا معينا قوامه إشراف الدولة إشرافا كاملا على تعليمهم وتربيتهم فى مدارس ينشئها لهذا الغرض ويجمع لها صبية البلاد ويقوم على تغذيتهم بالتربية العقلية والتربية المادية ، ذلك لأنهم أعوانه وعدته فى النهوض بالبلاد ، فهو يريد — شأن الحاكم المطلق — أن يطمئن إلى إعدادهم على النحو الذى تبغيه الدولة . ورأى محمد على أن هذا الأسلوب فى إعداد عماله لا يستطاع تطبيقه فى معاهد العلم القديمة التى عاشت على الحرية المطلقة والاستقلال التام عن سلطان الدولة ووسمت بهما طلابها وخريجيها .

وهكذا عاش النوعان من التعليم والتربية جنبا إلى جنب ، ولكل وجهة هو موليها ولكل أهداف ظل عاكفا عليها .

ووجد إسماعيل عند توليته لونا آخر من المعاهد العلمية غير بقايا المدارس (الحديثة) ومعاهد العلم (القديمة) ، وجد إسماعيل المدارس التى اصطلح على تسميتها (المدارس الأجنبية) وهى المدارس التى أنشأتها الإرساليات الدينية والجاليات الأجنبية التى بدأت تفد إلى مصر وتستقر فيها فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، واشتد نشاطها فى النصف الثانى منه وما زال من المظاهر البارزة فى النهضة الحديثة إلى وقتنا هذا . وهذه المدارس (الأجنبية) كانت لا شك تدعو إلى ثقافة لا نقول معادية لثقافة البلاد ولكنها لا تمت إليها بسبب . وبعض هذه المدارس عكف على رسالته التعليمية وبعضها أضاف إلى هذه الرسالة التعليمية رسالة أخرى تتصل بالدين والدعوة إليه . ولم تقم هذه المدارس فى عاصمة البلاد وحدها وإنما أخذت تنتشر فى العاصمة والمدن . ولم تقتصر على أبناء الجاليات الأجنبية وحدهم وإنما

استطاعت أن تجذب إليها نفراً من أهل البلاد أخذ عدده يزداد من وقت إلى آخر ، كما استطاعت أن تنال عطف الحكومة ورعايتها المادية والأدبية .

هذه معاهد العلم التى وجدها إسماعيل حين تولى حكم مصر فى الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣، وكل منها له كيانه الخاص وأهدافه الخاصة وأسلوبه الخاص فى تربية الناشئة وكل منها يقتضى الحكومة علاجا خاصا .

أما المدارس (الحديثة) فقصيرة العمر ، وهى البقية الباقية من النظام التعليمى الحديث الذى وضع محمد على أساسه فى مصر منذ ثلاثة وثلاثين عاما . ولكن هذا النظام التعليمى الحديث — على قصر عمره — استطاع أن يخلف فى حياة البلاد الثقافية أقوى الأثر : فقد نجح فى اجتذاب عدد كبير من ناشئة البلاد وأخذهم بألوان من التعليم وفنون من التربية كانت حتى ذلك الوقت منعدمة فى مصر أو انقطعت الصلة بينها وبين مصر منذ وقت بعيد . ونجح هذا النظام التعليمى الحديث فى إشاعة نهضة تعليمية قوية بما أنشىء من مدارس وترجم من كتب وخرج من تلاميذ ، ونجح فى توجيه البلاد حكومة وشعباً إلى ضرورة العناية بالتعليم والاحتفال لنجاحه ، فأصبح تعليم الناشئة وظيفة من وظائف الدولة الأساسية ، فالدولة تعنى بحياة الشعب العقلية كما تعنى بحياته المادية ، والدولة تنفق على التعليم كما تنفق على سائر مرافق الإصلاح . وإذا كان هذا النظام التعليمى الحديث قد ذبل فى عهد عباس ثم ذوى فى عهد سعيد فإن أثره القوى ما زال قائما فى تلاميذه الذين خرجهم وكتبه التى نشرها ، بل ما زال قائما فى أبنيته التى ضمت سنوات طويلة نابتة البلاد ، وقد أقبلوا عليها يتزودون من التعليم (الحكومى) ما يمهد لهم فى خدمة البلاد حياة طيبة ، وانتشر هؤلاء التلاميذ فى ربوع البلاد وأصاب كثير منهم فى الحياة الوظيفية الجاه والمال والمقام السامى ، وكانوا بين

سائر مواطنيهم المثل الحى لما يصيبه المتعلمون فى مدارس الدولة من توفيق وإقبال .

لهذا لا يقاس أثر النظام التعليمى الحديث حين تولى إسماعيل حكم مصر فى الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ بالمعهدين الدارسيين الباقيين من هذا التراث وهما مدرسة الطب والمدرسة الحربية ، وإنما يقاس أثره بالتقاليد القوية التى غرسها فى ثقافة البلاد وبالروح القوية والنهضة الحافلة التى أشاعها فى البلاد ، وإنما يقاس أثره بالتلاميذ الذين درسوا فى معاهد هذا النظام ووصل كثير منهم إلى مراكز الحكم والإدارة فى البلاد وكلهم ينتظرون الإشارة من ولى الأمر فى البلاد ليهبوا إلى العمل على تجديد البناء ، بناء التعليم الحديث .

وجد الخديو إسماعيل فى أدهم ورفاعة وعلى مبارك وشريف ورياض وعلى إبراهيم أصدق الأعوان فى إقامة دعائم النظام التعليمى الحديث وتوطيدها فى البلاد ، ووجد غيرهم كثيرين ممن نسميهم (الجنود المجهولين) وهم معلمو المدارس الذين شتتوا فى خدمات مختلفة بعيدة عن العلم والتعليم وآن لاسماعيل أن يجمعهم ليعهد إليهم مرة ثانية بتعليم أبناء البلاد ، ووجد كثيراً من الأبنية الصالحة ليقيم فيها مدارسه الجديدة ، ووجد الكتب المدرسية التى يستطيع أن يضعها بين أيدى تلاميذه أول دخولهم فى المدارس الجديدة ، بل وجد إسماعيل كثيراً من التلاميذ الذين شردوا وآن له أن يعود بهم إلى معاهد العلم[1] . ولكن وجد اسماعيل فوق هذا كله أمة قد ذاقت حلاوة العلم واستطابت لذته ونعمت بخيراته ، وأصبحت مستعدة — بل متطلعة — أن تؤيد أميرها وتشاركه بالتأييد الأدبى والمادى جهوده لبعث النهضة التعليمية والتمكين لها فى حياة البلاد وحمايتها من عوادى الجهل والحرمان .

---

(١) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٦ رقم ٦ الى المعية فى ٢٦ ذى الحجة ١٢٧٩

لم يكن إسماعيل إذن عند ما تولى حكم مصر فى الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ يواجه الموقف نفسه الذى واجهه محمد على قبل ذلك بثمانية وخمسين عاما . ولكن الفضل لتراث محمد على ، ذلك التراث الذى مهد لاسماعيل التربة الصالحة ليضع فيها غرسه وأعدّ هذه التربة بما يمكن لغرسها من قوة ونماء . وهذه الأدوات المختلفة التى وجدها إسماعيل حين تولى حكم مصر كانت كلها صالحة للعمل ، وما كانت تقتضى الأمير إلا أن يجمع بعضها إلى بعض لتبدأ العمل من جديد على النحو الذى كانت عليه وقت أن وصل النظام التعليمى الحديث فى عصر محمد على إلى عنفوان القوة واكتمال النمو .

وعلى هذا النحو كان بعث النظام التعليمى الحديث فى أوائل حكم اسماعيل . فما كان اسماعيل — وهو الأمير المستنير — يطيق أن يرى البلاد عاطلة من معاهد العلم الحديثة ، وكان إسماعيل — وهو الأمير المصلح — يقدر حاجته إلى الفنيين للنهوض بمشروعاته التى عزم على تحقيقها فى شتى نواحى الإصلاح . وكان اسماعيل متعجلا ليفيد من تلك الأدوات الباقية المهيأة للعمل ، لهذا لم يتجه اسماعيل فى أوائل حكمه إلى رسم سياسة تعليمية جديدة ، وإنما سار — سواء أشعر بذلك أم لم يشعر — على السياسة التعليمية التى رسمها جده محمد على الكبير .

ولكن هذه المرحلة الإنشائية لاتدوم إلا ريثما يتهيأ الوقت ويفرغ الرجال لوضع سياسة تعليمية جديدة على ضوء من التوفيق بين حاجات الساعة وماضى الأمة ومستقبلها ، بين النظام التعليمى الحديث والنظام التعليمى الأهلى — إن جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير — القائم منذ قرون وما زال يقوم على تربية أبناء الشعب فى كتاتيب القرى والمدن .

أدرك اسماعيل — وأدرك معه القوامون على النهضة التعليمية فى عصره ، والاسم

البارز فيهم على مبارك — أن النظام التعليمى الحديث لايستطيع أن ينهض على دعائم ثابتة مستقرة فى ثرى البلاد إلا إذا بدأ (يخرج) من عاصمة البلاد ويتغلغل فى سائر أنحائها فيتصل بالفلاحين فى القرى والصناع فى المدن يحمل اليهم نور العلم الحديث، ولكن القرى والمدن حافلة بمعاهد التعليم الأهلى وهى الكتاتيب، فيجب أن تنظم الصلة بين التعليم الحكومى والأهلى على نحو يحقق تعاونهما فى النهوض بالمهمة السامية التى يعكفان على أدائها فى تعليم ناشئة البلاد. وعلى هذه الفكرة قامت لائحة رجب ١٢٨٤. وبذلك بدأت المرحلة الثانية فى تطور النظام التعليمى فى عصر إسماعيل، والحق أن بشائرها قد بدأت تبدو منذ العام الثانى من حكم إسماعيل، ولكنها لم تبد واضحة إلا فى عام ١٨٦٧ — ١٨٦٨ حين وضعت لوائح جديدة ورسمت سياسة فى التعليم جديدة، فكان هذا العام من الأعوام البارزة فى تاريخ التعليم المصرى الحديث.

وعهد إلى راسم هذه السياسة أمر تنفيذها: وعكف على مبارك على ذلك ماوسعه الجهد وتوفرت له الوسائل من المال والرجال، وسنرى فى الفصول التالية من هذا الكتاب مدى نجاحه فى بلوغ هذه الغاية.

يستطيع إسماعيل الآن — فى سنة ١٨٦٩ — أن ينظر — بافتخار — إلى النواحى التى أتمها من برنامجه: كان قد فرغ من كثير من المصاعب التى ورثها فيما ورث: حل مشاكل القناة، واحتفل بافتتاحها فى أبهة وروعة جعلتا الناس تتحدث عن مصر وعاهلها طويلا، صفى بعض مشاكله مع الباب العالى على نحو يحقق له بعض أهدافه، وبدأ عمله فى توسيع ملكه وتنظيمه فى أفريقية، وطد نظام الدواوين، وزاد عليها مجلس شورى النواب.

وهكذا ختمت هذه المرحلة الأولى من حكمه (من ١٨٦٣ إلى ١٨٦٩) بهذه الأحداث البارزة التى أرخت من عصر إسماعيل أبهى سنى حكمه:

١ — فى سنة ١٨٦٧ منح إسماعيل الفرمان الذى نال به لقباً خاصاً وأقرّ لمصر — بين الباشويات العثمانية — مركزا ممتازا .

٢ — وفى سنة ١٨٦٧ افتتح مجلس شورى النواب الذى بدأ به السطر الأول من الحياة النيابية فى مصر .

٣ — وفى سنة ١٨٦٨ صدرت لائحة رجب ١٢٨٤ التى أرخت أول محاولة لإنشاء نظام قومى للتعليم فى مصر .

٤ — وفى سنة ١٨٦٩ افتتحت قناة السويس ، فبدأت مصر تعود إلى مكانتها فى حلقة مواصلات العالم واتجهت إليها الأبصار .

وهكذا عادت المثل العليا فانتعشت وعادت الآفاق الواسعة فتفتحت ، وانتعش الأمل فى صدر اسماعيل فى مستقبل مشرق باسم : فهو يستطيع أن يمضى الآن مطمئناً إلى إكمال برنامجه وتقويم أوجه القصور فيما وضح من خططه وأساليبه مما كشفت عنه التجربة ، يستطيع أن يمضى فى معالجة مسائله مع الباب العالى الذى كان ينظر بحذر إلى خطط الخديو السياسية ومشروعاته فى أوربا ، يستطيع أن يمضى فى مفاوضاته مع الدول الأوروبية بشأن الاصلاح القضائى ، وأن يمضى فى تحقيق أهدافه التمدنية والعمرانية فى السودان ، ويستطيع أن يمضى قدما فى تنفيذ الخطط التى وضعت للتعليم وإصلاح المعوج من أمرها وإكمال الناقص من جوانبها حتى توضع على أساس سليم يمكنها من متابعة العمل فى سرعة وإتقان . وكان الزمن يدخر لمصطفى رياض أن يرسم هو الآخر سياسته وينهض لتحقيقها . ورياض لا يميل إلى التوسع قدر ميله إلى الاصلاح .

وشهدت سنة ١٨٧٣ — ١٨٧٤ حركة إصلاحية قوية فى التعليم بوضع اللوائح المنظمة لقبول التلاميذ بالمدارس واشتراك أهليهم فى أعباء تعليمهم وتربيتهم ، واللوائح المنظمة لواجبات المعلمين والمتحدثين على الطلاب ، والمناهج والخطط المدرسية المنظمة

للتعليم فى المدارس . فكانت سنة ١٨٧٣ — ١٨٧٤ من السنوات الحافلة فى تاريخ التعليم ، وكانت سنة ١٨٧٥ بالذات القمة التى وصل إليها اكتمال النظام التعليمى فى عصر إسماعيل .

والحق أن سنة ١٨٧٥ تختم مرحلة أخرى من مراحل عصر اسماعيل فى التعليم وفى غير التعليم . فقد شهدت هذه المرحلة الثانية من حكم إسماعيل (١٨٦٩ — ١٨٧٥) من الأحداث الخطيرة ما أعطى عصر إسماعيل طابعه الخاص الباقى بين عصور التاريخ المصرى الحديث :

١ — فقد استقرت العلاقات بين مصر والدولة العثمانية بالفرمان (الشامل) الذى صدر فى سنة ١٨٧٢ والذى أكد حقوق مصر وامتيازاتها .

٢ — وتحقق الإصلاح القضائى بافتتاح المحاكم المختلطة فى سنة ١٨٧٥ .

٣ — واطرد سير الاصلاح والتمدين ومقاومة النخاسة فى السودان .

أما فى التعليم فنستطيع أن نجمل أهم الخطوات التى تمت فيما يلى :

١ — إنشاء مدرسة دار العلوم فى سنة ١٨٧٢ وهى أول مدرسة لاعداد المعلم فى مصر ، وبذلك وضع الأساس لسد أكبر حاجة تعليمية فى مصر .

٢ — إنشاء أول مدرسة لتعليم البنت فى مصر فى سنة ١٨٧٢ أيضا .

٣ — صدور أول قانون لتنظيم أمور الأزهر ، وهو القانون الذى يرسم الامتحان لمن ينبغى التصدر للتدريس بالازهر

٤ — المضى فى تنظيم وإنشاء المكاتب الأهلية .

٥ — تنظيم التدريس فى المدارس على أساس برامج تعليمية مفصلة وموحدة لكل مرحلة من مراحل التعليم .

٦ — تحويل الأساس الذى كانت تقوم عليه الحياة المدرسية : إذ تحولت المدارس من (ثكنات) يجمع فيها الصبية وتقوم الدولة عن أهليهم بكل ما يتطلبه مقامهم بها من تعليم وكساء وغذاء و (مصروف) ! إلى معاهد للعلم يتردد عليها الصبية نهاراً وينقلبون إلى أهليهم مساء ، بل ويؤدون إلى الحكومة بعض ما تتكلفه لأبنائهم من نفقات التعليم والأدوات والكتب المدرسية .

وفى اعتقادنا أن هذا التحول فى الحياة المدرسيه كان من أهم الثمرات التى جناها التعليم فى مصر فى عصر إسماعيل : فقد أصبح التعليم بذلك ليس نشاطا حكومياً فحسب ، وإنما هو نشاط تشترك فيه الحكومة والأمة جميعاً ، لم يعد التعليم — كما كان فى عصر محمد على وماتلاه حتى هذه السنوات من حكم إسماعيل — (خدمة) تقوم بها الحكومة كما تقوم بالخدمات الأخرى ، وإنما أصبح فوق ذلك مقوماً من المقوّمات التى لا غنى عنها فى حياة الأمة .

ومضى عصر إسماعيل إلى نهايته ، وتشاء الظروف لاسماعيل أن تكون هذه السنوات الأربع (من ١٨٧٥ إلى ١٨٧٩) سنوات جهاد : جهاد ضد شهوات النفس وجهاد ضد « الرأسمالية » الأوروبية التى اعتمدت فى أساليبها على « السياسة » الأوروبية ريثما يحين الوقت الذى تعتمد فيه على « العسكرية » الأوروبية . فى هذه السنوات سمع صوت الرأى العام لأول مرة فى مصر ، هذا الرأى العام الذى استمد — فى الحق — مقوماته الأولى من النهضة المحمدية العلوية وما صحبها من إنشاء المدارس وبعث البعوث والاتصالات بالغرب ، وشهد المثل العليا التى رسمها محمد على والآفاق البعيدة التى فتحها ، وشارك فيها على نحو ما ، ثم تمرس فى ظروف الحكم التى تلت عهد محمد على ، ثم غذاه إسماعيل من روحه وثقافته ، وأمدّه بالمقوم الأساسى فى حياته وهو هذه

النهضة التعليمية الحافلة التى اشاعها إسماعيل وهيأ ، له أسباب النمو واليقظة فى هذه الصحف التى بدأت بمصر أول مابدأت فى عصر إسماعيل ، ومهد له سبيل إبداء الرأى — على نحو متواضع فى أول الأمر — فى مجلس الشورى الذى أنشأه . حتى إذا استوى هذا الرأى العام المستنير المتحفز على عوده مضى إسماعيل يجرب الاعتماد عليه فى مواجهة تيارات التدخل الأوروبى الجامحة ، ولكن هذه التيارات كانت أقوى فى النهاية من أن يصمد لها هذا الوفاق القومى اليافع بين العاهل الشرعى والرأى العام المستنير . وضحى إسماعيل فى هذا الجهاد بعرشه ، بعد أن ضحى بماله ، علّ فى هذه التضحية بعض ما يفيد بلاده .

لم يغفل إسماعيل — فى سنى الجهاد هذه (من ١٨٧٥ إلى ١٨٧٩) — مسائل التعليم ، فظل يواليها بعنايته وإذا كانت هذه السنوات قد خلت من خطط إنشائية توسعية فى التعليم فقد انصرف فى خلالها الجهد إلى تحقيق الخطط السابقة ، سواء تلك التى وضعت فى سنة ١٨٦٧ وترمى إلى تحقيق نظام تعليمى قومى عام على أساس المكاتب الأهلية ، أو تلك التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ بقصد توحيد برامج التعليم وتحويل الحياة المدرسية على أساس التوسع فى نظام الأقسام الخارجية والمصروفات الدراسية . فهذه السنوات إذن لم تشهد توسعاً فى النظم والمؤسسات التعليمية القائمة بقدر ما شهدت محاولات لتحسين هذه النظم والمؤسسات ورفعها إلى المستوى الذى رسمته اللوائح والخطط العامة ، وليس من شك فى أن لهذا (التحول) أو وقوف التوسع ما يبرره :

فان اختلال الأحوال المالية واضطرار الحكومة إلى ضغط مصروفاتها لمواجهة أقساط الدين كان لا شك له أثره البارز فى غل يد الحكومة عن التوسع

فى إنشاء المدارس والمضى فى تنظيم وإصلاح المكاتب الأهلية رغم الموارد (الخاصة) التى رصدت لهذه المكاتب .

ولكن من الحق كذلك أن المتتبع لتاريخ المنشئات التعليمية يرى الفروق ظاهرة بين الأساليب التى لا تزال تسير عليها وتلك التى رسمتها اللوائح والخطط العامة : فما زال المستوى العلمى للتلاميذ قاصرا عن بلوغ المستوى الذى رسمته الخطط والمناهج الدراسية التى وضعت لمختلف مراحل التعليم فى سنة ١٨٧٤ ، وما زالت هيئات التدريس دون المستوى المأمول ، وما زال مشروع إنشاء دار المعلمين معطلا ،وما زال التطور فى الحياة المدرسية على النحو الذى رسمته اللوائح التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ بطيئا . فالحاجة ماسة إذن إلى كبح جماح التوسع فى المنشئات التعليمية والانصراف إلى تحسين ورفع مستواها .

وهكذا انتهى حكم إسماعيل فى سنة ١٨٧٩ وما زالت الخطة التى رسمت فى سنة ١٨٦٧ واللوائح التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ حظها من النجاح والتنفيذ ضئيل . وكان عصر إسماعيل بما لابسه من التغييرات الداخلية المتعددة وبما أثاره من مشكلات فى علاقة مصر بالدولة العثمانية ودول الشرق من ناحية والدول الأوروبية من ناحية أخرى باعثاً على اليقظة القومية التى أخذت تعنى بمختلف مرافق الأمة ومنها التعليم ، واشتد الشعور بضرورة اتخاذ التعليم أداة للاصلاح ، ولا يتسنى تحقيق هذه الغاية إلا باصلاح التعليم نفسه بما يحقق وفاءه لحاجات البلاد ، وأجدرها بالعناية تثقيف الشعب وإعداد العمال الأكفاء لدوائر الحكومة والأعمال . وكان عصر إسماعيل حافلا بالتجارب التى تهدى المصلحين طريقهم إلى الاصلاح . ومن هنا

جاءت تلك الحركة الاصلاحية الخطيرة فى سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٨١ التى حمل لواءها مصطفى رياض باشا .

فهم رياض — مؤيدا من الخديو توفيق — الموقف الذى كانت تجتازه مصر فى ذلك الوقت بعد انتهاء حكم إسماعيل حق الفهم : قدر المصاعب المالية والسياسية التى تجتازها البلاد ، وقدر فى الوقت نفسه حاجتها إلى متابعة الإصلاحات التى بدأها اسماعيل على ضوء مجانبة أو مسايرة الضغط الأوروبى الماثل — على الخصوص — فى الرقابة على المالية المصرية ، وعلى هدى ما انتهت اليه تجارب ذلك العصر الحافل بالتجارب .

ففى الاصلاح الاجتماعى يمضى رياض فى ما عزمه أو بدأه إسماعيل من إلغاء السخرة .

وفى الاصلاح المالى يستصدر قانون التصفية ويبسط نظام الضرائب .

وفى الاصلاح القضائى يمضى فى التمهيد لانشاء المحاكم الأهلية .

وفى النهضة الأدبية يمضى رياض فى تشجيع الصحف وينصب الشيخ محمد عبده محرراً للوقائع المصرية ، فيمهد له بذلك أسباب الشهرة ويهيىء له مكانا للدرس والاستقصاء ومجالا للقلم الناقد الجرىء .

أما الاصلاح التعليمى فالحق أن صفحة رياض فيه من أنصع الصفحات وأكثرها احتفالا بالعمل الجدى .

كان أشد ما أهم رياضا فى تلك الفترة القصيرة الحافلة تنظيم الأداة الحكومية تنظيما يؤهلها لتحسن القيام على هذه الاصلاحات التى شرع فى إجرائها والتى كانت

لاشك تتطلب الاستناد إلى نظام تعليمى متين تتضافر فى تشييده كل العناصر الصالحة القائمة ليمهد للشعب تعليما أولياً صالحاً ، ثم يرقى حتى يعد للدولة هذه الصفوة المتعلمة التى تستمد منها رجالها فى إدارة الأداة الحكومية .

ووجدت هذه الآراء الاصلاحية لمصطفى رياض صداها فى ناظر معارفه « على إبراهيم باشا » وفى رئيس التفتيش بالمعارف « دور بك » ، كما وجدت صداها فى نخبة من الرجال المستنيرين من المصريين والأجانب الذين خبروا التعليم فى مختلف معاهده ووضعوا أيديهم على مكامن الداء ووصفوا العلاج . وكانت ثمرة بحثهم هذا التقرير القيم الذى وضعه « قومسيون تنظيم التعليم » فى سنة ١٨٨٠ والذى نعده أهم وثيقة تعليمية فى القرن الماضى[1] .

ولكن الخطة الاصلاحية التى بدأها رياض فى التعليم وفى غير التعليم لم يتح لها من الوقت والاستقرار والهدوء مايكفى لتحقيقها ، وجاءت حوادث الثورة والاحتلال فى سنة ١٨٨٢ فوقفت حركة الاصلاح ريثما ينفسح الوقت للاحتلال لوضع سياسة جديدة لمسائل التعليم والتربية فى مصر .

* * *

وإلى هنا وقفنا فى البحث ، وقد أجملنا سياسة التعليم فى عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من أوائل حكم توفيق (حتى سنة ١٨٨٢) ، وربطنا بين هذه السياسة والأهداف الأخرى التى كان يتجه إليها الحكم والأحداث البارزة فيه ، أما تفصيل الكلام فى النظم التعليمية التى شهدها هذا العصر الحافل الذى نؤرخ التعليم فيه

---

(١) لأهمية هذا التقرير نشرنا ترجمته كاملة فى الجزء الثالث من هذا الكتاب (ملحقات)

(١٨٦٣ — ١٨٨٢) وتطورها والمؤسسات التعليمية التى أنشئت واللوائح التى وضعت والمحاولات والتجارب التى بذلت . . الخ أما هذا كله فموعدنا به فصول الكتاب التالية . على أننا نود قبل أن نختم هذا الفصل أن نجمل التراث الذى خلفه عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من أوائل حكم توفيق فى ميدان التربية والتعليم :

١ — شهد هذا العصر انتصار الفكرة القائلة بضرورة نشر التعليم القومى والداعية إليه . والحق أن جميع الذين تصدروا لمسائل التربية والتعليم فى ذلك العصر قد آمنوا بهذه الفكرة ودعوا إليها وإن اختلفت فيما بينهم وسائل الدعوة والبواعث اليها : آمن بها رفاعة وأدهم ومحمد شريف وعلى مبارك وعلى إبراهيم ومصطفى رياض ومحمد عبده ، وتتمثل هذه الدعوة — أقوى ما تكون — فى ناحية العناية بنشر التعليم الأولى — الابتدائى كعمل قومى لا يكفى أن تنهض به الحكومة وحدها وإنما تنهض به الدولة كلها حكومة وشعبا : فينبغى أن توفر له — إلى جانب ميزانية الحكومة المحدودة مهما تكن — ميزانية « شعبية » توفر على الحكومة بعض أعبائها المالية لتكرسها للعناية بمراحل التعليم الأخرى . على أن هذه الدعوة قد صادفت من العقبات ماحدَّ من مدى نجاحها : وأهم هذه العقبات أن محاولة تدبير ميزانية « شعبية » للتعليم الأولى — الابتدائى من هبات الخديو والأثرياء من الناس واشتراك الأهالى فى إنشاء المكاتب وأداء أجور المعلمين ونفقات التأسيس الخ . (على النحو الذى جرت به لائحة رجب ١٢٨٤ وتقرير القومسيون (١٨٨٠) ، هذه المحاولة لم تتحقق تماما . ولم تستطع الميزانية « الحكومية » — بما عليها من أعباء وما حل بها من تضييق بعد سنة ١٨٧٥ — أن تلبى الأهداف السامية التى رسمت لنشر التعليم الأولى — الابتدائى .

٢ — وكذلك شهد هذا العصر انتصار الفكرة الداعية إلى أن يتحرر التعليم من

الصبغة الحكومية — بل العسكرية — التى لازمته منذ نشأته فى عهد محمد على [١] فى المدارس التى أنشأها والتى كانت أشبه ما تكون بالثكنات يجمع لها الصبية ويحتجزهم فيها ويقيم عليهم الحراس بالنهار والليل ويأخذهم بالنظام العسكرى ، فاذا حدثت صبيا نفسه بأن (يهرب) من مدرسته فى غفلة من حراسها ردته الحكومة اليها وأخذته بشديد العقاب ، والآباء لا يعلمون عما يتعلمه أبناؤهم بها شيئا ، وهم لهذا لا يحفلون بما يصيبونه فيها من نجاح أو فشل ، فهذا الصبي مذ نزعته الحكومة من أهله قد غدا ابنها ، بل جنديها وخادمها ، والله — وحده — يعلم متى يؤوب إلى أهله ! [٢] .

وإذا كان هذا الطراز من الحياة المدرسية قد استطاع — حقا — أن يخرج لمصر فى عهد محمد على وبعد عهد محمدعلى كثيراً من أفذاذ الرجال ، إلا أنه كان لاشك له أثره فى تضييق نطاق النهضة التعليمية وتعطيل تكون الرأى العام المستنير الذى يخبر تماما معاهد العلم ويعرف عنها كل شىء ويشارك الحكومة بالتأييد الأدبى والمادى عنايتها بها ويحفل لتقدمها ويقف دونها ينافح عنها ويحميها ، كما أن هذا اللون من الحياة المدرسية كان يكلف الحكومة كثيرا مما يغل يديها عن التوسع فى التعليم ونشره .

واستمر هـــذا الطراز من الحياة المدرسية قائما فى المدارس القليلة التى بقيت أو أنشئت فى عصر عباس وسعيد وفى المدارس التى افتتحت فى أوائل حكم إسماعيل ، حتى أدركت حكومة إسماعيل أن ليس لها به حاجة وأن الناس قد تفتحت للتعليم نفوسهم وصبت إليه أفئدتهم ، فبدأت تعمل على تحويل الحياة المدرسية على أساس أن

---

(١) انظر فى موضوع الحياة المدرسية كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على .

(٢) لم يعد على مبارك إلى أهله منذ دخل المدرسة الابتدائية إلا بعد أربعة عشر عاما !

تقتصر على تعليم الصبية - أو القادرين منهم على الأخص - بمدارسها فى مقابل رسوم يؤديها آباؤهم ، ثم عليهم فوق ذلك مابقى من أمور غذاء أبنائهم وكسائهم ، أما غير القادرين فهم (أبناء) الحكومة لهم عليها حق التعليم والغذاء والكساء . أى أن الأساس الجديد الذى أخذت تتحول إليه الحياة المدرسية هو نظام الرسوم (أو المصروفات) المدرسية والأقسام الخارجية . ولكن هذا التحول سار ببطء شديد حتى انتهى العصر الذى تؤرخ التعليم فيه .

٣ - واحتفظ هذا العصر بما عدّه الأستاذ شفيق بك غربال « أثمن ماخلفه محمد على فى سياسته التعليمية » ، وهو هذا التنوع فى معاهد التعليم تنوعاً يحول دون أن تصب ثقافة الأمة كلها فى قالب واحد ، ويمكن كل فرد فيها من أن يتجه إلى نوع التعليم الذى يريد : فالى جانب المدارس التى أنشأها محمد على احتفظ بالمكاتب الأهلية ، واحتفظ بالأزهر الشريف ، وترك للجاليات الأجنبية وللطوائف والارساليات الدينية حرية افتتاح المدارس . واحتفظ اسماعيل بهذه الألوان المتعددة المنوعة من معاهد التعليم ، بل إنه شجعها على النمو ومكن لها فى أسباب الرزق والحياة ، ولكنه فعل أكثر من ذلك : إنه رأى أن هذه الحرية (المطلقة) ليست من صالح التعليم والدولة فى شىء ، وأن الخير كل الخير - لافى إهمالها وتركها تسير فى طريقها وتتجه الوجهة التى تريدها — وإنما فى محاولة تنظيمها بقصد ربطها بالنظام التعليمى الحكومى الحديث الذى أنشأت له ديوانا وجمعت له الرجال وربطت له المال ، وهذا الربط بين النظامين التعليميين القديم والحديث يرمى الى تحقيق الأهداف التالية :

الأول : رفع المستوى العلمى والصحى للمكاتب الأهلية واتخاذها أداة لنشر التعليم الأولى — الابتدائى .

الثانى : تنظيم — أو الشروع فى تنظيم — حياة الطلاب بالأزهر من قيدوامتحان وحضور وغياب ، وإذا كانت إصلاحات الشيخ العروسى فى هذه المسائل لم تنفذ إلا بعد وقت طويل ، فان الشيخ المهدى قد استطاع أن يحقق بعض إصلاحه لنظام التدريس بالأزهر (١) .

الثالث : أما المدارس (الأجنبية) فلها كيانها الخاص المستند الى مركز الأجانب فى مصر فى ذلك الوقت ، وكان إسماعيل — لاشك — يدرك هذا الكيان ويقدره ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يخشى نتائج التأثيرات المنوعة لهذه المدارس : فشجع على قيام لون خاص من هذه المدارس لاهو بالأجنبى الخالص ولا هو بالقومى الخالص ، فهذه « المدارس الحرة المجانية المطلقة » (٢) كان اسماعيل يأمل أن يلتقى عندها المصريون والنزلاء الأجانب ، ومن يدرى ؟ ربما كان يأمل أن يأتى الوقت الذى يستغنى فيه بهذه المدارس عن مدارس الجاليات والارساليات الأجنبية . ويبدو أن مصطفى رياض كان يقدر مايخشاه الخديو : فحاول — فى مشروع لائحة تقدم به إلى الخديو فى سنة ١٨٧٢ (٣) — أن يصل ما بين هذه المدارس الأجنبية والادارة التعليمية (ديوان المدارس) على نحو لايفقدهذه المدارس كيانها الخاص ، وإنما بحسبه أن يوقف الادارة المصرية ويطمئنها على سير هذه المدارس ومستواها الصحى ونوع التعليم فيها ، والحق أن هذا الربط بين المدارس الأجنبية والإدارة التعليميةالقومية لايزال حتى اليوم هدفا نسعى لبلوغه .

---

(١) انظر فى موضوع الأزهر الفصل الأول من الكتاب الأخير .

(٢) انظر فى موضوع هذه المدارس الفصل الثانى من الكتاب الأخير .

(٣) نشرنا ترجمة هذا المشروع فى الجزء الثالث (ملحقات) .

الفصل الثانى

تطور النظام التعليمى فى عصر إسماعيل

والسنوات المتصلة به من حكم توفيق

(١٨٦٣ — ١٨٨٢)

رسمنا فى الفصل السابق خطوط السياسة التعليمية التى وضعها إسماعيل وتتبعنا تطورها حتى بداية الاحتلال ، يتضح منها أن النظام التعليمى قد مر فى مراحل متعددة حدّدتها معالم بارزة ، وارتبطت كل من هذه المعالم باسم أحد الرجال البارزين الذين خلدوا لهم فى تاريخ التعليم فى القرن الماضى أقوى الأثر : فالمرحلة الإنشائية الأولى ترتبط باسم محمد شريف باشا ومرحلة التوجيه القومى فى سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ ترتبط باسم على مبارك باشا ، ومرحلة الاصلاح فى سنة ١٨٧٣ — ١٨٧٤ ترتبط باسم مصطفى رياض باشا ، ومرحلة الاصلاح فى سنة ١٨٨٠ — ١٨٨١ ترتبط باسم على إبراهيم باشا. وليس تاريخ التعليم فى مصر من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٨٢ إلا تاريخ هذه الحركات الاصلاحية . وهذه الحركات الاصلاحية لكل منها أهدافها وخصائصها ، ولكن يجمع بينها جميعا أنها — فى جوهرها — ترمى إلى تحقيق مشروع التعليم القومى الذى هو — كما قلنا — مدار السياسة التعليمية المصرية من عصر إسماعيل إلى الوقت الحاضر . ولذلك سيكون هدفنا الذى نتجه إليه فى هذا

الفصل وفى الفصول التالية أن نتتبع الجهود الاصلاحية التى بذلت لبلوغ هـذه الغاية وحظها من النجاح . أما فى هـذا الفصل فسنقتصر على توضيح (المعالم) العامة أو المراحل الأساسية فى طريق الاصلاح .

أولا — مرحلة الإنشاء : ١٨٦٣ — ١٨٦٥

لم يمض على تولى إسماعيل حكم مصر أيام حتى وقع اختياره على إبراهيم أدهم باشا ليكون عونه فيما يبغى تحقيقه من مشروعات تعليمية . فأصدر إليه أمرا فى ٥ شعبان ١٢٧٩ (٢٦ ينـاير ١٨٦٣)[١] بأن يتخذ العدة لافتتاح ثلاث مدارس . منها مدرسة ابتدائية وأخرى تجهيزية بالقاهرة ومدرسة بالاسكندرية تنتظم قسما ابتدائيا وآخر تجهيزياً ، ولإنشاء ديوان للمدارس ليدير هـــذه المدارس ويشرف على الحركة التعليمية فى البلاد .

وتوفر إبراهيم أدهم على عمله الجديد : فافتتح ديوان المدارس بالقلعة ووضع أول «ترتيب» أو لائحة للمدارس ، صدر بها أمر اسماعيل فى ٢٩ شعبان ١٢٧٩ (فبراير ١٨٦٣)[٢]. وجرت الاستعدادات لافتتاح المدارس الثلاث التى سبق بهـا أمر اسماعيل ونظمت شئونها اللائحة الجديدة ، فوقع الاختيار على العباسية لتكون مقراً لمدرستى القاهرة وجمع التلاميذ وعين النظار والمعلمون . وبلغ من حرص الحـكومة على أن تبادر إلى

---

(١) دفتر ٥٢٦ (معية تركى) ص ١٩ أمر الى ناظر الأوقاف فى ٥ شعبان ١٢٧٩

(٢) دفتر ١٩٥٢ (مجلس خصوصى) ص ٢ رقم ٥ — قرار المجلس الخصوصى فى ٢٧ شعبان ١٢٧٩ .

النهوض بواجبها فى تعليم أبناء البلاد أنها جمعت منهم من رأته صالحا للتعليم وخصصت لهم بمقر الديوان غرفا وأتت بالمعلمين يعلمونهم ريثما يتم إعداد المدارس فينقلون إليها(١).

ولم يكن إسماعيل بالحاكم الذى تخضع مشروعاته التعليمية لأهوائه الخاصة ، لم يفعل مافعله عباس عند ما تولى الحكم فى سنة ١٨٤٨ فكان من أول أعماله إلغاء معاهد التعليم التى وجدها قائمة بمصر منذ عهد محمد على ، ولم يفعل ما فعله سعيد عند ما تولى الحكم فى سنة ١٨٥٤ فألغى معاهد التعليم التى كان أنشأها عباس . لم يفعل اسماعيل شيئاً من ذلك وإنما احتفظ بالمدرستين القائمتين من (مخلفات) حكم سعيد وأنشأ يعمل لإحيائهما . فنى حكمه انتعشت مدرسة الطب واستعادت كثيراً من ماضيها المجيد وكذلك انتعشت المدرسة الحربية .

ولكن العمل فى إنشاء المدارس كان يقتضى مدير الديوان جهدا ناء به إبراهيم أدهم باشا . فرأى اسماعيل أن يضع أمر التعليم بين يدى محمد شريف باشا . ونهض شريف بالعبء ، وكان عهده فى نظارة المعارف حافلا (بالإنشاء) وإليه يرجع الفضل فى رسم الخطوات الأولى التى خطاها النظام التعليمى فى عصر إسماعيل ، وقد ظلت المعالم الأولى التى وضعها قائمة حتى نهاية العصر .

فنى عهده افتتحت مدارس القاهرة والاسكندرية الابتدائية والتجهيزية .

ونظمت المدرسة الحربية على أساس تقسيمها إلى أسلحة ثلاثة : للمشاة والفرسان والمدفعية ، ثم افتتحت مدرسة لأركان الحرب فى سنة ١٨٦٥ .

---

(١) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٨٧ رقم ٣٨ الى الجهادية فى ١٥ ذى الحجة ١٢٧٩

وعهـــد إلى ديوان المدارس بالاشراف على شئون البعثات العلمية الحسابية والتعليمية [١] .

وافتتحت مدرسة المهندسخانة وبدأ العمل فى إنشاء الرصدخانة (١٨٦٥) وأنشئ مجلس استشارى للمعارف (١٨٦٦) ووضعت مشروعات لإنشاء مدارس أخرى كالبحرية والحقوق .

وبدأ العمل فى ديوان المدارس يتعقد ويتفرع واتسعت ميزانية التعليم .

وفى سنة ١٨٦٦ — ١٨٦٧ أنشئت مدرسة للطب البيطرى وجعلت من فروع المدارس الحربية .

وأهم مانلحظه على التعليم فى هذا الدور أن المدارس الحربية تكاد تحتكر النشاط التعليمى . فمنها أربعة مدارس قائمة : المشاة والفرسان والمدفعية وأركان الحرب ثم أضيفت إليها مدرسة للطب البيطرى ، وسيضاف إليها عما قليل مدرسة للمحاسبة وأخرى للزراعة . أما المدارس المدنية القائمة فلا تعدو مدرسة واحدة خصوصية هى المهندسخانة ، ومدرسة ابتدائية وأخرى تجهيزية بالقاهرة ومدرسة ابتدائية تجهيزية بالاسكندرية . فالتعليم العسكرى يطغى على ماعداه ، بل لقد بلغ من العناية به أن استقدمت لتنظيمه بعثة عسكرية من فرنسا وأنشئت له إدارة خاصة لتقوم على كافة شئونه ، ونصب على رأسها أحد كبار الضباط الفرنسيين (ميرشير بك) وجعل لها قلم ترجمة خاص وصحيفة خاصة . وكادت المدارس الحربية تحتكر جميع تلاميذ

---

(١) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) ص ٤٢ رقم ٣ أمر إلى ناظر المدارس والخارجية فى ١٥ شعبان ١٢٨٩ .

المدرسة التجهيزية ، فكانت تأخذ منها — من عام إلى آخر — صفوة تلامذتها من غير أن يتموا دراستهم ، ومن هنا ملئت المدرسة التجهيزية بتلاميذ لما يتموا العلوم الابتدائية وملئت المدارس الحربية بتلاميذ لما يتموا العلوم التجهيزية . وبذلك ضعف الأساس الذى قام عليه التعليم ، وظل هذا النقص الشديد ملازماً النظام التعليمى حتى نهاية العصر حين رفع على باشا إبراهيم ناظر المعارف فى سنة ١٨٨٠ عقيرته بالشكوى من هذه الحالة التى لا يستقيم معها أمر التعليم ، واقترح لعلاجها أن يؤذن لنظارة المعارف بإصدار الشهادات الدراسية بحيث لا يستطيع تلميذ أن ينتقل من مدرسة ابتدائية إلى أخرى تجهيزية أو من مدرسة تجهيزية الى أخرى خصوصية أو من مدرسة خصوصية إلى إحدى وظائف الحكومة إلا إذا كان يحمل الشهادة التى تدل على نوع المرحلة التى اجتازها (١) .

ومما نلحظه على هذه المرحلة الإنشائية أن المدارس التى أنشئت فيها قاصرة على القاهرة والاسكندرية دون غيرهما من بلاد القطر . وطبيعى أن تحظى القاهرة والاسكندرية بالمدارس أول إنشائها لتكون بين سمع الحكومة وبصرها فيكون إشرافها عليها أدق وأجدى ، هذا إلى أنه كان فى وسع الحكومة أن تجد فى هاتين المدينتين — وقد كانتا من المراكز الهامة فى النهضة التعليمية منذ عصر محمد على — الأبنية الصالحة لتقام فيها المدارس الجديدة ، وسيكون العثور على الأمكنة الصالحة للمدارس بالأقاليم من أهم الصعاب التى ستصادفها الحكومة وقت إنشاء المدارس بالأقاليم .

---

(١) انظر مذكرة على باشا ابراهيم فى مجموعة الديكريتات وما يتبعها . القسم الأول بولاق ١٢٩٨ : ص ٢٤٥ — ٢٤٨ .

وكذلك نلحظ أمراً لاشك كان له أثره فى نمو النظام التعليمى واستقراره : وهو أن حكومة إسماعيل بدأت عملها بإنشاء المدارس الابتدائية والتجهيزية ، وهذه خطوة طبيعية فى بناء النظام التعليمى . وقد كان من أهم نواحى النقد التى وجهت لنظام محمد على التعليمى أنه بدأ بالمدارس الخصوصية ثم بالمدارس التجهيزية والابتدائية . ذلك لأن محمد على كان يهمه قبل كل شىء أن يحصل على الفنيين الذين يستطيع أن يعتمد عليهم فى النهوض بالبلاد كالمهندسين والضباط والأطباء والمترجمين والمعلمين . . . الخ وهو فى سبيل الحصول على هؤلاء الفنيين لايعنيه أن يجتازوا المراحل الطبيعية التى يجب أن يجتازوها لبلوغ مرحلة التخصص ، وحسبك أن تعرف أن محمد على عند ماأنشأ مدرسة الطب جمع لها الطلاب من الأزهر والمساجد الأخرى . وعلى الرغم من استقرار النظام التعليمى فى عهد محمد على وخاصة بعد وضع اللائحة المنظمة للتعليم فى سنة ١٨٣٦ فإن النقص الذى لزم النظام التعليمى منذ نشأته ظل من المظاهر البارزة لضعف هذا النظام حتى نهاية عصر محمد على ، وظلت الشكوى تتردد من وقت إلى آخر من ضعف التعليم الابتدائى وقصوره بالنسبة للتعليم التجهيزى والخصوصى .

أما إسماعيل فقد بدأ يضع النظام التعليمى الحديث على أساس سليم : فبدأ بالمدارس الابتدائية والتجهيزية وفى الوقت نفسه احتفظ بالمدرستين الخصوصيتين (المدرسة الحربية ومدرسة الطب) اللتين وجدهما قائمتين حين تولى الحكم فى البلاد . بيد أن حكومة إسماعيل لم تفسح لهذه المدارس الابتدائية والتجهيزية التى أنشأتها من الوقت مايمكنها من أن تقوم على إعداد تلامذتها فى المدة التى حددت للتعليم الابتدائى والتعليم التجهيزى .فالمدرسة الحربية تنسع من وقت لآخر حتى يصل عدد تلامذتها إلى أكثر من أربعمائة تلميذ فى العام الأول من حكم اسماعيل ، وقد رأينا أنها لجأت إلى المدرسة

التجهيزية بل إلى المدرسة الابتدائية فأخذت منهما المئات ولما يمض عليهم بمدارسهم عام دراسى كامل . والواقع أن المدارس الحربية ظلت من وقت إلى آخر تلجأ إلى المدارس التجهيزية — أو إلى المدرسة التجهيزية الوحيدة الباقية — بل إلى المدارس الخصوصية نفسها فتنزع منها صفوة تلامذتها وتتحول بهم عن التعليم المدنى إلى التعليم العسكرى . وكان ديوان المدارس والمدارس الخصوصية (المدنية) [1] تضيق بهذا الأمر : إذ أنه يحرمها ثمار جهودها فى تعليم الشباب ويجعل نتائجها فجة سقيمة ويحول بينها وبين الاستقرار ، وهو إذا كان لازما لكل إصلاح فهو أشد ما يكون لزوما للاصلاحات التعليمية .

ومن مظاهر عدم الاستقرار ذلك الاضطراب الذى لازم إدارة المدارس الحربية فى السنوات الخمس الأولى من حكم اسماعيل [2] : ففى بداية حكمه كانت المدرسة الحربية — ومقرها القناطر (السعيدية) ثم نقلت إلى قصر النيل — تابعة لديوان الجهادية ، وبعد أشهر من إنشاء ديوان المدارس ضمت اليه المدرسة الحربية فى ١٢ المحرم ١٢٨٠ (يونية ١٨٦٣) . وعكف ديوان المدارس على تنظيمها وتوسيعها لتكون نواة للمدارس الحربية فى عهدها الجديد . ولكن لم تمض ثمانية أشهر على ذلك حتى صدر الأمر ثانية باعادتها إلى ديوان الجهادية فى ٧ رمضان ١٢٨٠ (فبراير ١٨٦٤) وظلت المدارس الحربية تابعة لديوان الجهادية عاما ، ثم أمر إسماعيل بإعادة تبعيتها إلى ديوان المدارس فى ١٤ شعبان ١٢٨١ (فبراير ١٨٦٤) .

---

(١) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربى) ص ١٢٧ رقم ٢٧ إلى الجهادية فى ٨ شوال ١٢٩١ ودفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ٣٩ رقم ٤٩ الى الجهادية فى ٢١ ذى القعدة ١٢٩١ .

(٢) نترك تفصيل الكلام على المدارس الحربية الى الفصل الخاص الذى نعقده لها .

وأتيح هذه المرة للمدارس الحربية شيء من الاستقرار : إذ بقيت تابعة لديوان المدارس نحو ثلاثة أعوام أى إلى ٢١ جمادى الثانية ١٢٨٤ (١ اكتوبر ١٨٦٧) حين نزعت من ديوان المدارس نهائيا وجعلت تابعة لديوان الجهادية . وعلى أثر ذلك وضع لها (ترتيب) خاص صدر فى ١٠ رجب ١٢٨٤ أى فى الوقت الذى صدرت فيه لائحة رجب الشهيرة لتنظيم المكاتب الأهلية وإصلاحها .

بيد أن أهم ما نلحظه على تلك المرحلة الإنشائية الأولى من مراحل تطور النظام التعليمى فى عصر إسماعيل إهمال العناية بالتعليم الأولى — الابتدائى الذى هو تعليم الشعب . ولن يستطيع هذا التعليم بمدرسة ابتدائية بالقاهرة وأخرى بالاسكندرية أن يواجه حاجات الشعب للتعليم . ولهذا ظلت الكتاتيب وحدها كما كانت منذ قرون معاهد التعليم الأولى فى البلاد . والحق أنها — على قصورها — استطاعت أن توفى جانباً كبيراً من حاجة الأمة إلى التعليم . وهكذا نرى أن المرحلة الإنشائية الأولى من مراحل تطور النظام التعليمى فى عصر اسماعيل كانت موسومة بطابع سياسة محمد على فى التعليم : وأخصها قلة العناية بالتعليم الأولى وطبع معاهد العلم بالصبغة الحربية التى لازمت هذه المعاهد منذ إنشائها فى حكم محمد على وبالحياة (الحكومية) — إن جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير — لندل به على نوع الحياة التى كان يحياها الطلاب فى المدارس .

بيد أن من الحق أن نقول إن الأسلوب الذى جرى عليه محمد على فى (جمع) الصبية للدراسة ، هذا الأسلوب القائم على تكليف رجال الإدارة بأن يملئوا له مدارسه كما يملئون له صفوف جيشه لم يعد صالحا — بل لم يعد لازماً — لاسماعيل .

فقد زال هذا الحرج الذى كان يجده المصريون فى دخول مدارس الحكومة ، وزال هذا الحرج فى عهد محمد على نفسه بعد أن استقرت هذه المدارس وأدرك الناس أن لها أهدافاً وغايات غير أهداف الجندية وغاياتها ، وأن (التلميذ) فيها تعدّ له الحكومة مصيراً غير المصير الذى تعده للجندى ، وإن يكن هذا التلميذ لا يزال يعتبر (ابن) الدولة و (خادمها) . واستقرت هذه الفكرة فى أذهان الناس فى عصر عباس وسعيد ، حتى إذا تولى إسماعيل لم يلق هذه العقبة التى طالما أهمت محمد على وحملته على أن يتخذ لتشجيع الناس على الإقبال على المدارس التى أنشأها طرائق كادت تقتضى الحكومة كثيراً من الجهد والمال ، ولم يكن من إسماعيل سوى أن أعلن عزمه على « تربية أبناء الأهالى المصرية وإتحاف عقولهم بالعلوم والفنون والآداب واللطائف حتى يصيروا جميعاً لطبعه شاكرين ولأفعاله السنية ممنونين » ودعا « الأهالى والذوات والمستخدمين ممن لهم أولاد وفيهم لياقة للتعليم وفى الدخول فى هذه المدارس راغبين » إلى إرسال أبنائهم إلى ديوان المدارس بالقلعة[1] .

لهذا استطاع إسماعيل أن يبدأ مشروعه فى بعث النظام التعليمى الحديث مطمئناً إلى إقبال الناس على المدارس التى ينشئها واحتفالهم لنجاحها . ولكن التقاليد التى لازمت — كما قلنا — النظام التعليمى الحديث منذ غرسه محمد على فى مصر كانت قوية الأثر بحيث استطاعت أن تصبغ المدارس التى أنشأها إسماعيل فى أوائل حكمه بالصبغة العسكرية والحكومية التى صبغت بها مدارس محمد على : فالنظام العسكرى يسود المدارس ، والتلاميذ فيها يحملون رتباً عسكرية ويقسمون إلى بلوكات

---

(١) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٨ رقم ٨ إلى محافظة مصر فى ٥ شوال ١٢٧٩

كما يقسم الجند فى الجيش ، والتلاميذ يقيمون فى المدارس يخفرها الجند لا يبرحونها ليلا ولا نهاراً إلا حين تشاء الحكومة ، والحكومة تنهض عن آبائهم بما يجب أن ينهضوا به من تكاليف تعليم أبنائهم وتربيتهم ، فالحكومة تقدم لهم الغذاء فى كل يوم وتقدم لهم اللباس فى أوقات محددة ، وهذا اللباس من حيث النوع واللون و (مدة) الاستعمال واحد فى جميع المدارس التى من نوع واحد ، والحكومة تمنح تلاميذها مرتبات فى أوقات معينة كما يمنح الجندى فى الجيش أو الموظف فى دوائر الحكومة ، والحكومة تنقل الصبى من مدرسة إلى أخرى لاترعى فى ذلك اعتبارات الميل والرغبة من جانب المتعلم وإنما يحفزها اهتمامها بكيان مدارسها وملء صفوف بعضها وإنقاص بعضها الآخر .

فالنظام التعليمى الحديث اذن ما يزال فى السنوات الأولى من حكم اسماعيل مجهودا (حكوميا) بحتا لا نكاد نلحظ للجهود (الأهلية) فيه أثرا . وليس هذا مما يعينه على الاستقرار والنجاح ، فانه لن يستطيع أن يفوز بهذا الاستقرار إلا إذا انتشرت معاهده فى مختلف أنحاء البلاد واتصل بمختلف (طبقات) الأمة المصرية ، وأصبح ليس مجرد مجهود للحكومة وإنما تشترك معها الأمة فى توطيد أركانه والاحتفال لنجاحه . وهذا ما عمل لبلوغه على مبارك فى ١٨٦٧ — ١٨٦٨ وسار على أثره المصلحون والمتحدثون على شئون التعليم حتى اليوم .

ثانيا — مرحلة التوجيه القومى

فى المرحلة الإنشائية وضحت أوجه النقص فى سياسة التعليم ونظامه ، ووضح أن أمر التعليم عامة أخطر من أن يوكل إلى بضع مدارس بالقاهرة

والاسكندرية لا تقوم بينها رابطة تنظم ما يجب أن يكون بينها من تضامن ، ووضح أن الحاجة أصبحت ماسة إلى إعادة النظر فى سياسة التعليم التى خلفها عصر محمد على تمهيداً لرسم سياسة جديدة لا تقوم على النظر إلى التعليم على أنه عمل حكومى لا تبغى به الحكومة سوى إعداد نفر من أبناء البلاد لوظائف الحكومة ، وإنما على اعتبار أنه أداة للاصلاح والنهوض القومى للأمة وعمل — بل واجب — قومى يعنى به لفائدته فى حد ذاته بصرف النظر عن الأغراض (النفعية) التى ترتبط به ، أو بعبارة أخرى وضح الشعور بالحاجة إلى نشر التعليم الأولى — الابتدائى وهو المرحلة الأولى من مراحل التعليم وأشدها اتصالا بالشعب . أحست بهذه الحاجة حكومة إسماعيل وراحت تدبر الوسائل للوفاء بها ، كما أحس بها فى الوقت نفسه مجلس شورى النواب الذى اجتمع أعضاؤه لأول مرة فى أواخر سنة ١٨٦٦ وتقدموا يرسمون فى التعليم سياسة جديدة .

أدرك اسماعيل منذ بداية حكمه أن التعليم الابتدائى لا يستقيم أمره أو يعم أثره إلا إذا تعددت معاهده ، فلم تقتصر على حاضرة البلاد وثغرها ، وأن من الخير أن تنهض حكومته بجانب من عبء تعليم أبناء الشعب فى الأقاليم ، ليكون من ذلك إثباتا لرعاية الحكومة جانب الشعب واحتفالها بأن ترفه له حياته العقلية كما ترفه له حياته المادية ، وليكون من تعدد المدارس الابتدائية وسيلة لإمداد المدارس التجهيزية بمجموعة منتقاة من التلامذة المبتدئين . لهذا نرى إسماعيل — منذ أوائل حكمه — يصدر الأوامر تباعا إلى ديوان المدارس تارة وإلى المديريات تارة أخرى بضرورة إنشاء مدارس ابتدائية فى حواضر المديريات والمحافظات ، وبالفعل وضعت الرسوم والمواصفات لتحويل بعض القصور التى بناها أسلافه أو بعض المصانع

المهجورة إلى مدارس ، غير مدخر فى ذلك مالا أو جهدا ، ووضع « ترتيب لمكاتب المبتديان » بالأقاليم [١] ، واشتريت لتلامذتها الكسى من أوروبا [٢] ، وتبرع الخديو لإنشائها بعشرة آلاف فدان [٣] .

على أن أكثر مدارس الأقاليم التى أمر إسماعيل بإنشائها فى ذلك الوقت لم تخرج إلى حيز الوجود طوال حكمه ، كالمدارس التى أمر بإنشائها فى أسوان والمنصورة ودمنهور وإسنا وقنا ودمياط ، كما أن بعضها تأخر إنشاؤه نحو ثلاثة أعوام كمدارس بنها وأسيوط وبنى سويف والمنيا . ولسنا نجد تعليلا لهذا التباطؤ فى تنفيذ أوامر إسماعيل إلا بأن إسماعيل نفسه — بعد انحسار موجة الإنشاء الأولى — أدرك أن الأمر فى التعليم الابتدائى أجل من مجرد إنشاء مدرسة بكل من القاهرة والاسكندرية وبضع مدارس مبعثرة فى حواضر الأقاليم وأن أمر التعليم عامة أكثر خطراً من مجرد إحياء ما اندرس من معاهد العلم ، ولكنه قبل كل شىء نظام جديد يوضع وسياسة تعليمية جديدة ترسم على هدى من التوفيق بين حاجات الساعة وماضى الأمة . فكر اسماعيل فى أن يجعل نظامه التعليمى الحديث جزءا من مقوّمات الحياة المصرية القومية . فأين يجد إسماعيل الأساس الذى يبنى عليه ؟ أفى المدارس الابتدائية (الحكومية) التى أنشأ منها مدرستين وأزمع إنشاء بضع مدارس أخرى ؟ أم فى المكاتب

---

(١) دفتر ٣٥٢ (مدارس عربى) ص ٧ رقم ٩٤٦ إلى مدير المدارس وناظر الخارجية فى ١١ صفر ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٦٠ (مدارس عربى) ص ٣٣ رقم ٤٣ إلى الخارجية فى ٢٠ ربيع الأول ١٢٨٢

(٣) انظر مداولات مجلس شورى النواب فى ملاحق الكتاب

(الأهلية) المنبثة فى طول البلاد وعرضها ؟

وبينما حكومة إسماعيل تجيـــل الرأى فى ذلك ، إذا بعامل جديد — عامل «قومى» — يدخل فى ميدان البحث ويوجهه التوجيه «القومى» الذى أسلفنا .

قرارات مجلس شورى النواب : اكتوبر — نوفمبر ١٨٦٦

فى ٢٢ أكتوبر ١٨٦٦ صـــدرت «نظامنامة مجلس شورى النواب» أو لائحته الداخلية [١] . وكان اجتماع «الشورى» بشيرا بضرورة اهتمام الحكومة بالتعليم — ليس فقط على أنه وسيلة وأداة تعدّ للحكومة الموظفين لمصالحها — بل كأداة لتربية الشعب التربية السياسية التى تفهمه حقوقه وواجباته . نادى بهذا أحد النواب البارزين ، وهو إتربى بك أبو العز «رئيس قلم الروضة» أى نواب مديريتى الغربية والمنوفية بمجلس شورى النواب [٢] .

ذكّر زملاءه النواب — فى خطاب له — بأن المادة ٦١ [٣] من لائحة المجلس

---

(١) انظر اللائحة فى : تاريخ الحياة النيابية فى مصر للأستاذ خليل صبحى ج ٥ ص ٩٨

(٢) انظر مناقشات وقرارات المجلس وأمر الخـــديو بشأنها إلى الداخلية فى ٩ رمضان ١٢٨٣ فى دفتر ٣٢ (مدارس عربى) ج ١ ص ٥٠ — وقد نشرناها فى ملاحق الكتاب

(٣) ونصها : «حيث ذكر فى (بند ٢ وبند ٣ وبند ٤ وبند ٥) من اللائحة الأساسية الاوصاف اللازمة فى حق من يحصـل انتخابهم لوظيفـة العضوية بمجلس شورى النواب ومن يجوز لهم انتخاب النواب فى الانتخاب السابع يقتضى أن الذين يحصـــل انتخابهم للعضوية يكون لهم دراية بالقراءة والكتابة زيادة على الأوصاف المقررة فى حقهم وفى =

تقضى اشتراط معرفة القراءة والكتابة فى النائب بعد ثمانى عشرة سنة واشتراطها فى الناخب بعد ثلاثين سنة ، وأهاب بزملائه أن يتدبروا الأمر قبل وقوعه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا « بكثرة إيجاد المكاتب فى سائر بلاد الأقاليم » ، وأشاد بهمة الخديو حين أوقف نحو عشرة آلاف فدان لتستغل إيراداتها فى الصرف على إنشاء مكتب لكل مديرية ، واقترح على الحكومة أن تتقدم بربط إيراد ثابت لها وأن تأذن باستخدام إيرادات الأوقاف الخيرية « من بعد كفاية مصروفات محلات الوقف » ، ودعا أهل الخير إلى أن يجودوا بتبرعاتهم للمدارس الجديدة .

= الانتخاب الحادى عشر يحتاج أن الذين يجوز لهم انتخاب النواب ، يكون لهم إلمام بالقراءة والكتابة علاوة على الأوصاف المنصوصة فى شأنهم أيضا » .

وإتماما للفائدة نذكر أن اشتراط معرفة القراءة (فقط دون الكتابة) للنائب أقره — لأول مرة فى مصر — مشروع قانون الانتخاب الذى وافق عليه مجلس شورى النواب فى ١٥ يونيه ١٨٧٩ — أى قبل الموعد الذى حددته لائحة المجلس الداخلية فى ٢٢ أكتوبر ١٨٦٦ — إذا جاء فى المادة ٦٥ من هذا المشروع . « يمكن انتخاب كل شخص عمره ثلاثين سنة فما فوق أيا كان محل وطنه وله إلمام بالقراءة والكتابة » (انظر تاريخ الحياة النيابية ج ٥ ص ٥٠) ثم فى قانون الانتخاب الصادر فى ٢٥ مارس ١٨٨٢ بالمادة ٦٧ : « يصح انتخاب كل شخص بلغ من العمر ٢٥ سنة فما فوق أيا كان محل توطنه على شرط أن تجتمع فيه الصفات المطلوبة فى حق الانتخاب ويكون ساريا عليه أحكام قوانين البلاد بما فيها القرعة العسكرية ويكون عارفا بالقراءة والكتابة معرفة كافية » (انظر المصدر السابق ص ٤٥٠) ولما صدر القانون النظامى المصرى فى أول مايو ١٨٨٣ اشترط فى جواز الانتخاب لعضوية مجلس المديرية أن يكون للعضو « معرفة بالقراءة والكتابة » (انظر المصدر السابق ص ٢٧٣) أما اشتراط القراءة والكتابة لمن له حق الانتخاب وهو الشرط الذى أمهلت لائحة مجلس شورى النواب فى سنة ١٨٦٦ العمل به ثلاثين عاما — فلم يتحقق حتى الآن .

تناقش المجلس فى مقترحات النائب وقرر إحالتها على لجنة خاصة حضرها مندوب من قبل الحكومة ، وبلغ من اهتمام أعضاء المجلس بهذا الموضوع الجليل أن تقدم عشرة منهم إلى اللجنة بآرائهم ، وبعد دراسة الموضوع وضعت اللجنة عنه تقرير اطبع ووزع على أعضاء المجلس . وفى ١٦ شعبان ١٢٨٣ (نوفمبر ١٨٦٦) حضر الجلسة «محمد شريف باشا» مدير المدارس وناظر الداخلية فى ذلك الوقت ، فلما تلى التقرير طلب شريف باشا نسخة منه ليدرس الموضوع على حدة ، وفى جلسة تالية (١٩ شعبان) وقف شرف باشا يعلن ارتياح الخديو وحكومته لمداولات المجلس واشتغاله « بمواد جسيمة المنافع للوطن وساكنيه فيما هو أساس العمارية بعلو الوطن والإنسانية » . وعلى أثر ذلك أبدى ملاحظات الحكومة على مشروع اللجنة ، وانتهت المداولات بالقرارات الآتية :

أولا — تنشأ مدرسة بكل مديرية ويؤجل إنشاء مدرسة بكل من دمياط ورشيد والسويس والعريش والقصير « تقديما للأهم على المهم » ، وأما القاهرة والاسكندرية ففيهما مدارس منظمة تصرف عليها أموال طائلة من ميزانية الحكومة ، ومع هذا فقد أزمعت الحكومة — كما أعلنت فى المجلس على لسان شريف باشا — أن يقوم ديوان المدارس « بترتيب المكاتب الأهلية الموجودة بهما وإدخالها تحت رابطة مستحسنة » . وهذا يغنى عن فتح مدارس جديدة بهما .

ثانيا — اقترحت اللجنة فى تقريرها أن تنشأ مكاتب المديريات فى أماكن تقرب من خطوط السكة الحديدية تيسيرا لسبل الوصول إليها ، وقد أشار شريف باشا بأن تستخدم لهذا الغرض الأبنية التى تملكها الحكومة فى الأقاليم بعد إصلاحها بمعرفة

ديوان المدارس ، وإذا لم يوجد منها مايصلح لأن يكون مدرسة بادرت الحكومة إلى تشييد بناء خاص للمدرسة .

ثالثا — يكون الدخول فى هـذه المدارس « من عموم الناس بالرغبة من دون استثناء مسلم أو قبطى غنى أو فقير ... بشرط أن يكون (التلميذ) لغاية سن الرابعة عشرة » ويتلقى جميع التلاميذ دروسهم معا ، وأما فى درس الدين فيفرد محل خاص لأبناء الأقباط ويؤذن لأحد القسس الذين يندبهم غبطة البطريرك بالتردد على المدرسة لتعليمهم أصول دينهم « حيث جميعهم أولاد الوطن » . أما مدارس الأقباط بالأقاليم فتظل لها إيراداتها الخاصة ينفق منها على شئونها ، على أن تشرف الحكومة على امتحان تلامذتها « بحضور مأمورين من طرف الحكومة السنية » أسوة بمدرسة الأقباط بالقاهرة تلبية لطلب غبطة البطريرك .

رابعا — يترك لديوان المدارس تحديد مدة الدراسة بهذه المدارس وخطة الدراسة بها على أن يمتحن تلامذتها فى آخر السنة المدرسية أمام مندوبين من الحكومة وبحضور عمد البلاد .

خامسا — يترك لديوان المدارس أيضا تحديد « التعيينات » التى تصرف لتلاميذ المدارس ، وأما الملابس فتقدمها الحكومة للمحتاجين منهم ، وأما غير المحتاجين فملابسهم يقدمها أهلوهم ، على أن تكون مماثلة للملابس المقررة ، أما مبيت التلامذة بالمدرسة أو فى بيوتهم فمرجعه رغبة التلامذة وقرب بيوتهم أو بعدها عن المدرسة .

سادسا — مصروفات هذه المدارس تكون من المديريات والمحافظات القائمة بها ، ويجعل لذلك باب خاص فى حسابات كل جهة .

سابعا — إيرادات هذه المدارس تكون من الأوقاف التى انقرض مستحقوها

وتقع تحت نظر ديوان الأوقاف أوغيره إذا وجد المسوغ الشرعى الذى يجيز صرف مايتبقى من إيراداتها — بعد إقامة شعائرها وما يلزم لعمارتها — على تلك المدارس .

ثامنا — يذاع فى البلاد كافة افتتاح هذه المدارس ، ليكون معلوما لكل أهل الوطن » ، ويقدم منهم من يشاء هبة لها .

تاسعا — تقيد هبات الأهالى بكل محافظة أومديرية فى سجل خاص ، وفى آخر كل سنة تضع المحافظة أو المديرية بيانا بإيراد المدرسة ومصروفها وترفعه إلى ديوان المدارس .

عاشرا — يعين فى آخر كل سنة عمدة من كل قسم وعمدتان من كل مديرية لينظر كل منهم فى جهته ماورد من هبات الأهالى وماتحصل من إيرادات الأوقاف التى سبق ذكرها ثم ما صرف على المدرسة فى العام المنصرم ، فإذا رؤى أن إيرادات المدرسة لم تكف لأداء مصروفها عرض الأمر على أعتاب الخديو ليصدر أمره بما يرى .

وهنا أعلن شريف باشا أن الحكومة تتقبل شاكرة تبرعات الأهالى ، كما أعلن أن الخديو قد تفضل فأمر بوقف جفلك الوادى ويتألف من نحو ٢٢ ألف فدان « وقفاً مؤبداً على المدارس المقرر افتتاحها » ويكون إيراده « روكا على كافة مدارس الأقاليم » . وعند ذلك ابتهل المجلس بالدعاء للخديو .

ووافق المجلس على أن يشرف ديوان المدارس على جميع مصروفات المدارس وإيراداتها سواء من هبات الأهالى أو إيراد جفلك الوادى ، لما فى ذلك « من زيادة الدقة والاعتناء من طرف الحكومة السنية فى أمر ترتيب وتنظيم هذه المدارس وصرف لوازمها » .

ورفعت قرارات مجلس شورى النواب الى إسماعيل باشا ، فأصدر أمره إلى ديوان الداخلية بالموافقة عليها والمبادرة إلى تنفيذها مكرراً تبرعه بوقف جفلك الوادى قائلا : « وجعلت ذلك هدية منى لنفع الوطن . . . ابتغاء لوجه الله الكريم »[1] .

---

(١) وهـــذا ملخص من صورة إنشاء وشروط وقف أطيان تفتيش الوادى بمديرية الشرقية وقدرها ٢١٩١٨ فدانا مستخرجة من نص الوقفية الصادرة من محكمة مصر الكبرى بتاريخ ٩ ربيع الثانى سنة ١٣٠٤ — نقلا عن كتاب تقويم النيل وعصر اسماعيل م ٢ ج ٢ ص ٧٨٤ : « أنشأ الواقف وقفه وارصاده المعين بالحجة من تاريخ الوقف المذكور على أن يكون ذلك وقفا مصروفات ريعه من تاريخ الوقف والارصاد فيما تحتاج اليه المكاتب الأهلية بالقطر المصرى من المصالح والمهمات ومايلزم لادارة شئونها وشئون التعليم والتعلم بها على الدوام والاستمرار ، وإذا تعذر الصرف لأحد هذه المكاتب المذكورة كائنا ما كان يصرف للباقى منها ويكون صرف ذلك حسبما يراه الناظر على ذلك ويؤدى اليـــه اجتهاده أيضا ، ويجرى الحال فى ذلك كذلك على الدوام والاستمرار بحيث يتقدم فى ذلك الأهم والأكثر حاجة على غيره . فان تعذر الصرف للمكاتب المذكورة جميعها — لاقدر الله تعالى — صرف ريع ذلك جميعه للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا ، يجرى الحال فى ذلك كذلك وجودا أو عدما وتعذرا وإمكانا أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين »

وكانت أطيان الوادى قد استردتها حكومة اسماعيل حـــديثا من شركة قناة السويس عقب تحكيم الامبراطور نابليون الثالث ، ويقص السيد على يوسف — صاحب المؤيد — فى خطاب له ألقاه فى (المؤتمر المصرى) بجلسة أول مايو ١٩١١ عن (التعليم فى مصر وحظ المسلمين والأقباط منه) قصة (عجيبة) عن وقف هذه الأراضى . قال إن إسماعيل جمع أعيان البلاد من المسلمين « الى مأدبة كبرى فى المولد الأحمدى ... وحسن لهم أن يشتروا أرض تفتيش وادى الطميلات المؤجر للشركة الفرنساوية وأن يجعلوا ريع هذا التفتيش وقفا على تعليم أبنائهم فى مدارس تنشأ لهذا الغرض فجادوا بالمال الكثير وكان =

وبذلك ترى أن مناقشات وقرارات مجلس شورى النواب قد وضعت لأول مرة فى تاريخ التعليم المصرى المبادىء الخطيرة الآتية :

أولا — التعليم الابتدائى واجب قومى لاتختص به الحكومة وحدها ، بل يجب أن تتضافر قوى الحكومة والأمة فى سبيل نشره وإنجاحه : الحكومة بما تملك من الوسائل الفنية فى وضع المناهج وتقديم المعلمين والمفتشين والمكاتب الخ ، والأمة بما تملك من أسباب التأييد القومى وما يملك أغنياؤها من مال .

= الذى يدفع ٥٠٠ بنتو يومئذ يحق له الجلوس على المائدة الخديوية الذى يرأسها الخديو نفسه والذى يدفع ٤٠٠ بنتو يحق له الجلوس على المائدة التى يرأسها رئيس الحكومة إذ ذاك والذى يدفع أقل من ذلك يجلس على المائدة التى تليها ، وكان أقل مبلغ يدفع إذ ذاك مائة بنتو ودافعها يجلس على آخر مائدة يرأسها مدير المديرية وقتئذ ، وعلى ذلك دفعت الأموال وفوض المتبرعون بها المرحوم إسماعيل باشا فى شراء تفتيش الوادى هبة لتعليم أولادهم فى مدارس تنشأ لذلك وتسمى بالمكاتب الأهلية ، وكان مدير المدارس يومئذ المرحوم شريف باشا فأمره الخديو الأسبق باتمام أمر شراء التفتيش وبعمل الوقفية المذكورة » (انظر مجموعة أعمال المؤتمر المصرى ص ٨٨)

وكذلك يشير أمين باشا سامى (تقويم النيل وعصر اسماعيل م ٢ ج ٢ ص ٧٨٠) إلى « ما تحصل من التبرعات فى الوليمة التى أقيمت فى مولد السيد البدوى بطنطا وشرفها سمو الخديو إسماعيل باشا وأنجاله ونظار دواوينه وحضرها أيضا أعيان من وجهاء القطر كله من مسلمين ومسيحيين وموسويين وتباروا فى دفع تلك التبرعات بكرم حاتمى ، وكل تلك التبرعات كانت بصدد الحصول على منبع خيرى لنشر التعليم فى مدارس المكاتب الأهلية فى أنحاء القطر وبموجبها أمكن صدور الأمر بوقف أطيان وادى الطميلات على تلك المدارس ... » . على أنه يبدو مما ذكرناه من مناقشات شورى النواب ومما جاء فى الوقائع المصرية الصادرة فى ٢٨ رجب ١٢٨٤ أن تبرعات الأهالى لانشاء المكاتب =

ثانيا — ضرورة تدبير موارد للصرف على هذا الضرب من التعليم فى خارج نطاق ميزانية الدولة تخفيفاً عن هـــذه الميزانية من جهة وتدعيماً لصفتها الأهلية من جهة أخرى. وقد ضرب الخديو المثل بوقف أطيان الوادى ثم بأوقاف أخرى ، وسرعان ما اقتفى أثره جملة من أعيان البلاد بالتبرع بالمال تارة وبالوقف تارة أخرى . هذا عدا مصدر آخر (ثابت) وقع عليـه النواب ، ثم ما لبث أن تمسك به على مبارك : وهو إيراد الأوقاف الخيرية ، وسنرى أنه لم يكن شيئاً قليلا ، وثمة مصدر آخر — وإن كان ضئيلا من الوجهة المادية فى أول الأمر إلا أنه كان عظيم الأثر من الوجهة الأدبية — وهو الرسوم المدرسية التى فرضت على أولياء التلاميذ ، فإنهـا لا شك كانت تحفزهم على موالاة الاهتمام بتعليم أبنائهم أو ذوى قرباهم وتأييـــد المدارس التى يتعلمون فيها والعمل على نجاحها وتقدمها .

ثالثا — وترتب على ذلك أن دعيت المدارس الابتدائية الجديدة — التى أنشئت فى ظل هذا النظام — بالمدارس أو المكاتب «الأهلية» توكيدا لصفتها «الأهلية» كمعاهد للتعليم الابتدائى الخارج عن ميزانية الحكومة . وسترى أن حكومة إسماعيل — منذ ذلك الوقت (١٨٦٦ — ١٨٦٧) قد وضعت سياستها المـالية فى التعليم على أساس أن تقتصر الحكومة فى الصرف على المدارس التجهيزية والخصوصية ، وهى المعاهد التى تعد لهـا الموظفين ، أما المدارس الابتدائية وهى معاهد التعليم الشعبى التى ترمى إلى نشر التعليم بين الأهالى ، فيكون الصرف عليهـا من الأهالى والأوقاف . . . إذ بذلك

= الأهلية — سواء فى طنطا أو فى غيرها من المدن — جاءت تالية لأمر الخديو بوقف أطيان الوادى وتلبية لقرارات الشورى ودعوة الحكومة أثرياء البـــلاد إلى التبرع لنشر التعليم .

تدوم الرغبة وتتسع دائرة التعليم »[١] . ولذلك ترى أن النقص المتوالى فى عدد تلامذة المدارس الأميرية كان يقابله ازدياد فى عـــدد تلامذة المدارس الأهلية ، وهذا يدل — كما قال دوربك — إلى اتجاه رغبة الديوان (نظارة المدارس) نحو إحلال الأخيرة محل الأولى كأداة لنشر التعليم الابتدائى لأنه أقل نفقة من جهة وأكثر تغلغلا فى الشعب من جهة أخرى[٢] .

ولهذا انتهى عصر إسماعيل وليس بمصر من المدارس الابتدائية الأميرية سوى مدرســـة واحدة ، هى إحدى المدرستين اللتين افتتحهما الحكومة فى أول حكمه وهى مدرسة الناصرية بالقاهرة ، أما باقى المدارس الابتدائية ســـواء بالقاهرة والاسكندرية أو بالأقاليم (وكانت تسمى أحياناً بالمدارس المركزية) فكانت كلها (مكاتب أهلية) يصرف عليها من أوجه الإيراد التى ذكرنا .

رابعا — وضعت قرارات شورى النواب مبـدأ لا يقل فى خطره عما أسلفنا : هو الاعتراف بالمكاتب أو الكتاتيب الأهلية وهى معاهد التعليم الأولى الشعبى التى عاشت دهراً طويلا لا يحفل بها السلطان ، واعتبار أنه يمكن الاكتفاء بها فى القاهرة والاسكندرية — حيث تكثر مدارس الحكومة — والاستغناء بها عن فتح مدارس جديدة . هـــذا إلى إدراك ضرورة إصلاحها حتى تصبح تحت إشراف الحكومة وسيلة طيبة لنشر تعليم أولى صالح . وسينهض على مبارك — منذ يدخل ديوان المدارس وكيلا ثم مديرا — إلى توسيع هـــذه الفكرة وتحسينها وتطبيقها فى

---

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٠

(٢) Ministre de l'Instruction publique. Statistique des Ecoles Civiles, 1875. p. 6.

سائر أنحاء البـــلاد ، وهى فكرة إصلاح الكتاتيب وإخضاعها لهيمنة الدولة تمهيداً لإدخالها فى بنيان التعليم المصرى القومى الذى تتعاون الأمة والحكومة فى تثبيت دعائمه والاحتفال لنجاحه .

وعلى هذا النحو البسيط المتواضع نبتت فكرة التعليم القومى الحديث فى مصر ، أما تاريخها فهو تاريخ التعليم من عصر إسماعيل إلى الوقت الحاضر .

* * *

لائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ (٧ نوفمبر سنة ١٨٦٨)

وضعت قرارات مجلس شورى النواب ووافق عليها الخديو ، وبذلك انتهت المرحلة الأولى وبدأت المرحلة الثانية : مرحلة التنفيذ .

نشط ديوان المدارس — ومديره إذ ذاك شريف باشا — لاتخاذ العدة لتنفيذ هذه القرارات : من بناء وترميم المكاتب وجمع البيانات عن إيراد جفلك الوادى [1]

---

(١) دفتر ٣٨٧ (مـــدارس عربى) ص ٥٠ رقم ١٢٤ الى المالية فى ٢٩ شوال ١٢٨٣ — أعلن فى الوقائع المصرية (٢٨ رجب ١٢٨٤ — ٢٥ نوفمبر ١٨٦٧) أن أطيان جفلك الوادى تبلغ ٢٢٫٠٠٠ فدان لاينقص ايرادها عن خمسين ألف جنيه فى السنة . ولكن الحقيقة كما جاء فى الوقفية انها ٢١٫٩١٨ فدانا . بل لم يكن يزرع منها فى وقت ايقافها (سنة ١٢٨٣) سوى ١١٫٨٤٥ فدانا وبعض الفدان أجرتها مديرية الشرقية بمبلغ ٢٣٫٤٤٥ جنيها ، وفى آخر العام طلب الاهالى تخفيض الايجار حتى اســتقر على ١٩٫١٢٠ جنيها و٣٥٧ قرشا و ٩ بارات فى السنة واعتمد ديوان المدارس ذلك وكتب الى مديرية الشرقية يطلب اليها توريد الايراد أولا بأول (دفتر ٤٠٢ مدارس عربى) =

ثم كتب إلى محافظتى القاهرة والاسكندرية لتوافيه كل منهما ببيان شامل للمكاتب الأهلية (١) .

ووضعت البيانات المطلوبة وأصبحت كلها بين يدى ديوان المدارس ، ولا شك فى

= ص ١٦٦ رقم ١٩ فى ٢١ رجب ١٢٨٤) . وبعد ذلك بعامين (١٢٨٦) هبط إيراد الوادى الى ١٧٫٥٠٠ جنيه فى السنة يخصم منها ٦٫٩٣٥ جنيها وهى قيمة (العشور) المفروضة على الجفلك فى السنة و ٥٦٥ جنيها وهى قيمة مصروفات إدارته ، فلا يتبقى من إيراده سوى ١٠٫٠٠٠ جنيها فى السنة (دفتر ٤٢٧ مدارس عربى ص ٧٩ رقم ١٦٢ الى المالية فى ١٩ ذى الحجة ١٢٨٦) وبعد ذلك بعامين آخرين (١٢٨٨ هـ) عاد إيراد الوادى فهبط الى ١٦٫٤٤٦ جنيها و ١٨ قرشا و ٤ بارات يبقى منها بعد دفع العشور والمصروفات ٧٫٤٣٦ جنيها و ١٨ قرشا و ٤ بارات وليس جارى تحصيله الابعد مشقة وزيادة مكاتبات وارسال مندوبين للتحصيل » (دفتر ٤٤٧ مدارس عربى ص ٢٤ رقم ٣ الى المعية السنية فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨٨) ولما رفع الامر الى الخديو رأى فيه دليلا كافيا على سوء ادارة الجفلك وأمر باحالته على (الدائرة السنية) لتقوم على استغلاله فى مقابل ٣٠٫٠٠٠ جنيه فى السنة تدفع على نجوم شهرية الى ديوان المدارس صافية بعد دفع العشور والمصاريف (دفتر ١٥٣٩ أوامر ص ٢٨ رقم ١٤ أمر إلى المجلس الخصوصى فى ٢٢ رجب ١٢٨٨) ويبدو أن الدائرة السنية لم تستطع أن تقوم بوفاء ماتعهدت به ، فعادت فتنازلت عنه للمدارس وكان ايراده فى سنة ١٨٧٧ ١٢٫٥٠٠ جنيه فى السنة (Mc Coan, Egypt as it is. p. 225) وقيل فى تعليل هذا الهبوط المتوالى أن نحو نصف الأطيان كانت غير صالحة للزراعة بسبب النشع على أثر حفر ترعة الإسماعيلية ، ثم عاد الإيراد الصافى الى الارتفاع حتى كان فى سنة ١٤٫٤٤٧١٨٩٣ جنيها فى السنة (يعقوب باشا ارتين : القول التام فى التعليم العام ص ٤٩)

(١) دفتر ٣٨٧ (مدارس عربى) ص ٤٩ رقم ٣٩ الى محافظة مصر فى ٢٩ شوال ١٢٨٣ ، ص ١٠٣ رقم ٢٢ الى محافظة الاسكندرية فى ٢٤ ذى القعدة ١٢٨٣)

أن شريف باشا كان صادق العزم على السير بالمشروع إلى غايته . ولكن المشروع كان يحتاج إلى إعداد فنى واسع ، فالحق أن قرارات شورى النواب لم تقرر سوى مبادىء عامة تحتاج إلى تطبيق وتفصيل .

وهنا تقدم « على مبارك بك » وكان قد عين ناظرا لمدرسة المبتديان [١] ثم نقل ناظرا للقناطر الخيرية ، ولكنه كان مايزال يحن إلى التعليم . كان على مبارك من أقدر الرجال على فهم حاجات الوقت ووضع المشروعات الكفيلة بتلبية هذه الحاجات ، وإذا كان على مبارك قد تقدم لعباس الأول من قبل بخطة تعليمية محدودة محبوكة الأطراف فى حدود المال الذى سمح به عباس للمدارس [١] فقد شعر الآن والبلاد مقدمة على خطة فى التعليم جديدة أن الموقف خليق بأن يحفزه الى العمل ، وتوفر على مبارك على وضع « رسالة » بآرائه ومشروع لائحة يقوم على تنفيذ المبادىء العامة التى أقرها مجلس شورى النواب ، وتقدم بهما الى الخديو إسماعيل ، فأمر بإحالتهما الى لجنة لدراستهما ورفع مايستقر عليه رأيها [٢] . وعقب ذلك بأشهر أصدر إسماعيل أمره بتعيين « على مبارك بك » وكيلا لديوان المدارس « لملاحظة المدارس الأميرية والأهلية الموجودة فى مصر والبنادر وفى الأقاليم والاهتمام باصلاحها ونظامها والاعتناء بحسن إدارتها » ، على أن يحتفظ بنظارة القناطر الخيرية [٣] . وكان تعيين على مبارك (بك)

---

(١) انظر الجزء الأول : التعليم فى عصر عباس وسعيد ص ٢٢ — ٢٧

(٢) دفتر ١٩١٩ (أوامر عربى) ص ١٨٩ رقم ١٢٠ أمر للداخلية فى ١٧ المحرم ١٢٨٤

(٣) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ١٨ رقم ١١ أمر للداخلية فى ١٣ جمادى الآخرة ١٢٨٤

فاتحة حركة نشاط قوية سرت فى الادارة التعليمية وفروعها ، كما كان بداية رسم سياسة تعليمية جديدة ، توفر على مبارك على العمل لنجاحها وكيلا ثم مديرا للمدارس أكثر من مرة فى النصف الثانى من القرن الماضى .

وشُكل « قومسيون لرؤية مادة تنظيم المكاتب » ودعى إلى الاجتماع فى ١٠ رجب ١٢٨٤[١] . ولاحظ على مبارك أن الأعضاء الذين شكل منهم ديوان الداخلية (القومسيون) كلهم من الموظفين والعلماء : وهم رفاعة بك رافع ناظر قلم الترجمة وعبد الله بك السيد عضو مجلس استئناف الاسكندرية وإسماعيل بك الفلكى ناظر المهندسخانة والرصدخانة ومحمود بك الفلكى مأمور الخريطة الفلكية والشيخ عبدالهادى الإبيارى من العلماء والشيخ إسماعيل الحلبى مفتى الأوقاف سابقا . ولكن على مبارك كان يرى أنه مقدم على عمل (قومى) يجب أن يوفر له كل أسباب التأييد (الشعبى) ، لهذا اقترح أن يضم إلى اللجنة بعض الأعيان ، ووفق على اقتراحه وضم إلى اللجنة بعض أعيان القاهرة والأقاليم[٢] .

وليس بين أيدينا النص الكامل « لرسالة » على مبارك ومشروع لائحته ، حتى نستطيع أن نحكم على مدى التغيير الذى أدخله القومسيون على مشروعه — إن كان ثمة تغيير ، ولكنا نعرف أن المجلس الخصوصى لم يعدل فى اللائحة التى أقرها

---

(١) لهذا تعرف اللائحة التى وضعها على مبارك وعرضت على (القومسيون) فى هذه الجلسة بلائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ وإن كان صدورها رسميا قد تأخر حتى ٤ صفر ١٢٨٥ وقد أثبتنا اللائحة كاملة فى ملاحق الكتاب (الجزء الثالث) .

(٢) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ١٥٠ رقم ١٢٠ الى الداخلية فى ٨ رجب ١٢٨٤ — انظر أسماء أعضاء القومسيون فى ذيل اللائحة .

القومسيون إلا القليل ، وأن على مبارك (باشا) عين مديرا لديوان المدارس ليأخذ على عاتقه تنفيذ اللائحة التى وضعها وليوفر لها كل أسباب النجاح .

وبدأ على مبارك عمله باذاعة لائحته عن طريق نشرها فى الوقائع المصرية « لتكون معلومة فى كافة القرى والبنادر والثغور » (١) ، وبالكتابة إلى ديوان الداخلية ليحفز همة السلطات الإدارية فى الأقاليم حتى أن « هذه اللائحة التى يلوح منها أنوار التربية الأهلية وتنوير العقول بمعارف جلية تحل من أنظارهم الجميلة محلا مرضيا وأن يكون ما اشتملت عليه من المقاصد الجليلة بحسن مساعيهم سيرا مقضيا » (٢) .

* * *

وضع « على مبارك » مشروعه على أساس دراسة تاريخية موضوعية لألوان التعليم القائمة فى مصر ، وأخصها التعليم « الأميرى » وهو التعليم الذى تقدمه الحكومة فى مدارسها التى أنشأتها على النسق الأوربى لأول مرة منذ حكم محمد على ، ولا شك فى أن الذين تعلموا فى هذه المدارس كانوا بالنسبة إلى مجموع الأمة المصرية أقلية ضئيلة ، وقد عاشت هذه المدارس حياتها بعيدة عن الحياة القومية المصرية ، أو على حد تعبير على مبارك نفسه : « وإن كانت على أجمل صورة فهى

---

(١) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربى) ص ٩٢ رقم ٥٢١ الى قلم الوقايع فى ١٣ صفر ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ٨٩ رقم ٨٠ الى الداخلية فى ٩ ربيع الأول ١٢٨٥

على المصـــالح الميرية مقصورة فلا تتعدى بالكلية منفعتها العميمة إلى البنادر والقرى »[١].

أما اللون الآخر من التعليم فهو التعليم « الأهلى » الذى يقدم إلى الشعب فى المكاتب أو الكتاتيب « الأهلية » المنبثة فى مدن مصر وقراها ، وهو التعليم الذى عاش المصريون دهراً طويلا لا يعرفون غيره يأخذون به أبناءهم ، ولهذا كان هذا اللون من التعليم على بساطته وفقره بالنسبة لمدارس الحكومة أكثر اتصالا بروح الشعب وعاطفته وأكثر تغلغلا فى صميم الحياة المصرية . ولكن هذه المكاتب — سواء منها الذى يعتمد على إيراد من وقف أو نحوه أو الذى وقف له ولا إيراد سوى ما يقدمه صبية المكتب إلى شيخهم من قروش أو نحوها — كانت ما تزال « جارية على العادة القديمة ليس فيها على قلة أهلها إلا تعليم القرآن الشريف وأقل من القليل من يتمه منهم ويجيد حفظه ويجوده ويحسن قراءته مع رداءة الخط فى عامة المكاتب المذكورة »[٢]. ولا شك فى أن إقدام حكومة محمد على على تأسيس عدد ليس بالقليل من المدارس أو المكاتب الابتدائية الأميرية بالقاهرة والمدن وبعض قرى الريف — أول إنشاء المكاتب فى سنة ١٨٣٣[٣] — كان منبها لأذهان الناس إلى أن هناك علوما أخرى يأخذ بها الناس أبناءهم غير حفظ القرآن وتجويده ، وأن هذه العلوم تفتح على الناس آفاقا من العلم والمعرفة كانوا يجهلونها من قبل ، وأن هذه

---

(١) المصدر السابق

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٠

(٣) انظر كتابنا (تاريخ التعليم فى عصر محمد على) ص ٣٩ و ٥٧٣ و ٥٨٤

المكاتب التى يقوم عليها الفقهاء لا سبيل إلى بقائها إلا إذا بدأت تتحرك من سباتها وتنفض عنها غبار الماضى البعيد وتنهض لتجارى نهضة التعليم فى مصر الحديثة . ولم يكن على مبارك حين قال عن هذه المكاتب « إنها صارت الآن من قبيل العظام الرميمة عديمة التنظيم سقيمة التعليم ، أهملها الولاة والحكام حتى تهدم أساسها لعدم الإتقان والإحكام فصار بقاء الحال فيها من المحال فى زمن بلغ ميزانه بمصر درجة الاعتدال » [1] ، لم يكن على مبارك حين قال هذا إلا معبرا عما كانت تجيش به نفوس الصفوة من الناس الذين كانوا يعنون بتعليم نابتة البلاد ، وقد رأيت أن أعضاء مجلس شورى النواب سبقوه إلى تقرير بعض هذه الحقائق .

على أن هذه المكاتب — لما أسلفنا من اتصالها القديم بالحياة المصرية — لا شك تصلح أداة لنشر قدر طيب من التعليم الابتدائى — الأولى بين المصريين إذا تولتها يد الإصلاح بالتهذيب والتحسين ، ولن يتحقق شىء من هذا إلا بإخضاعها لهيمنة الدولة . ولم يكن على مبارك فى هذا أيضا إلا محققا لرغبة أعضاء شورى النواب ومنفذاً لقرار من قراراتهم على نحو أكثر اتساعا ، فقد قرر النواب — كما رأيت — أن يستغنى بالمكاتب الأهلية القائمة بالقاهرة والاسكندرية عن إنشاء مدارس جديدة ، على أن تخضع لرقابة الدولة — ممثلة فى ديوان المدارس — تمهيداً لإصلاحها ورفعها إلى مستوى المدارس النظامية الأخرى ، أما على مبارك — فى لائحة رجب — فقد أزمع تطبيق هذا القرار — أى هيمنة الدولة على المكاتب الأهلية — لا على مكاتب

---

(١) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ٨٩ رقم ٨٠ الى الداخلية فى ٩ ربيع الأول ١٢٨٥

القاهرة والاسكندرية فقط وإنما على المكاتب جميعها فى مختلف أنحاء البلاد : « فجميع المدارس والمكاتب سواء بالقرى أو بالبنادر تكون تحت أصول تنظيمية وترتيبات حسنة منتجة وامتحانات سنوية وملاحظات وتفتيشات من طرف الحكومة ، وهذا لتحسين حالهم واستقبالهم ومنفعتهم الخصوصية العائدة إليهم مع المنفعة العمومية على الحكومة من تهذيب رعاياها وإصلاح حالهم ووجود التعاون بينهم ومعاونتهم لأوطانهم »[1] . فكان على مبارك بذلك أول من قرر فى تاريخ التعليم الحديث فى هذه البلاد هذا المبدأ الخطير : مبدأ هيمنة ولى الأمر فى مصر على كافة معاهد التعليم على تعدد شكولها وأغراضها ، ولكن على مبارك فى لائحة رجب لم يزمع تطبيق هذا المبدأ على كل معاهد العلم الخارجة إذ ذاك عن رقابة الدولة كالأزهر ومدارس الطوائف الدينية والجاليات الأجنبية ، وإنما قصر مشروعه على المكاتب الأهلية ، فقرر « دخولها من جهة الإدارة فى فروع المدارس المصرية » ويتبع هذا إخضاعها جميعا لأسلوب واحد فى التعليم « لتكون طرق التعليم واحدة مفيدة على صورة جميلة حميدة » ، واستخدامها أداة « لنشر المعلومات الأهلية لا سيما فى العلوم الأولية »[2] وبذلك ترى أن على مبارك قد أزمع أن يعهد إلى هذه المكاتب « الأهلية » بتلك المهمة السامية التى قصرت المدارس الابتدائية « الأميرية » عن النهوض بها ، وهى مهمة نشر التعليم الابتدائى — الأولى فى البلاد .

وحسبك لتقدر خطورة هذا العمل الذى أزمعت حكومة إسماعيل أن تنهض به

---

(١) من تقرير على مبارك فى مقدمة لائحة رجب ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ٨٩ رقم ٨٠ الى الداخلية فى ٩ ربيع الأول ١٢٨٥

وجدواه على نهضة التعليم المصرى أن تلقى نظرة على هذا العدد الكبير من تلك المكاتب المنبثة فى قرى مصر ومدنها . فقد أثبت الإحصاء الذى وضع — تنفيذاً لقرارات شورى النواب — أن بالقاهرة وحدها ٢٢٢ مكتبا تتباين فيما بينها تباينا عظيما فى كل شىء ، فى عدد التلاميذ : فبعضها يهبط تلامذتها إلى ما لا يجاوز أصابع اليد الواحدة وبعضها الآخر يصل إلى المائة ، وتتباين موارها : فبعضها له أوقاف نظارتها للحكومة وبعضها لغير الحكومة وبعضها لا وقف له . وقس على ذلك سائر المحافظات والمديريات .

وكان إصلاح هذا العدد الكبير من المكاتب يعنى بعث الحياة فى هذا الهيكل الضخم المترامى الأطراف . كان يعنى إصلاح الأمكنة الخربة الفاسدة التى يأوى إليها أكثر هذه المكاتب أو استبدال أبنية جديدة بها وإصلاح (هيئة التدريس) من الفقهاء والعرفاء وإصلاح (مناهج) التعليم فيها وخطته ، فأمر التعليم الأولى أجل من أن يقصر على حفظ القرآن الكريم دون تفهم المعارف الأولية التى لا غنى عنها للصبى فى مقتبل حياته والتى لا غنى عنها لمجموع الأمة فى مستهل حياتها القومية . والأمر فوق هذا كله يحتاج إلى تدبير مالى وفنى واسع . أما المال فالسبيل إليه حسن الإشراف على استغلال الأوقاف المرصودة لهذه المكاتب واستغلال الأوقاف الخربة التى انقرض مستحقوها بتحويل إيرادها على هذه المكاتب ، وهى لا تعدو أن تكون من « المقاصد الخيرية » التى رصد لها الواقفون ما رصدوا . وثمة سبيل آخر إلى المال لم يكن بد من تلمسه وهو العون المالى الذى يطلب إلى الأهالى أن يتقدموا به ، ويمكن أن يتحقق هذا العون على أشكال منوعة : فبعضه تبرعات نقدية يهبها الأغنياء من الناس ، وبعضه إعداد للأبنية الصالحة والأثاث والكتب والأدوات المدرسية ،

وبعضه رسوم دراسيـــة بسيطة تفرض على آباء الأطفال ومنهـا تؤدى مرتبات الفقهاء والعرفاء .

أما التدبير الفنى فليس يتسنى لهيئة سوى الحكومة أن تنهض به : فعندها الفنيون من رجال التعليم ورجال الصحة ورجال الهندسة والبناء ، والمكاتب الأهلية إذ ذاك فى حاجة ماسة إلى جهود هؤلاء الفنيين على اختلاف اختصاصهم .

وإلى جانب إصلاح المكاتب الأهلية — على النحو الذى شرحنا — واستخدامها أداة لنشر التعليم الأولى فى البلاد وإدخالها بذلك ضمن بنيان التعليم القومى فى مصر بل جعلها أساس هذا البنيان ، إلى جانب هذا كله عنى على مبارك بتنفيذ قرارات مجلس شورى النواب الخـــاصة بانشاء المدارس الابتدائية بعواصم المديريات وهى التى دعيت فى لائحة رجب باسم (المدارس المركزية) ، وهنا نلحظ أن على مبارك — مسترشدا بقرارات الشورى — جهد فى أن يرسم لهذه المدارس طريقا جديدة تجنبها ما أخذ على المدارس الابتدائية التى أنشأتها حكومة محمد على . فقد أخذ عليها أنها كانت منشئات (حكومية) عاشت حياتها مترفعة عن الأوساط الأهلية ، ولهذا أنشئت ثم اختفت من غير أن تثير حولها ذلك التأييد الشعبى ، الذى هو القوة العظمى اللازمة لتدعيم أى نظام تعليمى ، وعمل على مبارك على أن يجنب مدارسه الجديدة هذا الإسراف الشديد — فى وقت عزّ فيـــه المال وتعددت مطالب الإصلاح — فى الصرف على احتجاز التلامذة بالمدارس ليلا ونهارا وما يتبع ذلك من الضروريات المادية المتعددة . وكان من مقومات الخطة التى رسمها على مبارك فى إنشاء المدارس المركزية الاقتصاد الشديد فى إدارة هذه المدارس والنفقة

عليها [1] وإدخال نظام (الخارجية) وخاصة للتلاميذ الذين يقومون بالقرب من مدارسهم ونظام (المصروفات المدرسية) للقادرين من الأهالى . أما إيراد هذه المدارس فلن يكون من خزانة الدولة وإنما يكون من إيراد خاص ينشأ للمكاتب الأهلية ومنها المدارس المركزية فى الأقاليم ، وقوامه وقف الوادى وغيره من الأوقاف المحبوسة لهذا الغرض وتبرعات الأهالى وإعانة من ديوان الأوقاف ، وكان « على مبارك » قمينا بأن يرسم السبيل إلى تحقيق هذا كله ، وقد فعل فى لائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ .

بدأت مرحلة التنفيذ ، ونشط ديوان المدارس لإنشاء المدارس المركزية [2] : فأنشأ بعد أشهر من صدور اللائحة مدرسة فى بنها وأخرى فى أسيوط (يناير — فبراير ١٨٦٨) ريثما تتهيأ الأسباب لإنشاء مدارس فى عواصم المديريات الأخرى . وقد أنشئت مدرسة فى بنى سويف ومدرسة فى المنيا (١٨٧٢ — ١٨٧٣) ومدرسة فى رشيد (١٨٧٦) وأخرى فى الفشن (١٨٧٩) ، وكلها أنشئت لتكون مكاتب (أهلية) يصرف عليها من الموارد (الأهلية) التى رسمتها لائحة رجب وأخصها إيراد جفلك الوادى ، وقد حولت مدرسة الاسكندرية وقتا ما إلى مكتب أهلى . وفى الفترة التالية لسنة ١٨٨٠ أنشئت مدارس الجيزة وقليوب والمنصورة فى سنة ١٨٨١ وطوخ فى سنة ١٨٨٢ ودمنهور وشبين الكوم والزقازيق فى سنة ١٨٨٣ ، وقد أنشئت كلها على نفقة الدولة ، فكان ينفق عليها من ميزانية نظارة المعارف ، ثم نقلت كلها — عدا مدرسة المنصورة — إلى

---

(١) وقد عد دور (فى كتابه عن التعليم فى مصر ص ٢٥٥ — ٢٥٧) هذه الخطوة من على مبارك أهم تجديد فى التعليم المصرى منذ أوائل حكم إسماعيل ، ولكنه انتقد حرص الديوان الشديد على الاقتصاد وخاصة فى مرتبات المدرسين .

(٢) انظر الفصل الخاص بالمدارس المركزية فيما بعد .

ميزانية المكاتب الأهلية فى أواخر سنة ١٨٨٥ تمشياً مع السياسة التى سارت عليها حكومة إسماعيل من سنة ١٨٦٨ وأشرنا إليها قبل ذلك : وترمى إلى قصر ميزانية الدولة على الإنفاق على المدارس التجهيزية والخصوصية وجعل التعليم الابتدائى (أهليا) ينفق عليه من موارد (أهلية) أهمها إيراد جفلك الوادى .

وكذلك نشط ديوان المدارس — على أثر صدور لائحة رجب ١٢٨٤ — لتنفيذ الأحكام التى جرت بها هذه اللائحة خاصة بإنشاء المكاتب الأهلية وتنظيمها[1] ، واستعان الديوان بالمفتشين وأطباء الصحة لزيارة هذه المكاتب فى القاهرة والمدن والقرى والتقرير عن حالها . ووجد الديوان من المكاتب « الميرية » وهى تلك التى كان ينفق عليها من الأوقاف والروزنامة عددا من المكاتب استطاع الديوان تنظيمها ورفعها إلى مستوى المدارس الابتدائية النظامية ، ومنها مكاتب النحاسين والعقادين والسلطان قلاوون وقايدباى وشيخون والصلبية والحبانية وبولاق وأم عباس الخ .

ورأى الديوان أن هذه المكاتب لايستقيم أمرها ويعلو مستواها إلا إذا أنشىء لها ديوان خاص يتوفر على إدارة هذه المكاتب والإشراف عليها من الناحيتين المالية والفنية .

وفى مارس ١٨٧١ أنشىء ديوان المكاتب الأهلية وقد جعل مستقلا عن ديوان المدارس فى أول الأمر ، ثم ألحق به مع احتفاظه بكيانه الخاص . ونشط ديوان المكاتب الأهلية لتنظيم المكاتب القائمة وإنشاء مكاتب جديدة فى سنوات مختلفة . فأنشئت مكاتب القربية (١٨٧٢) ، الجمالية وباب الشعرية (١٨٧٣) ، الإمام الشافعى (١٨٧٨) ،

---

(١) أنظر الفصل الخاص بالمكاتب الأهلية فيما بعد .

مصر القديمة والحسينية وعابدين (١٨٧٩) . وقد حفزت العناية بإنشاء المكاتب الأهلية بعض أهل الخير ممن يهتمون بالتعليم ويقدرون خطره إلى إنشاء مكاتب ورصد المال للنفقة عليها وتسليمها إلى إدارة المكاتب الأهلية لتديرها : كمكاتب خليل أغا وحافظ باشا ومحمد بك سيد أحمد بالقاهرة وراتب باشا بالاسكندرية .

وعلى الرغم من حرص الديوان على أن يطبق على هذه المكاتب جميعاً منهج التعليم الابتدائى الذى صدر فى سنة ١٨٧٤ بحيث أصبحت جميعاً — كما سماها تقرير القومسيون فى ١٨٨٠ مدارس ابتدائية راقية (écolos primaires supérieures) إلا أن التعليم فيها — كما لاحظ هذا القومسيون نفسه — لم يكن يسير على أسلوب واحد أو فى مستوى واحد .

ومما له دلالته أن هذه المكاتب الأهلية قامت على نظام يختلف عن نظام المدارس الأميرية : فإنها قامت على قاعدة النظام الخارجى ، فالتلاميذ يترددون عليها نهاراً ويعودون إلى بيوتهم مساء حيث يتعهدهم أهلوهم باللباس والغذاء ويوالون العناية بما قرأه أبناؤهم أو درسوه بالمكاتب ، ويؤدون للمكتب فى كل شهر بضعة قروش أجراً لتعليم أبنائهم . وهكذا يزول هذا الحاجز المنيع الذى طالما وقف بين المدارس الحكومية والأوساط الأهلية .

أما المدارس المركزية فالحق أن إنشاءها لم يجر على النحو الذى رسمته لائحة رجب : فقد نظمها ديوان المدارس أول إنشائها على أسلوب المدارس الابتدائية الأميرية ، فظل النظام الداخلى المجانى أساس الحياة الدراسية فى المدارس المركزية كما هو أساس الحياة فى المدارس الأميرية ، مع استثناء واحد هو أن التلميذ فى المدرسة

المركزية لم يكن يتناول راتباً من الحكومة فى كل شهر . ولكن منذ سنة ١٨٧٢ فرضت رسوم دراسية بسيطة على التلاميذ وبدأ بها النظام الخارجى فى مجال محدود .

وأهم من هذا أن الأحكام التى جرت بها لائحة رجب خاصة بتحميل أهالى كل مديرية أو محافظة نفقات المدارس القائمة فى دائرتهم لم ينفذ منها شىء ، وبذلك انهار ركن أساسى من لائحة رجب . وأكبر الظن أن انهيار هذا الركن كان العامل الأساسى لعدم إنشاء مدرسة مركزية فى كل مديرية أو محافظة على النحو الذى رسمته لائحة رجب وأشار به مجلس شورى النواب من قبل .

أما الكتاتيب [1] فقد احتفظت لها لائحة رجب بالبساطة التى لازمتها منذ نشأتها ويتمثل ذلك فى الاحتفاظ بالقرآن الكريم المحور الذى يدور حوله تعلم القراءة والكتابة ، ولم تزد اللائحة عليها سوى المبادىء الأولية من الحساب أو باب « العدية » ، كما يتمثل فى الاحتفاظ للكتاتيب بفقهائها وعرفائها وأثاثها البسيط . أما هيمنة الدولة — ممثلة فى ديوان المدارس — على الكتاتيب فيلخص فى تلك العبارة التى نصت عليها المادة ٢٩ من لائحة رجب : « ما دامت تلك المكاتب أهلية فتبقى كالجارى فى السابق إلا فى النظافة وانتظام التعليم والتربية » . وطبيعى أن لا تتم « النظافة وانتظام التعليم والتربية » إلا بزيارات مفتشى المدارس ومفتشى الصحة من وقت لآخر . واشترط معرفة القواعد الأولية من الحساب فى المؤدبين ونيل إجازة خاصة يمنحها ديوان المدارس لمن يبيح له الاشتغال بمهنة التعليم ولا يقرأ الصبية فى الكتاتيب من الكتب إلا ما يقره ديوان المدارس . ونظمت اللائحة الصلة بين الكتاتيب والقرى المقامة فيها : فالقرية تتحمل النفقات التى يقتضيها تأسيس مكتب جديد أو إصلاح مكتب قائم ، وآباء

---

(١) انظر الفصل الخاص بالكتاتيب فيما بعد .

الصبية يتحملون نصيباً من مرتبات المؤدبين والعرفاء، وعلماء الناحية ووجوهها يشتركون فى الشهادة للمؤدبين والعرفاء كما يشتركون فى امتحان الصبية فى كل عام، وأثرياء القوم يدعون إلى أن يجودوا بالمال لتعليم الفقراء واليتامى من أبناء بلدهم.

وعملت اللائحة على أن تمهد لسد الثغرة التى كانت تفصل بين النظام التعليمى (الأهلى) والنظام التعليمى (الأميرى)، فأشارت بأن التلاميذ المنتهين من المكاتب القروية البسيطة يستطيعون أن يلتحقوا بالمكاتب الأهلية الكبيرة أو بالمدارس المركزية لتعدهم للحاق — إذا شاؤا — بالمدارس الأميرية.

ونشط ديوان المدارس لتنفيذ أحكام اللائحة الخاصة بالكتاتيب: فعين المفتشين وأصدر المنشورات واتصل بالجهات الإدارية وأنفذ الأطباء ومفتشى الصحة. ولكن إصلاح الكتاتيب مالبث أن اصطدم بعقبتين كان لهما أكبر الأثر فى تعطيل الإصلاح. الأولى: عدم تدبير المال الذى بدونه لايستطاع إصلاح هذه الكتاتيب. واللائحة لم تنص على طريقة معينة واضحة للحصول على المال من القرى التى تقام الكتاتيب فى دائرتها. وقد ظل هذا القصور معطلا للإصلاح، إلى أن أنشئت — منذ وقت ليس ببعيد — مجالس المديريات وفرضت ضريبة خاصة خصص إيرادها لنشر التعليم الأولى. والثانية عدم توافر العدد الكافى من المؤدبين الذين يعرفون القواعد الأولية من الحساب. ولم تستطع الحكومة التغلب على هذه العقبة إلا منذ وقت ليس ببعيد أيضا حين أنشئت أقسام الفقهاء والعرفاء ثم مدارس المعلمين الأولية لتخريج العدد الكافى من المعلمين الأوليين الأكفاء.

ولكن إذا كان إصلاح الكتاتيب كما رسمته لائحة رجب قد تعطل زمنا طويلا

وظلت الكتاتيب على الحالة التى كانت عليها منذ إنشائها فإن اللائحة والجهود التى بذلت لتحقيق أحكامها قد وجهت الأذهان إلى ضرورة العناية بالكتاتيب كمدارس للتعليم الأولى وحفز الناس إلى الاقبال عليها ، ومن ثم اطردت الزيادة فى عدد المكاتب وعدد تلامذتها طوال حكم إسماعيل .

وهكذا نرى أن على مبارك وضع فى سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ الأساس الذى ستقوم عليه الجهود التالية لتحقيق مشروع التعليم القومى فى مصر ، ولا يقلل من قيمة عمله أن الجهود التى بذلت فى تلك السنة وفى السنوات التالية لم تحقق الإصلاح المنشود ، فان مثل هذا الإصلاح الخطير لايتحقق فى عام أو أعوام وإنما فى جيل وأجيال .

* * *

لم تقف جهود على مبارك عنـــد حد وضع هذه السياسة الإنشائية ، وإنما اتجه بجهوده إلى النظام التعليمى القائم فعمل على تحسينه . وكان أهم ماعنى به أمران :

الأول : تخليص معاهد الدراسة المدنية من تأثير التعليم العسكرى . فأشار بفصل المدارس الحربية عن ديوان المدارس وجعلها تابعة لديوان الجهادية ، وقد رأينا (١) أن على مبارك كان دائما يتجه بسياسته فى التعليم إلى ضرورة فصل التعليم المدنى عن التعليم العسكرى حتى يستطيع كل منهما أن يتوفر على تحقيق رسالته . واستطاع على مبارك حين عاد إلى ديوان المدارس وكيلا ثم مديرا فى عهد إسماعيل أن يحقق سياسته ، فصدر

---

(١) انظر الجزء الأول من كتابنا (عصر عباس وسعيد) .

بفصل المدارس الحربية عن ديوان المدارس الأمر العالى فى ٢١ جمادى الثانية ١٢٨٤ (اكتوبر ١٨٦٧) أى قبل وضع لائحة رجب بأيام ، وتلا ذلك أن توفر ديوان الجهادية على وضع (ترتيب) خاص للمدارس الحربية صدر فى ١٠ رجب ١٢٨٤ ، أى فى اليوم الذى وضعت فيه لائحة رجب الشهيرة .

ولاشك فى أن ديوان المدارس يستطيع الآن بعد أن تخفف من المدارس الحربية أن يكرس جهوده لإصلاح التعليم المدنى وتوسيعه ، وخاصة بعد أن أضافت لائحة رجب إلى الديوان عبئاً جديدا : هو إنشاء المكاتب الأهلية وتنظيم الكتاتيب فى المدن والقرى .

وفى الوقت الذى تخفف فيه الديوان من بعض الأعمال التى لم تكن تتصل بخصائصه التعليمية كالوقائع المصرية ومكتب الأنجال ، فأحيلت الأولى إلى ديوان المالية وأحيل الثانى إلى الخاصة الخديوية ، استعاض الديوان عن ذلك بتوسع فى ناحية أخرى : إذ أضيفت إلى ميزانيته مصروفات مدرسة الطب وميزانية البعثات العلمية . وهكذا مد ديوان المدارس إشرافه على معاهد التعليم المدنى أو المدارس «الملكية» وما يتصل بها .

وتوفر ديوان المدارس على تنظيم المدارس (الملكية) (Ecoles Civiles) التى دعيت بهذا الاسم منذ ذلك الوقت تمييزاً لها عن المدارس الحربية ، وصدر بهذا التنظيم (ترتيب) غرة رمضان ١٢٨٤ (يناير ١٨٦٨)[1] ، وهو الترتيب الذى نظم التعليم طوال

(١) لم نعثر على هذا الترتيب وإنما عثرنا على مقتطفات متفرقة منه .

السنين الباقية من عصر إسماعيل . لم يكتف هذا الترتيب — ونذكر هنا أن على مبارك كان لا يزال وكيلا لديوان المدارس حين صدوره — بتنظيم المدارس القائمة بالفعل وخاصة الناحية المالية فى إدارتها ، ولكنه نص على افتتاح مدارس جديدة : كمدرسة العمليات ومدرسة الإدارة والألسن ومدرستى المحاسبة والمساحة — وقد أصبحتا بعد ذلك مدرسة واحدة — ومدرسة المعمارجية — وقد ضمت بعد ذلك إلى مدرسة المهندسخانة — وفرقة الرسم ومدرسة التلغراف والمدرسة البحرية . وبذلك يمكن القول إن أهم ما جاء به ترتيب غرة رمضان ١٢٨٤ توسيع التعليم العالى فى مصر ، وقد كان قبل ذلك منحصرا فى مدرسة للمهندسخانة وأخرى للطب وبضعة مدارس حربية .

وأمر آخر حدث فى أوائل سنة ١٨٦٨ وكان له كبير الأثر فى مستقبل التعليم فى مصر : وهو نقل المدارس إلى القاهرة. ولكأن ديوان المدارس قد رغب فى التخلص تماما من تأثير التعليم العسكرى ، فترك العباسية للمدارس الحربية ونقل مدارسه — المدارس الملكية — إلى قلب المدينة ، إلى سراى الأمير مصطفى فاضل بدرب الجماميز . وكذلك انتقل إلى جناح من السراى ديوان المدارس ، فأصبحت السراى تنتظم المدارس الملكية جميعاً : المدرسة التجهيزية ، مدرسة المهندسخانة ، مدرسة الإدارة والألسن ، مدرسة المحاسبة والمساحة ، فرقة الرسم ، فرقة التلغراف . أما مدرسة الطب فقد احتفظت بمكانها فى مستشفى قصر العينى ، وأما مدرسة المبتديان فنقلت من العباسية إلى مكانها القديم بالناصرية . وهكذا أصبحت سراى درب الجماميز مقراً لنهضة تعليمية قوية يشرف عليها — عن قرب — ديوان المدارس ويرعاها ولى الأمر فى البلاد .

وإكمالا للصورة التى رسمناها عن النشاط التعليمى فى سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ نذكر أن المدارس الحرة المجانية العامة بالاسكندرية (Ecoles Libres, gratuiteset universelles)[1] قد فتحت فى تلك السنة .

وهكذا نرى أن سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ (١٢٨٤ هـ) كانت من السنوات الحافلة فى تاريخ التعليم فى عصر إسماعيل ، بل إنا لا نعدو الحق إذا قلنا إنها كانت أهم السنوات فى ذلك التاريخ ، فقد وضع فيها الأساس الذى قام عليه تنظيم التعليم فى عصر إسماعيل وأصبحت معاهد العلم بمقتضى النظم التى وضعت فى تلك السنة أنواعا ثلاثة :

(١) المدارس الحربية : وهى تابعة لديوان الجهادية وينفق عليها من ميزانيته .

(٢) « الملكية : « « « المدارس « « « .

(٣) « الأهلية : « « « « — ثم أنشئ لإدارتها ديوان المكاتب الأهلية ، وينفق عليها من موارد (أهلية) أخصها إيراد جفلك الوادى .

وقد ظل هذا (التفريع) قائما طوال حكم إسماعيل وسنوات كثيرة من بعده .

حتى إذا أتم على مبارك وضع هذا الأساس واستصدر الأوامر الخديوية اللازمة لاقامته نصبه الخديو (فى مارس ١٨٦٨) مديراً لديوان المدارس ليشرف بنفسه على تنفيذ السياسة التى رسمها للمكاتب الأهلية والمدارس (الملكية) . واقتضى تنفيذ هذه السياسة أن تنظم الإدارة التعليمية على أسلوب جديد لمواجهة التوسع الذى طرأ على مهمة الديوان . وسنعرض فى الفصل التالى لهذا التنظيم الجديد ، ولكنا نكتفى

---

(١) انظر الفصل الخاص بالمدارس الأجنبية .

هنا بأن نذكر أن على مبارك عمل على توزيع اختصاص ديوان المدارس بين هيئتين : إحداهما إدارية وهى (إدارة المدارس الملكية) والأخرى فنية وهى هيئة (التفتيش) و (نظارة الدروس) ، ثم أنشأ لإدارة المكاتب الأهلية (ديواناً) خاصاً هو ديوان المكاتب الأهلية (فى مارس ١٨٧١) .

وكان من الواضح أن إصلاح التعليم على النحو الذى وضعت قواعده فى سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ لا يتم إلا إذا أعد العمال الذين يستطاع الاعتماد عليهم فى تفهم المرامى الإصلاحية وتحقيقها ، ونعنى بهؤلاء العمال المعلمين الأكفاء الذين أعدوا إعداداً خاصاً لأداء الرسالة الشريفة التى ندبوا أنفسهم لأدائهـــا وهى رسالة التعليم ، وبدأ على مبارك فأنشأ مدرسة (دار العلوم) .

وإذا كانت جهود على مبارك لتنفيذ القواعد التى رسمها فى ١٨٦٧ — ١٨٦٨ لم تثمر كلها ، فإن الفضل كل الفضل يرجع إليه فى أنه وضع الأساس ورسم القواعد وأوضح معالم الطريق لمن يأتى بعده من دعاة الإصلاح والعاملين عليه .

ثالثاً — حركة الإصلاح : ١٨٧٣ — ١٨٧٤

فى ١٥ أغسطس ١٨٧٣ عين مصطفى رياض باشا للمرة الأولى مديراً لديوان المدارس . ولم يطل مقامه بهذا الديوان أكثر من تسعة أشهر ، إذ انفصل عنه فى ٢٤ مايو ١٨٧٤ . ولكن رياضا استطاع فى هذه الفترة القصيرة أن يطبع التعليم بطابع قوى ظل أثره واضحا السنوات الطوال . فقد رسم رياض خطة إصلاحية لم يرم بها إلى التوسع فى المنشئات التعليمية بقدر ما رمى إلى تحسين المنشئات القائمة ، وكان لابد — بعد التوسع السريع الذى خطاه التعليم على يد على مبارك منذ سنة ١٨٦٨ — أن يقف دولاب التوسع وقتا ما ريثما يتسنى للقائمين على شئون التعليم أن

يستكملوا وجوه النقص ويصححوا نواحى الخطأ ، حتى إذا عاد دولاب التوسع إلى العمل ثانية كانت الخطى مستقيمة والطريق ممهدة .

والحق أن الحاجة كانت ماسة إلى الإصلاح والتقويم : فان (التراتيب) أو اللوائح التى صدرت منذ إنشاء المدارس فى أول حكم إسماعيل كانت تعنى بالناحية المالية قبل عنايتها بالناحيتين الإدارية والفنية ، كانت تعنى بأن تنص على أن يكون بكل مدرسة عدد (كذا) من معلمى القرآن أو المهندسخانة وعدد (كذا) من السقائين والبوابين والطبلجية وأن يكون مرتب كل منهم (كذا) من الجنيهات فى كل شهر وهكذا .

أما إدارة المدرسة كواجبات النظار والضباط والمعلمين والطلاب ، أما تنظيم التحاق التلاميذ بالمدارس وخروجهم منها ، أما وضع الخطط والمناهج الدراسية لكل مرحلة من مراحل التعليم . . . أما هذا كله فلم يعن ديوان المدارس بتنظيمه إلى ذلك الوقت . وكان من الضرورى أن يعرف كل من المتحدثين على شئون الطلاب بالمدارس حدود واجباته ، وكان من الضرورى أيضاً أن تنظم الخطط الدراسية التى يجب أن يجتازها الطالب من مرحلة إلى أخرى حتى يمتنع ما كان شائعاً من التحاق التلاميذ بالمدارس التجهيزية قبل أن يتموا العلوم الابتدائية وبالمدارس الخصوصية قبل أن يتموا العلوم التجهيزية ، حتى « كانت المواد التى تدرس فى كل مدرسة عليا عبارة عن مخلوط لا أساس له يدخل تحته المواد المقررة للمدارس الابتدائية كالخطوط وقواعد اللغات والمواد المقررة للمدارس العالية كالعلوم النظرية والعملية الخاصة بالمدرسة »[1] .

---

(١) يعقوب أرتين باشا : القول التام فى التعليم العام ص ٨٥ — ٨٦

وأتيح لرياض باشا أن يفيد من خبرة وكفاية أحد رجال التربية السويسريين — إدوار دور — وكان قد سبقه إلى العمل بديوان المدارس منذ عين رئيساً للتفتيش فى مارس ١٨٧٣ . فابتدأ من ذلك الحين التعاون بين الرجلين ، ذلك التعاون الذى لم ينته إلا بموت دور فى سنة ١٨٨٠ . وكان دور قد أتى إلى مصر زائرا ومستشفيا فى سنة ١٨٧٢ ، ولكن « غريزة المعلم » دفعته لأن يدرس نظام التعليم فى مصر ، فجاء كتابه ثمرة هذه الدراسة ، واجتذب الكتاب نظر حكومة إسماعيل إلى المؤلف فأسندت اليه رياسة التفتيش (١) .

وقيل إن إسماعيل فى ذلك الوقت قد هاله اطراد الزيادة فى عدد المدارس الأجنبية فى مصر وتغلغلها فى المجتمع المصرى وما يؤدى إليه ذلك من التأثير على الشبيبة المصرية فأراد أن يوازن تأثير هذه المدارس بالعناية بالتعليم المصرى وخاصة التعليم الأولى الابتدائى ، وكان دور فى كتابه قد دعا الحكومة المصرية إلى العناية به على أن يكون تعليما قومياً أساسه الكتاتيب بعد إصلاحها ، وراقت هذه الآراء لاسماعيل فدعا دور إلى معاونته على تحقيقها وعينه لرياسة التفتيش بديوان المدارس (٢) . وأتيح بذلك لدور بك — وقد منح الرتبة الثانية فى العام التالى لتعيينه فى منصبه — أن يشارك رياضاً فى خطته الإصلاحية على أساس لائحة رجب ١٢٨٤ ، وقد وصفها دور فى كتابه بأنها تؤرخ مرحلة من المراحل الحاسمة فى طريق التقدم ونشر ترجمتها الفرنسية كاملة فى كتابه .

---

(١) شفيق بك غربال : خبير سويسرى فى خدمة التعليم المصرى فى عهد إسماعيل ف . ادوار دور بك . بمجلة التربية الحديثة العدد الرابع من السنة العاشرة فى ابريل ١٩٣٧

(٢) Artin Pacha, L'Instruction publique en Egypte. p. 97 .

وكان ثمرة تعاون دور ورياض فى هذه الفترة القصيرة أن صدرت لوائح عدة تنظم الإصلاح الذى تطلع اليه الرجلان ، وقد مس هذا الإصلاح النواحى الآتية :

(١) تعديل الأساس الذى قامت عليه الحياة المدرسية .

(٢) وضع الخطط والمناهج المنظمة للتعليم فى مختلف مراحله .

(٣) العناية بهيئة التدريس وإنشاء مدرسة لإعداد المعلمين .

واتخذ الإصلاح شكل لوائح صدرت فى أوائل سنة ١٨٧٤ وهى اللوائح الآتية[١] :

(١) ترتيب قبول التلاميذ بالمدارس الملكية فى ١٨ ذى الحجة ١٢٩٠ (يناير ١٨٧٤) .

(٢) ترتيب الداخلية بالمدارس الملكية والمكاتب الأهلية فى ٤ المحرم ١٢٩١ (فبراير ١٨٧٤) .

(٣) ترتيب دار المعلمين فى ٤ المحرم ١٢٩١ (فبراير ١٨٧٤) .

(٤) ترتيب المعلمين والنظار بالمكاتب الأهلية والمدارس الملكية فى ١٢ ربيع الأول ١٢٩١ (ابريل ١٨٧٤) .

(٥) خطة الدراسة الابتدائية .

(٦) خطة الدراسة التجهيزية .

---

(١) نشرنا هذه اللوائح فى ملحقات الكتاب (الجزء الثالث) .

(٧) خطة الدراسة بمدرسة دار العلوم .

(٨) خطة الدراسة بمدرسة الإدارة (الحقوق) .

(٩) خطة الدراسة بمدرسة المهندسخانة .

(١٠) خطة الدراسة بمدرسة العمليات .

(١١) خطة الدراسة بمدرسة المساحة والمحاسبة .

وقد قامت خطة رياض — ومعاونه دور — فى تعديل الحياة المدرسية على أساس إشراك الأهالى فى تحمل نصيبهم من نفقات تعليم أبنائهم . وإذا كان على مبارك قد سبق رياضا إلى تقرير هذا المبدأ ، إلا أنه لم ينص على طريق واضحة لتنفيذه ، ولهذا فقد تعطل تنفيذه . أما رياض فتقوم خطته على تقسيم التلامذة فى المدارس قسمين : تلامذة بالقسم الداخلى وتلامذة بالقسم الخارجى . ويقسم كل فريق ثلاث درجات : فتلاميذ الدرجة الأولى هم أصحاب اليسار وتلاميذ الدرجة الثانية هم أوساط الناس وتلاميذ الدرجة الثالثة هم الفقراء . وتلاميذ الدرجة الثالثة بالقسم الداخلى وهم « الأيتام والفقراء » تتكلف الحكومة جميع نفقاتهم ، أما تلامذة الدرجة الثالثة بالقسم الخارجى فلا يدفعون للحكومة فى مقابل تعليمهم شيئاً وإنما يلتزمون بأدوات التعليم والمأكل والملبس .

أما تلاميذ الدرجتين الأولى والثانية سواء بالقسم الداخلى أو القسم الخارجى فهم الذين يؤدون للحكومة نفقات تعليمهم ومقامهم بالمدارس . ولكن يظهر أن رياضاً لم يراع ضرورة السير بحذر فى تقرير مبدأ المصروفات المدرسية وتطبيقه ، بل نراه قد غالى فى تحديد قيمة هذه المصروفات : فتلميذ الدرجة الأولى سواء أكان بالقسم الداخلى أو الخارجى يؤدى للحكومة فى السنة ٢٦ جنيهاً لقاء التعليم والكسوة والغذاء الخ

وتلميذ الدرجة الثانية الداخلى يؤدى للحكومة فى السنة ١٤ جنيهاً ، أما الخارجى فيؤدى لها اثنى عشر جنيهاً ، أما تلميذ الدرجة الثالثة فلا يؤدى شيئاً (المادتان ٤ و٥) ، والتلميذ الخارجى الذى يريد أن يتناول غذاءه فى المدرسة يدفع لها فى كل شهر ٣٠٠ قرش (المادة ٨) ، و « تفريق درجات التلامذة الداخلية والخارجية كما سبق إيضاحه يكون على حسب تفاوت أحوال الناس فى القدرة والميسرة حسب ما يرى برأى ناظر ديوان المدارس » (المادة ٥) ، ونلاحظ أيضاً أن اللائحة لم تحدد رسوماً معينة لكل مرحلة من مراحل التعليم ، بل جعلت تلميذ المدرسة الابتدائية يدفع من الرسوم المدرسية ما يدفعه تلميذ المدرسة الخصوصية .

وعنيت اللائحة كذلك بتحديد سن التلامذة بالمدارس : فتلميذ المدرسة الابتدائية تتراوح سنه بين الثامنة والثانية عشرة ، وتلميذ المدرسة التجهيزية لا تزيد سنه على الخامسة عشرة ، وتلميذ المدرسة الخصوصية لا تزيد سنه على السابعة عشرة . ويجب أن « تكون فيه القابلية والأهلية لتلقى الفنون الجارية فى المدرسة التى يراد إلحاقه بها سواء كانت تجهيزية أو خصوصية » (المادة ٧) .

وتلميذ الدرجة الثالثة وهو الذى يتعلم على نفقة الحكومة يعد (ابنا) لها ، ولذلك « ليس لأهله حق فى طلب إخراجه من المدارس إلا بعذر صحيح وكذا النقل من مدرسة إلى غيرها » (المادة ١٤) .

قصد رياض بهذا الإجراء أن يزيل من أذهان الناس تلك الفكرة التى سيطرت عليهم : وهى أن الحكومة ملزمة بأن تتحمل نفقات تعليم أبنائهم وغذائهم وكسائهم الخ . ووضع رياض مبدأ جديداً وهو أن الحكومة ليست ملزمة إلا بتعليم الفقراء من الناس أما أغنياؤهم وأوساطهم فيدفعون رسوماً حددت طبقاً لدرجة يسارهم . وهذا

الإجراء — أو الإصلاح إن شئت — يخفف كثيراً من الأعباء المالية التى كانت الحكومة تنوء بها والتى كانت تقيد نشاط الحكومة فى نشر التعليم الحديث ، وبذلك تستطيع الحكومة أن تسير فى نشر التعليم بخطى واسعة مطمئنة إلى تأييد الناس لسياستها واحتفالهم لنجاح أبنائهم وتقدمهم ، وبذلك تتصل المدرسة بالبيت ويتعاون الطرفان على تربية الناشئين .

وبذل رياض ودور جهوداً مضنية لتحقيق خططهما فى الإصلاح ، وقد شكا رياض من أنه لم يجد من رجال التعليم من يثق فيه لفهم أغراضه الاصلاحية ، حتى إن الرجلين — كما يقول رياض — [1] قضيا ستة أشهر (وهى المدة التى مكثها رياض مديراً لديوان المدارس) يمتحنان بنفسيهما تلامذة المدارس ليضعا كل تلميذ فى الفرقة الملائمة له .

وما أن انقضت هذه الشهور الستة حتى أبعد رياض لديوان آخر . وتعطل الإصلاح الذى وضع قواعده رياض ودور ، فالمدارس لا تزال مكتظة بالتلاميذ الداخليين الذين يتعلمون على نفقة الدولة وتزيد سنهم على الحد الذى حددته اللائحة ، ومشروع إنشاء مدرسة المعلمين تأخر تنفيذه حتى سنة ١٨٨٠ على الرغم من جهاد دور بك لإقناع الحكومة بضرورة المبادرة إلى تنفيذه ، ومناهج التعليم الابتدائى التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ لم تطبق تماما على جميع المدارس الابتدائية (الراقية) كما لاحظ تقرير القومسيون فى سنة ١٨٨٠ . وأهم من هذا كله أن الوقت لم يتسع لرياض ودور فى هذه الفترة القصيرة لتحقيق مشروع التعليم القومى على النحو

---

(١) Riaz Pacha, Eloge de Dor Bey. (Bull. Soc. Khédiv. de Géographie. I èr série, nos 9 - 10. p. 77 - 80).

الذى رسمه دور فى كتابه أو على مبارك فى لائحته .

وهكذا تعطل الإصلاح الذى بدأه رياض ودور فى سنة ١٨٧٣ — ١٨٧٤ حتى تهيأت الأسباب بعد ست سنوات حين عاد دور إلى منصبه فى رياسة التفتيش بعد غيبة قصيرة وعين رياض باشا ناظراً للنظار ، وعاد الرجلان يتعاونان من جديد لتحقيق مشروع التعليم القومى .

رابعا — مشروع التعليم القومى : سنة ١٨٨٠

فى سنة ١٨٨٠ كانت مصر على مفرق الطرق : إذ خرجت وشيكا من عصر صاخب حافل بالتغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية : هو عصر إسماعيل وبدأت تدخل فى عصر جديد تأمل أن توفر له أسباب النجاح وأن تفيد من التجارب السابقة ما يمكنها من أن تحيا فيه حياة مستقرة .

وفى ذلك الوقت اشتد الشعور بضرورة الإصلاح ، سواء من جانب الأمة أو من جانب الحكومة . وكان الرأى العام المستنير يشارك الحكومة الشعور بضرورة الإصلاح ويود أن يعينها عليه ويرسم لها خططه . وهذه اليقظة التى نلحظها فى الرأى العام المستنير خير دليل على نجاح التعليم فى المساهمة فى تكوين الرأى العام . وبذلك وجدت إلى جانب الحكومة قوة الرأى العام الذى يسند الحكومة فى سياسة الإصلاح ويشاركها الرأى تارة ويتقدم لنقدها تارة أخرى . ولقد كان انعدام قوة الرأى العام فى عصر محمد على من أقوى العوامل فى انهيار كثير من أعماله وخططه وفى مقدمتها نظامه التعليمى الحديث . أما الآن — فى سنة ١٨٨٠ وما بعدها — فقد بدأ الرأى العام المستنير يتحرك ويعبر عن نفسه بالخطابة والكتابة .

ومن ذلك مقالات الشيخ محمد عبده التى نشرها فى ذلك الوقت فى الوقائع المصرية — وكان رئيساً لتحريرها — وانتقد فيها « نظارة المعارف ومثل مساوىء التعليم والتربية فى مدارسها شر تمثيل »[١] ، وفى بعض مقالاته دعا محمد عبده الحكومة إلى إنشاء مدارس ليلية للتعليم الأولى ليتلقى فيها العلم الرجال الذين لم تمكنهم ظروفهم من متابعة التعليم[٢] ، وفى مقالات أخرى دعا نظارة المعارف إلى ضرورة العناية بتخير المدرسين والنظار الأكفاء وتنظيم التفتيش ووضع كتب دراسية جديدة فى العلوم العربية[٣] .

ويبدو أن السيد رشيد رضا يبالغ فى أثر دعوة محمد عبده الإصلاحية فى ذلك الوقت ، فيقول إن رياض باشا « اقتنع بما فى نظارة المعارف من الخلل وعلم أن ما يكتب فى الجريدة الرسمية حق فذاكر الفقيد (محمد عبده) فى ذلك وفى وسائل تلافيه » ، وكان مما اقترحه محمد عبده « أن يكون للمعارف مجلس أعلى يكون له الحكم الفصل فى إدارة المعارف العمومية ويكون الناظر (ناظر المعارف) منفذاً لما يقرره » ويقول رشيد رضا أن رياضا اقتنع بالاقتراح الأخير واستصدر به أمراً عالياً[٤] .

والواقع أن الشيخ لم يكن أول من اقترح إنشاء مجلس أعلى للمعارف ، وسنرى أن « اتحاد الشبيبة المصرية » قد سبقه إلى ذلك الاقتراح قبل ذلك بعام . والحق أن إنشاء

---

(١) تاريخ الامام للسيد رشيد رضا ج ١ ص ١٤٠

(٢) الوقائع ٩٩٠ فى ١٨ المحرم ١٢٩٧ و ٩٩٧ فى ٢٦ المحرم ١٢٩٨ من تاريخ الامام ج ٢ ص ٧٠ — ٧٢

(٣) الوقائع ٩٩٣ فى ٢١ المحرم ١٢٩٨ — من تاريخ الامام ج ٢ ص ٧٣ — ٧٧

(٤) تاريخ الامام ج ١ ص ١٤٠

مجلس المعارف فى سنة ١٨٨٠ لم يكن سوى ثمرة من ثمار « قومسيون تنظيم المعارف » فى سنة ١٨٨٠ .

ومن مظاهر يقظة الرأى العام تلك الجمعية التى تكونت فى سنة ١٨٧٩ ودعت نفسها (اتحاد الشبيبة المصرية l'Union de la Jeunesse égyptienne) ، ويدعوها جورجى زيدان (جمعية الشبان) ويقول إنها أنشئت فى الاسكندرية قبيل الثورة العرابية للاحتجاج على لائحة فرنسا وانجلترا وطالبت أيضاً بإنشاء بنك وطنى فراراً من استئثار الأجانب بمرافق البلاد ، وكثيراً ما كان يحضر اجتماعاتها محافظ الاسكندرية عمر باشا لطفى ، وضمن لها السعى لدى الحكومة فى مطالبها ، ومن أعضائها السيد إبراهيم أبو هيف وإبراهيم بك سعود ومحمد بك شوباشى وعبد القادر الغريانى[١] .

وفى سبتمبر ١٨٧٩ تقدمت هذه الجمعية بمشروعاتها فى الإصلاح[٢] وقد رأت أن من الأسباب الرئيسية لسوء الحالة عدم كفاية التعليم العام[٣] على الرغم مما للتعليم من أثر بالغ فى رقى البلاد ، إذ هو الوسيلة لأن يفهم الشعب الإصلاحات ويتقبلها وينصب نفسه حارسا عليها . وذهبت الجمعية إلى أن الدولة فى مصر — حيث الباعث الشخصى منعدم — عليها واجب العناية بنشر التعليم وجعله ملائما لحاجات البلاد ، ولما كانت الدولة لا تجد فى ميزانيتها من المال ما يكفى لتحقيق هذه الغايات فينبغى أن ينهض الأهلون والبلديات أو الحكومات المحلية بنصيبهم فى نفقات التعليم . أما عن التعليم نفسه فيجب أن يكون حراً ، فيباح لكل فرد أن ينشئ مدرسة ويعلم فيها ما يشاء فى حدود الأخلاق العامة ، على أن تحتفظ الدولة بسلطة منح الإجازات والدرجات

---

(١) جورجى زيدان : تاريخ الآداب العربية ج ٤ ص ٩١ — ٩٢

(٢) Projet de Réformes . . . par l'Union de la Jeunesse Egyptienne. 1879.

(٣) المصدر السابق ص ٦ و ١٤ — ١٦ و ٧٧ — ٨٤

العلمية . ويجب أن ينتشر التعليم الابتدائى فى كل قرية ويقدم مجانا لجميع أبناء الأمة ، ويقصر على تعلم القراءة والكتابة وقواعد الحساب الأربع ، وينبغى أن يكون كل معلم مزوداً من نظارة المعارف بشهادة تثبت أهليته لممارسة مهنته .

أما التعليم الثانوى فتنشأ له مدرسة فى كل مركز من المراكز الكبيرة . وفى التعليم العالى اقترح « اتحاد الشبيبة المصرية » إنشاء مدرستين للزراعة : إحداهما فى طنطا والأخرى فى أسيوط وإنشاء كلية للحقوق بالقاهرة تغنى الحكومة عن إرسال الطلاب المصريين لدراسة الحقوق فى أوروبا .

ولم يهمل « الاتحاد » الثقافة العامة : فاقترح أن تنظم محاضرات عامة فى مختلف فروع العلم لتمكن الذين لم يستطيعوا متابعة الدروس النظامية من أن يأخذوا بنصيب من مزايا التعليم .

وفى الإدارة التعليمية اقترح « اتحاد الشبان » إنشاء مجلس أعلى للمعارف ومجالس تعليمية إقليمية . وسنرى أن كثيرا من هذه المقترحات رددها بعد ذلك على باشا إبراهيم ناظر المعارف فى مذكرته إلى مجلس النظار وأعضاء قومسيون تنظيم المعارف أو لجنة إصلاح التعليم فى سنة ١٨٨٠ .

وكانت الحكومة — وعلى رأسها فى ذلك الوقت مصطفى رياض باشا — تشارك الرأى العام المستنير الشعور بضرورة الإصلاح ، وقد حاول رياض أن يحقق الإصلاح « عن طريق الإدارة النزيهة الشريفة آمنا الضغط الأوروبى بالتفاهم مع الرقابة الأجنبية المفروضة على مصر من جهة وتدخل القصر بمسايرته من الجهة الأخرى » [١] ، ونهض

---

(١) شفيق بك غربال : خبير سويسرى فى خدمة التعليم المصرى فى عهد اسماعيل ف . ادوار دوربك بمجلة التربية الحديثة العدد الرابع من السنة العاشرة فى ابريل ١٩٣٧

رياض فى سنة ١٨٨٠ (لتصفية) كثير مما خلفه العهد الماضى من مشكلات : فرسم بالغاء السخرة وإصلاح الرى وأبطل الارهاق فى جمع الأموال الأميرية وأصدر قانون التصفية وأصلح الوقائع وإدارة المطبوعات وأصلح نظام الجندية والمحاكم[1] ، وشجع النهضة الثقافية حين استدعى السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر وأكرم وفادته ، كما أنه أعان على ظهور مواهب الشيخ محمد عبده حين نصبه رئيساً لتحرير الجريدة الرسمية ومديراً للمطبوعات[2] .

وكان رياض باشا يقدر أن إصلاح التعليم ينبغى أن يكون فى مقدمة الإصلاحات التى تنهض بها الحكومة : فاصلاح التعليم يؤدى إلى إصلاح الأداة الحكومية وهو الأمر الذى كانت الحكومة تشعر بمسيس الحاجة اليه . وأتيح له إذ ذاك أن يفيد من خبرة وكفاية رجلين كان لهما فى نهضة التعليم أثر لا ينكر وفضل لا يجحد : أحدهما مصرى عاصر المدارس الحديثة منذ نشأتها طالبا ومعلما وناظرا وعضواً فى الإدارة المركزية ، والآخر غريب عن البلاد ولكنه خبير فى شئون التربية ساقته ظروفه الخاصة إلى النزول بضفاف وادى النيل ثم ساقته مهنته إلى بحث مسائل التعليم والتربية فى مصر بحثاً تاريخياً بيداجوجياً عميقا ووجدت فيه حكومة إسماعيل خبيرا يستطيع أن تستعين به فى إصلاح التعليم فوضعته على رأس الهيئة الفنية فى الإدارة التعليمية . وأمل رياض أن يحقق بمعاونة على باشا إبراهيم ناظر المعارف وإدواردور بك المفتش العام للمدارس الملكية آماله فى إصلاح النظام

---

(١) تاريخ الإمام للسيد رشيد رضا ج ١ ص ١٧٠ — ١٨١ وحقائق الأخبار لسرهنك باشا ج ٢ ص ٣٧٠

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩

التعليمى بتحقيق مشروع التعليم القومى . وكان الرجال الثلاثة متفاهمين أتم تفاهم على خطة العمل ، وقد بدأ تنفيذها بمذكرة تقدم بها على باشا إبراهيم ناظر المعارف إلى مجلس النظار فى مايو ١٨٨٠ (١) . وقارىء هذه المذكرة يلحظ من أسلوبها أنها ترجمة عربية لمذكرة وضعت باللغة الفرنسية ، ويلحظ فيها قلم دور بك وتفكيره البيداجوجى .

واجه على إبراهيم بشجاعة فى مذكرته وجوه النقص فى النظام التعليمى الحديث : فأشار إلى قصور التعليم الابتدائى عن أن ينتشر فى أية جهة بمصر ما عدا القاهرة ، وبسبب هذا القصور لا يستطيع التعليم التجهيزى أن يختار لمدارسه مجموعة منتقاة من التلاميذ الذين أتموا الدراسة الابتدائية ، ولا يقف هذا الضرر عند حد التعليم والمدارس ، وإنما يتناول الأداة الحكومية على وجه العموم ، فان « المصالح الميرية لما لم يمكنها أن تتحصل على توظيف أشـــخاص بلغوا درجة إكمال التعليم فتوظف فى أكثر الأحوال بعض تلامذة فى خدمات ليسوا أهلا لها » .

وقد نتج من الأسلوب الذى جرت عليه الحكومة فى مدارسها أن « سرى الاعتقاد وتشعب فى قلوب الجميع أن الحكومة المصرية ملزومة على أن تخدم جميع التلامذة الخارجين من المدارس بعد انتهاء الدراسة حتى من لن يصلوا إلى درجة الاستعداد اللازم » .

---

(١) تجد نصها الكامل فى مجموعة الديكريتات والتقريرات وما يتبعها ، القسم الأول . بولاق ١٢٩٨ . ص ٢٤٥ — ٢٤٨ . وقد أورد خلاصتها أمين باشا سامى فى كتابه : التعليم فى مصر ص ٣٦ — ٣٨ ، وقد نشرناها فى ملحقات الكتاب (الجزء الثالث) .

وبعد أن وضع على إبراهيم يده على الداء أشار بالعلاج: أشار بأن يؤذن لنظارة المعارف أن تعطى المنتهين بنجاح فى كل مرحلة من مراحل التعليم شهادات مدرسية . لم يرد على ابراهيم من هذه الشهادات أن تكون — كما أصبحت فعلا — جوازا إلى وظيفة حكومية ، وإنما قصد بها أن تحول دون التحاق تلميذ بمدرسة أعلى من مدرسته إلا إذا أتم علوم مدرسته الأولى ، وكذلك لا يلحق تلميذ من المدارس الخصوصية باحدى وظائف الدولة إلا إذا أتم علومه بمدرسته الخصوصية .

ولكن إصلاح التعليم عامة لا يتم إلا بانتشار « دائرة المعارف بين جميع أهالى الديار المصرية وسريانها بالتدريج حتى تصل إلى أهالى الأرياف لكى توجد عند ذرياتهم المستجدة احتياجا إلى التعليم وإحساسا بمالهم من الحقوق الوطنية وما عليهم من الواجبات فى حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة » ، ولا يتم ذلك إلا إذا أنشئت بكل قرية « مهمة » مدرسة ابتدائية من الدرجة الثالثة وفى كل بندر من قسم أو مدينة صغيرة أو قرية كبيرة مدرسة من الدرجة الثانية وفى كل قاعدة مديرية أو مركز مهم عدد من المدارس الابتدائية من الدرجة الأولى .

وقدّر على باشا إبراهيم العقبات التى تعترض هذا المشروع الضخم وأهمها عقبتان : الأولى عدم توافر المال اللازم ، وقد ناشد ناظر المعارف مجلس النظار أن يزيد القدر من المال المخصص لنظارة المعارف فى ميزانية الدولة ، كما أنه اقترح أن تدبر موارد (أهلية) فاقترح أن يؤذن للنظارة أن تطلب « مساعدة محدودة من الأهالى لهذا المشروع وتوسط عمدهم والحكومات المحلية فى ذلك » ، واشتراك الأهالى فى حمل الاعباء المالية للتعليم يخفف عن الدولة بعض أعبائها المالية و « الأهالى ترغب زيادة فى المدارس التى يصرفون عليها أكثر من المدارس المستجدة التى تنتسب للميرى خاصة » .

والعقبة الثانية : قلة المعلمين الأكفاء . واقترح على باشا إبراهيم أن تصلح الحكومة مدرسة دار العلوم ، وقد أنتجت « نتائج في الواقع شافية مرضية » ، إلا أنه ينقصها تدريس علوم التربية وطرق التدريس . واقترح أيضا إنشاء مدرسة عالية لتخريج معلمين لتعليم اللغات الأجنبية والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية .

وهـــذا المشروع الضخم — مشروع نشر التعليم الأولى الابتدائى — لا يتحقق إلا إذ تضافرت كل الجهود وعبئت قوى الدولة كلها للعمل على نجاحه . لهذا « يجب على جميع أرباب الوظائف الميرية على اختلاف طوائفهم ورتبهم ومصالح كل منهم أن يعظوا النـاس ويحثوهم على ضرورة انتشار المعارف بينهم ومسـاعدة تلك المدارس بالرغبة فيهـا والميل الكلى إليها ولا يمكن الوصول إلى تمـام نوال هذا المشروع إلا بواسطة اجتماع جميع القوى المتعددة مهما كانت ضعيفة بانفرادها » .

أما الإدارة التعليمية فيجب أن تعدل بما يكفل مواجهة الحاجات التعليمية الجديدة : فينشأ مجلس أعلى للمعارف ليشـــير على النظارة « بالتحسينات اللازمة للمدارس » وينقح مناهج التعليم ويختار الكتب المدرسية الصالحة ، ويجب كذلك إيجاد « مصلحة ترجمة كثيرة الاتساع عن الموجودة الآن » .

ولم يعد على باشا إبراهيم مجلس النظار بالحصول على نتائج عاجلة ، فإنه « لا يمكن مع بذل المجهود تقدير الزمن اللازم لاتساع دائرة المعارف بالسنين بل يمكن تقديره فى الغالب بالأجيال » على أن تتضافر القوى وتتوالى الجهود .

وتقبل مجلس النظار مذكرة ناظر المعارف قبولا حسناً ، وأقرّ وجهات نظره فى ضرورة العناية بالتعليم لرفع مستوى الأداة الحكومية ، فإنه « طالما صار البحث عن مثل (هؤلاء) المستخدمين الذين نحن فى احتياج لمساعدتهم لنجاح العمل . . .

فما أمكننا وجودهم فى نفس القطر ولا يتأتى دفع هذه الحالة إلا بتحسين طرق التعليم والتدريس العام فهذه هى الوسيلة الوحيـــدة لإزالتها » ، وكذلك أقرّ طلب ناظر المعارف رفع ميزانية نظارة المعارف مع مراعاة « حالة البلاد الاقتصادية » ، وأقر أيضا مبدأ اشتراك الأهالى فى نفقات المنشئات التعليمية الجديدة . واستصدر مجلس النظار من الخديوى فى ١٧ مايو ١٨٨٠ قراراً بتأليف لجنة أو « قومسيون » لدرس حالة التعليم فى مصر واقتراح الوسائل الناجعة لإصلاحه ونشره طبقا للقواعد التى رسمها ناظر المعارف فى تقريره . وشكل القومسيون من :

على باشا إبراهيم ناظر المعارف رئيساً ، وعبد الله باشا فكرى وكيل المعارف ولارمى باشا ناظر المدرسة الحربية والدكتور سالم باشا رئيس مجلس الصحة ودور بك المفتش العام بالمعارف وروچرس بك وكيل أملاك الميرى (وكان قبل ذلك وكيلا لديوان المدارس) وڤيدال بك ناظر مدرسة الإدارة (الحقوق) أعضاء [١] .

وتوفرت لجنة إصلاح التعليم أو « قومسيون تنظيم المعارف » — كما كان يدعى — على مهمته وأتمها بعد أشهر ورفع تقريره الى مجلس النظار فى سنة ١٨٨٠ [٢] . وكان دوربك الشخصية البارزة العـاملة والقوة المحركة فى هذه اللجنة ، وإذا كان دور قد مات قبل أن تتم اللجنة عملها وتحرر تقريرها فان أثره فيها كان واضحاً والجهد الذى بذله

---

(١) مجموعة الديكريتات والتقريرات ... ص ٢٤٤ — ٢٤٥ وأمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٣٩

(٢) تقرير قومسيون تنظيم المعارف . طبع بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز سنة ١٢٩٨ هـ ومنـــه نسخة بالفرنسية Rapport de la Commission pour les réformes dans l'organisation de l'Instruction publique, le Caire. 1881. وقد عولنا على الأصل الفرنسى ونشرنا ترجمته كاملة فى ملحقات الكتاب (الجزء الثالث)

ظل ماثلا فى تقريرها النهائى . فقد رفع دور إلى اللجنة تقارير مستفيضة — أوردت اللجنة منها فى تقريرها العام مقتطفات كثيرة — عن التعليم الابتدائى والتعليم التجهيزى وكثير من المدارس الخصوصية ، كما أننا نلمس فى دراسة اللجنة للتعليم الأولى — الابتدائى ومقترحاتها لإنشاء التعليم القومى أثر دور واضحا . وقد نوهت اللجنة فى مستهل تقريرها بالخسارة التى أصابتها بفقد هذا العضو الذى كانت له « معرفة تامة بجميع تفصيل هذا المشروع وفكرة وقادة فى معرفة سير جميع فروع المعارف العمومية »[1] .

يقوم تقرير القومسيون على دراسة تاريخية بيداجوجية للمنشئات التعليمية القائمة فى مصر ، وقد عمل على تدعيم هذه الدراسة بإحصاءات مستفيضة ، وقسم دراسته بين فصول سبعة : تحدث فى الفصل الأول عن التعليم الابتدائى وقد شغل بحثه لهذا التعليم مكانا ممتازاً فى التقرير وفى الفصل الثانى عن التعليم التجهيزى وفى الفصل الثالث عن التعليم الخصوصى . أما الفصل الرابع فبحث عام عن « مواد عمومية تتعلق بالتعليم » كتدريس المواد الدراسية المختلفة واقتراح إنشاء مجلس أعلى للمعارف ومجالس التحسين المدرسية ومجلس التأديب ومكتبات المدارس والتفتيش الصحى ، وفى الفصل الخامس تحدث القومسيون عن البعثات العلمية إلى أوروبا والمدارس الأجنبية ، وفى الفصل السادس عن مواد إدارية كتوحيد إدارة التعليم وميزانيته ، وفى الفصل السابع — وهو الأخير — أجمل القومسيون بياناً بمقترحاته والتحسينات التى اقترحها وتتطلب نقوداً جديدة فى ميزانية المعارف .

وليس غرضنا فى هذا الفصل أن نسرد بحوث القومسيون فى هذه النواحى

---

(١) تقرير القومسيون ص ٣

المختلفة ، فموعدنا بذلك الفصول الآتية ، حيث أتينا عند كل دراسة لإدارة التعليم أو ناحية من نواحيه على مقترحات القومسيون بشأنها وحظها من التنفيذ . وقد عقدنا لمشروع التعليم الأولى — الابتدائى القومى كما رسمه القومسيون — وهو فى رأينا أهم فصول البحث فى تقريره — فصلا خاصاً من فصول بحثنا فى التعليم الأولى الابتدائى . ونكتفى بأن نقول هنا إن المطلع على تقرير القومسيون يستطيع أن يميز فيه — كما فعل أمين باشا سامى[1] — قسمين : القسم الأول خاص بنشر التعليم الأولى الابتدائى فى مصر ، والقسم الثانى خاص ببحث حالة المدارس القائمة واقتراح وسائل تحسينها .

وقد قام بحث القومسيون فى موضوع نشر التعليم على المبدأ الذى وضعه على إبراهيم باشا فى مذكرته : وهو اعتبار أن التعليم (الابتدائى) كما نظمته الحكومة فى مدارسها الأميرية ومكاتبها الأهلية والتعليم (الأولى) فى الكتاتيب يكوّن « وحدة » متصلة الحلقات . وقد رأيت أن لائحة رجب ١٢٨٤ حاولت إصلاح الكتاتيب وإدخالها فى نظام التعليم العام بجعلها الأساس الذى يقوم عليه هذا النظام واستخدامها أداة لنشر التعليم فى مصر ، ورسمت لهذا إخضاعها لهيمنة الدولة ممثلة فى ديوان المدارس تمهيداً لإصلاحها ورفع مستواها الصحى والتعليمى . ولكن الجهود التى بذلت لتحقيق هذا الإصلاح لم تثمر ، وظلت الكتاتيب إلى سنة ١٨٨٠ باقية على ما كانت عليه فى سنة ١٨٦٧ حين وضعت لائحة رجب وقبل سنة ١٨٦٧ ، وظلت الهوة قائمة بين نظامى التعليم : العربى القديم والأوروبى الحديث . ورأى دور بك أن لاسبيل لسد هذه الهوة إلا إذا قام على أنقاض هذين النظامين نظام قومى واحد للتعليم ، فاستبدل

---

(١) التعليم فى مصر ص ٣٩ — ٤٣

بالكتاتيب مكاتب ابتدائية من الدرجة الثالثة (أو مدارس أولية بالمعنى الذى نفهمه الآن) واعتبرت المدارس الابتدائية القائمة مكاتب ابتدائية من الدرجة الأولى ، وأنشئت لسد الثغرة بين هذين النوعين من المدارس مكاتب ابتدائية من الدرجة الثانية . وأقرّ على باشا إبراهيم فى مذكرته إلى مجلس النظار هذا المبدأ فى تأسيس التعليم القومى وعهد إلى قومسيون تنظيم المعارف وضع التفصيلات الكافلة لتطبيقه . ونهض القومسيون بهذا العمل : فبسط فى تقريره ما يجب أن تكون عليه هذه المكاتب من حيث عدد تلامذتها ومناهج التعليم فيها والأماكن التى تقام بها وهيئة التدريس بها ، كما نظم الصلة التى يجب أن تقوم بين هذه المكاتب والإدارات المحلية من ناحية والإدارة التعليمية المركزية (نظارة المعارف) من ناحية أخرى ، ووضع لتنظيم هذا كله قانونا للتعليم الابتدائى .

وعنى القومسيون بتدبير المعلمين الأكفاء للنهوض بهذا المشروع ، فوضع قانونا لإنشاء مدرسة مركزية ومدارس فرعية لتخريج المعلمين .

ويختلف مشروع القومسيون عن لائحة رجب فى أمر هام : فإن لائحة رجب قد اعترفت بالكتاتيب وأقرتها بل جعلت منها — بعد إصلاحها — الأساس الذى يقوم عليه النظام التعليمى وراحت بعد ذلك تنظيم المكاتب الأهلية والمدارس المركزية على نسق المدارس الابتدائية الأميرية . وأثمرت الجهود التى بذلت لبلوغ هذه الغاية الأخيرة ، فأصبحت المكاتب الأهلية والمدارس المركزية والمدارس الابتدائية الأميرية جميعا تتبع — أو تحاول أن تتبع — برنامجاً واحداً وتعد تلامذتها للحاق بالمدارس التجهيزية فالمدارس الخصوصية . ولهذا اعتبرها قومسيون ١٨٨٠ (مدارس ابتدائية راقية) . أما الكتاتيب فإن اللائحة لم تنظم من الوسائل ما يكفل لها بأن تتصل

بهذه المدارس الابتدائية الراقية وتعد لها تلامذتها ، بل إن الإصلاح اليسير الذى رسمته لائحة رجب للكتاتيب لم يتحقق منه شيء وظلت الكتاتيب على حالها ، بينما استقرت المدارس الابتدائية (الراقية) وارتفع مستواها .

أما مشروع القومسيون فلا يعترف بهذه الكتاتيب بوضعها الحاضر ، وإنما يشير بأن يستعاض عنها بمدارس ابتدائية بسيطة (من الدرجتين الثالثة والثانية) وكلما أنشيء بجهة ما عدد كاف من هذه المدارس ألغى ما يقابلها من الكتاتيب وهكذا إلى أن يتم إلغاء الكتاتيب جملة . وطبيعى أن هذه المدارس الابتدائية البسيطة لا تنشأ إنشاء وإنما تقام على (أنقاض) الكتاتيب ، فهى تأخذ من الكتاتيب صبيتها ومعلميها (بعد أخذهم بشيء من الدراسة المنتظمة) .

ولائحة رجب وزعت التعليم الابتدائى بين مكاتب أهلية ينفق عليها من موارد (أهلية) كان أهمها إيراد جفلك الوادى ومدارس ابتدائية ينفق عليها من ميزانية الدولة . أما مشروع القومسيون فيقوم على أن التعليم الابتدائى بمدارسه على اختلاف درجاتها عمل قومى تنهض به الأمة عن طريق ضريبة خاصة تؤديها لنشر التعليم الابتدائى وعن طريق إعانة مالية ترصدها الدولة من ميزانيتها للمساعدة على نشر التعليم . وقد رأيت أن الجهود التى بذلت لإصلاح الكتاتيب لم يصحبها التوفيق لأن المال قد أعوزها ، إذ لم تستطع الحكومة أن تدبر الموارد الأهلية التى رسمتها اللائحة .

وفى القسم الثانى من بحث القومسيون وهو الخاص بالمنشئات التعليمية القائمة عمل القومسيون على سد وجوه النقص فيها ، وقدم لهذا الغرض مقترحات ثمينة منها :

(١) إنشاء دراسة تكميلية فى الزراعة أو الصناعة للتلاميذ الذين يتمون التعليم الابتدائى ولا تمكنهم ظروفهم المادية أو العقلية من متابعة الدراسة التجهيزية .

(٢) إلغاء الفرق التجهيزية بالمدارس الابتدائية والدعوة إلى افتتاح مدارس خاصة بالتعليم التجهيزى ، على أن تسير النظارة فى إنشائها بحذر إلى أن يتم إنشاء مدرسة المعلمين ويبدأ تخريج المعلمين الأكفاء .

(٣) وعمل القومسيون على سد وجوه النقص فى التعليم العالى : فاقترح إنشاء مدرسة للمعلمين ومدرسة عليا للإدارة ، وقدم مقترحات معينة لتحسين المدارس الخصوصية القائمة .

(٤) إنشاء مدرسة لإعداد المعلمين ، ووضع القومسيون لهذه المدرسة نظاما جميلا لو أتيح له أن ينفذ لجنبنا كثيراً من المشكلات التى تواجهنا إلى اليوم فى تخريج المعلمين وأخصها تعدد المعاهد القائمة لهذا الغرض . فقد وضع مشروع القومسيون على أساس أن يكون إعداد مدرسى جميع المواد فى مدرسة مركزية واحدة مقسمة إلى قسمين : القسم الأول وهو عبارة عن مدرسة دار العلوم الحالية لإعداد معلمى العربية ، والقسم الثانى لإعداد معلمى اللغات والأدبيات والرياضيات والعلوم .

(٥) إنشاء مجلس أعلى للمعارف .

(٦) إنشاء مجالس (التحسين) بكل مدرسة .

(٧) إنشاء مجلس للتأديب .

(٨) إنشاء مجالس تعليمية بالأقاليم .

(٩) بسط رقابة نظارة المعارف على المدارس الأجنبية عن طريق التفتيش .

(١٠) توحيد الأموال التى تخصص للصرف على التعليم سواء من ميزانية الدولة أو إيراد الأوقاف .

وإلى هنا ينتهى هـذا العمل العظيم الذى نهض به أعضاء القومسيون فى إخلاص وكفاية ، ولـكن عملهم — فى الواقع — ليس ثمرة جهود فردية مهما كانت عظيمة وإنمـا هو ثمرة التجارب التى مر بهـا النظام التعليمى منـذ بدأ محمد على يضع قواعده الأولى. والواقع أننـا لا نزال إلى الوقت الحاضر بحاجة إلى دراسة هـــذه التجارب والإفادة منها فى الجهود التى نبذلها لإصلاح التعليم واستقراره .

أما مقترحات القومسيون وسياسته الإنشائية فلم تصادف كلها حظها من التنفيذ . والحق أن مجلس النظار ونظارة المعارف قد تقبلا هذه المقترحات بقبول حسن : فزيد القدر من المـال المخصص للمعارف فى ميزانية الدولة وصدرت التشريعات التى أشار بها القومسيون : فصدرت لائحة للتعليم الابتدائى وأخرى لمدرسة المعلمين ، وصدر قرار بإنشاء مجلس المعارف الأعلى ومجالس التحسين ومجلس التأديب . بل لقد بلغ من اهتمام الحـكومة بأعمـال القومسيون أنها شرعت تنفـذ المهم من قراراته التى تبلغهـا قبـل أن يتم القومسيون عمـله : ومن ذلك إنشاء مدرسة المعلمين المركزية بقسميها وإنشاء ثلاث مدارس ابتدائية من الدرجات الثلاث لتـكون نموذجا للمدارس التى تنشأ طبقاً لقانون التعليم الابتدائى الذى وضعه القومسيون .

ولـكن اضطراب الحالة فى مصر منذ أواخر سنة ١٨٨١ وماتلاها عطل الاصلاح فى التعليم ، وفى غير التعليم من المرافق الحيوية . على أن الجهود التى بذلها (القومسيون) فى سنة ١٨٨٠ لم تذهب عبثاً . فقد وضعت الأساس الذى يجب أن يقوم عليـه التعليم القومى ، وإذا كان البناء قد أوقف فقد ظل الأساس قائماً يدعو المهتمين باصلاح التعليم والداعين إليه إلى رفع البناء . وظل تقرير (القومسيون) إحدى الوثائق الهامة لدراسة حالة التعليم فى مصر فى القرن المـاضى ، بل ظل نقطة البدء لـكل دراسة تاريخية بيداجوچية تالية .

ميزانيـــة التعليم

ولما كانت ميزانية التعليم متصلة بالسياسة التعليمية أوثق اتصال فإنا نختم هذا الفصل بذكر ميزانيات التعليم من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٨٢ ، فننقل الأرقام التى ذكرها يعقوب أرتين باشا[١] والأرقام التى ورد ذكرها فى وثائق متفرقة وفى دفاتر الميزانيات بمحفوظات عابدين[٢] :

السنة	أرتين باشا	الوثائق	دفاتر الميزانيات	ملحوظات
	جنيها مصريا	بارة/قرشا / جنيها	بارة/قرشا / جنيها	
١٨٦٣	—			
١٨٦٤	—	٦١,٢٤٨/٥٧/٣٤ [٣]	٤٩,٨٥٩/٨٤/٢٣	
١٨٦٥	—	٩١,٠١٨/٣٦/٢٤ [٤]	٩٢,٤١٩/٦٧/٣٢	راجع ماقلناه عن اتساع التعليم فى هذه السنة .
١٨٦٦	—	—	١٤١,٣١٧/٤٢/٢٣	لم نعثر على وثائق لتوضح ميزانية التعليم فى هذه السنة.
١٨٦٧	—	٨ /٩٥,٩٤٣/٥٢ [٥]	١٤١,١٨٩/٥٣/١٩	كانت المدارس الحربية تابعة لديوان المدارس.

(١) يعقوب أرتين باشا : القول التام ..... ص ٢٤

(٢) دفاتر الميزانيات تحمل على التوالى الأرقام ٣٣٦ و ٣٤٠ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ .

(٣) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربى) ص ٨٥ إلى المالية فى ٢٣ ربيع الثانى ١٢٨٠

(٤) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ٥٧ رقم ٣٠ الى المالية فى ٩ جمادى الأولى ١٢٨١

(٥) دفتر سنة ١٥٨٤ (إرادات المدارس) ص ١ رقم ٦ أمر إلى مدير المدارس فى غرة ١٢٨٤

السنة	أرتين باشا	الوثائق	دفاتر الميزانيات	ملحوظات
	جنيها مصريا	بارة/قرشا / جنيها	بارة/قرشا / جنيها	
١٨٦٨	٦٧,٠٠٠	—/—/٦٧,٠٠٠ (١)	٧ /٩٨/ ٦٨,٩٩٤	فى هذه السنة نزعت المدارس الحربية ومكتب الأنجال وقلم الوقائع من ديوان المدارس .
١٨٦٩	٦٧,٠٠٠	٩١,٢٤٢/٩١/٢٦ (٢)	٧٠,١٨٧/١٧/١٣	
١٨٧٠	٦٧,٠٠٠	—/١٠/٦٦,٤٧٢ (٣)	٧٢,٠٣٥/٧٨/١٩	وفى بعض الإحصاءات: قرشا جنيها ١٦ / ٦٠,٣٤٨ (٤) وفى بعض الوثائق: — / ٦٥,٠٠٠ (٥) جنيها
١٨٧١	٥٠,٠٠٠	—/—/٥٠,٠٠٠ (٦)	٦٨,٦٤٥/٩١/١٤	

(١) دفتر سنة ١٥٨٤ (إرادات للمدارس) ص ١ رقم ٦ أمر إلى مدير المدارس فى غرة ١٢٨٤ .

(٢) ومن هذا المبلغ المتأخرات من السنة الماضية . دفتر ٤٢١ (مدارس عربى) ص ٢٨ رقم ٧٨ من المالية فى غرة شعبان ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربى) ص ١ رقم ٥ إلى المالية فى ١٠ جمادى الثانية ١٢٨٦

(٤) De Régny, Statistique . . . 1870

(٥) دفتر ٤٢٧ (مدارس عربى) ص ٧٩ رقم ١٦٢ إلى المالية فى ١٩ ذى الحجة ١٢٨٦

(٦) دفتر سنة ١٥٨٧ (رادات للمدارس) ص ٣ رقم ٥٠ أمر إلى المدارس فى ٤ رمضان ١٢٨٧ . وكان ديوان المدارس قد طلب بارة قرشا جنيها ٣٥ / ٦٩ / ٣٩٩ر٣٧ (دفتر ٤٢٩ =

السنة	أرتين باشا	الوثائق	دفاتر الميزانيات	ملحوظات
	جنيها مصريا	بارة قرشا جنيها	بارة قرشا جنيها	
١٨٧٢	٥٠,٠٠	٤٨,٣١٤/٩٨/١٠ (١)	٣٧,٢٤٠/١٠/ ٧	وفى بعض الإحصاءات: بارة جنيها ٨٣/ ٥٣,٠٢٠ (٢)
١٨٧٣	٤٩,٢٤٠	٤٩,٢٤٠/٣٧/ ٣ (٣)	٥٧,٦١٣/٦٤/٢١	ماهيات: بارة قرشا جنيها ٢٩ / ٤٩٤ / ٥,٣٨٧ مصروفات ١٤ / ٤٢ / ٤,٤٦٠
١٨٧٤	٥١,٨٢٠	٥١,٨٢٠/٧٢/١٠ (٤)	٥٧,٨٣٥/٦٩/—	ماهيات: ٥,٢٢١/٤٦/٣٠ مصروفات: ٥,١٤٢/١١١/٢١

= مدارس عربى ص ٥٥ رقم ٢٥٩ إلى المالية فى ١٠ ربيع الثانى ١٢٨٧) ثم قبلت المالية أن تقدم لديوان المدارس ٦٥٠٠٠ جنيه (دفتر ٤٤١ مدارس عربى) ص ١٢٥ رقم ٤٦ من المالية فى ٢٩ رجب ١٢٨٧ ثم استقر الرأى على ٥٠ ألف جنيه.

(١) جزء أول قيد التراتيب بالمجلس الخصوصى سنة ١٥٨٩ وكانت المالية قد قررت قبل ذلك مبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه (دفتر ٤٤٤ مدارس عربى) ص ٤٦ رقم ٣٥٢ من المالية فى ٢٢ جمادى الثانية ١٢٨٨

(٢) De Régny, Statistique . . . 1872. p. 91 - 94.

(٣) جزء أول قيد التراتيب بالمجلس الخصوصى سنة ١٥٨٩ .

(٤) دفتر ٤٧٤ (مدارس عربى) ص ٦٧ رقم ٥٢ من المالية فى ١٤ رمضان ١٢٩٠ وفى بعض الاحصاءات ٤٨٠١٧/٤٦ جنيها De Régny, Statistique . . . 1873. p. 294.

السنة	أرتين باشا	الوثائق	دفاتر الميزانيات	ملحوظات
	جنيها مصريا	بارة/قرشا / جنيها	بارة/قرشا / جنيها	
١٨٧٥	٦٠,٠٧٣	٦١,٣٠٢/٦١/٣١ (١)	٤٣,٧٠١/١٢/١٩	
١٨٧٦	٦١,٣٠٩			
١٨٧٧	٤١,٢٦٧			
١٨٧٨	٣٥,٧٤٠			
١٨٧٩	٤٥,١٠٨			
١٨٨٠	٥٩,٤١٥	٥٩,٤١٥ (٢)		
١٨٨١	٨١,٩٤٩	٨١,٩٤٩ (٣)		تلاحظ الزيادة المطردة في ميزانية التعليم بعد سنة ١٨٨٠ تنفيذا لتوصيات قومسيون تنظيم المعارف .
١٨٨٢	٨٨,٠٧٨			

ونرجو أن نكون بما قدمنا بين يديك من هذه الأرقام المضطربة ما يكفي للدلالة على صعوبة البحث في الناحية المالية من حكم إسماعيل على كثرة وثائقه ومصادره . وينبغي في بحث ميزانية التعليم في عهد إسماعيل أن نذكر الملاحظات الآتية :

(١) قبل سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ كانت ميزانية البعثات ومدرسة الطب خارجة عن ميزانية ديوان المدارس .

---

(١) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربي) ص ٨٢ رقم ٣٢ إلى المالية في شعبان ٢٢ ١٢٩١

(٢) Bull. des Lois et decrets. 1880 .

(٣) « « « « « 1881 .

(٢) ميزانية المدارس الحربية كانت مضطربة : فآنا تابعة لديوان المدارس وآنا أخرى خارجة عنها ، حتى سنة ١٨٦٧ حين نزعت المدارس الحربية نهائياً من ديوان المدارس .

(٣) فى سنة ١٨٦٧ نزعت المدارس الحربية ومكتب الانجال من ميزانية ديوان المدارس ، ولكن أضيف إليها ميزانية البعثات ومدرسة الطب وأنشئت مدارس كثيرة .

(٤) وأهم من ذلك يجب أن نلاحظ أن هـــذه الأرقام هى الميزانية الرسمية ، ولكن هناك ميزانية أخرى (أهلية) وهى الموارد التى كان يصرف منها على المكاتب الأهلية . وأهم هذه الموارد جفلك الوادى وقد رأيت [1] الإيراد الذى كان يغله ، وكان يتراوح بين نحو ١٩,٠٠٠ و ١٧,٠٠٠ و ٧,٠٠٠ و ١٢,٠٠٠ جنيه فى السنة .

(٥) من هذه الموارد (الأهلية) كان ينفق على جميـــع المدارس الابتدائية (المدارس المركزية والمكاتب الأهلية) عدا مدرسة المبتديان بالقاهرة ومدرسة الاسكندرية (وقد حولت وقتا ما إلى مكتب أهلى) ومدرسة المنصورة ، تمشياً مع سياسة الحكومة المالية وهى الاقتصار فى الصرف على المدارس الخصوصية والتجهيزية وترك التعليم الابتدائى أهلياً ينفق عليه من إيرادات المكاتب الأهلية .

(٦) أورد قومسيون تنظيم المعارف فى تقريره سنة ١٨٨٠ بياناً بمقدار ما تنفقه الدول على التعليم من ميزانياتها العامة ، نقتطف منه البيان الموجز التالى [2] :

---

(١) انظر فيما سبق ص ٢٥ — ٢٦

(٢) لم يذكر هذا البيان فى النسخة العربية من تقرير القومسيون وإنما ذكر فى الأصل الفرنسى : Rapport de la Commission, annexe c. p. 105.

الدولة	من ألف فرنك فى الميزانية العامة يخصص للتعليم		فى مقابل فرنك واحد ينفق على التعليم تنفق الدولة على المنافع العامة	
	س	ف	س	ف
الولايات المتحدة	٧	٢٥٧	٨٩	٣
سويسرا	٦٢	١٥٩	٢٦	٦
بروسيا	٢٦	٨٨	٣٣	١١
اليابان	٤٣	٨١	٢٨	١٢
إيطاليا	٧٠	٣٧	٥٢	٢٦
انجلترا	١٦	٣٤	٢٧	٢٩
فرنسا	٣٥	٣٢	٩١	٣٠
المجر	٥٠	١٨	٣	٥٤
مصر	٧٥	١٣	٨٦	٧٢
تركيا	٩٨	٧	١٩	١٢٥

الفصل الثالث

الادارة التعليميـــة

(١) ديوان المدارس

فى سنة ١٢٥٢ — ١٢٥٣ (١٨٣٦ — ١٨٣٧) أنشئت الإدارة التعليمية فى عهد محمد على : بدأت بإنشاء شورى المدارس ثم ديوان المدارس . وفى قانون « السياستنامة » الذى صدر فى ربيع الأول ١٢٥٣ (مايو ١٨٣٧) استقر ديوان المدارس بين سائر الدواوين التى تكونت منها الأداة الحكومية فى ذلك الوقت [١] .

وعلى الرغم من الانكماش الذى أصاب النظام التعليمى فى السنين الأخيرة من حكم محمد على فقد بقى ديوان المدارس قائما يرعى المنشئات التعليمية الباقية ويرعى إلى جانبها بعض المنشئات التعليمية التى تتصل بالتعليم عن قرب أو بعد كالوقائع والمطبعة والاسطبلات والهندسة .

وكذلك احتفظ عباس بديوان المدارس [٢] . ولكن نشاطه (التعليمى) أصبح

---

(١) انظر فى موضوع الادارة التعليمية فى عصر محمد على ص ٩٣ — ١٢٢ من كتابنا (تاريخ التعليم فى عصر محمد على) .

(٢) انظر عن ديوان المدارس فى عهد عباس الجزء الأول (تاريخ التعليم فى عصر عباس وسعيد) ص ٢٨ — ٤٧

محدودا : إذ لم يعد الديوان يشرف إلا على معهدين اثنين : مدرسة المهندسخانة بأقسامها الثلاثة ومدرسة الطب بأقسامها الثلاثة أيضا . أما التعليم العسكرى فى مدرسة المفروزة وما يلحقها فنزعه عباس من ديوان المدارس وجعله تابعاً لديوان الجهادية . وقد رأيت أن المهندسخانة كان لها من قوة شخصية ناظرها الطموح « على مبارك » ماهيأ لها قسطا كبيرا من الاستقلال ، بل إن اللوائح التى نظمت التعليم طوال عهد عباس لم يضعها مدير الديوان أو الهيئات الفنية فيه — إن كانت قد بقيت فيه هيئة فنية — وإنما وضعها رجال كانوا (خارج) الديوان ورفعوها إلى الوالى ونالوا موافقته عليها ، ولم نكد نلمس للديوان أثرا فى وضع هذه اللوائح ومناهج التعليم .

على أن ديوان المدارس — فى عهد عباس — استعاض عن هذا القصور فى الناحية التعليمية نشاطا ملحوظا فى ناحية أخرى ، هى ناحية الاشراف على الأبنية التى عاش عباس كلفا بها . وأكبر الظن أن قيام ديوان المدارس على شئون البناء والعمارة كان أهم ما دعا عباسا إلى الاحتفاظ به ، فلما تولى سعيد وأبطل العمل بالعمارات لم يجد مبررا لبقاء الديوان فألغاه فى ١٠ ربيع الأول ١٢٧١ (نوفمبر ١٨٥٤) [١] .

وبإلغاء ديوان المدارس فقدت المدارس سنداً قوياً كانت تستمد منه التوجيه والإرشاد ، ولم تعد توجد هيئة أو جهة إدارية معينة تحتضن مسائل التعليم وتعنى بتفاصيله وتكون الصلة بينه وبين ولى الأمر . وقد رأيت — حين كنا نتكلم عن عصر سعيد — ما أصاب التعليم فى هذا العصر من اضطراب بين إنشاء المدارس وإلغائها وجعلها تارة تابعة للمحافظة وتارة أخرى للجهادية وأحيانا للداخلية وأحيانا أخرى تتصل بالوالى نفسه .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٥

وإلغاء الديوان دلالة على أن المسائل التعليمية لم تعد تحظى من الوالى بما تحظى به مسائل الحكم الأخرى التى لكل منها إدارتها الخاصة ، فأصبح التعليم عملا ثانوياً تستطيع أية إدارة أن تنظر فى شئونه إلى جانب مهامها الأساسية الأخرى .

وتولى إسماعيل حكم مصر فى ١٨ يناير سنة١٨٦٣ ، وكان صادق العزم على تجديد النهضة التعليمية التى ارتبطت باسم جده الكبير . وقد بدأ منذ الأيام الأولى لولايته يخطو الخطوات الأولى فى طريق هذه النهضة . وقد اتجه عزمه — أول ماتجه — الى إحياء ديوان المدارس ليشرف على توجيه هـذه النهضة ويرعاها . لم يعمل ماعمله محمد على حين أنشأ المدارس أولا ثم أنشأ ديوانها بعد ذلك ، وإنما بدأ إسماعيل بنشء المدارس وديوانها فى وقت واحد . فالتعليم — عنـد إسماعيل — مرفق من أهم إن لم يكن أهم — مرافق البلاد ، الأمر الذى يقتضى الدولة أن تخصص له جانبا من الاداة الحكومية كما تخصص الدولة للجيش والبحرية والأشغال والسكة الحديدية جوانب أخرى . وقيام ديوان خاص للمدارس يشعر الأمة بأن الحكومة قد نهضت الى العناية بالتعليم وأنها لن تألو جهدا فى توسيعه وحسن توجيهه .

وقيام ديوان خاص للمدارس بما ينتظم من هيئات فنية وإدارية خير ضمان لايجاد الاتساق والانسجام بين مختلف معاهد التعليم التابعة له بما يضع من سياسة ويرسم من قواعد ويصدر من (أوامر) و (منشورات) وينفذ من مفتشين ومعاونين ، فيدرك المشرفون على المدارس والعاملون بها من نظار ومعلمين ومعيدين وضباط وكتبة وخدم الخ . أن هناك عينا ترعاهم وتسهر عليهم وتثيب الأكفاء منهم وتعاقب المهملين .

وقيام ديوان خاص للمدارس بما ينتظم من هيئات فنية وإدارية خير ضمان لأن تكون المشورة التى تقدم فى مسائل التعليم صادرة عن خبرة فنية وتجربة وروية .

وإذا كان إنشاء ديوان المدارس فى عهد محمد على ثم فى عهد إسماعيل والأسلوب الذى مارس به الديوان سلطانه على معاهد التعليم قد وضع لإدارة التعليم الأساس الذى تنهض عليه إلى الوقت الحاضر وهو (المركزية) [١] ، فإن نظام المركزية كان فى القرن التاسع عشر « وسيلة فعالة لإصلاح معاهد التعليم — وخاصة ما كان منها فى الأقاليم بعيداً عن سلطان الحكومة فى حاضرة البلاد — من جهة ، ومكافحة الأمية بنشر التعليم فى أوساط الشعب من جهة أخرى . ذلك لأن أكثر ما تحتاجه الدول المبتدئة فى هذا المجال (يد) قوية موجهة ، وخاصة إذا لم يكن لهيئات أخرى غير الحكومة من الكفاية ما يمكنها من أن تقوم بنجاح بقسط كبير من شئون التعليم »[٢] . قلنا هذا عن عصر محمد على ، وليس ما يمنع أن نعيد قوله هنا عن عصر إسماعيل .

* * *

بدأ إسماعيل عمله فى إحياء ديوان المدارس بأن اختار لمعاونته فى هذا العمل الرجل الذى عاصر الديوان منذ نشأته فى عصر محمد على ثم عاد إلى إدارته فى أوائل عهد عباس ثم فى أوائل عهد سعيد : كان إبراهيم أدهم باشا ثانى مدير تولى إدارة الديوان فى عهد محمد على ، وكان بعد أول مدير تولى إدارته فى عهد إسماعيل . صدر أمر إسماعيل فى ٥ شعبان ١٢٧٩ إلى أدهم باشا — وكان مديراً لديوان الأوقاف — بالشروع فى إنشاء مدرستين بالقاهرة ومدرسة بالإسكندرية وفى إنشاء ديوان

---

(١) انظر فى موضوع المركزية فى إدارة التعليم كتابنا تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٦١٢ — ٦٢٠

(٢) المصدر السابق ص ٦١٥ — ٦١٦

للمدارس . وصدرت أول لائحة لتنظيم هذه المدارس وديوانها فى ٢٩ شعبان ١٢٧٩ ، وجمع أدهم حوله نفراً من الرجال الذين اتصلوا بالتعليم من قبل وكانت لهم فى إدارته خبرة وأثر .

وهكذا بدأ ديوان المدارس بسيطا : إذ كان اختصاصه قاصرا على ثلاث مدارس ، أما المدرسة الحربية فكانت تابعة لديوان الجهادية ومدرسة الطب تابعة لمحافظة القاهرة . ولهذا فقد جعل تكوين الديوان الداخلى فى غاية البساطة ، إذ لم يزد عدد موظفيه فى الشهر الأول من تكوينه على ست موظفين [1] :

إبراهيم أدهم باشا : وكان يحمل رتبة (الميرميران) وكان مديراً لديوان المدارس وناظراً للأوقاف .

رفاعة بك رافع : وكان يحمل رتبة (المتمايز) وقد عين فى الديوان « عضو القومسيون ورئيس الترجمة » .

على علوى بك : وكان يحمل الرتبة الثانية ، وقد عين وكيلا للديوان ، وقد خدم علوى بك فى ديوان المدارس منذ إنشائه فى عهد محمد على ، وكان فى عهد عباس ناظراً للقلم التركى والخزينة بالديوان .

يوسف رحمى أفندى : وكان برتبة اليوزباشى وعين فى الديوان « كاتب تحريرات ديوان تركى ومقيد ومبيض ومترجم » . وقد حاز رتبة اليوزباشى منذ كان يعمل بديوان المدارس فى عهد محمد على .

---

(١) محفظة ٣٠ (معية تركى) رقم ٢٥٩ من على علوى وكيل ديوان المدارس إلى باشمعاون الخديوى فى ٢١ ذى القعدة ١٢٧٩

حسن صالح أفندى : برتبة الملازم الأول ، وقد عين معاونا بالديوان .
حسين صدقى أفندى : برتبة الملازم الثانى ، وقد عين معاونا بالديوان .

وعين على بك مبارك ناظراً لمدرسة المبتديان وعلى بك إبراهيم ناظراً للمدرسة التجهيزية وأحمد التومى أفندى (فتحى بك) ناظراً لمدرسة الاسكندرية ، ومع كل منهم عدد محدود من المدرسين والضباط بحيث أن مجموع موظفى الديوان وفروعه فى الشهر الأول من إنشائه كان ٢٥ موظفا .

على أن أعمال الديوان ما لبثت أن اتسعت واطرد اتساعها فتعقدت تبعا لذلك الإدارة فى الديوان وأخذت تتفرع إلى أقلام و (ورش) . ولم تكن سن أدهم باشا تمكنه من تحمل الأعباء الجديدة التى اقتضاها اتساع الديوان ، فما لبث أن خلفه على إدارته محمد شريف باشا الذى ظل مديرا للمدارس نحو أربع سنوات كانت كلها عهد توسع وإنشاء . وقد بدأ شريف عهده فى ديوان المدارس بتوسيع نطاقه : فقفز به من ستة موظفين إلى ٢٣ موظفا بين معاون ورئيس تحريرات وحسابات وكاتب ومبيض الخ . ووضع شريف باشا ترتيباً صدر به أمر إسماعيل فى ١١ جمادى الثانية ١٢٨٠ (نوفمبر ١٨٦٣) ، وبه زيدت مرتبات موظفى الديوان الى ٢١,٢٩٠ قرشاً فى الشهر [١] . بدأ اتساع الديوان بأن ضمت إليه المدرسة الحربية فى ١٢ المحرم ١٢٨٠ (يونية ١٨٦٣) ثم تفرعت إلى أربع مدارس حربية : المشاة والفرسان والمدفعية

---

(١) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) ص ٤٣ رقم ٢ أمر إلى ناظر الخارجية والمدارس فى ١١ جمادى الثانية ١٢٨٠ ودفتر ١٩٥٢ (المجلس الخصوصى) ص ٢٠ رقم ٢٢ قرار المجلس فى ١١ جمادى الثانية ١٢٨٠ ومحفظة ٣١ (معية تركى) رقم ١٩١ (عربى) من محمد شريف باشا إلى المعية فى ١٤ ربيع الثانى ١٢٨٠

وأركان الحرب ، وأنشئت لإدارتها نظارة خاصة فى ديوان المدارس ، ثم أنشئت مدرسة المهندسخانة ، وعهد إلى ديوان المدارس أن يضع لوائح لإنشاء مدارس أخرى كالطب البيطرى والبحرية والإدارة . وكانت سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ السنة التى وصل فيها ديوان المدارس إلى أقصى اتساع وصل إليه حتى ذلك الوقت : فإذا كان ديوان المدارس قد تخفف فى هـذه السنة من إدارة المدارس الحربية التى ضمت إلى ديوان الجهادية إلا أن هـذه السنة شهدت إنشاء مدارس كثيرة : مدارس الإدارة والألسن والمحاسبة والمساحـــة والعمارة (التى ضمت إلى المهندسخانة) وفرقة الرسم وفرقة التلغراف والمدرسة البحرية ، وقد جعلت كلها تابعـة لديوان المدارس ، وأحيلت إلى ديوان المدارس حسابات البعثات ومدرسة الطب . وأهم من هذا كله أن لائحة رجب ١٢٨٤ قد وضعت على عاتق الديوان عبئا جديداً : هو عبء النهوض بتنفيذ الأحكام التى نصت عليهـا اللائحة خاصة بإنشاء المدارس المركزية فى عواصم المديريات وإنشاء المكاتب الأهلية بالقاهرة والإسكندرية وإصلاح الكتاتيب بالمدن والقرى . وهكذا أخـذ (اختصاص) ديوان المدارس يتعدى القاهرة والاسكندرية ويصل إلى المدن والقرى .

ونهض ديوان المدارس لمواجهة هـذه الحالة الجديدة : فأنشأ به (ورشة) لحسابات المكاتب ونظم (التفتيش) للمرة الأولى ، ووزعت الأعمال فى الديوان بين هيئتين : هيئة إدارية هى «إدارة المدارس الملكية» وهيئة فنية هى « نظارة الدروس » . ويعود الفضل فى هذا التنظيم الموفق إلى على مبارك باشا مدير الديوان فى ذلك الحين .

ثم رؤى ان إصلاح الكتاتيب الأهليـــة لا يسير بخطى سريعة ، فأنشىء ديوان المكاتب الأهلية وجعل أول إنشائه ديوانا مستقلا وعلى رأسه على باشا مبارك ،

ثم جمع على مبارك بين هذا الديوان وديوان المدارس . وظلت الإدارة التعليمية على هذا النحو من التنظيم حتى نهاية حكم إسماعيل . وأهم تجديد حدث فى الادارة التعليمية بين سنتى ١٨٧٩ و ١٨٨٢ إنشاء مجلس المعارف الأعلى فى سنة ١٨٨١ .

وفى الصفحات التالية نفصل الحديث فى هذه المسائل التى أجملنا هنا :

مديرو ديوان المدارس [١] :

(١) إبراهيم أدهم باشا : ٢٦ يناير ١٨٦٣ — ٢٦ يولية ١٨٦٣ .

فى عهده صدرت أول لائحة لتنظيم التعليم فى عهد إسماعيل باشا وهى لائحة ٢٩ شعبان ١٢٧٩ [٢] التى وضعت النظام الأول لديوان المدارس والمدارس الثلاث التى أنشئت . ثم قصر أدهم على الأوقاف ، وخلفه فى المعارف شريف باشا ، وبعد نحو ثلاثة أشهر خلفه فى الأوقاف أبو بكر راتب باشا ، و « عوفى » أدهم من الخدمة وسافر الى استامبول ومات بها فى سنة ١٨٦٩ [٣] .

(٢) محمد شريف باشا : ٢٦ يولية ١٨٦٣ — ١٤ إبريل ١٨٦٨ .

وفى عهده وضعت اللوائح الثانية للتعليم فى ١١ جمادى الثانية ١٢٨٠ وبدأ اتساع الديوان وتعددت فروعه . وفى عهده افتتحت المدرسة الابتدائية والمدرسة

---

(١) اعتمدنا فى التواريخ الافرنجية لتولى مديرى الديوان على أمين باشا سامى (التعليم فى مصر ص ١٠٩ ، ١١٠) وأرتين باشا (L'Instruction Publique....P. 169-170.)

(٢) دفتر ٥٢٥ (معية تركى) ص ٤١ أمر إلى أدهم باشا ناظر المدارس والأوقاف فى ٢٩ شعبان ١٢٧٩

(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

التجهيزية بالعباسية ونظمت المدارس الحربية وقد أعيدت الى ديوان الجهادية بعد توليته إدارة ديوان المدارس بسبعة أشهر ، ثم أعيدت ثانية الى ديوان المدارس فى ١٤ شعبان ١٢٨١ ، ثم ردت الى الجهادية فى ٢١ جمادى الثانية ١٢٨٤ ، وكان شريف باشا لايزال مديراً لديوان المدارس ، وكان على (بك) مبارك قد عين منذ وقت قصير وكيلا للديوان . وفى عهد شريف باشا أنشئت مدرسة المهندسخانة ومدرسة الطب البيطرى وشكل مجلس المعارف الاستشارى ، ووضع شريف باشا مشروعات لإنشاء المدرسة البحرية ومدرسة الإدارة والألسن . وفى أواخر عهد شريف فى المعارف قدم على مبارك مشروعه : لائحة رجب ١٢٨٤ ، وقبل أن يصدر قرار المجلس الخصوصى بالموافقة عليها فى ٦ المحرم ١٢٨٥ (٢٩ ابريل ١٨٦٨) ثم أمر إسماعيل بتنفيذها فى ٤ صفر ١٢٨٥ كان على مبارك قد خلف — للمرة الأولى — شريف باشا فى نظارة الديوان فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٤ (١٥ ابريل ١٨٦٨) . وواضح أن على مبارك منذ دخل ديوان المدارس وكيلا فى سبتمبر سنة ١٨٦٧ أصبح القوة المحركة فى الديوان وهو الذى رسم السياسة التى نصب مديراً للديوان ليشرف على تنفيذها .

وكان شريف باشا رئيسا لمجلس الأحكام عند ما عينه الخديو مديراً لديوان المدارس فى سنة ١٨٦٣ ، فاحتفظ بمنصبه الأول [١] ، وبعد أيام أضيف إليه منصب ناظر الخارجية خلفاً لنوبار باشا ، ونزع منه منصب رئيس مجلس الأحكام [٢] ، ثم عين

---

(١) دفتر ٥٢٥ (معية تركى) ص ١١٣ قسم ثان رقم ٥٠ أمر إلى شريف باشا رئيس مجلس الأحكام فى ٩ صفر ١٢٨٠ .

(٢) دفتر ٥٢٥ (معية تركى) ص ١١٣ أمر إلى شريف باشا فى ١٧ صفر ١٢٨٠

ناظرا للداخلية واحتفظ كذلك بالخارجية والمدارس . وظل شريف باشا ناظرا للخارجية حتى صرف عنها فى ٢١شعبان ١٢٨٢ وأعيد إليها نوبار باشا[١]. ثم صرف شريف باشا عن الداخلية وعاد رئيسا لمجلس الأحكام ، ثم أضيفت إليه إدارة مصلحة البريد (فى ٢٤ جمادى الأولى ١٢٨٤) [٢] . وكان شريف باشا موضع ثقة الخديو إسماعيل الذى أنابه عنه فى سنة ١٨٦٦ فى إدارة البلاد عند سفر سموه إلى الخارج [٣]. وقد تولى شريف باشا رياسة الوزارة فى أواخر عهد إسماعيل وأوائل عهد توفيق حين حاول إصدار (الدستور) ، ثم تولى الوزارة فى أوائل عهد الاحتلال ورفض الموافقة على الجلاء عن السودان .

(٣) على مبارك باشا : ١٥ ابريل ١٨٦٨ — ٢٠ سبتمبر ١٨٧٠ .

قضى على مبارك سنى حكم سعيد مشردا فى البطالة أحيانا وفى وظائف بسيطة أحياناً أخرى ، حتى تولى إسماعيل فكانت توليته فاتحة خير لعلى مبارك .

بدأ حياته الوظيفية فى عهد إسماعيل ناظراً لمدرسة المبتديان ، ولم يلبث أشهراً حتى نقل ناظرا للقناطر الخيرية[٤] . ولكن صلته بالمدارس لم تنقطع : فكان يرأس امتحانات المدرسة الحربية والمدرسة التجهيزية[٥] ، وعهد إليه وهو ناظر القناطر

---

(١) الوقائع المصرية : العدد ٩ فى ٢ رمضان ١٢٨٢ (١٨ يناير سنة ١٨٦٦)

(٢) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) جزء أول ص ٣ أمر إلى شريف باشا رئيس مجلس الأحكام فى ٢٤ جمادى الأولى ١٢٨٤

(٣) محفظة ٨ (جهادية) رقم ١٦٢ أمر إلى ناظر الجهادية فى ١٨ المحرم ١٢٨٢

(٤) محفظة ٧ (جهادية) رقم ٣٠٢ أمر إلى ناظر الجهادية فى ٢٣ المحرم ١٢٨٠

(٥) دفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ٥٨ رقم ٤٩٨ إلى المدرسة التجهيزية فى ٦ ذى القعدة ١٢٨٠

بوضع كتاب مدرسى لتلاميذ المدارس فوضع كتاب (التمرين) [١] الذى ظل وقتا طويلا يقرؤه التلاميذ بالمدارس الابتدائية والفرق المتأخرة من المدارس التجهيزية . ثم ألحق على مبارك بك فى ٢٤ شعبان ١٢٨٢ (١٠ يناير ١٨٦٦) بمعية إسماعيل [٢]. ولكن حالة القناطر ألجأت إسماعيل بعد أشهر (فى ٢٠ صفر ١٢٨٣ — ٤ يوليه ١٨٦٦) الى أن يعود فينصب على مبارك مهندسا للقناطر الخيرية بالإضافة إلى عمله فى المعية [٣]. ولكن صلة على مبارك بالتعليم لم تنقطع أيضا ، وكان مجلس شورى النواب قد أصدر قراراته بإنشاء المدارس الابتدائية بالأقاليم وتنظيم المكاتب الأهلية بالقاهرة والإسكندرية ، ورأى على مبارك أن الموقف خليق بأن يحفزه إلى العمل : فوضع « رسالة » ومشروع لائحة لتنظيم المكاتب الأهلية وإصلاحها وهى اللائحة التى عرفت بعد ذلك بلائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ . ورفع على مبارك رسالته ولائحته إلى الخديو فأصدر أمره (فى مايو ١٨٦٧) بأن تشكل لجنة (قومسيون) لدرسهما ورفع تقريرها عنهما إلى مسامعه [٤] . وقدر درسنا فى الفصل السابق الخطوات التى سار فيها هذا المشروع الخطير حتى صدر أمر إسماعيل بوضعه موضع التنفيذ فى ٤ صفر ١٢٨٥ [٥] (ابريل ١٨٦٨) ، ولكنا نكتفى بأن نقول هنا إن

---

(١) على مبارك باشا : الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

(٢) محفظة ٨ (جهادية) رقم ٢٨٢ أمر إلى ناظر الجهادية فى ٢٤ شعبان ١٢٨٢ ، الوقائع المصرية : العدد ٩ فى ٢ رمضان ١٢٨٢ (١٨ يناير سنة ١٨٦٦) .

(٣) محفظة ٨ (جهادية) رقم ٣٤٤ أمر إلى ناظر الجهادية فى ٢٠ صفر ١٢٨٣ ، الوقائع المصرية : العدد ٣٢ فى ٢٨ صفر ١٢٨٣ (١٢ يولية سنة ١٨٦٦)

(٤) دفتر ١٩١٩ (أوامر) ص ١٨٩ رقم ١٢٠ أمر إلى الداخلية فى ١٧ المحرم ١٢٨٤

(٥) انظر فيما سبق ص ٤٨ ومابعدها .

إسماعيل رأى أن يستعين بكفاية على مبارك فى ديوان المدارس ليشرف على تنفيذ الخطط التى رسمها للإصلاح فبدأ بتعيينه وكيلا لديوان المدارس فى ١٣ جمادى الأولى ١٢٨٤ (سبتمبر ١٨٦٧) بالإضافة إلى عمله بالقناطر الخيرية وعين له وكيلا للأمور الحسابية والتحريرية« لكى يتفرغ (على مبارك) لإصلاح المدارس وترقيتها »[١] . وقبل أن تتم الموافقة على لائحته (لائحة رجب ١٢٨٤) صدر الأمر بتعيين على مبارك بك (ثم باشا) مديرا للمدارس وناظرا للأشغال فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٤ (١٥ ابريل ١٨٦٨) [٢] وكان ديوان الأشغال قد ألغى منذ أشهر وألحقت إدارة الهندسة والتنظيم بديوان المدارس[٣] ، ثم أعيد ديوان الأشغال ووضع تحت إدارة ديوان الداخلية[٤] .

وقضى على مبارك باشا فى نظارة ديوان المدارس — للمرة الأولى — عامين وخمسة أشهر كان لها فى تاريخ التعليم فى عهد الخديو إسماعيل أقوى الأثر : شهدت انتقال ديوان المدارس إلى درب الجماميز واتساع أقلامه وإنشاء إدارة المدارس الملكية ونظارة الدروس وإدارة التفتيش وشهدت إنشاء مدارس الإدارة والألسن والمحاسبة

---

(١) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ٢١ رقم ١ أمر إلى مدير المدارس فى ١٣ جمادى الأولى ١٢٨٤ ، ص ١٨ رقم ١١ أمر إلى ناظر الداخلية فى ١٣ جمادى الثانية ١٢٨٤ .

(٢) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) قسم أول ص ٢١ أمر إلى على بك مبارك وكيل المدارس فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٤ .

(٣) دفتر ٤٠٠ (مدارس عربى) ص ١٩٧ رقم ١٦٧ من الداخلية فى ١١ جمادى الأولى ١٢٨٤ .

(٤) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ٨ رقم ٨ من الداخلية فى ٢٢ جمادى الأولى ١٢٨٤ .

والمساحة والعمارة وفرقة الرسم وفرقة التلغراف الخ ، وشهدت الخطوات الأولى فى إنشاء المدارس المركزية وإصلاح المكاتب الأهلية .

ولم يقتصر على باشا مبارك على عمله بالمدارس والأشغال ، بل أحيلت إليه فى ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٨٥ (اكتوبر ١٨٦٨) إدارة مصلحة المرور (أو الإمرارية أو السكة الحديدية) وأثابه الخديو على نشاطه فمنحه فى ذلك الوقت رتبة الميرميران[١] . وفى شوال ١٢٨٥ (يناير ١٨٦٩) تخفف على باشا مبارك من ديوان الأشغال الذى عين (لينان بك) مديرا له[٢] واستبدل به على مبارك نظارة ديوان الأوقاف[٣] ، فأصبح على مبارك مديرا لديوان المدارس وناظرا لديوان الأوقاف ومديرا للسكك الحديدية .

ولكن ديوان الأشغال مايزال حائرا بين باقى الدواوين : فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٨٦ (يوليه ١٨٦٩) صدر أمر الخديوى إلى على باشا مبارك بالتخلى عن مصلحة السكة الحديد لجعلها إدارة مستقلة تحت نظارة عمر باشا لطفى محافظ مصر سابقا والاستعاضة عنها بضم ديوان الأشغال اليه ، لأن أعمال هذا الديوان كثيرة ولا تقوى حالة لينان بك وسنه على النهوض بها فعين عضوا بالمجلس الخصوصى[٤] . فأصبح على باشا مبارك مديرا

---

(١) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ١٣٥ أمر إلى على مبارك باشا فى ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ١٥٥ إلى ديوان المالية فى ١٥ شوال ١٢٨٥

(٣) الوقائع المصرية : العدد ٢٦٧ فى ١٢ شوال ١٢٨٥ (٢٥ يناير سنة ١٨٦٩)

(٤) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ٢٣٦ أمر إلى على مبارك باشا فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٨٦ ، دفتر ٤١٨ (مدارس عربى) ص ١٤٩ رقم ٨٣ إلى ديوان الاشغال فى ٢٣ ربيع الثانى ١٢٨٦

لديوان المدارس وناظرا للأشغال والأوقاف وقد جمعها كلها فى سراى درب الجاميز ليسهل إشرافه عليها . ولكن لم يمض شهر على صدور هذا القرار حتى صدر قرار آخر فى ١٤ جمادى الأولى ١٢٨٦ بإعادة إدارة السكك الحديدية إلى على مبارك باشا[١].

ومضى على ذلك نحو عام ، ولا شك فى أن على باشا مبارك قد ناء بإدارة هذه الدواوين الأربعة ، وبدأ يتخلف منها ديواناً بعد آخر : ففى ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٨٧ (١٩ سبتمبر ١٨٧٠) نزعت منه إدارة السكك الحديدية وأعيدت إلى مديرها السابق عمر باشا لطفى[٢] ، وفى اليوم التالى نزع منه ديوان المدارس وديوان الأشغال وجعلا لمصطفى بهجت باشا[٣] وقصر على مبارك على نظارة ديوان الأوقاف[٤] . ولكن لم تمض على ذلك خمسة شهور حتى عاد فاتصل بالمدارس من جديد ، حين عينه الخديو فى ١٠ ذى الحجة ١٢٨٧ (فبراير ١٨٧١) مديرا لديوان المكاتب الأهلية[٥] .

---

(١) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ٢٠١ أمر إلى على مبارك باشا فى ١٤ جمادى الأولى ١٢٨٦

(٢) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ٨ أمر إلى على مبارك باشا فى ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٨٧ ومحفظة ٤ (مدارس) رقم ١٩٣ (عربى) أمر إلى مبارك باشا فى تاريخه .

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٩٤ (عربى) أمر إلى بهجت بك فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٨٧ ، دفتر سنة ١٥٨٧ (ارادات للمدارس) ص ١ رقم ٣ فى تاريخه .

(٤) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ١٤ أمر إلى مبارك باشا فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٨٧ — ويعلل على باشا مبارك نزع هذه الدواوين منه بخلافه مع إسماعيل باشا صديق ناظر المالية على (تتبع ميزانية السكة الحديد للمالية) الخطط م ٣ ج ٩ ص ٥٤ .

(٥) دفتر ٥٨٣ (معية تركى) ص ٩١ رقم ١٨ أمر إلى على باشا مبارك فى ١٠ ذى الحجة ١٢٨٧ .

(٤) مصطفى بهجت باشا : ٢١ سبتمبر ١٨٧٠ — ١٢ مايو ١٨٧١ .

وكان الخديو إسماعيل قد غضب عليه منذ نحو خمس سنوات — وكان فى ذلك الوقت مفتش الهندسة بالوجه القبلى — فأمر بفصله من خدمة الحكومة وعدم قبوله بأية وظيفة حكومية [١]. ومصطفى بهجت من أوائل المهندسين المصريين فى عهد محمد على وكان عضواً ببعثة سنة ١٨٢٦ الى فرنسا . وكان محمود بك الفلكى وكيلا (عموميا) له مع كل من وكيلى الأشغال والمدارس ، وكان محمود الفلكى قبل ذلك مأمور الخريطة الفلكية فأحيلت إلى إسماعيل بك الفلكى [٢] .

ولا يمتاز عهد بهجت باشا القصير فى ديوان المدارس بأية خطة إصلاحية أو إنشائية .

(٥) على مبارك باشا : ١٣ مايو ١٨٧١ — ٢٥ أغسطس ١٨٧٢ .

كان على مبارك قد عين منذ شهرين مديرا لديوان المكاتب الأهلية وبذلك توزعت إدارة التعليم بين ديوانين : فللمدارس الملكية ديوانها وللمكاتب الأهلية ديوانها ، ثم رأى الخديوى أن استقلال كل من الديوانيين عن الآخر لا يساعد على تقدم التعليم ، فأمر أن يقتصر بهجت باشا على ديوان الأشغال ويضم ديوان المكاتب الأهلية إلى ديوان المدارس وينصب عليهما على باشا مبارك ، ثم أضيفت إليه أيضاً

---

(١) دفتر ٣٧٥ (مدارس عربى) ص ١٦٠ رقم ٧٦ إلى مدرسة الاسكندرية فى ٢٤ شعبان ١٢٨٢

(٢) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ٨ أمر إلى بهجت باشا فى ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٨٧

فى ٢٢ صفر ١٢٨٨ نظارة ديوان الأوقاف[١] .

وهكذا عاد على باشا مبارك للمرة الثانية الى ادارة ديوان المدارس ، وكان ضم الأوقاف اليه عملا حكيما : لأن الأوقاف كانت لها مكاتبها التى يديرها ديوان المدارس ، وكثير من المكاتب الأهلية كان يقيم فى أبنية تملكها الأوقاف ، وكان ديوان الأوقاف يؤدى الى ديوان المدارس إيراد الأوقاف التى انقرض مستحقوها وخصص إيرادها للصرف على المكاتب الأهلية . فكان ضم الديوانين لناظر واحد مما يساعد على توحيد الجهود وتبادل المعونة بين كل من الديوانين .

ولكن لم يكد يمضى على ذلك شهر وبعض شهر حتى تبادل كل من على مبارك وبهجت ديوان الآخر : فأصبح بهجت ناظرا للأوقاف وعلى مبارك ناظرا للأشغال (مع احتفاظه بالمدارس)[٢] .

وبعد عام صدر أمر الخديو بأن تضم دواوين الأوقاف والمدارس والمكاتب الأهلية والأشغال فى « نظارة واحدة » ، وضع على رأسها نجله الأمير حسين باشا كامل (السلطان حسين كامل فيما بعد) وعين على مبارك باشا مستشارا له[٣] ، وأحيلت اليه

---

(١) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) رقم ٨ أمر إلى بهجت باشا ، ص ١٧٤ رقم ١٢٢ أمر إلى على مبارك باشا فى ٢٢ صفر ١٢٨٨ .

(٢) دفتر سنة ١٥٨٧ (إرادات للمدارس) ص ٦ رقم ١٤١ أمر لديوان المدارس فى ١١ ربيع الثانى ١٢٨٨

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٤ (عربى) أمر إلى على مبارك فى ٢١ جمادى الثانية ١٢٨٩

« مادة عمارة العيون المخلة بالقناطر الخيرية »[١].

ويمتاز عهد على مبارك باشا (الثانى) فى إدارة ديوان المدارس بإنشاء مدرسة دار العلوم وإنشاء أو تنظيم مكاتب القربية وقلاون والحبانية وأبى العلاء وبنى سويف والمنيا والشيخ صالح والسلطان مصطفى والعقادين والنحاسين والسيوفية للبنات.

وبعد خروج على مبارك من إدارة الديوان تولاها إلى نهاية عصر الخديو إسماعيل عدد كبير من المديرين والنظار، ولن يتاح لأحد منهم أن يمكث بمنصبه مدة طويلة، وكان لهذا الاضطراب أثره فى تعطيل الاصلاحات التى وضع قواعدها على مبارك ورياض.

(٦) الأمير حسين باشا كامل : ٢٦ أغسطس ١٨٧٢ — ١٤ أغسطس ١٨٧٣.

وكان أكثر أوراق ديوان المدارس إلى فروعه يوقعها (المستشار) على مبارك، الأمر الذى يدل على أن الأمير ترك لمستشاره المجال لإدارة شئون التعليم، ولذلك فان عهد على مبارك فى منصب الاستشارة يمكن أن يلحق بعهده السابق فى إدارة الديوان، ثم ترك الأمير حسين كامل المعارف والأوقاف والأشغال الى الداخلية ثم الى الجهادية والبحرية.

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٦ أمر إلى ناظر المعارف والأوقاف والأشغال فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٨٩.

فى ٢٢ صفر ١٢٨٨ نظارة ديوان الأوقاف[١] .

وهكذا عاد على باشا مبارك للمرة الثانية الى ادارة ديوان المدارس ، وكان ضم الأوقاف اليه عملا حكيما : لأن الأوقاف كانت لها مكاتبها التى يديرها ديوان المدارس ، وكثير من المكاتب الأهلية كان يقيم فى أبنية تملكها الأوقاف ، وكان ديوان الأوقاف يؤدى الى ديوان المدارس إيراد الأوقاف التى انقرض مستحقوها وخصص إيرادها للصرف على المكاتب الأهلية . فكان ضم الديوانين لناظر واحد مما يساعد على توحيد الجهود وتبادل المعونة بين كل من الديوانين .

ولكن لم يكد يمضى على ذلك شهر وبعض شهر حتى تبادل كل من على مبارك وبهجت ديوان الآخر : فأصبح بهجت ناظرا للأوقاف وعلى مبارك ناظرا للأشغال (مع احتفاظه بالمدارس)[٢] .

وبعد عام صدر أمر الخديو بأن تضم دواوين الأوقاف والمدارس والمكاتب الأهلية والأشغال فى « نظارة واحدة » ، وضع على رأسها نجله الأمير حسين باشا كامل (السلطان حسين كامل فيما بعد) وعين على مبارك باشا مستشارا له[٣] ، وأحيلت اليه

---

(١) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) رقم ٨ أمر إلى بهجت باشا ، ص ١٧٤ رقم ١٢٢ أمر إلى على مبارك باشا فى ٢٢ صفر ١٢٨٨ .

(٢) دفتر سنة ١٥٨٧ (إرادات للمدارس) ص ٦ رقم ١٤١ أمر لديوان المدارس فى ١١ ربيع الثانى ١٢٨٨

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٤ (عربى) أمر إلى على مبارك فى ٢١ جمادى الثانية ١٢٨٩

« مادة عمارة العيون المخلة بالقناطر الخيرية »[١].

ويمتاز عهد على مبارك باشا (الثانى) فى إدارة ديوان المدارس بإنشاء مدرسة دار العلوم وإنشاء أو تنظيم مكاتب القربية وقلاون والحبانية وأبى العلاء وبنى سويف والمنيا والشيخ صالح والسلطان مصطفى والعقادين والنحاسين والسيوفية للبنات.

وبعد خروج على مبارك من إدارة الديوان تولاها إلى نهاية عصر الخديو إسماعيل عدد كبير من المديرين والنظار، ولن يتاح لأحد منهم أن يمكث بمنصبه مدة طويلة، وكان لهذا الاضطراب أثره فى تعطيل الاصلاحات التى وضع قواعدها على مبارك ورياض.

(٦) الأمير حسين باشا كامل : ٢٦ أغسطس ١٨٧٢ — ١٤ أغسطس ١٨٧٣.

وكان أكثر أوراق ديوان المدارس إلى فروعه يوقعها (المستشار) على مبارك، الأمر الذى يدل على أن الأمير ترك لمستشاره المجال لإدارة شئون التعليم، ولذلك فان عهد على مبارك فى منصب الاستشارة يمكن أن يلحق بعهده السابق فى إدارة الديوان، ثم ترك الأمير حسين كامل المعارف والأوقاف والأشغال الى الداخلية ثم الى الجهادية والبحرية.

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٦ أمر إلى ناظر المعارف والأوقاف والأشغال فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٨٩.

(٧) مصطفى رياض باشا : ١٥ أغسطس ١٨٧٣ — ٢٤ مايو ١٨٧٤[١].

وقد جمع رياض بين الأوقاف والمدارس [٢]، وبعد خمسة أشهر أضيفت اليه رئاسة المجلس الحسبي[٣]، أما على مبارك باشا فعين وكيلا لديوان الأشغال العمومية وكان هذا الديوان ملحقا بنظارة الداخلية [٤].

وكان رياض باشا قبل تعيينه مديرا للمدارس والأوقاف مستشارا برئاسة المجلس الخصوصى [٥]، وبعد ستة أشهر عين عضوا بهذا المجلس [٦].

وقد شهدت الشهور التسعة التى قضاها رياض باشا فى إدارة ديوان المدارس نهضة عظيمة تكلمنا عليها تفصيلا فى الفصل السابق. وقد عاونه فى عمله دور بك وقد عين مفتشا عاما للمدارس والمكاتب قبل تعيين رياض بأشهر [٧].

---

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ١٠٩ — أما أرتين باشا (القول التام... ص٣٦ و Inst. publique. P. 170.)فيذكر أن رياضا ترك المدارس فى ٢٨ فبراير ١٨٧٤

(٢) محفظة ٤ (مـــدارس) رقم ٢٢١ إلى مدير المدارس والأوقاف فى ٢٢ جمادى الثانية ١٢٩٠

(٣) محفظة ٤ (مـــدارس) رقم ٢٢٣ إلى مدير الأوقاف والمدارس فى ١٧ ذى القعدة ١٢٩٠

(٤) دفتر ٤٦٤ (مدارس عربى) ص ١٣٩ رقم ٢٩١ من المالية فى ٩ رجب ١٢٩٠

(٥) الوثيقة السابقة

(٦) دفتر ســـنة ١٥٩٠ (أوامر) ص ٥ رقم ٤ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٨ ذى الحجة ١٢٩٠

(٧) انظر فيما سبق ص ٦٧ وما بعدها

(٨) محمد ثابت باشا : ٢٥ مايو ١٨٧٤ — ٦ سبتمبر ١٨٧٤ .

وقد جمع الى ديوان المدارس ديوان الأوقاف ورئاسة المجلس الحسبى وعضوية المجلس الخصوصى[١] .

(٩) الأمير طوسون باشا : ٧ سبتمبر ١٨٧٤ — ٣١ أغسطس ١٨٧٥ .

عين محمد ثابت باشا مستشارا له فى ديوانى الأوقاف والمدارس ثم عين وكيلا لمجلس الأحكام وحل محله فى منصب الاستشارة حسن باشا راسم[٢] .

(١٠) يحيى منصور باشا : أول سبتمبر ١٨٧٥ — ٢١ يونية ١٨٧٦ .

وقد جمع بين ديوانى الأوقاف والمدارس[٣] ، وبعد يومين من تعيينه أعيد ثابت باشا مستشارا لهذين الديوانين وحل محله فى رئاسة مجلس الأحكام حسن راسم باشا[٤] . وفى يناير ١٨٧٦ فصل ثابت باشا من مستشارية المعارف والأوقاف وعين مستشارا لنظارة الزراعة[٥] واستغنى عن وظيفة مستشارية المعارف والأوقاف اكتفاء بمدير الديوانين[٦] .

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٢٦ أمر إلى ثابت باشا فى ٩ ربيع الثانى ١٢٩١

(٢) دفتر سنة ١٢٩١ (إرادات للمدارس) ص ٢ رقم ١٣ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٣ شوال ١٢٩١

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٢٧ إلى دولتلو منصور باشا فى غرة شعبان ١٢٩٢

(٤) دفتر ٢ (أوامر) ص ١٠٢ رقم ٢١٠ أمر إلى ثابت باشا ، ص ٦٤ رقم ١١ أمر إلى ديوان المدارس فى ٣ شعبان ١٢٩٢

(٥) دفتر ١٠ (أوامر) ص ٤٧ رقم ٨٧ أمر إلى ثابت باشا فى ٦ ذى الحجة ١٢٩٢

(٦) دفتر سنة ١٨٧٦ (إرادات للمدارس) ص ٢ رقم ٧ أمر إلى مدير المدارس فى ٦ ذى الحجة ١٢٩٢

(١١) مصطفى رياض باشا : ٢٥ يونية ١٨٧٦ — ١٣ اكتوبر ١٨٧٧ .

قصر رياض باشا — هذه المرة — على ديوان المدارس فتولى إدارته للمرة الثانية[١] ، وكان رياض قد عين قبل ذلك بعام ناظرا للزراعة[٢] . ولم تعرف عن رياض فى هذه الفترة خطة إصلاحية جديدة فى التعليم ، ولكنه استمر يعمل على تحسين المنشئات التعليمية القائمة طبقا للوائح والبرامج التى وضعها عند ما كان مديراً للديوان منذ نحو ثلاثة أعوام .

(١٢) إسماعيل أيوب باشا : ١٤ اكتوبر ١٨٧٧ — ٢٧ أغسطس ١٨٧٨ .

(١٣) على مبارك باشا : ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ — ٨ ابريل ١٨٧٩ .

عين — للمرة الثالثة — ناظرا للمعارف والأوقاف فى وزارة نوبارباشا وهى أول وزارة (مسئولة) ، وفى هذه الفترة القصيرة فتحت مدارس الإمام الشافعى وعابدين ومصر القديمة والفشن والحسينية .

(١٤) محمد ثابت باشا : ٩ ابريل ١٨٧٩ — أول يولية ١٨٧٩

عين — للمرة الثانية — ناظرا للمعارف والأوقاف فى وزارة شريف باشا[٣] . وفى عهد ثابت باشا عزل دوربك وألغى تفتيش المدارس .

---

(١) دفتر سنة ١٨٧٦ (إرادات للمدارس) ص ٥ رقم ٢٢٥ أمر إلى مدير المدارس فى ٣ جمادى الثانية ١٢٩٣ .

(٢) محفظة ٥٢ (معية تركى) رقم ١٦٢ من رياض باشا إلى المعية فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٩٢

(٣) دفتر سنة ١٨٧٩ (إرادات للمدارس) ص ١ رقم ٧ أمر إلى ثابت باشا فى ٨ ربيع الثانى ١٢٩٦

وفى أوائل حكم توفيق تولى النظار الآتية أسماؤهم : (وكان أطولهم فى الديوان عهداً على باشا إبراهيم وعبد الرحمن باشا رشدى وقد امتاز عهدهما بحركة إصلاح قوية) .

(١٥) محمود سامى البارودى باشا : ٢ يولية ١٨٧٩ — ١٧ أغسطس ١٨٧٩

عين فى وزارة شريف باشا ناظراً للمعارف والأوقاف .

(١٦) على إبراهيم باشا : ١٨ أغسطس ١٨٧٩ — ٦ سبتمبر ١٨٨١

وكان عضواً بمجلس استئناف الاسكندرية فعين ناظراً للمعارف فى الوزارة التى رأسها الخديوى نفسه ثم فى وزارة رياض باشا . وفى عهده أعيد تفتيش المدارس برئاسة دوربك ، ورسمت خطط لإصلاح التعليم ، وشكل قومسيون تنظيم المعارف . ولكن الحوادث تتابعت ووقف الإصلاح[1] .

(١٧) محمد زكى باشا : ١٤ سبتمبر ١٨٨١ — ٢ فبراير سنة ١٨٨٢

(١٨) عبد الله فكرى باشا : ٤ فبراير ١٨٨٢ — ٢٦ مايو ١٨٨٢

وكان قبل ذلك وكيلا لديوان المكاتب الأهلية ثم وكيلا لنظارة المعارف .

(١٩) سليمان أباظة باشا : ٢٠ يونية ١٨٨٢ — ٢٧ أغسطس ١٨٨٢

(٢٠) أحمد خيرى باشا : ٢ أغسطس ١٨٨٢ — ٢٢ مايو ١٨٨٣

وكان الخديو يصدر لناظر المعارف عقب توليته توكيلا « فى توقيع المسوغات الشرعية التى تلزم لبيع الأملاك السابق الإحسان بها على المكاتب الأهلية »[2] .

---

(١) انظر الفصل السابق ص ٧٧ وما بعدها .

(٢) دفتر سنة ١٨٧٦ (إرادات للمدارس) ص ٧ رقم ١٤ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٨ ذى القعدة ١٢٩٣ .

ولم يكن مرتب مدير ديوان المدارس (أو ناظر المعـــارف) ثابتا : ففى سنة ١٨٧٢ وضع فى ميزانية الديوان ١٤٦ كيسة (٧٣٠ جنيها) للمدير فى العام ، أى نحو ١٦ قرشا و ٦١ جنيها فى الشهر [١] . وفى سنة ١٨٧٤ كان ثابت باشا يتناول فى الشهر ٧٥ جنيها [٢] . أما الأمير طوسون باشا الذى خلفه فى نظارة المعارف فكان راتبه فى الشهر ٥٠٠ جنيه . [٣]

وكلاء ديوان المدارس [٤]

(١) على عـــلوى بك : ١٩ فبراير ١٨٦٢ — آخر يولية ١٨٦٧ .

وقد خدم فى ديوان المدارس منذ عهد محمد على ، وفى عهد عباس كان ناظراً للقلم التركى والخزينة بالديوان [٥] . ومات فى يولية ١٨٦٧ .

(٢) على مبارك بك [٦] : سبتمبر ١٨٦٧ ابريل ١٨٦٨ .

---

(١) ميزانيـــة ديوان المدارس فى سنة ١٢٨٩ — جزء أول قيد التراتيب للمجلس الخصوصى سنة ١٥٨٩

(٢) دفتر ٤٦٩ (مـــدارس عربى) ص ١٨٤ رقم ٢٤٠ إلى الحسابات فى ١٨ ربيع الثانى ١٢٩١

(٣) دفتر ٤٨٩ (مدارس عربى) ص ٤٠ رقم ١٤ من المالية فى ٨ شعبان ١٢٩١

(٤) اعتمدنا فى هذه التواريخ على أمين باشا سامى (التعليم فى مصر ص ١٠٩)

(٥) انظر الجزء الأول (عصر عباس وسعيد) ص ٣٥

(٦) لم يذكره أمين باشا سامى بين وكلاء الديوان . ولكن الوثائق تذكر اسمه صراحة وتذكر تاريخ تقليده هذه الوظيفة .

وقد ترجمنا له فى مكان سابق . وكان حين غيابه عن الديوان ينيب عنه أحيانا « لتأدية الأشغال من تحريرات وحسابات » حماد بك عبد العاطى ناظر الهندسة أو يوسف أفندى رحمى ناظر قلم التحريرات بالديوان (١) .

(٣) إسماعيل أفندى محمد (باشا فيما بعد) : لم يعين بصفة رسمية ، وإنما كان وكيلا لديوان الأشغال العمومية ، ورأى على باشا مبارك مدير الديوان أنه كثير الأسفار فأقام إسماعيل محمد وكيلا لديوان المدارس فى أبريل ١٨٦٨ ، وأمر بأن تعرض عليه « كافة الأشغال الضرورية المستعجل نهوها » (٢) .

(٤) حسين بك فهمى : لم يعين أيضا بصفة رسمية ولكن لما عين وكيلا لديوان الأشغال العمومية خلفا لاسماعيل أفندى محمد الذى اختص بإدارة قلم الهندسة عهد إليه (حسين بك فهمى) على باشا مبارك فى اكتوبر سنة ١٨٦٨ بتوقيع الأوراق (المستعجلة) بديوان المدارس بالنيابة عنه (٣) .

---

(١) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ١٤١ رقم ٤١٥ إلى كتاب الحسابات بديوان المدارس فى ١٥ ذى القعدة ١٢٨٤

ودفتر ٤٠٢ (مدارس عربى) ص ١٣٠ رقم ١٦٨ إلى يوسف رحمى ناظر قلم تحريرات فى ١٧ جمادى الثانية ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربى) ص ٤٦ رقم ٤٩٦ إلى كتاب الحسابات فى ١٥ المحرم ١٢٨٥ — ولا يذكر أمين باشا سامى اسمه بين وكلاء الديوان .

(٣) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٥١ رقم ٤٠ إلى كتاب الحسابات فى ٥ رجب ١٢٨٥

(٥) إسماعيل (بك) محمد : عين هذه المرة بصفة رسمية . صدر أمر الخديو — بناء على التماس على باشا مبارك — بنقله من ديوان الأشغال وتعيينه وكيلا لديوان المدارس فى ٢٤ أبريل سنة ١٨٦٩ ومنحه الرتبة الثانية [١] . ولكن ديوان الأشغال تشبث به و « عينه لاحدى الوظائف المهمة » ، ففصل إسماعيل بك محمد من وكالة ديوان المدارس بعد أيام ونقل إلى ديوان الأشغال . [٢]

(٦) إسماعيل بك زهدى : ١٩ مايو سنة ١٨٦٩ — ٩ اكتوبر ١٨٧٠ .

وكان يشغل أيضا منصب مأمور إدارة المدارس الملكية وناظر مدرسة المبتديان [٣] ، فلما تولى بهجت باشا إدارة ديوانى المدارس والأشغال فى سبتمبر ١٨٧٠ عين محمود بك حمدى الفلكى وكيلا عاما له وأبقى إسماعيل بك زهدى وكيلا « خصوصيا » [٤] . وظل زهدى بك وكيلا للديوان حتى يناير ١٨٧٥ .

(٧) مستر روجرس (Rogers) : ٣١ يناير ١٨٧٥ — ٢٠ سبتمبر ١٨٧٥ . وكان يشغل وقتا ما منصب قنصل انجلترا فى مصر [٥] . وفى سبتمبر ١٨٧٥ عين « مأمورا لأشغال

---

(١) دفتر ١٩٢٧ (أوامر) ص ٢٤ أمر الى ديوان المدارس فى ٢٤ المحرم ١٢٨٦

(٢) دفتر ٤١٧ (مدارس عربى) ص ٨١ رقم ٤٤ إلى الأشغال فى ٦ صفر ١٢٨٦

(٣) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ١٧٣ أمر إلى ديوان المدارس فى ٥ صفر ١٢٨٦

(٤) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص٨ أمر إلى بهجت باشا فى ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٨٧

ويذكر أمين باشا سامى (التعليم فى مصر ص ١٠٩) أن محمود بك الفلكى تولى وكالة ديوان المدارس من ١٠ اكتوبر ١٨٧٠ إلى ٥ يونية ١٨٧١ ثم خلفه إسماعيل زهدى باشا من ٦ يونية ١٨٧١ إلى ٣٠ يناير ١٨٧٥ .

(٥) Mc. Coan. op. cit. p. 233.

الحكومة بلندن » بدلا من مستر لاركن (Larking) الذى فصل لتقدمه فى السن[١] .
وفى المحفوظات الأوروبية بعابدين خطابات أرسلها روجرس إلى شريف باشا فى مايو ويونية ١٨٧٦ خاصة ببعض الطلاب المصريين فى انجلترا[٢] .

ثم عاد روجرس إلى القاهرة وعين وكيلا لديوان المدارس[٣] للمرة الثانية من أول يناير ٨٧٧ إلى ١٥ أغسطس ١٨٧٨ . وفى سنة ١٨٨١ اختير — وكان يشغل منصب مدير أملاك الميرى الحرة — عضواً بمجلس المعارف الأعلى .

(٨) عبد الله باشا فكرى : ٩ يولية ١٨٧٩ — ديسمبر ١٨٨١ .

ومنح فى ذلك الوقت رتبة الميرميران[٤] ، وكان مؤدبا للأنجال ثم ناظرا للقلم التركى بالمعية ثم وكيلا لديوان المكاتب الأهلية منذ إنشائه فى ٢٧ مارس سنة ١٨٧١ .

(٩) على فهمى رفاعه باشا : ٩ فبراير ١٨٨٢ — سبتمبر ١٨٨٢ .

وهو نجل رفاعة بك رافع الطهطاوى ، وقد اتصل منذ زمن بعيد بديوان المدارس فكان مدرسا بمدرسة الألسن ودار العلوم ومحررا لروضة المدارس وناظرا لقلم الروضة والمطبوعات ثم وكيلا لديوان المكاتب الأهلية خلفا لعبد الله فكرى باشا ثم وكيلا لديوان المدارس .

---

(١) دفتر سنة ١٨٧٦ (إرادات للمدارس) ص ١ رقم ١ أمر إلى ديوان المدارس فى ٢٠ شعبان ١٢٩٢ .

(٢) Rogers à Chérif Pacha, 16 Mai 1876, 10 Juin 1876.

(٣) دفتر ١٩ (أوامر) ص ٦ رقم ١ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٩ ذى الحجة ١٢٩٣

(٤) دفتر سنة ١٨٧٩ (إرادات للمدارس) ص ١ رقم ١ أمر الى ديوان المدارس فى ٢٠ رجب ١٢٩٦

(١٠) محمود حمدى الفلكى باشا : ٢٨ نوفمبر ١٨٨٢ — ٩ يناير ١٨٠٤ .

وكان حمدى الفلكى من نوابغ مبعوثى عباس إلى فرنسا . وقد قضى أكثر حياته الوظيفية فى عصر إسماعيل مأمورا « للخريطة الفلكية » ، وتولى وقتا ما نظارة مدرسة المهندسخانة ووكالة ديوانى الأشغال والمدارس .

(١١) يعقوب أرتين باشا : أول ابريل ١٨٨٤ — ١١ يوليه ١٨٨٨ .
وكان مؤدبا لبعض أنجال الخديو فى سنة ١٨٧٣ ، وكاتما أوروبيا للأسرار فى المعية فى سنة ١٨٧٩ . وقد خلد لنفسه فى نظارة المعارف ذكرى جليلة .

ولم يكن مرتب وكيل الديوان ثابتا : فعلى بك علوى كان يأخذ فى الشهر خمسين جنيها ثم رفعت إلى ثمانين[١] . وفى ميزانية سنة ٨٧٢ حدد للوكيل — وكان إسماعيل بك زهدى — أربعون جنيها فى الشهر[٢] . ولما عين مستر روچرس وكيلا للديوان منح ألف جنيه انجليزى فى السنة[٣] عدا أجر مسكنه[٤] . أما عبد الله

---

(١) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ١٨٥ رقم ٢٧٧ إلى كتاب الحسابات فى ٢٤ شعبان ١٢٨١

(٢) ميزانية ديوان المدارس سنة ١٢٨٩ — جزء أول قيد التراتيب بالمجلس الخصوصى ١٥٨٩

(٣) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ١٠٩ رقم ١٤٢ إلى كتاب الحسابات فى ٢٧ ذى الحجة ١٢٩١

(٤) دفتر ١ (أوامر) ص ١٦٤ رقم ٣٧٩ أمر إلى المالية فى ٢٥ رجب ١٢٩٢

باشا فكرى (١٨٧٩ — ١٨٨١) فكان يتناول ستين جنيها فى الشهر [١] .

* * *

الهيئات الاستشارية بالديوان

القومسيون

أقام إبراهيم باشا أدهم أول مدير للمدارس فى عهد إسماعيل « قومسيونا للديوان » يجتمع أعضاؤه كل يوم للمداولة فيما يلزم عمله لافتتاح المدارس الجديدة . ولم يكن هذا القومسيون مكونا من أعضاء دائمين ثابتين ، وإنما كان يدعى لحضوره نظار المدارس [٢] . ولسنا نرى عضوا ثابتا بهذا القومسيون سوى رفاعة بك رافع الذى نرى بجانب اسمه دائما (أرباب أو عضو القومسيون) . وما أن فتحت المدارس الجديدة حتى استغنى الديوان عن هذا القومسيون فلم نعد نسمع عنه شيئا . ورفاعة بك نفسه تخلى عن لقبه كعضو القومسيون واحتفظ بمنصبه الأصيل كناظر لقلم الترجمة .

مجلس المعارف

فلما تولى محمد شريف باشا نظارة ديوان المدارس شكل بالديوان فى مارس ١٨٦٨ مجلسا دائما أسماه « مجلس المعارف لأجل المشاورة فى أمور التعليم والتعلم » ، ووضع له لائحة نشرت بالوقائع المصرية [٣] . وهذه أهم موادها :

---

(١) دفتر سنة ١٨٧٩ (إرادات للمدارس) ص ١ رقم ١ أمر إلى ديوان المدارس فى ٢٠ رجب ١٢٩٦

(٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١ رقم ١ الى النجيزية وص ٢ رقم ٢ الى المبتديان فى ٨ رمضان ١٢٧٩ .

(٣) الوقائع المصرية : العدد ٢٩ فى ٧ صفر ١٢٨٣ (٢١ يونية ١٨٦٦)

١ — يشكل مجلس المعارف من أعضاء دائمين وهم نظار مدارس أركان الحرب والمدفعية والمهندسين والمشاة والفرسان والمهندسخانة والتجهيزية والمبتديان وكبير أطباء المدارس ومأمور إدارة المدارس الحربية وعلى بك مبارك وفائق بك المهندس ومحمد قدرى أفندى المترجم بديوان المدارس ، ومن أعضاء مؤقتين لمدة سنة وهم : مسيو ڤيدال وكان فى ذلك الوقت أستاذ الرياضيات العالية بمدرسة أركان الحرب وعبد الرحمن أفندى على مدرس العلوم المطبقة بمدرسة المدفعية وحسين أفندى مدرس العلوم الرياضية بمدرسة الفرسان وعثمان أفندى مدرس اللغة التركية بالمدرسة التجهيزية والشيخ أحمد المرصفى مدرس اللغة العربية بمدرسة المبتديان وأحد مدرسى المهندسخانة ومسيو كيونيو مدرس الفرنسية بمدرسة المشاة ويكون سكرتيرا للمجلس .

ويرأس مجلس المعارف ميرشير بك ناظر المدارس الحربية . (المادة الأولى) .

وينعقد المجلس بدعوة من رئيسه مرة على الأقل فى كل شهر (المادة الثانية) ويكون من اختصاص المجلس :

١ — وضع « جداول الدروس وأصول التعليم والتدريس » وتحديد الشروط التى ينبغى توافرها للنقل من فرقة إلى أخرى أو من مدرسة إلى أخرى أو للتعيين فى وظائف الحكومة .

٢ — إجراء التعديلات فى هذه الجداول « كلما زادت درجات التقدم » .

٣ — اقتراح « المكافآت والتشويقات » لمدرسى المدارس وضباطها .

٤ — تحقيق الشكايات « الجسيمة » التى توجه ضد المدرسين والضباط .

ويرفع المجلس قراراته إلى مدير ديوان المدارس وله الرأى النهائى .

وللمجلس أن يدعو من يرى ضرورة لدعوته من مدرسى المدارس وضباطها « لأجل الاستشارة » (المادة الثالثة) . وتحرر « مضبطة بالمذاكرات التى تحصل فى كل

مجلس وتعرض صورتها فى الحال على المدير » (المادة الرابعة) ، وللمجلس أن يشكل من أعضائه لجانا للتفتيش عن الدروس وطرق التدريس وملاحظة تنفيذ جداول الدروس المقررة .

وبدأ « مجلس المعارف » أو « مجلس الاستشارة » عمله : فطلب رئيسه دفاتر لقيد مضابطه وكتبت بعض التقارير باللغة الفرنسية ورفعت إلى شريف باشا [١] . وعقد المجلس لامتحان المدرسين المرشحين لتدريس الرسم واللغة الفرنسية [٢] وللتحقيق مع مدرس اتهم بالرشوة [٣] ، ثم لم نعد نسمع بعد ذلك شيئاً عن هذا المجلس ، ويظهر أنه ألغى فى أواخر عهد شريف باشا بديوان المدارس فى سنة ١٨٦٨ .

قومسيون المكاتب الأهلية

وفى تلك الأثناء كان على مبارك باشا قد قدم لائحته (لائحة رجب ١٢٨٤) لتنظيم المكاتب الأهلية فأمر الديوان بأن تعرض على « قومسيون » خاص من بعض كبار الموظفين والأعيان والعلماء . لدرس هذه اللائحة ورفع نتيجة بحثه إلى المجلس الخصوصى تمهيداً لاستصدار أمر الخديوى [٤] .

فهذا القومسيون إذن شكل لغرض خاص ينتهى بانتهائه .

---

(١) دفتر ٣٨٢ (مدارس عربى) ص ١١١ رقم ٥٨٨ من ناظر المدارس الحربية فى ٢٠ ذى الحجة ١٢٨٢

(٢) دفتر ٣٩٣ (مدارس عربى) ص ٥٣ رقم ٥٩٦ إلى إدارة المدارس الحربية فى ٥ ذى القعدة ١٢٨٣

(٣) دفتر ٣٨٩ (مدارس عربى) ص ٩٢ رقم ٧٧٧ إلى مدرسة الطوبجية فى ١٨ ربيع الأول ١٢٨٤

(٤) انظر فيما سبق ص ٥١

ولكن على باشا مبارك رأى أن تنظيم المكاتب الأهليـــة يقتضى تشكيل « قومسيون » دائم بديوان المدارس لتعرض عليه جميع المسائل الخاصة بهذه المكاتب وأهمها تقارير المفتشين واقتراحاتهم . ولم نقف على أسماء أعضاء هذا القومسيون لنرى إذا كانوا هم أنفسهم أعضاء القومسيون الذى أقر لائحة رجب . ولكنا نقرأ فى إحدى الوثائق أن رفاعة بك عهد إليه — بالإضافة إلى عمله كناظر لقلم الترجمة — « برياسة مجلس المكاتب الأهلية المقتضى انعقاده للنظر فى حال المدارس والمكاتب الأهلية وإدخالهم تحت رابطة حسنة كما مرغوب الخديوى » . ولذلك طلب إليه مدير الديوان أن يحضر فى كل يوم إلى مقر عمله بالديوان[١] .

مجلس المعارف الأعلى

وأبطل قومسيون أو مجلس المكاتب الأهلية . ويبدو أن ديوان المدارس قنع بتنظيم التفتيش ونظارة الدروس . حتى إذا كانت سنة ١٨٨٠ اقترح على باشا إبراهيم ناظر المعارف فى ذلك الوقت فى مذكرته إلى مجلس النظار إنشاء مجلس أعلى للمعارف . ولما شكل « قومسيون تنظيم المعارف » فى سنة ١٨٨٠ كان من أهم مقترحاته[٢] إنشاء « مجلس استشارة » لإعطاء رأيه فى كل المسائل الخاصة بتحسين المدارس ، واقترح أن يشكل من ناظر المعارف رئيساً و ١٥ عضواً : وكيل الديوان ومفتش المدارس والمكاتب وأربعة أعضاء يختارون من مصالح الحكومة وعضو وطنى « من أرباب المعارف » (Lettré) ونظار المدارس الخصوصية الخمس وعضوان من هيئة التدريس ، وتقيد مداولاتهم فى دفتر خاص . ولناظر المعارف أن يشكل من أعضاء هذا المجلس

---

(١) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٦٠ رقم ٥٠ إلى ناظر قلم الترجمة فى ٩ رجب ١٢٨٥

(٢) تقرير القومسيون ص ٥٥ — ٥٦

لجاناً لدرس بعض المسائل ، وترفع قراراتها إلى مجلس المعارف ، وكان قومسيون سنة ١٨٨٠ يعلق على إنشاء مجلس المعارف أملا كبيرا .

وأقرت نظارة المعارف ومجلس النظار اقتراح قومسيون تنظيم المعارف ، فصدر الأمر العالى [١] بتشكيل مجلس المعارف الأعلى فى ٢٨ مارس ١٨٨١ (٢٨ ربيع الثانى ١٢٩٨) من ناظر المعارف رئيسا وعضوية [٢] :

على باشا مبارك	ناظر الأشغال
حسين باشا فخرى	ناظر الحقانية
مستر مونى (Money)	مدير صندوق الدين
مسترليرون (Liron d'Airioles)	السكرتير العام للمراقبة
الجنرال ستون باشا (Stone)	رئيس عموم أركان الحرب
عبد الله باشا فكرى	وكيل المعارف العمومية
لارمى باشا (Larmée)	ناظر المدارس الحربية
الدكتور سالم باشا سالم	رئيس مجلس الصحة العمومية
مسيو جاستون ماسپيرو	مدير الانتكخانة المصرية
مسيو جلياردو بك	ناظر المدرسة الطبية
مسيو موجيل (Mougel)	ناظر مدرسة المعلمين
إسماعيل بك الفلكى	ناظر مدرسة المهندسخانة
روجرس بك (Rogers)	مدير أملاك الميرى الحرة

---

(١) تجد نص القرار فى قاموس الادارة والقضاء لفيليب بك جلاد ج ٤ ص ٤٩٢

(٢) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٤٤ — ٤٥

ڤيدال بك (Vidal)	ناظر مدرسة الحقوق
جيجون بك (Guigon)	ناظر مدرسة الفنون والصنائع
اسبيتا بك (Spitta)	ناظر الكتبخانة الخديوية
مسيو مونتان (Montant)	ناظر المدرسة العالية
صادق بك شنن	ناظر المدرسة التجهيزية
الدكتور عثمان بك غالب	وكيل المدرسة الطبية
الشيخ محمد عبده	رئيس تحرير الجرنال الرسمى (الوقائع المصرية)
الشيخ زين المرصفى	عالم
الشيخ حسونه النواوى	مدرس بمدرسة الحقوق
مسيو برنارد (Bernard)	مدرس بمدرسة الألسن[1]

ونصت اللائحة على أن مجلس المعارف يقـــدم رأيه فى مشروعات القوانين واللوائح الخاصة بالتعليم وفى فتح مدارس جديدة ومنح الإعانات المالية للمدارس غير الأميرية وترقيات المعلمين (المادة الثانية) . ويعرض ناظر المعارف عن المجلس الميزانية السنوية للمعارف ثم يرفعها إلى مجلس النظار مشفوعة برأى المجلس (المادة الثالثة) . وللمجلس أن يندب بعض أعضائه لتحقيق مسائل أو للتفتيش على المدارس الأميرية والحرة التى تأخذ إعانات من المعارف (المادة الرابعة) . وينشر المجلس تقريراً سنوياً عن حالة التعليم (المادة الخامسة) . وينعقد المجلس بدعوة من ناظر المعارف

---

(١) لانجد فى القرار ذكرا للأعضاء الذين ذكر سر هنك باشا (حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٨٠) أن مجلس المعارف كان مشكلا منهم وهم إسماعيل أيوب باشا وقدرى باشا وحسين فهمى باشا ومحمود بك الفلكى وعلى بك فهمى .

مرة على الأقل فى كل شهر (المادة السادسة) ، ولا تصح مداولات الأعضاء إلا إذا حضر تسعة منهم على الأقل ، وتكون قرارات المجلس بأغلبية أعضائه (المادة السابعة) .

وعقد مجلس المعارف الأعلى أولى جلساته فى يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى ١٢٩٨ (٤ ابريل ١٨٨١)[١] . ويبدو أن حوادث الثورة والاحتلال فى سنة ١٨٨٢ أوقفت اجتماعات المجلس ، ولم يبد نظار المعارف ميلا إلى إحيائه . والتقارير التى بدأت نظارة المعارف تصدرها من سنة ١٨٨٥ ليس فيها أية إشارة إلى مجلس المعارف الأعلى .

مجالس التحسينات بالمدارس

ومن الأمور التى نفذتها الحكومة أيضاً من مقترحات قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ إنشاء « مجالس التحسين » . اقترح القومسيون إنشاء « مجلس تحسين Conseil de perfectionnement » بكل مدرسة من المدارس التجهيزية والخصوصية يرأسه ناظر المدرسة وأعضاؤه يتراوح عددهم بين الخمسة والعشرة ويكونون إما من مدرسى المدرسة أو من غيرهم من ذوى الخبرة ، ويعينهم ناظر الديوان بناء على اقتراح ناظر المدرسة . وتحرر مداولات المجلس فى دفتر خاص يحفظ لدى ناظر المدرسة وترسل صور من محاضر المجلس إلى ناظر المعارف ومجلس المعارف الأعلى لينظرا فى اقتراحات مجلس التحسين .

صدر « منشور » نظارة المعارف بانشاء « مجالس التحسين » وتعيين اختصاصاتها فى ٢٩ ربيع الأول ١٢٩٨ (فبراير ١٨٨١)[٢] .

---

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٤٥

(٢) انظر هذا المنشور فى قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٢٩١

وقد خشيت النظارة أن يؤدى إنشاء هذه المجالس إلى عرقلة سلطة نظار المدارس ، فنصت فى صدر (المنشور) على أن « المقصد الأصلى من مجالس التحسين هو التروى والمشاورة ومساعدة نظار المدارس بالآراء الصائبة بدون أن يحصل أدنى إعاقة فى سلطتهم » ، وينعقد المجلس مرة واحدة فى كل شهر بدعوة من ناظر المدرسة ، وله أن يدعوه إلى اجتماع آخر إذا جدَّ مايدعو إلى ذلك ، وناظر المدرسة يرأس جلسات المجلس وينظم مداولاته ويرسل القرارات إلى النظارة ، « ومن خصوص المواد المتعلقة بالتعليم الخصوصى كاللغة العربية واللغات الأجنبية وعلوم الرياضة والطبيعة والشرائع والطب فلا يستشار فيها إلا الخوجات المخصصة بها » .

الهيئات الفنية بالديوان

التفتيش

فى أواخر سنة ١٢٨٤ (١٨٦٨) — وقد أنشئت مدارس عدة ووضعت لائحة رجب ١٢٨٤ — بدت الحاجة ماسة إلى إنشاء تفتيش منظم على المدارس الملكية والمكاتب الأهلية . وكان على باشا مبارك قد عين مديرا لديوان المدارس ، فاستصدر من الخديو فى إبريل ١٨٦٨ أمرا بتعيين زميله القديم فى مدرسة المهندسخانة وفى مدرسة متز بفرنسا « حماد بك عبد العاطى » مفتشا على المدارس الملكية . وكان حماد بك يعمل فى ذلك الوقت بمحافظة قناة السويس فحل محله فيها زميلهما الثالث على بك إبراهيم [١] .

وبدأ حماد بك عمله ، ولم يقصره على المدارس الملكية وإنما كان يزور المكاتب

---

(١) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربى) ص ٥ رقم ٤٧٧ إلى كتاب الحسابات فى ٢٩ ذى الحجة ١٢٨٤

الأهلية ويمتحن تلامذتها ويقرر لمدير الديوان عن حالتها (١).

وفى لائحة رجب أشير بتعيين مفتشين عامين برتبة الصاغقول أغاسى أحدهما للوجه البحرى والآخر للوجه القبلى ويعاون كلا منهما معاونان برتبة اليوزباشى . وعقب صدور اللائحة عين — بناء على اقتراح حماد بك — البكباشى على أفندى فرحات مفتشا لمدارس الوجه البحرى والصاغقول أغاسى محمد أفندى سليمان مفتشا لمدارس الوجه القبلى (٢).

وبدأ المفتشون عملهم فى زيارة المكاتب والتفتيش عن أحوالها ومعلميها وأبنيتها ، وكان ديوان المدارس يكتب إلى الجهات الإدارية لتعاون مفتشيه فى أداء مهمتهم وتنفيذ ما يقترحونه من إلغاء بعض المكاتب أو إصلاح بعضها الآخر (٣).

وفى رجب ١٢٨٥ (سبتمبر ١٨٦٨) عين حماد بك عبد العاطى مدرسا للأمير محمد باشا توفيق (٤) . ولما كان « من اللزوم وجود من يقوم مقامه لملاحظة ومناظرة الإجراءات الخيرية المقتضى إجراها بالمكاتب الأهلية » رأى على باشا مبارك أن يعهد بهذا العمل إلى إسماعيل بك محمد علاوة على عمله فى نظارة قلم الهندسة

---

(١) دفتر ٤١١ (مدارس عربى) ص ٧٢ من حماد بك مفتش المدارس الملكية فى ١١ المحرم ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ١١٥ رقم ٦٣٥ إلى حماد بك مفتش المدارس الملكية فى ١٥ ربيع الثانى ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ١٢٦ رقم ٤٠ إلى مديرية الغربية فى ٢٠ جمادى الأولى ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٥١ رقم ٤١ إلى كتاب الحسابات فى ٥ رجب ١٢٨٥

وعلى مفتشى المكاتب أن يرجعوا إليه فى شؤونهم [١]. ثم صدر الأمر بتعيين إسماعيل بك وكيلا لديوان المدارس — كما مر بنا — ولكن ديوان الأشغال احتفظ به.

وأخذ (التفتيش) فى الاتساع، فعين المعاونون الآتية أسماؤهم:

حسين أفندى شكيب: وكان خاليا من الخدمة [٢]، ثم نقل معاونا بالأوقاف [٣].

محمد أفندى فتحى: وكان معاونا بتفتيش المكاتب بالوجه البحرى [٤]، ثم نقل معاونا بأوقاف الجيزة وعهد إليه أيضا بالتفتيش عن مكاتبها [٥].

عبد اللطيف أفندى أحمد [٦]: وكان قبل ذلك مدرسا بالمدرسة التجهيزية، وبعد أن ظل بالتفتيش زمنا نقل إلى الدائرة السنية. [٧]

حسن أفندى أبو طالب: كان معاونا بالأوقاف فمفتشا لمكاتب الوجه القبلى بدلا من محمد أفندى سليمان الذى نقل إلى ديوان الأوقاف [٨].

---

(١) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٦٠ رقم ٥٨ إلى ناظر قلم الهندسة فى ٩ رجب ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ١٢ رقم ٧٥ إلى المالية فى ١٩ رجب ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٢٣ (مدارس عربى) ص ٤ رقم ٤٤ من الأوقاف فى ٣ جمادى الاولى ١٢٨٦

(٤) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٤٣ رقم ٥ إلى مديرية الدقهلية فى ٧ ذى القعدة ١٢٨٥

(٥) دفتر ٤٥١ (مدارس عربى) ص ١١٣ رقم ١٧٩ إلى الأوقاف فى ٢ رجب ١٢٨٩

(٦) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٨٣ رقم ٢٦ الى مديرية المنوفية فى ٢٣ ربيع الأول ١٢٨٧

(٧) دفتر ٤٣٥ (مدارس عربى) ص ٤٢ رقم ٢ الى الدائرة السنية فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨٧

(٨) دفتر ٤٢٢ (مدارس عربى) ص ٣٨ رقم ٢٧ من الأوقاف فى ٢٣ ذى الحجة ١٢٨٥

على أفندى طلعت : عين مفتشا لمكاتب الوجه القبلى (١) .

وعهد إلى أحمد أفندى خليل المدرس بمدرسة الإسكندرية التفتيش على المكاتب الأهلية بالثغر (٢) ، ثم أضيف إليه « تفتيش نظافة ومناظرة كراريس التلامذة ودروسهم » بمدرسة الإسكندرية (٣) .

وفى مارس ١٨٧١ شكل ديوان المكاتب الأهلية . وجاء فى (ترتيبه) أن يعين للتفتيش على المكاتب مفتشان أحدهما للوجه البحرى والآخر للوجه القبلى وأن يكون أحدهما ملما بأصول التربية ، وأن يعين بالديوان معاونان يقومان بنسخ الكتب التى تترجم أو تؤلف قبل طبعها وبالتفتيش على مكاتب القاهرة والمديريات (٤) .

ومن معاونى ديوان المكاتب الأهلية محمد أفندى أبو الخير ، ثم نقل مدرساً للرياضة بمدرسة بنها (٥) .

وفى ٢٩ مارس سنة ١٨٧٣ (غرة صفر ١٢٩٠) عين مسيو دور « بوظيفة مفتش الدروس والتربية ومباشرة كيفية التعليمات بالمدارس » أو بعبارة أخرى « مفتشا عاما للمدارس الملكية والمكاتب الأهلية » بمرتب ١٨ ألف فرنك فى السنة ، « وله قلم

---

(١) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ٩١ رقم ١٢٤ الى على أفندى طلعت مفتش مكاتب الوجه القبلى

(٢) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٣١ رقم ١٥١ الى مدرسة الاسكندرية فى ٨ ربيع الأول ١٢٨٧

(٣) دفتر ٤٣٥ (مدارس عربى) ص ٣٩ رقم ٣ الى مدرسة الاسكندرية فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٨٧

(٤) دفتر ٤٤٦ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٩٨ من المعية السنية فى غرة المحرم ١٢٨٨

(٥) دفتر ٤٥٠ (مدارس عربى) ص ١٧ رقم ٩٦ الى مدرسة بنها فى ٥ ربيع الأول ١٢٨٩

مخصوص »[١]. وبذلك دخل التفتيش فى طور منظم .

وبعد ذلك بنحو شهر صدر الأمر بتنظيم هذا « القلم المخصوص » بعد أن ألحق به المفتشون والمعاونون الذين كانوا يعملون بديوان المكاتب الأهلية [٢] .

وقد بلغ عدد موظفى قلم التفتيش اثنى عشر موظفا بين مفتشين ومعاونين وكتبة ومترجمين وخـــدم .

وجعلت ميزانية قلم التفتيش — وقد بلغت ٩٦ جنيها فى الشهر — من إيرادات المكاتب الأهلية ، وهى خارجة عن ميزانية ديوان المدارس [٣] .

وعين حسن افندى أبو طالب وإبراهيم افندى رفعت معاونين بالتفتيش ، ثم حل محلهما صالح افندى فيضى من موظفى هندسة الرى وحسين افندى رشدى كاتب تحريرات قلم التفتيش . وعين أحمد افندى محمد كاتبا للتحريرات [٤] . وكان عبد اللطيف افندى محمد معاونا بالتفتيش [٥] ومحمـــد افندى عاكف معاونا أول [٦] ، وفى سنة ١٨٧٨ كان أمين

---

(١) دفتر ســـنة ١٥٨٩ (إرادات للمدارس) ص ٥ رقم ٧ أمر الى ديوان المدارس فى غرة صفر ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٥٨ (مدارس عربى) ص ١٤٣ رقم ٢٥ الى المعية السنية فى ١٠ ربيع الأول ١٢٩٠ ومحفظة ٤ (مدارس) رقم ٢١٩ الى ناظر الأشـــغال والمعارف والأوقاف فى ١٦ ربيع الأول ١٢٩٠

(٣) دفـــتر ٤٦٥ (مدارس عربى) ص ٧٦ رقم ٤ الى المجلس الخصوصى فى ٢١ شعبان ١٢٩٠

(٤) دفتر ٤٧٤ (مدارس عربى) ص ٥٢ رقم ٢٤ من تفتيش المدارس والمكاتب فى ٤ شوال ١٢٩٠

(٥) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٩٥ رقم ١٨٥ الى مديرية إسنا فى ٢٦ شوال ١٢٩٠

(٦) دفتر ٤٦٨ (مدارس عربى) ص ٥ رقم ١٣٤ الى ديوان الأوقاف فى ٢٠ المحرم ١٢٩١

أفندى سامى (باشا فيما بعد) مفتشا بالمدارس ، وكان يرفع تقاريره إلى دور بك[١] .

وكان رجال التفتيش يزورون المكاتب ويقيدون عدد تلامذتها وفقهائها وعرفائها وأسماءهم ويصدرون الأوامر لإصلاح ما يحتاج منها إلى الإصلاح ، وكانت ثمرة هذه الجهود الشاقة الإحصاء العام الذى صدر فى سنة ١٨٧٥[٢] .

أما دوربك — وقد منح الرتبة الثانية فى ٧ شوال ١٢٩١ (نوفمبر ١٨٧٤)[٣] — فقد كان دخوله فى خدمة الحكومة المصرية ورياسته تفتيش المدارس فاتحة نهضة إصلاحية قوية فى التعليم تزعمها رياض باشا مدير المدارس فى ذلك الحين ، وقد درسنا فى موضع سابق هذه النهضة وأهدافها . ونكتفى هنا بأن نذكر أن دور قد اشترك اشتراكا جديا فى وضع اللوائح ومناهج الدراسة التى صدرت فى أوائل سنة ١٨٧٤ ، ونرى اسمه ماثلا فى جميع اللجان التى عهد إليها وضع هذه المناهج . وقد اشترك دور أيضا فى نهضة التأليف

---

(١) وبعض هذه التقارير فى مجموعة أوراق أمين باشا سامى بمتحف التعليم .

(٢) Minist. de l'Inst. Publique. Statistique des Ecoles Civiles. 1875.
وصدر بالعربية أيضا : نتيجة احصائية عمومية للمدارس والمكاتب بالقطر المصرى عن سنة ١٢٩٢ هلالية (مطبعة المدارس الملكية سنة ١٢٩٢ هجرية) .

(٣) دفتر سنة ١٢٩١ (إرادات للمدارس) ص ٢ رقم ٣ أمر الى مدير المدارس فى ٧ شوال ١٢٩١ ، وفى يناير ١٨٧٥ رفع مرتب دوربك الى ألف جنيه انجليزى فى السنة ، دفتر ٤٨١ (مدارس عربى) ص ٣٠ رقم ١٩٦ الى كتاب الحسابات فى ١٣ صفر ١٢٩٢ . وقد أمر الخديو بأن يصرف له فى كل شهر ٢٠ جنيها انجليزيا من دائرة الحرم الثالثة للخديو . دفتر ٢ (أوامر) ص ٥٩ رقم ١٢٩ أمر فى ٧ صفر ١٢٩٢ . وفى غاية صفر ١٢٩٤ (مارس ١٨٧٧) منح دوربك رتبة المتميز — دفتر سنة ١٨٧٧ (إرادات للمدارس) ص ١ رقم ٤ أمر الى ديوان المدارس فى غاية صفر ١٢٩٤

المدرسى ، إذ وضع كتابا فى اللغة الألمانية للتلامذة الذين كانوا يدرسون هذه اللغة بالمدارس والمكاتب(١) .

وكان دور وثيق الصلة بالخديو ، يرفع إليه التقارير من وقت إلى آخر . وفى سنة ١٨٧٤ أمضى دوربك فى أوروبا مستشفيا ثلاثة أشهر شغل فيها بالتفتيش عن شئون الطلبة المصريين الذين يطلبون العلم فى أوروبا(٢).

وكان دور بك ينهض بهذه الواجبات المتعددة مناضلا العقبات الكثيرة القائمة فى طريقة ، ولم يفقد شجاعته وإيمانه قط ، « والموت وحده — كما قال رئيسه وصديقه رياض — هو الذى استطاع أن يحطم هذه الإرادة الصلبة التى لا تقهر » (٣) .

ولكن هذه العقبات استطاعت أن تحمل ثابت باشا ناظر المعارف على فصل دور بك من وظيفته وإلغاء التفتيش فى ابريل ١٨٧٩ . ولكن دور ما لبث أن عاد إلى منصبه فى ٤ نوفمبر من هذه السنة (٤) ، وكان على إبراهيم باشا فى ذلك الحين ناظراً للمعارف ورياض باشا ناظراً للنظار . عاد دور بك وكانت حركة الإصلاح الخطيرة التى شهدتها نظارة المعارف فى سنة ١٨٨٠ تنتظره ليمدها بعظيم كفايته وخبرته ونشاطه . وقد رأيت الدور الخطير الذى ساهم به دور فى هذه الحركة التى مات

---

(١) دفتر ٤٧٥ (مدارس عربى) ص ٩٨ رقم ٨٥ : تفتيش المدارس فى ١٥ المحرم ١٢٩١

(٢) دفتر ٤٧٠ (مدارس عربى) ص ٦٠ رقم ٢٥ الى المعية السنية فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٩١

(٣) Riaz Pacha, Eolge de Dor Bey (Bull. Soc. Khédiviale de Géographie. 1er Série, nos. 9-10.)

(٤) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٣٤ — ٣٦

قبل أن يشهد ثمرتها . « وبموت دور بك مات التفتيش معه تقريبا فعاد الحال إلى ما كان عليه قبل تنظيمه له ، فإن المفتشين الذين تهذبوا على يديه بشق الأنفس خرجوا من وظائفهم وتشتتوا أيدى سبا فى مصالح الحكومة بحيث أصبح التفتيش اسما ليس إلا » . (١)

إدارة المدارس الملكية

بدأ إنشاؤها فى نوفمبر سنة ١٨٦٧ حين عهد ناظر المعارف على باشا مبارك إلى ناظر مدرسة المبتديان إسماعيل بك زهدى « المرور على مدارس التجهيزية والمهندسخانة والطب البيطرى والإدارة والألسن وملاحظة نظافة محلاتها وماكولات ومشروبات التلامذة ودوام المرور عليها » (٢) .

ومن واجبات الإدارة أن ترسل إلى الديوان فى كل يوم « يومية » توضح فيها عدد تلامذة المدارس الغائب منهم والحاضر والمريض بالمستشفى الخ . والمعلمين ودروسهم الخ . أى « تكون محتوية كل ما يتعلق بأشغال المدارس » (٣) .

وجعل للإدارة (مخزن) تودع به (تعينات) التلاميذ وأدواتهم الدراسية وملابسهم الخ . .

---

(١) يعقوب أرتين باشا : القول التام . . . . . ص ١١٣

(٢) دفتر ٤٠٥ (مدارس عربى) ص ١٠٦ رقم ٦٠ إلى المبتديان فى ٥ رجب ١٢٨٤

(٣) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ١٧٨ رقم ٦٨١ إلى إدارة المدارس الملكية فى ٤ جمادى الأولى ١٢٨٥

وكان يعهد إلى مأمور الإدارة أحيانا باجراء التحقيق فى بعض المسائل التى تقع بالمدارس.[١]

وفى مايو ١٨٦٩ عين إسماعيل بك زهدى وكيلا لديوان المدارس بالإضافة إلى عمله كمأمور لإدارة المدارس الملكية وناظر مدرسة المبتديان، وفى الوقت نفسه عين السيد صالح مجدى (أفندى) — وكان مترجما بقلم المدارس ومن المقربين إلى على باشا مبارك — وكيلا لإدارة المدارس الملكية[٢]. وفى العام التالى عين مجدى مأموراً للادارة، ثم منح الرتبة الثانية بناء على التماس على مبارك باشا لأنه قائم بعمله خير قيام كمأمور «إدارة المدارس الملكية ومناظر دروسها العربية ولغاتها الأجنبية مع اهتمامه بترجمة الكتب والمواد العايدة على الوطن بالمنفعة»[٣]. وذكر على باشا مبارك أن مجدى كان يجمع بين مأمورية إدارة المدارس الملكية ونظارة دروس المدارس[٤].

ولما تولى بهجت باشا نظارة ديوان المدارس أبقى إدارة المدارس الملكية ولكنه ألغى «التحريرات» الخاصة بها وأحال «أشغالها على تحريرات ديوان

---

(١) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ١٨٥ رقم ٥١٥ الى إدارة المدارس الملكية فى ٧ ذى الحجة ١٢٨٥

(٢) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ١٧٣ أمر الى مدير المدارس فى ٥ صفر ١٢٨٦، الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

(٣) دفتر ٤٣٨ (مدارس عربى) ص ٦٣ رقم ١٩ الى المعية السنية فى غرة ربيع الثانى ١٢٨٨ ودفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ١٨٦ رقم ٣ أمر الى ديوان المدارس فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٨٨

(٤) الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

عموم المدارس » [١] .

وفى عهد نظارة مصطفى رياض باشا للمعارف أمر بالغاء إدارة المدارس الملكية فى نوفمبر ١٨٧٣ وفصل مأمورها السيد صالح مجدى بك [٢] ، وبعد عامين عين مجدى بك قاضيا بمحكمة مصر المختلطة ومات فى سنة ١٨٨١ [٣] .

نظارة دروس المدارس

أنشأ هذه الوظيفة أيضا على باشا مبارك فى سنة ١٨٦٨ ، وعهد بها إلى إسماعيل بك الفلكى « ناظر التجهيزية وما معها » [٤] : أى مدارس المهندسخانة والإدارة والألسن والمساحة والمحاسبة وفرقة الرسم وفرقة التلغراف الخ ... وكان الغرض من إنشائها أن يشرف صاحبها على سير الدراسة بالمدارس أى الناحية الفنية من التعليم . ويلخص عمله فى الإشراف على « ترتيب دروس المدارس جميعها وملاحظتها وتمشيتها بأوقاتها

---

(١) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ٩٠ رقم ١٨٤ إلى إدارة المدارس الملكية فى ٥ شوال ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٦٤ رقم ٨٤ إلى المالية فى ١١ شوال ١٢٩٠

(٣) جورجى زيدان : مشاهير الشرق ج ٢ ص ١٦٤

وعند ما عاد على باشا مبارك إلى نظارة المعارف فى سنة ١٨٨٨ جدد وظيفة مأمور إدارة المدارس وعهد بها إلى مسيو مونتان « ناظر المدرسة العليا سابقا » — أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٦٣

(٤) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ١٨٩ رقم ٢٣٢ إلى ناظر التجهيزية وما معها فى ٨ شوال ١٢٨٥

وملاحظة إلقاها من الخوجات وما يماثل ذلك »[١] ولهذا كان يعهد إلى « ناظر الدروس » بوضع جداول الدروس وفحص تقارير امتحانات المدارس ، وأمر المدير أن لايصرف شيء من أدوات التعليم إلا بإذن الناظر[٢] ، وأحيلت إليه إدارة مطبعة المدارس الملكية للإشراف على طبع الكتب المدرسية بها وتوزيعها فى الوقت المناسب[٣] .

وفى سبتمبر ١٨٦٩ رأى على مبارك باشا أن أعمال إسماعيل بك الفلكى بالرصدخانة تحول دون تفرغه لمنصبه كناظر لدروس المدارس فأحل محله إسماعيل (بك) محمد ناظر قلم الهندسة بديوان الأشغال العمومية[٤] ، ثم خلفه السيد صالح مجدى بك حتى فصل من ديوان المدارس فى نوفمبر ١٨٧٣ .

وفى أكتوبر ١٨٧٩ عين على باشا مبارك مسيو « جرانيه » مدرس الخط الأوروبى بالمدارس ملاحظاً « لأجل ملاحظة سير وحركات الضباط والمعيدين مع مناظرة دفاتر أوقات الخوجات وقيد أخلاق التلامذة وزيادة الاعتناء فى ضبط وربط التلامذة بالمدارس المذكورة وملاحظة ملبوساتهم ونظافتهم ليكونوا موجودين بقيافة حسنة وتكون المدارس فى الوضع والقالب الحسن كما هو المطلوب والمرغوب »[٥] .

---

(١) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ١٨ رقم ٢٤٥ إلى ناظر التجهيزية وما معها فى ١٧ — ١٩ شوال ١٢٨٥

(٢) الوثيقة السابقة ، ص ٢٤ رقم ٥٥ فى ٢٥ شوال ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ٦٩ رقم ٢٦٨ إلى ناظر التجهيزية وما معها فى ٣ ذى القعدة ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ٣ إلى ديوان الأشغال العمومية فى ٧ جمادى الآخر ١٢٨٦

(٥) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربى) ص ١٦٧ رقم ١٢٤ إلى إدارة المدارس الملكية فى ٢٠ رجب ١٢٦

معاونو الديوان

بدأ تعيين معاونين لديوان المدارس منـــذ إنشائه فى عهد محمد على ، واستمرت وظائفهم فى عهد عباس[١] . وأخذت مهام المعاونين تنحصر فى الشئون الإدارية البحتة وأخصها شراء الأدوات والمواد اللازمة للمدارس والأبنية وتحقيق بعض القضايا وجرد المخازن وحمل النقود إلى المدارس . فهم الهيئة (الإدارية) بالديوان[٢] .

ويبـــدو أن وظائف معاونى الديوان ألغيت ، فانا لا نسمع عنهم شيئاً بعد سنة ١٨٧٠ .

أقلام الديوان

كان « يوسف أفندى رحمى » أول موظف « كتابى » عين بالديوان ، عين « كاتب تحريرات ديوان تركى ومقيد ومبيض ومترجم »[٣] ، ثم عين « ناظر تحريرات تركى

---

(١) تاريخ التعليم فى عصر عباس وسعيد للمؤلف ص ٤٤ — ٤٥

(٢) ومن معاونى ديوان المدارس فى عهد إسماعيل : حسن افندى ، صالح حسين افندى صدقى ، أحمد افندى بسيم ، حسن افندى وفائى ، إبراهيم افندى مقامى ، محمد أفندى أمين ، عثمان أفندى رأفت ، إسماعيل أفندى صالح: محفظة ٣١ (معية تركى) رقم ١٩٠ من شريف باشا إلى المعية فى ١٤ ربيع الثانى ١٢٨٠ ، دفتر ٣٨٧ (مدارس عربى) ص ٤٢ رقم ٣٢٧ إلى محمد أمين معاون بالديوان فى ٢٦ شوال ١٢٨٤ ، دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٦٦ رقم ٣٥٠ إلى كتاب الحسابات فى ٤ شوال ١٢٨٤ ، دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ١٠١ رقم ١٥٣ إلى تفتيش وجه بحرى فى ٩ شوال ١٢٨٧

(٣) محفظة ٣٠ (معية تركى) رقم ١٩٠ من محمد شريف باشا إلى المعيـــة فى ١٤ ربيع الثانى ١٢٨٠

وعربى »[١] ، وكان يعدُّ من كبار موظفى الديوان .

وبدأ العمل الكتابى بالديوان ينعقد ، فقسم قسمين أو قلمين[٢] :

١ — القسم التركى : يتألف من ثلاثة موظفين : كاتب تركى ومبيض ، مقيد للصادر والوارد ، مبيض .

٢ — القسم العربى : ويرأسه باشكاتب ويعاونه كاتبان للتحريرات وكاتبان للصادر والوارد وكاتبان لورشة الصنف والعهد والزمات وشطب الحسابات وكاتبان ليومية الخصم والإضافة والاستحقاقات .

ثم هناك صراف الديوان وكاتب ومخزنجى للكتبخانة العربية الملحقة بالديوان وعدد من (البلطجية) أى (السعاة) والقواسة والخدم . وكلما ازدادت فروع الديوان ازداد التعقد فى أعماله .

ففى سنة ١٨٧٢ — كانت الأعمال الكتابية والحسابية موزعة على (ورش) ورشة الحسابات وورشة اليومية وورشة الاستحقاقات وورشة الصنف والعهد وورشة التحويرات وقلم الإدارة[٣] .

وعداهذه (الأقلام) و (الورش) كان يتبع الديوان أقلام كبيرة : وهى قلم الوقائع وقلم الترجمة وقلم الروضة والمطبوعات .

---

(١) محفظة ٣١ (معية تركى) رقم ١٩٠ من محمد شريف باشا إلى المعية فى ١٤ ربيع الثانى ١٢٨٠

(٢) الوثيقة ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ١٥١ فى ذى الحجة ١٢٨١

(٣) ميزانية عن ماهيات ومصروفات ديوان المدارس وفروعه سنة ١٢٧٩ — جزء أول قيد التراتيب بالمجلس الخصوصى سنة ١٥٨٩

قلم الوقائع [١]

عقب تولى إسماعيل حكم مصر بأيام أصدر أمره — فى ٧ شعبان ١٢٧٩ — بأن يعطى (عبد الرحمن رشدى بك) مدير سفن الوجه البحرى التزام نشر الوقائع لنشر الحوادث المصرية والأجنبية ، من غير أن يكون للحكومة مدخل فى هذا ، وقبلت الحكومة التماسه فنقلت إلى (قلم الوقائع) ، الذى شكله أحمد راسخ افندى ومصطفى رسمى افندى وكانا يعملان قبل ذلك فى تحرير الوقائع [٢] ، وأمرت دوائر الحكومة بأن تزوده بالأخبار الهامة فى كل يوم [٣] ، وكذلك أعطى عبد الرحمن بك رشدى التزام مطبعة بولاق . ثم نزعت منه المطبعة وجعلت تابعة للدائرة السنية ، أما قلم الوقائع فألحق بديوان المدارس من مارس ١٨٦٥ [٤] .

وكان قلم الوقائع فى ذلك الوقت يتكون من محرر للوقائع ومترجم (هما راسخ ورسمى) ومأمور للتوزيع ومساعده وبلطجيين .

وظلت مطبعة بولاق قائمة على طبع الوقائع ، وكانت تطبع منها فى ذلك الوقت فى

---

(١) لايعنينا هنا أن نتكلم على (صحيفة) الوقائع المصرية ، وإنما نقصر حديثنا على (قلم) الوقائع كقلم من أقلام الديوان .

(٢) دفتر ٥٢٥ (معية تركى) ص ٤٠ أمر إلى أحمد رشيد بك ناظر المالية فى ٧ شعبان ١٢٧٩

(٣) محفظة ٢٩ (معية تركى) رقم ٤٤٤ من عبد الرحمن بك مدير الوابورات الميرية إلى المعية فى ١٩ شعبان ١٢٧٩

(٤) دفتر سنة ١٥٨١ (إرادات للمدارس) ص ٤ رقم ٩ أمر إلى ديوان المدارس فى ٩ ذى القعدة ١٢٨١

كل أسبوع ٥٢ (وقيعة) تركية و ٩٨ (وقيعة) عربية، ثم أخذت تطبع ٩٩ (وقيعة) تركية و ٤٨ (وقيعة) عربية[١].

ويشرف ديوان المدارس على توزيع الوقائع وتحصيل أثمانها[٢]، ويخصم من ميزانيته الفرق الناتج من زيادة تكاليف طبعها عن ثمن بيعها[٣].

وفى نوفمبر سنة ١٨٦٥ وضع شريف باشا وخيرى بك (ترتيبا) جديدا لقلم الوقائع زيدت به ميزانيته من ٧,٧٠٠ قرش إلى ٩,٨٥٠ قرشا فى الشهر، إذ عين به مترجم ثان ومحرر عربى أول (وهو الشيخ أحمد عبد الرحيم) ومحرر ثان ومبيض وموزع، ووافق الخديو على هذا الترتيب وأمر بأن يقيد «قلم الوقائع مستقلا» أى أن مرتبات موظفيه لا تؤخذ من ميزانية ديوان المدارس، على أن تبقى الأعمال الحسابية والتوزيع وتدارك الورق والمهمات من اختصاص ديوان المدارس كما كانت قبلا[٤]. ولهذا بقى قلم الوقائع مقيما

---

(١) دفتر ٣٦٠ (مدارس عربى) ص ٢ رقم ٤٢ إلى مطبعة بولاق فى ٩ المحرم ١٢٨٢

(٢) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ١٠٨ رقم ٢٩ فى ٣ ذى الحجة ١٢٨١، رقم ٣١ فى منه إلى مطبعة بولاق.

(٣) كانت الوقيعة التركية تباع بقرشين ونصف قرش والعربية بقرشين، ولكنها فى مجموعها كانت الوقيعة منها تتكلف ستة قروش ونصف قرش.

دفتر ٣٦٠ (مدارس عربى) ص ٥٦ رقم ٢٢٣ إلى المالية فى غرة صفر ١٢٨٢، ص ١٨٦ رقم ٩٨٤ إلى كتاب الحسابات فى ١٦ ربيع الثانى ١٢٨٢. وكان الاشتراك السنوى فى مصر ٨٥ قرشا: دفتر ٣٨٩ (مدارس عربى) ص ٩٥ رقم ٧٨٢ إلى اسبتاليات مصر فى ٢٠ ربيع الأول ١٢٨٤ وفى السودان ١٢٠ قرشا: دفتر ٣٧٢ (مدارس عربى) ص ١١١ رقم ٧٤٨ إلى حكمدار السودان فى ٢٣ صفر ١٢٨٣

(٤) دفتر ٥٥٧ (معية تركى) ص ٣٩ أمر إلى ناظر المالية فى ٣ رجب ١٢٨٢

بإحدى غرف الديوان[١] ، إلى أن وضع ترتيب غرة رمضان ١٢٨٤ (١٨٦٨) فأحيل قلم الوقائع بحساباته وأوراقه إلى المالية[٢] .

قلم الترجمة[٣]

صح عزم حكومة إسماعيل على أن تنشىء بديوان المدارس قلما للترجمة على مثال قلم الترجمة الذى كان ملحقا بديوان المدارس فى عهد محمد على ، وصح عزمها على أن تجعل على رأسه ناظره القديم رفاعة بك ، فعينت رفاعة بك رافع عقب إنشاء ديوان المدارس « رئيس قلم الترجمة وأرباب (أى عضواً) قومسيون »[٤] بالرتبة التى كان يحملها (المتمايز) والمرتب الذى كان يتقاضاه (٨٠ جنيهاً فى الشهر) عند ما فصل من خدمة الحكومة فى ٧ مارس ١٨٦١ وقت إلغاء المدرسة الحربية بالقلعة فى عهد سعيد[٥] .

وكان إسماعيل يعنيه على الخصوص ترجمة القانون الفرنسى (Code) ، فأمر بتشكيل قلم الترجمة من الموظفين الآتية أسماؤهم على أن تكون إقامتهم بديوان المدارس أما مرتباتهم فتقيد بالمالية وهم :[٦]

---

(١) دفتر ٣٧٠ (مدارس عربى) ص ٦٧ رقم ٢٨٧ إلى وكيل الديوان فى ٢٣ رجب ١٢٨٢

(٢) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٥٢ رقم ١٠٩ إلى المالية فى ١١ رمضان ١٢٨٤

(٣) لا يعنينا هنا أن نتكلم على (حركة) الترجمة فى عهد إسماعيل ولكننا نقصر حديثنا على (قلم) الترجمة كقلم من أقلام ديوان المدارس .

(٤) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٩ رقم ١٣ إلى المالية فى ٩ شوال ١٢٧٩

(٥) دفتر ٣٤٦ (مدارس عربى) ص٢ رقم ٣٨٨ من الدفترخانة فى ١٣ رمضان ١٢٧٩

(٦) دفتر ٣٤٦ (مدارس عربى) ص ١٣ رقم ٤ من المعية فى ١٣ رمضان ١٢٧٩

رئيس القلم : عبد الله بك السيد ، بالرتبة الثانية ، ووظيفته ملاحظة الترجمة وتصحيح ما يتم ترجمته والمشاركة فى الترجمة .

مترجمون : السيد أفندى صالح مجدى ، بالرتبة الثالثة ، وكان يعمل بقلم الترجمة بالقلعة فى عهد سعيد فى ترجمة وطبع الكتب العسكرية (١) .

عبد الله أبو السعود أفندى : بالرتبة الثالثة ، وكان من المترجمين بقلم الترجمة فى عهد محمد على

محمد قدرى أفندى : بالرتبة الرابعة .

محمد لاظ أفندى : بالرتبة الخامسة ، وكان يعمل فى ترجمة الكتب العسكرية ثم عمل فى ترجمة القانون المدنى .

ومبيضون : ومنهم محمد أفندى مذكور الذى عين بعد ذلك مدرسا للخط بالمدارس .

أما رفاعة بك فجعل « ناظراً » لقلم الترجمة (٢) . وعلى هذا النحو تكون قلم الترجمة لأول مرة فى حكم إسماعيل ، واستقر فى إحدى غرف ديوان المدارس (٣) ، ونشط المترجمون ، وكانت باكورة أعمالهم « المقالة الأولى من قانون مدنى المشتمل على خمسمائة وخمسة عشر بندا » ورفعت إلى الخديو بعد تصحيحها ومقابلتها (٤) .

وبدأ عمل قلم الترجمة يتسع وناء به مترجموه القليلون ، فطلب مترجمون آخرون

---

(١) الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

(٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٨٩ رقم ١١٦ إلى رفاعة بك فى ٢ ذى الحجة ١٢٧٩

(٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٠٨ رقم ٧٦ إلى المالية فى ١٦ ذى الحجة ١٢٧٩

(٤) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٣٥ رقم ٨ إلى المعية فى غرة المحرم ١٢٨٠

كانوا يعملون بدواوين أخرى ، ومنهم رمضان أفندى ومصطفى أفندى صفوت ، وكانا يعملان مترجمين بديوان الجهادية [١] .

ولكن قلم الترجمة ما لبث أن بدأ يضعف ، فقد نزع منه فى سنة ١٨٦٤ المترجمان محمد لاظ وسيد مجدى والمبيضان محمد بهائى ومحمد أمين ونقلوا جميعا إلى المعية [٢] ، وكان بها قلم آخر للترجمة [٣] .

وفى ديسمبر ١٨٦٤ قيدت مرتبات الباقين من رجال قلم الترجمة بديوان المدارس ، فأصبحوا يتبعون إليه من الوجهتين الإداريه والمالية . وكان القلم فى ذلك الوقت يتألف من [٤] :

رئيس : هو عبد الله بك السيد .

ومترجمين : وهما أبو السعود افندى ومحمد افندى قدرى .

ومبيضين : وهما محمد افندى راسم والشيخ على أبو الليل .

وخطاط : هو محمد افندى فتح الباب ، وخادم ، ومجموع مرتباتهم فى الشهر ١١,٨٨٠ قرشا ، عدا رفاعة بك رافع وقد عين لمعاونته فى الترجمة ولده (بدوى بك فتحى) وكان قد تلقى علومه بالمدرسة الحربية وارتقى إلى رتبة اليوزباشى [٥] . وازداد

---

(١) دفتر ٣٤٤ (مدارس عربى) ص ٧٠ رقم ٨٥ إلى الجهادية فى ٢١ ربيع الأول ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٦٦ (مدارس عربى) ص ٣٨ رقم ١٧ من المالية فى ٢٢ ربيع الثانى ١٢٨١

(٣) الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

(٤) دفتر ٣٦٦ (مدارس عربى) ص ١٣٤ رقم ٨٧ من المالية فى غرة رجب ١٢٨١

(٥) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ١٧٨ رقم ٦٦٣ إلى كتاب الحسابات فى ٢٩ ذى الحجة ١٢٨١

قلم الترجمة ضعفاً ، إذ نقل رئيسه عبد الله بك السيد إلى عضوية مجلس الأحكام[١].

وسعى ميرشير بك ناظر المدارس الحربية ليشكل قلماً خاصاً بترجمة الكتب العسكرية ، ولكن ديوان المدارس أبى وأعلن عزمه على تدعيم قلم الترجمة بالمدارس ، فأضاف إليه مترجماهو محمد أنسى افندى[٢] (نجل عبد الله أبى السعود افندى). ولكن رفاعة بك ما زال يشكو قلة المترجمين — وخاصة بعد أن أحيل عليه ترجمة الكتب العسكرية — فأرسل له الديوان (مبيضا)[٣] ثم أعاد إليه بعض المترجمين الذين كانوا نقلوا إلى المعية .

وفى ابريل ١٨٦٦ كان بالقلم من المترجمين أبو السعود افندى وقدرى افندى والسيد صالح مجدى افندى وحسن الجبيلى افندى ، وكانوا يعلون فى ترجمة القوانين الفرنسية والدستور العثمانى والجريدة العسكرية وحسابات البعثة المصرية بباريس . وكان بالقلم محمد رشدى افندى وكان يعمل فى ترجمة كتاب رفاعة بك فى تاريخ مصر إلى اللغة التركية[٤] .

---

(١) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ٥ رقم ٣٠٥ إلى كتاب الحسابات فى ٥ رمضان ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ١٨٠ رقم ٦٧١ إلى كتاب الحسابات فى ٣ المحرم ١٢٨٢

(٣) دفتر ٣٦٠ (مدارس عربى) ص ٤٧ رقم ٧٩٥ إلى كتاب الحسابات فى ٢٧ المحرم ١٢٨٢

(٤) دفتر ٣٧١ (مدارس عربى) ص ٧٠ رقم ٥٢ إلى الدائرة السنية فى ١٦ ذى القعدة ١٢٨٢ ؛ ص ٧٦ رقم ٨٢ إلى مطبعة بولاق فى ٨ ذى القعدة ١٢٨٢ ؛ ص ١٧٧ رقم ١٨٠ إلى المالية فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٢

ولما طلب إلى رفاعة بك أن يسرع القلم فى إتمام ترجمة « جغرافية ملطبرون » التى أصدر رفاعة بعض أجزائها فى عصر محمد على شكا أن القلم — « وكان فى أصل ترتيبه موافق للاحتياجات البلدية » — ليس به سوى ثلاثة مترجمين (أبو السعود ومجدى والجبيلى) ، فأضاف إليهم الديوان رابعا : هو محمد افندى البحيرى وكان موظفا بالسكة الحديدية (١) .

وبلغ من ضعف القلم وقلة الكفايات فيه أنه لما أحيلت إليه ترجمة بعض اللوائح والإرشادات الصحية أعادها رفاعة بك محتجاً بأن بها مصطلحات طبية لا يمكن ترجمتها إلا بمدرسة الطب (٢) ، وطلب إليه ترجمة بعض الأوراق إلى اللغة التركية ، فرد رفاعة بك بأن القلم ليس به سوى مترجمين للغة الفرنسية (٣) .

وتشتت مترجمو القلم حتى أصبح « الباقى بالديوان هو اسم القلم » فقط (٤) ، أو على حد تعبير رفاعة بك : أصبح مترجمو القلم « أسماء بدون أجسام » (٥) ، وذلك على الرغم من أنه

---

(١) دفتر ٣٨٠ (مدارس عربى) ص ٣٩ رقم ١٢ إلى كتاب الحسابات فى ١٢ جمادى الأولى ١٢٨٣

(٢) دفتر ٣٨٦ (مدارس عربى) ص ١١٢ رقم ٣٠ إلى الداخلية فى ٤ رمضان ١٢٨٣

(٣) دفتر ٣٨٨ (مدارس عربى) ص ١٠٩ رقم ٥٨٠ إلى مجلس تجار مصر فى ٢٦ المحرم ١٢٨٤

(٤) دفتر ٣٨٩ (مدارس عربى) ص ٥٥ رقم ١٠٩ إلى الداخلية فى ١٢ ربيع الاول ١٢٨٤

(٥) دفتر ٤٠٠ (مدارس عربى) ص ١٤٣ من ناظر قلم ترجمة فى ٤ ربيع الثانى ١٢٨٤

كان ينتظم فى ذلك الوقت ثلاثة عشر موظفا ما بين مترجم ومبيض[١] .

أما رفاعة فكان — إلى جانب عمله فى الإشراف على ما يقوم القلم بترجمته ومراجعته — يقوم بمهام كثيرة : عين أول تعيينه بديوان المدارس عضواً بالقومسيون ، وقد قام رفاعة بك بدور كبير فى تنظيم تدريس اللغة العربية بالمدارس ، فكان يمتحن الفقهاء والشيوخ ليختار منهم الأكفاء لوظائف التدريس[٢] ، ويزور المدارس ليتفقد عملهم ويختبر كفايتهم للتدريس[٣] ، ويضع بيانا بكتب اللغة العربية الصالحة للتدريس لكل مدرسة وطرق تدريسها والقواعد التى ينبغى على المعلمين اتباعها بالنسبة لسن التلامذة ومدة الدرس[٤] .

وكان رفاعة عضواً فى القومسيون الذى شكل لدرس لائحة رجب ١٢٨٤ ، وعقب صدورها أحال عليه الديوان « رياسة مجلس المكاتب الأهلية المقتضى انعقاده للنظر فى حال المدارس والمكاتب الأهلية[٥] .

---

(١) دفتر ٣٩٦ (مدارس عربى) رقم ٣٠٨ ص ١٥ إلى مدرسة اسكندرية فى ٨ جمادى الأولى ١٢٨٤

(٢) دفتر ٣٤٦ (مدارس عربى) ص ٤٢ رقم ٤٢ من المبتديان فى غاية ذى القعدة ١٢٧٩

(٣) محفظة ٤٤ (معية تركى) رقم ١٤٧ (عربى) من ناظر الجهادية والبحرية إلى المهردار فى ١٩ رجب ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ١١٣ رقم ٣٩٦ إلى ناظر قلم ترجمة فى ٢٩ شوال ١٢٨٤

(٥) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٦٠ رقم ٥٠ إلى ناظر قلم ترجمة فى ٩ رجب ١٢٨٥

ولما أنشئت صحيفة روضة المدارس وضعت « تحت نظارة » رفاعة بك، وكان يباشر تحريرها ولده على بك فهمى [١].

وتوفى رفاعة إلى رحمة الله فى سنة ١٨٧٣ . وخلفه فى رياسة قلم الترجمة بديوان المدارس عبد الله افندى أبو السعود [٢]، وكان يدرس التاريخ بمدرسة دار العلوم والترجمة بمدرسة الإدارة والألسن ويصدر جريدة « وادى النيل » . ومن مترجمى القلم فى ذلك الوقت محمد افندى الطيب [٣] .

ويظهر أن قلم الترجمة بعد أن أتم رجاله ترجمة القوانين الفرنسية التى طبقت فى المحاكم التى أنشئت فى عصر إسماعيل لم يقم بعمل فنى كبير ، فاقتصر عمله على الأعمال الإدارية كترجمة الخطابات الفرنسية التى تصدر إلى الديوان أو تأتى إليه . ولهذا دعاه دوربك فى أحد تقاريره إلى الخديو [٤] (Bureau de Correspondance européenne et de traduction) « مكتب التحريرات الأوروبية والترجمة » ، وذكر أنه فى حالة سيئة تتطلب العلاج السريع أو الإلغاء ، واقترح أن يوضع تحت إدارته ويجدد موظفوه .

ونذكر هنا أن من أهم أسباب ضعف قلم الترجمة أنه لم يجد مدرسة تقوم على إمداده بالمترجمين الأكفاء كما كانت مدرسة الألسن فى عهد محمد على : فإن مدرسة الإدارة

---

(١) انظر العدد الأول من روضة المدارس فى ١٥ المحرم ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ١٢١ رقم ٢٢٠ إلى أبى السعود افندى فى ٥ ذى القعدة ١٢٩١

(٣) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ٢٥ رقم ٢٧٥ إلى ناظر الترجمة فى ١٨ ذى القعدة ١٢٩١

(٤) Dor, Rapport confidentiel....(Abdine) S. D.

والألسن التى أنشئت فى سنة ١٨٦٨ اتجهت نحو العناية بدراسة القانون ولم تعن بإعداد المترجمين ، حتى إذا كانت سنة ١٨٧٨ أنشئت « مدرسة الألسن » لإعداد المترجمين خاصة ، وجعلت ثلاثة أقسام : قسما انجليزيا وقسما فرنسيا وقسما ألمانيا ، واقترح قومسيون ١٨٨٠ وسائل معينة لتدعيم المدرسة . وفى سنة ١٨٨٥ حولت النظارة مدرسة الألسن إلى قلم للترجمة ووضعته تحت إدارة ناظر دار العلوم ، ثم كان قلم الترجمة نواة مدرسة المعلمين الخديوية .

قلم الروضة والمطبوعات

حرص ديوان المدارس منذ إنشائه على أن يملك « مطبعة » يطبع فيها الكتب والأوراق التى يحتاج إليها ، فراح يجمع (ملازم الحجر) من القناطر الخيرية حيث كانت منذ أيام سعيد باشا (١) ومن ديوان الواردات (٢) ومن المالية (٣) ، حتى إذا اجتمعت له مطبعة كاملة أقامها بمدرسة المبتديان بالعباسية وطلب لها الطابعين والمساعدين (٤) .

---

(١) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربى) ص ٦٠ رقم ١ إلى القناطر الخيرية فى ١٢ ربيع الثانى ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربى) ص ٦٧ رقم ١١ إلى الواردات فى ١٧ ربيع الثانى ١٢٨٠

(٣) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربى) ص ٨٥ رقم ٢٠ إلى المالية فى ٢٧ ربيع الثانى ١٢٨٠

(٤) دفتر ٣٦٢ (مدارس عربى) ص ٥٣ رقم ٤٢٧ إلى المبتديان فى ١٧ شعبان ١٢٨١

فلما نقلت المدارس من العباسية فى سنة ١٨٦٨ نقلت المطبعة إلى مقر المدرسة التجهيزية بدرب الجماميز [١] .

وفى ترتيب غرة رمضان ١٢٨٤ (يناير ١٨٦٨) جعل (لمطبعة المدارس الملكية) قسم خاص وعينت مرتبات موظفيها [٢] ، ووضعت تحت إدارة إسماعيل بك الفلكى (ناظر التجهيزية وما معها) [٣] ثم تحت إدارة ناظر الكتبخانة الخديوية [٤] .

وفيما عدا الكتب المدرسية وأمشق الخط والرسم كان أهم ما تقوم مطبعة المدارس الملكية على طبعه الصحيفة التى أصدرها ديوان المدارس فى ابريل ١٨٧٠ وهى « روضة المدارس » .

صدر العدد الأول منها يوم السبت ١٥ من المحرم ١٢٨٧ (١٧ ابريل ١٨٧٠) وكانت تصدر مرتين فى الشهر و « يكتب فيها من ينتخب من ذوى المعارف ويستحسن نشره بين الناس من الفوائد العلمية لأجل توسيع دائرة الأفكار ، وتحريرها

---

(١) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ١٠٣ رقم ٢٥٩ إلى المبتديان فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربى) ص ٩٩ رقم ٥٢٧ إلى كتاب الحسابات فى ١٦ صفر ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ٦٩ رقم ٢٦٨ إلى ناظر التجهيزية وما معها فى ٣ ذى القعدة ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤٣٩ (مدارس عربى) ص ٢٤ رقم ٥٠١ إلى ناظر كتبخانة خديوية فى ١٦ جمادى الأولى ١٢٨٨

يكون بعبارة سهلة التناول وجيزة مفيدة »[1] . ودعا ديوان المدارس جملة من العلماء المبرزين للمساهمة فى تحريرها كل وما اختص به ، وقد نشرت مقالاتهم بالروضة تباعا على شكل كتب : فكتب على باشا مبارك (حقائق الأخبار فى أوصاف البحار) و (تنوير الأفهام فى تغذى الأجسام) ، وكتب عبد الله بك فكرى (آثار الأفكار ومنثور الأزهار) ، وكتب إسماعيل بك الفلكى (بهجة الطالب فى علم الكواكب) ، وكتب الدكتور محمد بدر (الصحة التامة والمنحة العامة) ، وكتب أحمد أفندى ندا (المباحث البينات فيما يتعلق بالنبات) ، وكتب الشيخ عثمان مدوخ مدرس الإنشاء العربى بالمساحة والمحاسبة (غرائب النوادر والمضحكات والألغاز والأحاجى والنكات) ، وكتب أحمد فتحى بك ناظر مدرسة الإسكندرية (الروضات النفحية والمقامات الفتحية) ، ومحمد أفندى عثمان المترجم بديوان الجهادية (النكات وباب التياترات) ، ورفاعة بك رافع (القول السديد فى الاجتهاد والتجديد) و (رسالة البدع المتقررة فى الشيع المتبربرة) ، والشيخ محمد الأمين محمد البصير رئيس ومميز علماء السودان (توصيل من جد إلى تحصيل إرث الجد) ، وعلى أفندى عزت المدرس بالمهندسخانة (الفوائد البديعة فى علم الطبيعة) ، وهنرى بروكش ناظر مدرسة اللسان المصرى القديم (النبذة الانتخابية فى فن الجغرافية السياسية المصرية) وترجمها إلى العربية محمد أفندى الطيب المدرس بالتجهيزية و (العقد النظيم فى مآخذ جميع الحروف المصرية من اللسان القديم) وترجمها أحمد أفندى نجيب من تلامذة ، بروكش وكتب محمد أفندى بليغ عضو البعثة (كنز اللآل فى الحكم والأمثال) ، والدكتور محمود إبراهيم

---

(١) دفتر ٤٢٧ (مدارس عربى) ص ٦٦ رقم ٣٠١ إلى قدرى أفندى فى ١٩ ذى الحجة ١٢٨٦

طبيب أول المدارس (الفوائد الصحية فى الحمل والطفولية) . هذا كله عدا مقالات متفرقة لمحمد قدرى وبعض المدرسين ونجباء الطلاب [١] .

وكان ديوان المدارس يمنح كلا من الطلاب الثلاثة الأول من كل فرقة بالمدارس الأعداد التى تصدر من الروضة [٢] .

ولقيت صحيفة روضة المدارس من الطلاب من الإقبال الشديد على قراءتها والكتابة فيها [٣] ما حمل الديوان على أن يأمر بأن « التلامذة لا يشتغلون بمواد الجرنال فى وقت الدروس ولا فى كتابته مالم يكن فى أوقات الفسحة أو خارجا عن المدرسة ، كما والمواد التى يكتبوها (كذا) وتقبل منهم تكون فقط من تلامذة المحاسبة والإدارة والمهندسخانة ، كما والمواد التى تقبل إما أن تكون تاريخية وإما أدبية أو مسائل رياضية ولا تقبل إلا بعلامة الخوجة » [٤] .

وكانت روضة المدارس تصدر مرتين فى الشهر ويطبع من كل عدد منها ٣٥٠ نسخة [٥] ، ثم زيدت إلى ٧٠٠ نسخة [٦] : وجعل الاشتراك فيها ٧٧ قرشاً وست

---

(١) انظر العدد الأول من روضة المدارس والأعداد التالية .

(٢) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٠٣ رقم ٧٠٦ إلى إدارة المدارس الملكية فى ١٢ صفر ١٢٨٧

(٣) Dor, op. cit. P. 253.

(٤) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧٥ رقم ٧٧٧ إلى إدارة المدارس الملكية فى ١٢ ربيع الأول ١٢٨٧

(٥) دفتر ٤٣٧ (مدارس عربى) ص ١٩٣ رقم ٣٢٠ إلى ناظر الكتبخانة فى ٧ صفر ١٢٨٨

(٦) دفتر ٤٧١ (مدارس عربى) ص ١٠٨ رقم ٤٦٠ إلى التجهيزية فى ٣ جمادى الثانية ١٢٩١

بارات بالقاهرة و ٨٢ قرشاً فى داخل القطر و ٩٠ قرشاً فى خارجه [١] . وكان الديوان حريصا على (توزيع) أعداد الروضة ، فكان يرسل بعض أعدادها إلى مدارسه ليشتريها المدرسون منبهاً إلى « الحذر من عدم ارتداد أى نسخة من الروضة » [٢] ثم رأى أن يقرر شراءها على جميع الموظفين بديوانى المدارس والمكاتب الأهلية ممن لا يقل مرتبهم عن ٢٥٠ قرشاً فى الشهر [٣] . وكذلك كان ديوان المدارس يرسل أعداداً من روضة المدارس إلى أعيان البلاد ليقوموا بتوزيعها [٤] .

وقد وضعت روضة المدارس منـــذ صدورها « تحت نظارة » رفاعة بك رافع و « مباشر تحريرها » ولده على بك فهمى مدرس الإنشاء بمدرسة الإدارة والألسن ، وتذكره بعض الوثائق باسم « مصحح الجرنال » [٥] . وفى سنة ١٨٧٣ — وهى السنة التى مات فيها أبوه — منح الرتبة الرابعة وجعل « ناظر قلم الروضة والمطبوعات » . وعين موظفو هذا القلم وبلغت مرتباتهم ٤٩٧٥ قرشاً ، بعضها من ديوان المدارس وبعضها من ديوان المكاتب الأهلية [٦] . وكان منهم الشيخ عبدالعزيز فرغلى الأنصارى [٧] والشيخ أحمد

---

(١) انظر العدد الأول من الروضة .

(٢) دفتر ٤٣٩ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ١٢٣ إلى مدرســـة طنطا فى ٩ جمادى الأولى ١٢٨٨

(٣) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٩٧ رقم ٢٢ إلى مكتب بنها فى ٢٨ شوال ١٢٩٠

(٤) دفتر ٤٣٨ (مدارس عربى) ص ١٨٢ رقم ٤٦٣ إلى محمد باشا أبو سلطان ، ص ١٨٣ رقم ٤٦٣ إلى محمد بك الصيرفى فى ٢٣ ربيع الثانى ١٢٨٨

(٥) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧٥ رقم ٧٧٧ إلى ادارة المدارس الملكية فى ١٢ ربيع الأول ١٢٨٧

(٦) و (٧) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ٥٩ رقم ١٠ الى ورشة الاستحقاقات فى ٢٠ ذى الحجة ١٢٩٠

مروان مصححين[١] .

مكان ديوان المدارس

خصص لديوان المدارس أول إنشائه مكان بالقلعة[٢] ، وكانت لا تزال مقر دواوين الحكومة . ومكث الديوان بالقلعة أشهراً ، وفى أكتوبر ١٨٦٣ نقل إلى سراى الأزبكية[٣]. وكانت من القصور التى بدىء بناؤها فى حكم عباس ولم تتم ، فعمرتها حكومة إسماعيل وجعلتها مقراً لديوانى الخارجية والمدارس[٤] .

وأقام هذان الديوانان بالأزبكية أربعة أعوام ، ثم نقلا فى سبتمبر ١٨٦٧ إلى القلعة ثانية[٥]. وفى أوائل سنة ١٨٦٨ صدر الأمر الخديو بنقل ديوان المدارس إلى (سلملك) سراى درب الجماميز التى اشتريت من الأمير مصطفى باشا فاضل[٦] وكانت السراى تضم — عدا ديوان المدارس — ديوانى الأشغال والأوقاف والمدرسة التجهيزية ومدرسة المهندسخانة ومدرسة الإدارة والألسن ومدرسة المحاسبة والمساحة ومدرسة اللسان المصرى القديم ومدرسة دار العلوم وفرقة الرسم وفرقة التلغراف

---

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ١٢ ص ٩٦

(٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ٦ إلى المالية فى ٢٧ رمضان ١٢٧٩

(٣) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربى) ص ٢٨ رقم ١٢ إلى سر معمار فى ٥ ربيع الآخر ١٢٨٠

(٤) دفتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ٩٧ رقم ١٥٠ إلى المالية فى ٢٩ شعبان ١٢٨٠

(٥) محفظة ٤١ (معية تركى) رقم ٤٢٥ من إسماعيل راغب ناظر الداخلية إلى المعية فى ٢٩ جمادى الأولى ١٢٨٤ ودفتر ٤٠٢ (مدارس عربى) ص ١٩٥ رقم ٩٠ إلى المالية فى غرة شعبان ١٢٨٤

(٦) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٩٤ رقم ١٤٠ إلى المالية فى ٢٣ شوال ١٢٨٤

وقاعة للمحاضرات العامة وأخرى للامتحانات العامة ومعملا للطبيعة والكيمياء ودار الكتب الخديوية . وضاق البناء بهذه الدواوين والمدارس فحول كثير من التلامذة إلى الأقسام الخارجية وفرضت رسوم دراسية على القادرين منهم ، ونقل كثير من التلامذة إلى مدرستى بنها والاسكندرية ، وأوقف ديوان المدارس فى بعض السنوات قبول تلامذة جدد بمدارسه [١] .

(٢) ديوان المكاتب الأهلية

رأى الخديو إسماعيل أن إصلاح المكاتب الأهلية على النحو الذى رسمته لائحة رجب ١٢٨٤ يسير بخطى بطيئة ، فعزم على إنشاء ديوان خاص للعناية بهذه المكاتب . وفى غرة المحرم ١٢٨٨ (٢٧ مارس ١٨٧١) صدر أمر الخديو بإنشائه ونصب على باشا مبارك ناظرا عليه ، وكان قد ترك منذ عهد قصير ديوان المدارس [٢] . وأمره الخديوى بتنظيم الديوان « وعمل رسومات لتجديد مكاتب فى مدن الأرياف وبلادها كل على حسبه وما يناسبه لعلم الخديوى أن مكاتب الأرياف غير مستوفية لدواعى الصحة ولا لشروط النجاح فى التعليم » . ونهض على مبارك للعمل : فنظم الديوان وعين موظفيه ووضع لهم (ترتيبا) خاصاً بلغ به مجموع مرتباتهم ٢٥,٠٠٠ قرش موزعة كما يلى [٣] :

---

(١) دفتر ٤٥٠ (مدارس عربى) ص ١٣٢ رقم ٢٠٧ إلى المالية فى ١٣ ربيع الثانى ١٢٨٩

(٢) انظر فيما سبق ص ١٠٨

(٣) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٩٨ من المعية فى غرة المحرم ١٢٨٨

قرش			
٦,٠٠٠	على باشا مبارك	ناظر الديوان	
٤,٠٠٠	عبد الله بك فكرى	وكيل الديوان	«وله دراية تامة بالعلوم العربية للمشاركة فى انتخاب ووضع الكتب اللازمة للمكاتب».
٦,٠٠٠	مفتشان لمكاتب الأقاليم		ويكون لأحدهما إلمام بأصول التربية.
٢,٠٠٠	معاونان بالديوان		وينسخان ما يترجم أو يؤلف أو ينتخب من الكتب قبل طبعها ويقومان بالتفتيش على مكاتب القاهرة وضواحيها وأداء مأموريات بالأقاليم.
٣,٠٠٠	مترجمون لترجمة الكتب الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية التى تلزم للمكاتب.		
٧٥٠	شيخ من العلماء ليجمع المواد اللازمة للعلوم العربية ويصحح الكتب التى تترجم.		
٢,٥٠٠	كتاب وصراف.		
٧٥٠	خدم.		
٢٥,٠٠٠	المجموع.		

وترى من هذه الميزانية أن على باشا مبارك عنى بالناحية الفنية من عمل الديوان، وعلى الخصوص تأليف أو ترجمة الكتب الدراسية لتلامذة المكاتب، وهى الناحية التى رآها على مبارك قاصرة فى ديوان المدارس.

وبدأ على باشا مبارك فنزع من ديوان المدارس المدرستين المركزيتين الأهليتين

القائمتين بالأقاليم وهما مدرستا طنطا (وكانت بينها) وأسيوط ، كما نزع منه جفلك الوادى الذى ينفق إيراده على المكاتب الأهلية . وبدأ الديوان الجديد يتسع ، فأحيل اليه النظر فى إنشاء مدرسة للبنات[١] . وبحث له مديره عن مكان خاص ، ثم أقيم فى جناح من سراى درب الجماميز[٢] .

على أن الفصل التام بين الديوانين القائمين على شؤون التعليم — وهما ديوان المدارس وديوان المكاتب الأهلية — ليس مما يعين على تقدم التعليم . والديوان الجديد — فى الواقع — لا يستطيع أن ينهض بعمله مستقلا تمام الاستقلال عن ديوان المدارس الذى مضت عليه سنوات واستقر أمره وتكونت فيه الهيئات الإدارية والفنية واستقرت له التقاليد وأصبح له بين دواوين الحكومة شأن وخطر . وأهم من هذا كله أن على مبارك باشا صاحب الديوان الجديد ومديره ومنشئه مالبث أن عاد إلى ديوان المدارس مديراً . وما كان على مبارك ليرضى — وما كان الخديو إسماعيل ليرضى له — أن تكون المكاتب الأهلية — وهو صاحب الفكرة فى تنظيمها وصاحب القانون الذى وضع لهذا التنظيم — بمعزل عن سلطانه . لهذا كله صدر أمر الخديو فى ٢٢ صفر ١٢٧٨ (أى بعد أن مضى شهر و٢٢ يوما على إنشاء ديوان المكاتب الأهلية) بتعيين على مبارك باشا مديراً لدواوين الأوقاف والمدارس والمكاتب الأهلية[٣] .

---

(١) دفتر ٤٣٧ (مدارس عربى) ص ١٧١ رقم ٢ إلى ديوان عموم المكاتب الاهلية فى ٢٩ المحرم ١٢٨٨

(٢) دفتر ٤٣٧ (مدارس عربى) ص ١٧١ رقم ٤ إلى ديوان عموم المكاتب الاهلية فى ٢ صفر ١٢٨٨

(٣) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ١٧٥ رقم ٢٢٤ أمر إلى المالية فى ٢٢ صفر ١٢٨٨

وهكذا ألغى استقلال ديوان المكاتب الأهلية وضم إلى ديوان المدارس، وتولى — منذ تلك السنة — على الديوانين مدير واحد. ولكن ديوان المكاتب الأهلية ظل محتفظاً بشخصيته وعلى رأسه وكيله عبد الله بك فكرى، على أن يعمل تحت سلطة مدير ديوان المدارس، فينبغى عليه أن يزور فى كل يوم مكتباً من المكاتب الأهلية بالقاهرة، وفى نهاية الأسبوع يرفع تقريراً بزياراته وتفتيشه إلى مدير الديوان، وعليه أن يطلب إلى كل مدرسة من المدارس المركزية أن ترفع إليه فى كل أسبوع تقريراً عن حالتها ثم يرفع خلاصة هذه التقارير إلى مدير ديوان المدارس (١). وحرص الديوان الناشىء على شخصيته بل أخذ تزيد من النفوذ واتساع السلطان. وفى ظل ديوان المكاتب الأهلية أنشئت المدارس المركزية فى بنى سويف والمنيا والفشن بالاضافة إلى مدرستى بنها وأسيوط. وأنشئت المكاتب الأهلية بالقاهرة فى القربية والجمالية وباب الشعرية ومصر القديمة والحسينية وعابدين، ونظمت وأخضعت لإدارته مكاتب الحبانية والشيخ صالح وشيخون وأبى العلاء وقلاوون والإمام الشافعى والسلطان مصطفى والسلطان قايدباى والعقادين والنحاسين وأم عباس باشا وخليل أغا وحافظ باشا ومحمد بك سيد احمد بالقاهرة، ومكتبا البوصيرى وراتب باشا بالاسكندرية ومكتب رشيد.

وعمل ديوان المكاتب الأهلية على أن يتم له الإشراف على جميع المدارس الابتدائية بالبلاد، فأنشأ مكتباً أهليا بمدرسة المبتديان بالقاهرة وآخر بمدرسة المبتديان بالاسكندرية، ونجح فعلا فى تحويل مدرسة الاسكندرية إلى مكتب أهلى، بل عمل ديوان المكاتب الأهلية على أن يجعل من مدارسه المركزية بالأقاليم معاهد للتعليم

---

(١) دفتر ٤٦٩ (مدارس عربى) ص ١٣٣ رقم ٧٤٧ إلى وكيل ديوان المكاتب الأهلية فى ٧ ربيع الثانى ١٢٩١

الابتدائى وللتعليم فوق الابتدائى ، فأنشأ بالمدارس المركزية بالأقاليم فرقا للتعليم التجهيزى وفرقا للمساحة .

أما عن العمل الإدارى بالديوان فكان يسير سيراً مرضياً ، الأمر الذى جعل دوربك — فى أحد تقاريره إلى الخديو — يفضله على ديوان المدارس نفسه (١) .

وظل عبد الله بك فكرى وكيلا للديوان ، وقد منح رتبة المتميز فى يناير ١٨٧٧ (٢) ، وفى سنة ١٨٧٩ نقل وكيلا لنظارة المعارف وخلفه فى وكالة ديوان المكاتب الأهلية على بك فهمى رفاعة ناظر قلم الروضة والمطبوعات . وفى سنة ١٨٨٢ عين عبد الله باشا فكرى ناظراً للمعارف وعلى باشا فهمى وكيلا له ، ويبدو أن ديوان المكاتب الأهلية ألغى فى ذلك الوقت .

* * *

التفتيش الصحى

عند ما أنشئت مدرستا المبتديان والتجهيزية بالعباسية فى أوائل حكم إسماعيل نظمت لهما خدمة صحيـــة ، فعين بالمدرسة التجهيزية طبيب وصيدلى وبضعة ممرضين للإشراف على علاج تلاميـذ المدرستين . وبدأ الديوان فعين بضعة أطباء وصيادلة (٣) ، أما حكيمباشى المدارس فكان « موراندى بك » .

---

(١) Dor, Rapport (confidentiel) à S. A. Le Khedi ve. S. D. (Abdine)

(٢) محفظـــة ٥٣ (معية تركى) رقم ٣٩١ من رياض باشا إلى المعيـــة فى ٢٩ ذى الحجة ١٢٩٣

(٣) هم الأطباء زهران أفندى محمد ونافع أفندى الصولى ومحمود أفندى إبراهيم والصيدلى حسنين أفندى محمد البردينى دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١ رقم ٤ الى التجهيزية فى ٢٥ شوال ١٢٧٩ ، دفتر ٣٤٤ (مدارس عربى) ص ٢ رقم ٢٢٧ إلى التجهيزية فى ٢٨ صفر ١٢٨٠

وكان هؤلاء الأطباء يعالجون التلاميذ المصابين بأمراض بسيطة فى « شفاخانة » ملحقة بكل مدرسة ، أما المصابون بأمراض شديدة فيرسلون إلى مستشفى قصر العينى من غير توان (١). ثم رؤى أن ينشأ للمدارس مستشفى خاص يقوم فيه الأطباء على علاج التلاميذ ، وصدر أمر الخديو بترتيب موظفيه فى ٥ شوال ١٢٨٠ (فبراير ١٨٦٤) (٢). وقد اقتضت سوء الحالة الصحية بين التلامذة بسبب انتشار الرمد والجرب فيهم على الخصوص توسيع مستشفى المدارس من وقت إلى آخر (٣) ، ونقل بعض المرضى إلى مستشفى قصر العينى ليعالجهم أطباؤه الإخصائيون (٤) .

وفى ١٣ رمضان ١٢٨١ (١٠ فبراير ١٨٦٥) صدر أمر الخديو بنقل موراندى بك إلى وظيفة (حكيمباشى) بالجهادية ، وعين بدله الدكتور لاوتنر بك Lautner (٥)

وقد مرّ بنا الحادث الخطير فى مونيخ الذى نقل بسببه طلبة بعثة الطب بميونيخ إلى باريس وسيق لاوتنر رئيسهم إلى المحاكمة (٦)، وعاد لاوتنر إلى مصر فى أوائل حكم

---

(١) دفتر ٣٤٤ (مدارس عربى) ص ٣١ رقم ٢٥٧ إلى التجهيزية فى ٨ ربيع الأول ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ١٣٧ رقم ٥١٦ إلى المبتديان فى ١٤ رمضان ١٢٨٠

(٣) دفتر ٣٥٢ (مدارس عربى) ص ٦ رقم ٦٢ إلى محافظة مصر فى ١٢ صفر ١٢٨١

(٤) دفتر ٣٥٢ (مدارس عربى) ص ٦٩ رقم ١٣٤ إلى الجهادية فى ١٨ ربيع الاول ١٢٨١

(٥) وكان وقتئذ يحمل رتبة المتميز ومرتبه ٨٠ جنيها فى الشهر : دفتر ١٩١١ (أوامر) ص ١١٦ رقم ٧ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٣ رمضان ١٢٨١

(٦) انظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر عباس وسعيد ص ٢٨٢ — ٢٨٣

إسماعيل ، واستطاع أن يستعيد ثقة إسماعيل فعينه طبيبا بمجلس الصحة ثم كبيراً لأطباء المدارس [١] وأنجال الخديوى [٢] . وقد أنعم عليه إسماعيل فى سنة ١٨٦٧ بمائتى فدان [٣] ، ولكن لاوتنر فصل بعد قليل من وظيفته ، وأوصى به شريف باشا [٤] فأمر الخديو بإعادته إلى وظيفته بديوان المدارس [٥] ، وكان لاوتنر بك يفتش المدارس من وقت إلى آخر ويتفقد صحة التلامذة ومرافق المدرسة وغذاء التلامذة وشرابهم ويرفع التقارير إلى ديوان المدارس [٦] .

وكان للمدارس الحربية بالعباسية مستشفى خاص ، فلما ألحقت هذه المدارس بديوان المدارس ضم مستشفى المدارس الملكية إلى مستشفى المدارس الحربية وجعلا مستشفى واحدا [٧] ، وعين ناظرا عليه « الصاغقول أغاسى محمود أفندى سليمان » ولم

---

(١) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ١٧٠ رقم ١١ إلى مجلس الصحة فى ١٧ رمضان ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٧٠ (مدارس عربى) ص ١٢٠ رقم ٣٥٥ إلى محمود أفندى الحكيم فى ٢٠ شوال ١٢٨٢

(٣) دفتر ١٩١٩ (أوامر) أمر إلى المالية فى ٩ رجب ١٢٨٣

(٤) محفظة ٤٣ (معية تركى) رقم ٣٩٨ من شريف باشا إلى المعية فى ٢٥ صفر ١٢٨٥

(٥) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ٦٤ رقم ٣٢ إلى الداخلية فى ٢٢ المحرم ١٢٨٦

(٦) دفتر ٣٦٧ (مدارس عربى) ص ١٤٨ رقم ١٦٨ من استبالية المدارس فى ٤ المحرم ١٢٨٢ .

(٧) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ١٣١ رقم ٣١ إلى المعاونة السنية فى ٢٤ ذى الحجة ١٢٨١

يكن طبيبا وإنما عين (للضبط والربط) [١] . ورقى محمود أفندى إبراهيم إلى منصب طبيب أول .

ولكن فى سنة ١٨٦٨ فصلت المدارس الحربية عن ديوان المدارس ، ثم نقلت المدارس (الملكية) إلى القاهرة ، فألغى مستشفى المدارس الملكية وتقرر أن ينشأ بكل مدرسة « شفخانة » لعلاج الأمراض « الخفيفة » . أما المصابون بأمراض شديدة فيرسلون إلى مستشفى قصر العينى [٢] . وفصل موظفو مستشفى المدارس الملكية بالعباسية وسلم البناء إلى مستشفى المدارس الحربية [٣] .

أما مدرسة الاسكندرية فكان قد نص فى (ترتيبها) على أن ينشأ بها مستشفى خاص ، ولكن عاد ديوان المدارس ففضل أن يبعث بتلامذتها المرضى إلى المستشفى الأميرى بالاسكندرية . وأما المرضى بأمراض « خفيفة » فيعالجهم طبيب المدرسة [٤] وكان يؤذن للتلاميذ (المقتدرين) أن يعالجوا فى بيوتهم [٥] .

---

(١) دفتر ٢٦٣ (مدارس عربى) ص ١٧١ رقم ٢١٢ إلى استبالية المدارس فى ٩ المحرم ١٢٨٢

(٢) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربى) ص ٤٢ رقم ٥٦ إلى محافظة مصر فى ١٢ المحرم ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ١٢٦ رقم ١٠٤ إلى استبالية المدارس فى ١٨ المحرم ١٢٨٥

(٤) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٤٢ رقم ١١ إلى محافظة اسكندرية فى ١٩ صفر ١٢٨٠

(٥) دفتر ٣٥٥ (مدارس عربى) ص ٣٥ رقم ٣٤ من مدرسة اسكندرية فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٨٠

أما المدارس المركزية بالأقاليم فأنشئت بها « شفخانات » ، ويعالج التلامذة بها طبيب المديرية [١] أو طبيب خاص بالمدرسة [٢] .

أما المكاتب الأهلية بالقاهرة فقد عهد إلى أطباء الأقسام بزيارتها يوميا وعيادة تلامذتها ، وعلى كل طبيب أن يحرر بيانا فى كل شهر بزياراته ويوقع عليه معه ناظر المدرسة ، ويرفع البيان إلى ديوان المدارس ومنه إلى المعية [٣] .

---

(١) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ٤٠٧ رقم ٣٨ إلى مكتب أسيوط فى ١٧ ربيع الاول ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ٣٣ رقم ٧٤ إلى مكتب طنطا فى ٣ ربيع الثانى ١٢٨٣

(٣) دفتر ٤٥٩ (مدارس عربى) ص ٥٠ رقم ٨ إلى تفتيش المدارس الملكية والمكاتب الاهلية فى ١٦ ربيع الثانى ١٢٩٠

الكتاب الثانى

التعليم الأولى - الابتدائى

الفصل الأول

المدارس الابتدائية الأميرية

كان التعليم الابتدائى المرحلة الأولى من مراحل النظام التعليمى الحديث الذى وضعته حكومة محمد على [1] . والحق أن حكومة محمد على قد أنشأت معاهد التعليم الابتدائى — وهى مدارس ومكاتب المبتديان — قبل أن توطد أركان النظام التعليمى الحديث بالقوانين واللوائح التى وضعتها فى سنة ١٨٣٦ ، وفى مقدمتها « لائحة التعليم الابتدائى » [2] فقد أنشأت — منذ سنة ١٨٣٣ — عددا كبيراً من مكاتب المبتديان — بلغ ٦٧ مكتبا — فى البنادر والمدن والقرى عدا مدرسة ابتدائية كبيرة فى عاصمة البلاد .

---

(١) لدراسة التعليم الابتدائى فى عصر محمد على انظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ١٧٥ — ٢٢٠

(٢) تجد النص الفرنسى لهذه اللائحة ضمن مجموعة اللوائح التى وضعت لتنظيم التعليم فى سنة ١٨٣٦ وهى مطبوعة فى باريس بعنوان :

Réglements approuvés par le Ministre de l'Instruction publique pour l'organisation des Ecoles sous Mohammed-Ali .

وقد نشرنا الترجمة العربية للائحة التعليم الابتدائى بعنوان « بيان ترتيب وتنظيم مدارس المبتدئين » فى الملحق الثالث فى ص ٦٨٠ من كتابنا السابق الذكر .

على أن حكومة محمد على ما لبثت أن أدركت أن قيامها على شئون هذا العدد الكبير من المكاتب وتلاميذها جميعا من لباس وغذاء ومرتب يقتضيها نفقات لا قبل لها بتحملها ، كما أنها رأت أن هذه المكاتب تخرج عددا كبيرا من التلاميذ لا تتسع له مدرسة تجهيزية واحدة ، فكانت مترددة بين أن تستخدم هذه المكاتب الابتدائية أداة لنشر التعليم ومقاومة الجهالة ، وفى هذه الحالة لن تكون هذه المكاتب سوى النواة الأولى لنظام عام للتعليم الأولى — الابتدائى تبثه فى حضر مصر وريفها ، وما كانت حكومة محمد على قد تهيأت لها الأسباب — من المال والرجال — التى تمكنها من أن تنهض بمثل هذا المشروع الضخم ، وبين أن تقصر هذه المكاتب على أن تكون مجرد أداة لإعداد تلاميذها للتعليم التجهيزى ومنه إلى التعليم الخصوصى فوظائف الدولة . وكانت لائحة التعليم الابتدائى (١٨٣٦) مظهرا لهذا التردد : فقد جمعت فى بيان الغرض من التعليم الابتدائى بين الهدفين : فنصت على أن « المراد من مدارس المبتدئين تحضير التلاميذ وتهيئتهم إلى مدرسة التجهيز ونشر مبادىء العلوم للأهالى » . وتحقيقا لهذا الغرض (المزدوج) نصت اللائحة على إنشاء خمسين مدرسة ابتدائية قصرتها على القاهرة والاسكندرية ومدن الأقاليم .

وعلى هذا النحو كانت نشأة التعليم الابتدائى فى مصر ، وعلى هذا النحو رسمت وظيفة المدرسة الابتدائية فى مصر فى القرن الماضى .

ولكن هذه المكاتب الابتدائية لم تكن وحدها التى تقدم التعليم الأولى إلى نابتة البلاد ، فقد رأيت أنها من القلة بحيث قصرت على المدن الكبيرة دون المدن الصغيرة والقرى . ولكن مصر كانت تعرف منذ قرون مكاتب أخرى ، عرفتها منذ دخل الإسلام ودخلت اللغة العربية فى ربوعها وأصبح القرآن الكريم أساس الثقافة والتربية فيها .

وكانت هذه المكاتب من البساطة فى كل شىء : فى بنائها وأثاثها وتعليمها وأصحابها ومؤديها — بحيث استطاعت أن تنتشر فى يسر وسهولة فى جميع أنحاء البلاد بحيث لم تكد تخلو منها قرية ومن أن تكسب ثقة الناس فأقبلوا عليها يودعون بين أيدى فقهائها وعرفائها فلذات أكبادهم ليأخذوهم بحفظ آى الذكر الحكيم ، وما كانت هذه المكاتب تتجاوزه إلا إلى قليل من القراءة والكتابة ، قد يستطيع الصبى أن يحتفظ بهما كلما ضرب فى الحياة الدنيا وتقدمت به الأيام إذا داوم المران عليهما أو أتيح له أن يتصل بأشياخ آخرين أو رحل إلى الأزهر ، وقد ينساهما إذا عاد يعمل فيما يعمل فيه أبوه من أسباب الرزق .

وقد عاشت هذه المكاتب تلك القرون الطويلة دون أن يتدخل السلطان فى أمرها فى كثير أو قليل ، حتى استطاعت أن تصل إلى القرن التاسع عشر محتفظة بكل ما لابسها فى عهد نشأتها الأولى من مقوّمات . ذلك لأن الدولة لم تكن تعدّ التعليم (وظيفة) تنهض بها وتهيىء الأسباب لنجاحها ، وإنما كانت تعده أمراً (خيريا) ليس لها عليه سلطان . حتى إذا بدأ محمد على يقيم بناءه التعليمى تملكته أيضا هذه الفكرة ، فترك هذه المكاتب تسير كما ألفت أن تسير ، كما فعل مع الأزهر ، وأقام إلى جانبها مكاتبه الحديثة فى القاهرة والاسكندرية وعدد معين من مدن الأقاليم ، ودعا الناس إلى أن يلحقوا أبناءهم بها ، وهو يتولى عنهم تعليمهم وتربيتهم : فهو يؤويهم فى مكاتبه ليلا ونهاراً ويقوم على كل ما يطلبون من غذاء ولباس وهو يجرى عليهم فى كل شهر قدراً من المال ، فإذا لقى من الناس إعراضاً أو من أبنائهم نفوراً فليس أمامه إلا أن يلجأ إلى عماله ليملأوا له مكاتبه كما يملئون له صفوف الجيش .

وهكذا عاش النوعان من التعليم الأولى — الأميرى والأهلى — جنباً إلى جنب

ولكن حظهما من المنعة كان متبايناً ، فعلى الرغم من أن مكاتب الحكومة تحظى بالرعاية والمال والجهد المتصل فقد عاشت حياتها قلقة غير مستقرة ، عاشت (على هامش) الحياة القومية المصرية ، ذلك لأن حكومة محمد على كانت — كما ذكرنا — لا تملك من الأسباب ما يمكنها من أن تجعل مكاتبها تتغلغل فى صميم هذه الحياة القومية . لهذا أصابها التقلص من وقت الى آخر ، حتى أصبحت بعد سنة ١٨٤١ لاتعدو مدرسة بالقاهرة وأربعة مكاتب فى الأقاليم ، لم تلبث أن ألغيت حين تولى عباس الأول حكم مصر فى سنة ١٨٤٨ (١) .

وعاد عباس ومن بعده سعيد إلى الفكرة الأولى التى كانت مسيطرة على حاكمى مصر قبل محمد على : فكرة أن تربية أبناء البلاد لا يعدو أن يكون عملا (أهليا) أو (خيريا) ، وليس يضير الحكومة إذا تركته — كما كان منذ قرون — فى أيدى أصحابه من الفقهاء والعرفاء .

حتى إذا تولى إسماعيل حكم مصر فى سنة ١٨٦٣ كان النظام التعليمى الحديث الذى أقامه محمد على وبذل لانجاحه مابذل من جهد ومال قد استحال أنقاضا ، وغدت معاهد الدراسة الابتدائية أثراً بعد عين . وهكذا واجه إسماعيل فى سنة ١٨٦٣ ما واجه محمد على عند ما شرع يضع سياسته فى التعليم .

بدأ إسماعيل عمله بإحياء ماأندرس من معاهد التعليم التى أنشأها محمد على ، وإذا كان بناء التعليم محتاجاً — بعد أن ينهض — إلى شىء من الزينة والرواء ، أو إلى شىء من التوسيع والتقويم فالزمن كفيل بهذا كله (٢) .

---

(١) انظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر عباس وسعيد ص ٥٠ — ٥٢

(٢) انظر سياسة إسماعيل فى التعليم ص ١٠ — ١٧

وهكذا شرع إسماعيل — عقب توليه بأيام — يعمل فى إعادة النظام التعليمى الحديث : فجدد ديوان المدارس ووضع لائحة للتعليم وأصدر أوامره بإنشاء المدارس . وكانت المدارس الابتدائية من المعاهد الأولى التى توجهت إليها عنايته ، فأمر بإنشاء مدرسة منها بالقاهرة على مثال مدرسة المبتديان القديمة ، وأخرى بالأسكندرية كقسم ابتدائى من مدرسة تجهيزية ابتدائية على مثال مدرسة الاسكندرية القديمة أيضاً[١] .

وهكذا وضعت اللبنة الأولى فى بناء التعليم الابتدائى الأميرى فى أول حكم إسماعيل ، وهو البناء الذى مايزال ينهض قائما حتى وقتنا هذا . ولنبدأ بمدرسة القاهرة الابتدائية — الناصرية — وكانت تعد « نموذجاً » للمدارس الابتدائية الأخرى[٢] .

مدرسة الناصرية الأميرية

فى ٥ شعبان ١٢٧٩ (٢٧ يناير ١٨٦٣) أصدر إسماعيل باشا — ولم يكن قد مضى على توليه الحكم فى مصر أكثر من أسبوع — أمره إلى أدهم باشا مدير المدارس والأوقاف بإنشاء ثلاث مدارس : مدرستين بالقاهرة إحداهما تجهيزية والأخرى ابتدائية ومدرسة بالإسكندرية ، على أن يكون عدد التلاميذ بمدرستى القاهرة ألفاً وخمسمائة تلميذ : يخص التجهيزية منهم ٧٠٠ تلميذ والمبتديان ٨٠٠[٣] ، ونشط ديوان المدارس لإنشاء المدارس الجديدة : فاختار نظارها وشرع يجمع تلاميذها ويتفقد الأبنيه الصالحة لها ، كما وضع لإدارتها لائحة نالت موافقة الخديو فى ٢٩ شعبان ١٢٧٩

---

(١) دفتر ٥٢٦ (معية تركى) ص ١٩ أمر إلى ناظر الأوقاف فى ٥ شعبان ١٢٧٩

(٢) تقرير (قومسيون تنظيم المعارف) سنة ١٨٨٠ ص ١٥

(٣) دفتر ٥٢٦ (معية تركى) ص ١٩ أمر إلى ناظر الأوقاف فى ٥ شعبان ١٢٧٩

(فبراير ١٨٦٣)[١] .

وكان من حظ مدرسة المبتديان أن اختير لنظارتها « على مبارك بك »[٢] بعد أن قضى عصر سعيد (مشرداً) فى البطالة آنا وفى وظائف صغيرة آنا آخر .

ووقع اختيار ديوان المدارس على مستشفى مدرسة البيادة بالحصوة (العباسية) — وكان مهجوراً منذ ألغى سعيد باشا المدارس الحربية المفروزة التى أنشأها سلفه — ليكون مقراً لمدرسة المبتديان ، فشرعت إدارة الهندسة فى عمل الإصلاحات اللازمة حتى يصبح ملائما لإقامة التلامذة به[٣] .

ولم يتريث الديوان ريثما يتم إعداد البناء — كله أو بعضه — بل بادر إلى الإعلان عن مدارسه الجديدة ، ودعا الناس — عن طريق محافظة مصر — إلى إلحاق أبنائهم بها .

وأقبل الناس بأبنائهم جماعات على ديوان المدارس بالقلعة ، وكان الديوان قد نصب به طبيباً ليفحص عن صحتهم ومعلمين ليختبروهم فى القراءة والكتابة فمن عرفهما

---

(١) دفتر ١٩٥٢ (مجلس خصوصى) ص ٢ رقم ٥ — قرار المجلس الخصوصى فى ٢٧ شعبان ١٢٧٩

(٢) دفتر ٣٤٢ (معية عربى) ص ٢ رقم ١ إلى مدرسة المبتديان بمصر فى ٨ رمضان ١٢٧٩ و ص ٧١٥ رقم ١٦٠ إلى (المعلم حنا واصف) الكاتب فى ١٧ ذى الحجة ١٢٧٩ — ويذكر أمين باشا سامى (تقويم النيل وعصر إسماعيل م ٢ ج ٢ ص ٥٠٧) أن المدرسة انشئت بالعباسية فى يولية ١٨٦٣ (صفر ١٢٨٠) وأن « الأميرلاى إسماعيل زهدى بك » عين ناظرا عليها . وبذلك أغفل سامى باشا العهد القصير من رمضان ١٢٧٩ الى صفر ١٢٨٠ الذى كانت فيه المدرسة — أو على الأصح تلاميذها — يتلقون دروسهم بديوان المدارس بالقلعة تحت نظارة على مبارك بك .

(٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٧ رقم ٢ إلى المعية السنية فى ٦ شوال ١٢٧٩

جعل للتجهيزية ومن جهلهما أضيف إلى المبتديان ، وخصص بالديوان حجرات يتلقى فيها التلاميذ الجدد دروسهم نهاراً ثم يعودون إلى بيوتهم مساء ، وقيد لهم بعض المعلمين والضباط والخدم[١] .

ومضت خمسة أشهر ، و « على مبارك » جاد فى استكمال المعدات والأدوات اللازمة لتعليم التلاميذ ومقامهم بدارهم بالعباسية . حتى إذا أوشك العمل أن يتم صدر الأمر بنقله إلى وظيفة أخرى وتعيين الأمير الاى إسماعيل بك زهـــدى — وكان « قائمقاما بالجهادية » — مكانه[٢] . وعلى أثر ذلك انتقل تلامذة المبتديان إلى مدرستهم بالعباسية فى ١٩ صفر ١٢٨٠ (يولية ١٨٦٣)[٣] ، وكان بهـا إذ ذاك ٦٥٠ تلميذاً[٤] . وعلى أثر نقل المدرسة إلى العباسية اشتد الإقبال عليهـا ، حتى صدر الأمر بزيادة عدد تلامذتها إلى ١٠٠٠ ثم إلى ١٢٠٠ تلميذ[٥] بما فيهم تلامذة « مكتب الأنجال » الذى أنشئ وألحق بمدرسة المبتديان ليتعلم به أصحاب السمو أنجال الخديو وبعض أبناء « الذوات » ، ثم زيد العـدد إلى ألف وثلاثمائة تلميذ « ليكون مربوط مدرستى المبتديان والتجهيزية

---

(١) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٨٧ رقم ٣٨ إلى الجهادية فى ١٥ ذى الحجة ١٢٧٩ ودفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ٣٦ رقم ١٧ إلى المالية فى ٢٥ ربيع الثانى ١٢٨١

(٢) محفظة ٧ (جهادية) رقم ٣٠١ أمر إلى ناظر الجهادية فى ٢١ المحرم ١٢٨٠

(٣) دفـــتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ٩٢ رقم ٢٦ إلى المدرسة الحربية فى ٧ صفر ١٢٨٠

(٤) دفـتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ١٣٠ رقم ٢١٧ إلى مدرسة المبتديان فى ٢١ صفر ١٢٨٠

(٥) دفـــتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ٢٨ رقم ١٣٨ إلى ديوان المالية فى ١٨ شعبان ١٢٨٠

ألفى تلميذ »[1]. وهكذا لم يمض على إنشاء المدرسة عام حتى قفز مرتبها من التلاميذ من ٨٠٠ إلى ١٣٠٠ تلميذ، وكان منهم عدد ليس بالقليل من الرقيق[2]، وقليل من أبناء

---

(١) دفتر ٣٥١ (مدارس عربى) ص ٦٢ رقم ٦٣٥ إلى وكيل الديوان فى ١٠ ذى القعدة ١٢٨٠

(٢) كانت حكومة الخديو قد حرمت تجارة الرقيق فكانت تقبض على الرقيق الذى يدخل الأراضى المصرية وتلحق كبار السن منهم بالجهادية وصغارهم بمدرسة المبتديان بعد تلقيحهم ضد الجدرى : دفتر ٣٤٦ (مدارس عربى) ص ٣٦ رقم ٣٢ من الجهادية فى ١٤ ذى الحجة ١٢٧٩ ومحفظة ٣٨ (معية تركى) رقم ١٥٦ من عبده جعفر حكمدار السودان إلى ناظر الداخلية وقائمقام الخديو فى ٤ صفر ١٢٨٣ ولكن ديوان المدارس كان يضيق بهم : فكان يتعلل لعدم قبولهم بضيق المكان أو استكمال المدرسة تلامذتها أو زيادة أسنانهم : دفتر ٣٤٤ (مدارس عربى) ص ١٥ رقم ٣٩٠ إلى الضبطية فى ٥ صفر ١٢٨٠ . وقيل إن مدير المدارس قرر « عدم قبول أنفار سودانية من الآن فصاعدا » : دفتر ٣٦٠ (مدارس عربى) ص ٧٢ رقم ٢٢٨ إلى الجهادية فى ١٤ صفر ١٢٨٢) ولكن هذا القرار لم ينفذ وظل الديوان برمائهم فرفع إلى الخديو (محفظة ٤٣ معية تركى رقم ٣٠١ فى ٦ المحرم ١٢٨٥) أن مدرسة المبتديان شكت من « أن مائة من التلاميذ السودانيين الموجودين بها لم ينتج من وجودهم فيها أية ثمرة رغم الاعتناء بتعليمهم لأن بعضهم متقدمون فى السن وأغبياء والبعض الآخر صغيرو السن من ذوى العاهات » واقترح الديوان « إرسالهم إلى الجهادية لاستخدامهم فى وظائف مناسبة لهم بدلا من تكبد مصاريف بدون فائدة » . ولكن الخديو فضل إرسال الضعاف منهم إلى فرقة التلامذة الذين يتعلمون الحرف والصنائع والأصحاء إلى الجهادية (دفتر ٥٧٣ معية تركى ص ٦٣ رقم ٦ أمر إلى مدير المدارس فى ١٠ المحرم ١٢٨٥) . ولكن استمرت الحكومة المصرية تلحق الصبية من الرقيق بمدارسها طبقا لمعاهدة تحريم تجارة الرقيق المبرمة بين مصر وانكلترا فى ٤ أغسطس ١٨٧٧ (انظر هامش ص ٣٤٧ — ٣٤٨ ج ٢ من حقائق الأخبار عن دول البحار لسيرهنك باشا) .

الأرمن [١] والجراكسة [٢] والترك [٣] وبعض « أغوات » القصور [٤] ، وبعض الأولاد « الفقراء بتكية طيلون » ويتعلمون بها على نفقة ديوان الأوقاف [٥] ، ونفر من « أطفال الميرى الجارى تربيتهم بمدرسة الولادة » [٦] . وهكذا ترى أن مدرسة المبتديان كانت تنتظم أخلاطا من أبناء المصريين ومن عداهم [٧] . وكان التلاميذ موزعين على « بلوكات » يرأس كل « بلك » رئيس فرقة [٨] .

---

(١) دفتر ٣٥٤ (مدارس عربى) ص ٥٥ رقم ١١٥٢ إلى مدرسة المبتديان فى ١٦ صفر ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٦٣ (مدارس عربى) ص ٧٦ رقم ٦٧٦ إلى مدرسة المبتديان فى ٣ ذى الحجة ١٢٨١

(٣) دفتر ٣٨١ (مدارس عربى) ص ٩٥ رقم ١٥٩ من مفتش أقاليم بحرى فى غاية رجب ١٢٨٢ ، وقد صدرت إرادة سنية فى ٢١ رجب ١٢٨٢ بجمع أبناء الترك الموجودين بالأقاليم وإلحاق اللائقين منهم بالمدارس .

(٤) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربى) ص ٨٢ رقم ٦٤ إلى الداخلية فى ٢٣ صفر ١٢٨٥

(٥) دفتر ٤٢٦ (مدارس عربى) ص ٩٣ رقم ٣٥ إلى الأوقاف فى ٢٠ شوال ١٢٨٦

(٦) دفتر ٤٦٩ (مدارس عربى) ص ١٤٤ رقم ٢٢٦ إلى كتاب الحسابات فى ٩ ربيع الثانى ١٢٩٢

(٧) كان بالمدرسة فى سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) ٧٧٨ تلميذا موزعين كما يلى :
٢٢ أولاد ذوات و ٥ أولاد ترك و ١٩ جراكسة و٤٤٨ أولاد مستخدمى الحكومة و ١٥٥ أولاد أهالى مصر و ١١ نصارى و ٥٢ من الاقاليم و ٦٦ من السودانيين . الجميع ٧٧٨ تلميذا منهم ٣٤٢ من اليتامى (محفظة ٤٢ معية تركى رقم ٦٠٠) .

(٨) كانت المدرسة مقسمة فى أول عهدها إلى ثلاثة عشر « بلكا » ، وكان رؤساء الفرق يختارون من ضباط الجهادية : دفتر ٣٦١ (مدارس عربى) ص ٧٤ رقم ١١٤ إلى مدرسة المبتديان فى ١٢ جمادى الأولى ١٢٨١ .

وأقامت مدرسة المبتديان بالعباسية نحو خمس سنوات ، نقلت بعدها فى ١٠ يناير ١٨٦٨ (شوال ١٢٨٤) إلى الناصرية [١] فى البناء نفسه الذى كانت تشغله مدرسة المبتديان فى عصر محمد على . وكانت فى الأصل داراً للأمير حسن كاشف أحد أمراء المماليك ، وفى عهد الحملة الفرنسية سكنها أعضاء « المجمع العلمى » الذى أنشأه بونابرت ثم أخذها عثمان بك البرديسى ، ثم عمرها محمد على وجعلها مدرسة ، فلما تولى عباس باشا أبطلها وجعلها « مسافرخانة » أى داراً ينزل بها ضيوف مصر من البلاد الأجنبية .

ولم تكن الدار لتتسع لمقام التلامذة جميعا فضم إليها بعض الدور المجاورة [٢] ، على أن البناء الجديد لا يزال يضيق بهذا العدد الضخم من التلاميذ الذى كانت تنتظمه المدرسة فى العباسية ، لهذا نقل كثير من تلامذتها إلى المدرسة التجهيزية ولم يلحق بدلهم إلا القليل ، فسرعان ماهبط عدد التلامذة إلى ٧٧٨ تلميذاً [٣] فى نفس العام الذى نقلت فيه

---

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٢٩ و دفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ٣٦ رقم ١٧٣ إلى المبتديان فى ٢٣ شوال ١٢٨٤ .

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ١ ج ٣ ص ٩٧ — ويرى على مبارك أن بناء المدرسة رغم عمارته وإصلاحه عدة مرات لا يصلح ويشير بهدمه وبنائه « على قالب مستحسن » . ووصف دور (التعليم فى مصر ص ٢٣١ — ٢٣٢) المدرسة فقال : تقوم أربع بنايات حول فناء متسع غرس بأشجار اللبخ ، وأكبر هذه البنايات وهى التى فى الداخل خصصت لقاعات الدراسة والتى إلى اليمين للطابخ والمرافق والتى إلى اليسار للمستشفى والمغسل والأخيرة وهى التى تطل على الشارع تحتوى على حجرات النوم .

(٣) محفظة ٤٢ (معية تركى) رقم ٦٠٠ بدون تاريخ (١٢٨٤ ؟) .

إلى الناصرية ثم إلى ٤٧٩ فى العام التالى[١]، وحُوِّل كثيرون منهم إلى القسم الخارجى[٢].

وقد ألحق بمدرسة المبتديان — خلال تاريخها الطويل — مكاتب وأقسام دراسية مختلفة نذكرها مرتبة بحسب تاريخ إنشائها :

١ — المكتب العالى :

وكان يدعى أحياناً « مكتب الأنجال » أو « مكتب الذوات » .

كان إسماعيل قبل توليه معنياً بتربية أنجاله محمد باشا توفيق « ولى العهد » وحسن باشا وحسين باشا كامل وإبراهيم باشا حلمى تربية راقية ، فأنشأ لهم مدرسة خاصة بالمنيل يتعلمون فيها على أيدى أساتذة من كبار العلماء الأوروبيين والوطنيين[٣] . فلما أنشئت مدرسة المبتديان بدأ الاستعداد لإنشاء « المكتب العالى » ليتعلم به أنجال الخديو ومن يلحق بهم من أبناء الذوات[٤] . وقد جعل المكتب فى أول الأمر فى جناح من بناء المدرسة بالعباسية[٥] ، ريثما يتم إعداد قصور العباسية — التى عنى

---

(١) دفتر ٤٢٢ (مدارس عربى) ص ٧٢ رقم ٥٤٩ من إدارة المدارس الملكية فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٨٥ .

(٢) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ١٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦ .

(٤) دفتر ٣٤٤ (مدارس عربى) ص ٦٠ رقم ٤٢٧ إلى خزينة الأمتعة فى ١٦ ربيع الأول ١٢٨٠ .

(٥) دفتر ٣٤٥ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٣٣٢ إلى المبتديان فى ٢٢ ربيع الأول ١٢٨٠ ؛ دفتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ٥٣ رقم ٤٤٢ اليها فى ٢٩ شعبان ١٢٨٠ .

بتشييدها عباس باشا الأول — لتكون مقراً للأنجال[١] .

وفى أواخر سنة ١٢٨٠ (١٨٦٤) بدأ سمو الأمراء دراستهم بالمدرسة ، ثم صدر الأمر بإعداد مكان آخر بالمدرسة ليقيم به بعض أبناء الأسر الكبيرة ، على أن تكون كساويهم مشابهة تمام المشابهة لكساوى سائر تلامذة المدرسة ومرتباتهم مثلهم[٢] ، على أن يعتنى بتوفير راحتهم ورفاهيتهم فى النوم والغذاء « لأنهم قد ألفوا العز والرفاهية »[٣] ، ثم أفردت حجرة بالمدرسة لسمو « إسماعيل بك » نجل المرحوم محمد على باشا (الصغير نجل محمد على الكبير) وكان طالبا بالمدرسة الحربية[٤] ، ثم تبعه بعد أشهر « طوسون باشا » نجل المرحوم سعيد باشا ومعه مربيه الإنجليزى[٥] .

وكان الأنجال والتلامذة المتقدمون — وهم عشرون تلميذاً[٦] — يتلقون دروسهم بالمدرسة التجهيزية ، وكانت تجاور مدرسة المبتديان بالعباسية . أما التلامذة الآخرون

---

(١) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربى) ص ٩٩ رقم ٦٧ إلى ضبطية مصر فى ٢٧ ربيع الثانى ١٢٨٠ .

(٢) دفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ١٠٤ رقم ٨١٠ إلى المبتديان فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٨٠ .

(٣) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) ص ٨١ رقم ٦ أمر إلى ناظر المدارس والخارجية فى ٧ ذى القعدة ١٢٨٠ .

(٤) دفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ١٨ رقم ٤٣٢ إلى المدرسة الحربية فى ٢١ شوال ١٢٨٠ .

(٥) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ١١٩ رقم ١٤٦ إلى المسافرخانة فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨١ و ص ١٢٤ رقم ١٥٦ فى ٥ رجب ١٢٨١ .

(٦) دفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ٨٣ رقم ٥٣٥ إلى النجهيزية فى ١٤ ذى القعدة ١٢٨٠

فيتلقون دروسهم بمدرسة المبتديان . ولكنهم جميعاً — وكانوا ٦٦ تلميذاً — يتناولون غذاءهم ويبيتون بجناحهم الخاص بمدرسة المبتديان[١] ، أما الأنجال فكانوا يبيتون بقصر من قصور العباسية التى تم إعدادها[٢] .

وكان مكتب الأنجال معدوداً من (فروع) ديوان المدارس ، لهذا صدر أمر الخديو بإحالة مرتبات خدمه وسائر مصروفاته التى كانت تصرف من الخاصة الخديوية على « أبعادية » أى ميزانية ديوان المدارس وقد بلغت ١٠,٦١٥ قرشاً و ٢٠ بارة[٣] .

وكان يقوم بالتدريس لسمو الأمراء ورفاقهم نخبة مختارة من المدرسين : منهم محمد أفندى فاضل لتدريس اللغتين التركية والفارسية[٤] ومنصور عزمى أفندى لتدريس اللغة الفرنسية وأمانة « الكتبخانة » الأفرنجية بالمدرسة[٥] ، ومن الأساتذة الأوروبيين انجليزى يدعى « باست » لتدريس اللغة الإنجليزية وكان معلماً لطوسون باشا نجل سعيد

---

(١) دفتر ٣٥٦ (مدارس عربى) ص ١١٤ رقم ٦٢٩ من المبتديان فى ١٣ ذى القعدة ١٢٨٠ ودفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ٦٢ رقم ٧٠٩ إلى المبتديان وص ٦٤ رقم ٥٠٥ إلى التجهيزية فى ٨ ذى القعدة ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ١٣٩ رقم ٨٩٢ إلى المبتديان فى ١٦ ذى الحجة ١٢٨٠

(٣) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ١١٩ رقم ١٤٦ إلى المسافرخانة فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨١ و ص ١٢٤ رقم ١٥٦ فى ٥ رجب ١٢٨١ .

(٤) دفتر ٣٥١ (مدارس عربى) ص ١٨٤ رقم ٩٨٨ إلى سعادة ناظر أمور خاصة خديوى فى ٢٧ المحرم ١٢٨١

(٥) دفتر ١٩٠٨ (أوامر) ص ٦٩ أمر عال لضبطية الإسكندرية وص ٧٦ إلى ديوان المدارس فى ٩ المحرم ١٢٨١

باشا [١] ومسيو ڤيدال (بك ثم باشا وهو الذى أصبح بعد ذلك ناظراً لمدرسة الحقوق المصرية) لتدريس الرياضة والتاريخ . وكان يشرف على الدراسة والنظام فرنسى آخر يدعى « Jacklie جاقلة » [٢] .

ومضى عامان منذ أنشىء مكتب الأنجال ، ورؤى أنه قد اشتد ساعدهم ، لهذا يحسن أن يؤخذوا بتربية عسكرية تعدهم — بعد عامين — للحاق بأحد أقسام المدرسة الحربية على حسب استعدادهم ، ولهذا الغرض استقدم القومندان « هايو » من فرنسا ليعمل بدلا من « جاقلة بك » تحت إدارة وملاحظة « ميرشير بك » ناظر المدارس الحربية [٣] . وبدأ هايو عمله فانفصل سمو الأنجال من المدرسة التجهيزية ، واختص بهم معلموهم الأربعة الذين كانوا يعلمونهم بالتجهيزية [٤] : وكان القومندان « پولار » يقوم بتعليم سموهم ركوب الخيل [٥] ومحمد أفندى قدرى (بك ثم باشا) الجغرافيا والتاريخ

---

(١) دفتر ٣٦٣ (مدارس عربى) رقم ٤٧٧ إلى المدرسة التجهيزية فى ٤ ذى الحجة ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٧٤ (مدارس عربى) ص ٥ رقم ٦ إلى المدرسة التجهيزية فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٨٢

(٣) محفظة ٣٧ (معية تركى) رقم ٢٦٣ من محمد شريف إلى صاحب السعادة الأفندى فى ٩ ذى القعدة ١٢٨٢

(٤) دفتر ٣٩٣ (مدارس عربى) ص ١٤٢ رقم ٣٢١ إلى المدرسة التجهيزية فى ١٦ ذى الحجة ١٢٨١

(٥) دفتر ٣٧٦ (مدارس عربى) ص ١٦٧ رقم ٩٢٥ إلى إدارة المدارس الحربية فى غرة ذى الحجة ١٢٨٢

بالاشتراك مع مسيو فيدال[١] وعهد إلى «عثمان أفندى صبرى» وكان مدرساً بالتجهيزية بالقيام بوظيفة «ضابط المذاكرات» (يقصد التحريرات) والترجمة وأن يكون ملازما لهم فى كل مكان[٢]، وكذلك ندب الخطاط الشهير «عبد الله زهدى بك» ليعلمهم تجويد الخط[٣]. وكان «القومندان هايو» يرفع إلى الخديو التقارير الشهرية بنتائج دراستهم وأحوالهم الصحية والخلقية، ومنها نعلم أنهم كانوا يتلقون دروساً فى الهندسة والحساب والرسم الهندسى والتاريخ والجغرافيا واللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية

---

(١) دفتر ٣٧٨ (مدارس عربى) ص ١٠٧ رقم ٥٨٨ إلى المدرسة التجهيزية فى ٢٦ ربيع الأول ١٢٨٣ وكان فيدال قد أتى إلى مصر فى (مايو ١٨٦٥) وبدأ يلقى دروسا على بعض الطلبة فى المدارس الحربية فى الرياضات العالية. ثم رأى أن جهوده لم تثمر فألغيت هذه الدروس فى سنة ١٨٦٦ وعينه الخديو مدرسا للأنجال فوضع كتابا فى مبادىء الرياضيات وآخر فى التاريخ ترجم إلى العربية وكتابا فى الميكانيكا وقد استخدمت كتبه فى المدارس المصرية، كما عهدت إليه الحكومة فى هذه الفترة من حياته العلمية بوضع مصور لمصر القديمة. وفى سنة ١٨٦٧ عهد إليه بوضع لائحة عامة وقانون للجنايات كما عهد إليه باعطاء درس خاص فى القانون الإدارى لولى العهد (توفيق باشا) وقيل إن نجاحه فى هذا الدرس كان باعثا على إنشاء مدرسة للحقوق فى مصر وجعل فيدال ناظرا عليها. انظر M. A. Gavillot, Notice sur Vidal Pacha (Bull. Inst. Egypt. 1891) وكانت دروس فيدال تطبع فى مطبعة الحجر بالمدارس الحربية (دفتر ٣٧٨ — مدارس عربى — ص ١٤٦ رقم ٦٣١ الى ناظر المدارس الحربية فى ٤ ربيع الثانى ١٢٨٣)

(٢) دفتر ٣٨٧ (مدارس عربى) ص ٢٠ رقم ٣٠٢ الى مسيو هايو قومندان الأنجال فى ١٧ شوال ١٢٨٣

(٣) محفظة ٤٣ (معية تركى) رقم ٢٦١ من اسماعيل صديق ناظر المالية الى المعية السنية فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٤

وركوب الخيل والسباحة [١] .

وقد ألحق الخديو « عبد الله فكرى بك » (باشا) ناظر القلم التركى بالمعية السنية بالأنجال « لملاحظة تعليماتهم التركية والعربية » [٢] .

وأقبل عبد الله فكرى بك جادا فى تدريس اللغات العربية والتركية والفارسية للأمراء : نحوا وصرفا وإنشاء وإملاء وترجمة وحفظا ، كما أزمع أن يعلمهم المعانى والبيان والبديع وقرض الشعر ، وأن يضع لهم مجموعة من القصص والنصائح ، ورفع بهذا كله تقريرا مطولا إلى سمو الخديو [٣] .

وانتقل الأمراء من العباسية إلى قصر عابدين ، وكان الخديو يزورهم من وقت لآخر ليشهد امتحانهم [٤] ، وكانوا يقضون الصيف مع قومندانهم ومعلميهم بالاسكندرية [٥] .

ولما وضع ترتيب جديد للمدارس فى رمضان ١٢٨٤ (يناير ١٨٦٨) أحيلت

---

(١) محفظة ٤١ (معية تركى) رقم ٢٧٤ (عربى) من هايو الى رياض باشا فى ٧ ربيع الثانى ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٢ (مدارس عربى) ص ١١٨ رقم ٥٠ إلى المالية فى ١٣ جمادى الثانية ١٢٨٤

(٣) محفظة ٤٢ (معية تركى) رقم ١٦٩ من عبد الله فكرى بك إلى المعية السنية فى ١٩ جمادى الثانية ١٢٨٤

(٤) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٣٩ رقم ٣٢٦ إلى ناظر المسافرخانة فى ٢٢ شعبان ١٢٨٤

(٥) محفظة ٤٣ (معية تركى) رقم ٢٨١ (عربى) من ميرشير بك إلى خيرى بك مهردار الخديو فى آخر ذى الحجة ١٢٨٤

مصروفات «مكتب الأنجال» من ديوان المدارس إلى الخاصة الخديوية ، وقد بلغت هذه المصروفات : ١٥ بارة / ٢٧,٠٩٧ قرشا وهى عبارة عن مرتبات الموظفين باعتبار شهر واحد عدا قيمة «التعيينات» التى تصرف لسموهم وقومندانهم (١) .

وفى أوائل سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨) أرسل سمو الأميرين حسن باشا وحسين باشا للدراسة فى أوروبا وعين للسفر معهما معلمان للغة التركية وآخران للغة العربية (٢) . وظل توفيق باشا يتابع دروسه الخاصة بمصر (٣) ، أما إبراهيم باشا وطوسون باشا فأعد لهما مكان خاص بالمدرسة التجهيزية بسراى درب الجماميز (٤) .

---

(١) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٧٨ رقم ٨٤ إلى الخاصة فى ١١ شوال ١٢٨٤

(٢) وهم أحمد رأفت افندى وإبراهيم شوقى افندى للتركية والشيخ زين المرصفى والشيخ محمد خضير الدمياطى للعربية : محفظة ٤٤ (معية تركى) رقم ٣٧ من شريف باشا إلى مهردار الخديو فى ٢١ جمادى الأولى ١٢٨٥ ، رقم ١٢٩ من محافظ الإسكندرية إلى المعية فى ١٢ رجب ١٢٨٥

(٣) وقد عين حماد (بك) عبد العاطى مدرسا للعلوم الرياضية لتوفيق باشا بدلا من مسو فيدال الذى أبقى بمدرسة الإدارة (الحقوق) : دفتر ٤٢٠ (مدارس عربى) ص ١٢٣ رقم ٢٠ من الخاصة الخديوية فى ١١ رجب ١٢٨٥ . وكان يعلم سموه اللغة العربية الشيخ عبد الهادى نجا الأبيارى والفارسية ميرزا حسين : دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ٦٧ أمر كريم إلى كتخداى توفيق باشا فى ٢١ رمضان ١٢٨٧ ، وعلى مبارك : الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٩

(٤) دفتر ٤٢٠ (مدارس عربى) ص ٧٣ رقم ٢ من المعية السنية فى ١٨ رجب ١٢٨٥ وكانت التقارير تشير دائما إلى تأخر سمو إبراهيم باشا فعين له « فلفة دروس » خاص (هو أحمد افندى نظيم) : دفتر ٤١١ (مدارس عربى) ص ١٨٦ رقم ٥٦ من مصالح سنية إلى الديوان فى غرة ربيع الثانى ١٢٨٥ كما عين له أستاذ ليعلمه العربية وهو الشيخ على نايل الذى =

أما النجل الخامس لسمو الخديو إسماعيل باشا « محمود بك حمدى » فقد وجهه سمو والده للدراسة فى انجلترا ، وأرسل معه معلما يعلمه اللغة العربية وآخر يعلمه الفارسية والتركية (١) .

أما أصغر أنجاله سمو الأمير (فؤاد بك) « المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول » فقد بدأ فى سنة ١٨٧٣ — وكان وقتئذ بالآستانة — يتلقى مبادىء القراءة والكتابة من كتاب « ألف باء » الذى كان قد وضع حديثا (٢) .

= كان أخيراً مدرسا للغة العربية لطلبة الرسالة المصرية بباريس : دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص٥٣ أمر كريم إلى ديوان أمور خاصة فى ١٩ شعبان ١٢٨٧ . واستخدم ضابط انجليزى هو « الجنرال مكلين » ليعلمه الفنون العسكرية : دفتر ١٩١٩ (أوامر) ص ١٣٢ أمر كريم فى ٣ صفر ١٢٨٣ ودفتر ١٩٣٠ (أوامر) ص ١٣٨ أمر كريم فى ٤ ربيع الثانى ١٢٨٧ وأبرم عقد مع أستاذ أجنبى ليقوم بتدريس اللغة اللاتينية لسموه : محفظة ٤٧ (معية تركى) رقم٦٩٢ عقد اتفاق بين الجناب العالى والمسيو رولند هيجل فى ٨ رمضان ١٢٨٧ وكان يعقوب أرتين (بك) ناظرا « لمكتب سعادة ابراهيم باشا » دفتر ٤٦٨ (مدارس عربى) ص ١٥٢ رقم ١٤٢ إلى مدرسة المبتديان فى ٢٠ صفر ١٢٩١

(١) وهما الشيخ إبراهيم الرويني وكان مدرسا بالمدرسة التجهيزية (بعد أن رشح الشيخ أحمد المرصفى باشمصحح المكاتب الأهلية ثم الشيخ أحمد مروان من علماء الازهر) وعبد الله أفندى سكوتى وكان مدرسا للغتين التركية والفارسية بمدرسة الادارة : دفتر ٤٥٨ (مدارس عربى) ص ١٠ رقم ١٨ إلى المعية السنية فى ١٩ المحرم ١٢٩٠ ودفتر ٤٥٩ (مدارس عربى) ص ٢٩ رقم ٤٩ إلى الدائرة السنية فى ١٦ ربيع الثانى ١٢٩٠

(٢) محفظة ٥١ (معية تركى) رقم ٢٠٨ من مأمور الدايرة السنية بالآستانة إلى المعية فى ٩ جمادى الثانية ١٢٩١

٢ — المكتب الخيرى :

وفى أواخر سنة ١٢٨٨ (١٨٧٢ م) رأى ديوان المدارس أن الإقبال على مدرسة المبتديان بالناصرية يشتد من وقت لآخر ، وأن المكان لا يحتمل زيادة عدد التلاميذ ، وأن هذه الزيادة تقتضى ميزانية الدولة نفقات جديدة لاتستطيع إذ ذاك أن تنهض بها ، لهذا اقترح الديوان على سمو الخديو أن يأذن بإنشاء مكتبين « خيريين » لتعليم الأطفال المبتدئين وإعدادهم للمدرسة التجهيزية ويلحق أحدهما بمدرسة المبتديان بالقاهرة ويتسع لثلاثمائة تلميذ ويلحق الآخر بمدرسة الاسكندرية ويتسع لمائة وخمسين تلميذا ، على أن تحسب نفقات إنشاء هذين المكتبين وفرقة الصنائع التى اقترح إنشاؤها فى الوقت نفسه كذلك وقدرها ١٩ بارة / ٣ قرش / ١٣٣٤ كيسة (١٩ بارة و ٣ قرش و ٦٦٧٠ جنيها) من إيراد المكاتب الأهلية ، مع ما يجمع من المصروفات « الجزوية » التى ستفرض على تلاميذ المكتبين . أما مدرسة المبتديان بالقاهرة والاسكندرية فتبقيان على ما هما عليه بدون تغيير [١] .

وسرعان ما اكتظ المكتب الخيرى الجديد بالقاهرة أو « مدرسة المبتديان الخيرية » بالتلاميذ ، حتى كان به فى العام التالى لإنشائه ٤٨٩ تلميذا موزعين على أحد عشر فصلا ، بينما هبط تلاميذ « مدرسة المبتديان الملكية » إلى ٢١٨ تلميذا موزعين على ستة فصول [٢] . وفى سنة ١٨٧٤ وزع تلاميذ المدرسة — طبقا للخطة الدراسية

---

(١) دفتر ٤٤٨ (مدارس عربى) ص ١٧٠ رقم ١٤ إلى المعية السنية فى ٥ ذى الحجة ١٢٨٨

(٢) انظر دفتر ١٧ (امتحانات) بدفترخانة المعارف .

التى وضعت فى تلك السنة — على فرق دراسية أربع وكل ، فرقة تتألف من عدة فصول ، وحددت لكل فرقة مواد الدراسة .

ويبدو أن النية اتجهت فى ذلك الوقت إلى التمهيد لإلغاء « مدرسة المبتديان الملكية » بإدماجها فى « المدرسة الخيرية » تخفيفاً عن ميزانية الدولة . يظهر هذا من دراسة فرق الدراسة بكلتا المدرستين وعدد تلاميذهما فى تلك السنة (١٨٧٤) أى بعد نحو ثلاثة أعوام من إنشاء المكتب الخيرى : إذ لا نجد بالمدرسة سوى الفرقة الأولى « الميرية » ويقصد « الملكية » وعدد تلاميذ فصولها الأربعة ٨٥ تلميذاً ، بينما الفرق الباقية كلها (الثانية والثالثة والرابعة) « خيرية » ومجموع تلامذتها ٣٨٥ تلميذاً[١] . حتى إذا كان العام التالى (١٨٧٥) تم هذا الاندماج ، فلم نعد نجد بمدرسة — أو مدرستى المبتديان الميرية والخيرية — سوى أربع فرق مقسمة إلى أربعة عشر فصلا ومجموع تلامذتها ٤٤٦ تلميذاً من غير تمييز بين « ميرية » أو « خيرية »[٢] . واستمرت المدرسة على هذا النحو عامى ١٨٧٧ و١٨٧٨[٣] ، حتى إذا كان عام ١٨٧٩ عاد التفكير إلى توسيع مدرسة المبتديان بزيادة عدد تلامذتها وقسمتهم بين فرق أميرية وأخرى خيرية . وبهذا قفز عدد تيلاميذ المدرسة بقسميها من ٢٤٨ تلميذاً (سنة ١٨٧٨) إلى ٧٥٥ تلميذاً (سنة ١٧٧٩) . ولكن هذا التقسيم كان مؤقتاً ، وعادت المدرسة إلى ما كانت عليه .[٤] فلما وضع (قومسيون تنظيم المعارف) تقريره فى ديسمبر سنة ١٨٨٠ لم يذكر فيه شيئاً عن المدرسة الخيرية أو المكتب الخيرى بمدرسة المبتديان .

---

(١) انظر دفتر (١٧) (امتحانات) بدفترخانة المعارف

(٢) انظر دفتر ١٨ (امتحانات) بدفترخانة المعارف .

(٣) انظر دفتر ١٩ (امتحانات) بدفترخانة المعارف .

(٤) انظر دفترى ٢٠ و ٢١ (امتحانات) دفترخانة المعارف .

٣ — فرقة تجريبية العمليات :

أنشئت فى سنة ١٢٩٢ (١٨٧٤) وألحقت بمدرسة المبتديان بالناصرية ، واستمرت أربع سنوات ، وهـذا بيان بعدد تلامذتها :

سنة ١٨٧٤	١٤ تلميذاً
« ١٨٧٥	٢١ «
« ١٨٧٦	٢٠ «
« ١٨٧٧	١٧ «

ونرجح أن هذه الفرقة ضمت بعد ذلك إلى مدرسة العمليات .

وكان طلبتها يدرسون المواد الآتية :

رياضة (حساب وهندسة) ، لغة فرنسية أو انجليزية ، جغرافيا ، تاريخ ، خط عربى خط أفرنجى ، رسم[1] .

---

(١) وكان يدرس هذه المواد محمد فايد والشيخ حسن جلال (رياضة) ، محمد فكرى واسكندر اسلام (اللغة الفرنسية) ، محمد طاهر (اللغة الانجليزية) ، أحمد حسن واسكندر اسلام (جغرافيا) ، أحمد نجيب (تاريخ) ، الشيخ على سالم (خط عربى) ، ومسيو ألمانزى (خط افرنجى) ، عبد الرازق حسنى (رسم نظرى) : انظر دفاتر ١٧ و١٨ و ١٩ (امتحانات) .

٤ — فرقة النجارين :

أنشئت أولا بمدرسة القربية ثم نقلت إلى مدرسة المبتديان بالناصرية وأقامت بها عام ١٨٧٤ ، وكان عدد تلامذتها أربعة وثلاثين تلميذا يدرسون ـ عدا « صناعة النجارة » ـ مادة الحساب ويمتحنون فيها شفوياً وتحريرياً [١] ، ثم نقلوا إلى مدرسة الصنائع أول افتتاحها [٢] .

٥ — الفرق التجهيزية :

أنشئت لأول مرة فى سنة ١٢٩٦ (١٨٧٩) وبها ٩٤ تلميذاً موزعين على ثلاث فرق دراسية [٣] ، ثم استكملت فى العام التالى فرقها الأربع ، وامتحن تلامذتها لأول مرة ودونت نتائجهم فى دفاتر امتحانات مدرسة المبتديان [٤] . أما مواد دراستهم ومصير فرقهم فسنفصله فى مكان آخر حين نتكلم على مدارس التعليم التجهيزى .

أما الآن فنختم حديثنا عن مدرسة الناصرية الأميرية الابتدائية بالبيان التالى عن عدد تلامذتها بأقسامها المختلفة منذ العام التالى لإنشاء المكتب الخيرى حتى نهاية العصر الذى نؤرخ التعليم فيه [٥] :

---

(١) انظر دفتر ١٧ (امتحانات) بدفترخانة المعارف .

(٢) دفتر ٤٨٧ (مدارس عربى) ص ١٢٢ رقم ٥٨٢ إلى مدرسة المبتديان فى ٢ شعبان ١٢٩٢ .

(٣) انظر تقرير (قومسيون تنظيم المعارف) فى سنة ١٨٨٠ ص ٢٩

(٤) انظر دفتر ٢٠ (امتحانات المبتديان) بدفترخانة المعارف .

(٥) اعتمدنا فى إيراد هذه الأرقام على ما جاء بدفاتر امتحانات المدرسة وقد أشرنا إليها .

المدرسة أو القسم	سنة ١٨٧٣	سنة ٧٥ (١)	سنة ٧٦	سنة ٧٧	سنة ٧٨	سنة ٧٩	سنة ٨٠ (٢)	سنة ٨١	سنة ٨٢
مدرسة المبتديان الملكية	٢١٨	٨٥	٤٤٦	٢٩٣	٢٤٨	٧٥٥	٥٧٣		٨٥٣
« المبتديان الخيرية	٤٨٩	٣٨٥							
فرقة تجهيزية العمليات	—	١٤	٢١	٢٠	١٧	—	—	٦٨٣	—
فرقة النجارين	—	٣٤	—	—	—	—	—		—
الفرق التجهيزية	—	—	—	—	—	٩٤	١٥٠		—
مجموع التلاميذ	٧٠٧	٥١٨	٤٦٧	٣١٣	٢٦٥	٨٤٩	٧٢٣	٦٨٣	٨٥٣

نظارة المدرسة:

كان « على مبارك بك » أول ناظر لمدرسة المبتديان ، ثم خلفه على نظارة المدرسة

---

(١) جاء فى الإحصاء العام لسنة ١٨٧٥ (Statistique des Ecoles Civiles) ص ٤ أن عدد تلامذة المدرسة فى هذه السنة ٥٣٩ تلميذا : ٤٧٠ بالقسم الداخلى و ٦٩ بالقسم الخارجى .

(٢) جاء فى تقرير (قومسيون تنظيم المعارف سنة ١٨٨٠) ص ١٥ — ١٦ أن عدد تلاميذ المدرسة فى تلك السنة ٦٨٩ تلميذا موزعين على أربع فرق : بالفرقة الأولى (النهائية) ١١ ٪ من مجموع تلامذة المدرسة وبالثانية ٢٥ ٪ وبالثالثة ٤٠ ٪ وبالرابعة ٢٤ ٪

« سليمان نجاتى افندى » وكان ناظراً للقلم الأوروبى بمحافظة مصر [١] . ولكن على أثر ذلك صدر أمر آخر بإعادته إلى عمله بالمحافظة وبتعيين « إسماعيل بك زهدى » ناظراً على المدرسة [٢] . وظل إسماعيل زهدى ناظراً على المدرسة من المحرم سنة ١٢٨٠ إلى ذى القعدة سنة ١٢٩٠ (١٨٦٣ — ١٨٧٤) . وقد نقلت المدرسة فى أول عهده إلى العباسية ثم نقلت فى سنة ١٨٦٧ إلى الناصرية . وفى عهده قوى شأن المدرسة ونظمت برامجها . . . الخ . وقد أضيفت إليه عقب الانتقال إلى الناصرية وظيفة « مدير إدارة المدارس الملكية [٣] .

وخلفه على نظارة المدرسة « أحمد بك عبيد » وكان وكيلا لمجلس تجار مصر [٤] .

---

(١) دفتر ٥٣١ (معية تركى) جزء ٢ ص ٣٣ رقم ١١٦ من المعية إلى محافظة مصر فى ١٣ المحرم ١٢٨٠ ودفتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ٣٧ رقم ١٣٢ إلى مدرسة المبتديان فى ٢١ المحرم ١٢٨٠ (وكان مرتبه ثلاثة آلاف قرش فى الشهر) .

(٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٣٨ رقم ٣٩ إلى محافظة مصر فى ٢٦ المحرم ١٢٨٠ ودفتر ٥٢٥ (معية تركى) ص ١٠١ أمر إلى ناظر الجهادية فى ٢٠ المحرم ١٢٨٠ وباسماعيل زهدى تبدأ سلسلة نظار المدرسة كما أثبتها أمين باشا سامى (التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٥٥ — ٥٦) وكان مرتب النظارة بالترتيب خمسة آلاف قرش فى الشهر : دفتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ٧٨ رقم ١٦٤ إلى مدرسة المبتديان فى غاية المحرم ١٢٨٠

(٣) انظر فيما سبق ص ١٣٥

(٤) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٦٢ رقم ١٠ إلى المعية السنية فى ٢٩ شوال ١٢٩٠ ودفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ١ رقم ٣١٠ إلى أحمد أفندى عبيد ناظر مدرسة المبتديان فى غرة ذى الحجة ١٢٩٠

وظل ناظراً من غرة ذى الحجة ١٢٩٠ إلى جمادى الأولى ١٢٩٢ (يناير ١٨٧٤ — ابريل ١٨٧٥) ثم نقل عضواً بالمحاكم المنشأة حديثاً [١] .

وخلفه « صادق افندى شنان » (من نوفمبر ١٨٧٥ إلى مارس ١٨٧٦) .

ثم حامد افندى نيازى (من ابريل ١٨٧٦ إلى أكتوبر ١٨٧٨) .

ثم محمد افندى فايد (من نوفمبر ١٨٧٨ إلى مارس ١٨٨٧) [٢] .

وكلاء المدرسة

كان أول « وكيل » عين للمدرسة البكباشى « محمد نصر افندى » (فى ٢٥ رمضان ١٢٧٩) ، وكان يشغل قبل ذلك وظيفة وكيل مدرسة المهندسخانة السعيدية برتبة صاغقول أغاسى [٣] .

ثم جاء وقت ألغيت فيه وظيفة وكيل المدرسة ، حتى أضيف إلى ناظرها — إسماعيل بك زهدى — منصب مدير إدارة المدارس الملكية كما تقدم ، فأصبح يقيم بديوان المدارس بدرب الجماميز ، فرؤى أن من الضرورى أن يعين للمدرسة وكيل يقيم بها ويشرف على شئونها فى غياب ناظرها ، ووقع الاختيار على « على أفندى عزت »

---

(١) دفتر ٤٨٢ (مدارس عربى) ص ٤٦ رقم ٢٨١ إلى كتاب الحسابات فى ٢٥ جمادى الأولى ١٢٩٢

(٢) دفتر سنة ١٨٧٩ (إرادات للمدارس) ص ٢ رقم ٣ فى ١٢ شعبان ١٢٦٦

(٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٢ رقم ٣ إلى مدرسة المبتديان فى ٢٨ رمضان ١٢٧٩ و ص ٤٨ رقم ٣٩ إلى المالية فى ١٥ ذى القعدة ١٢٧٩ . وكان مرتبه كما ورد « بالترتيب » ١٥٠٠ (قرش) فى الشهر .

علاوة على وظيفته كمدرس بمدرسة المهندسخانة [١] .

وخلفه فى وكالة المدرسة — فى عهد نظارة إسماعيل بك زهدى كذلك — برعى أفندى وكان مهندساً بالأشغال العمومية [٢] ، ويذكر أمين باشا سامى [٣] أنه استمر وكيلا للمدرسة من سبتمبر ١٨٧٠ إلى يناير ١٨٧٤ ولم يذكر خلفه . ولكن الوثائق تتحدث عن تعيين « محمد أفندى ثاقب » ضابط أول المدرسة وكيلا لها فى فبراير ١٨٧٤ [٤] .

هيئة التدريس بالمدرسة

بدأ تكوين هيئة التدريس بعدد قليل من المدرسين والمعيدين — أكثرهم من مقرئى القرآن الكريم للأطفال المبتدئين — وما لبث عددهم أن كبر كلما ازداد عدد تلاميذ المدرسة . والبيان التالى يوضح عدد مدرسى المدرسة ومعيديها موزعين على مختلف مواد الدراسة فى سنين متباينة من تاريخ المدرسة :

---

(١) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربى) ص ١١٥ رقم ٧٤ إلى إدارة المدارس الملكية فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٨٦ .

(٢) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٢٤ رقم ٧٢٦ إلى إدارة المدارس الملكية فى ٢٩ صفر ١٢٨٧ . وكان مرتبه ١٢٠٠ قرش فى الشهر ، ويذكره (دور بك فى كتابه ص ٣٨٥) باسم ناظر المدرسة .

(٣) التعليم فى مصر : القسم الخامس من الملحقات ص ٥٥ — ٥٦ .

(٤) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ١٣٢ رقم ٥٨ إلى مدرسة المبتديان فى ١١ المحرم ١٢٩١ — بمرتب ٧٠٠ قرش فى الشهر .

المادة	مايو ١٨٦٤ (١)	شتاء ٧١/٧٢ (٣)	يناير ١٨٧٤ (٣)	ديسمبر ١٨٧٥ (٤)	ديسمبر ١٨٨٠ (٥)
الرياضة	٢	٤	—	٧	٨
اللغة العربية	٢	٥	—	٤	٦
الخط العربى	٢	—	—	٣	٢
القرآن الكريم	١٥	٣	—	٣	٨
اللغة التركية	٢	٣	—	٤	٣
« الألمانية	—	١	—	١	١
« الفرنسية	—	٤	—	٢	٨
« الانكليزية	—	١	—	١	٢
التاريخ	—	—	—	١	١
الرسم	—	٢	—	٤	٤
الخط الأوربى	—	—	—	٢	٢
المجموع	٢٣	٢٣	٣٧	٣٣	٤٥

(١) دفتر ٣٥٤ (مدارس عربى) ص ١٦ رقم ١٠٦٣ إلى مدرسة المبتديان فى ٢٢ المحرم ١٢٨١

(٢) Dor, op. cit. p. 385.

(٣) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ٢٥ رقم ٣٥٨ إلى مدرسة المبتديان فى ٨ ذى الحجة ١٢٩٠

(٤) Ministre de l'Instruction publique, statistique des Ecoles Civiles. 1875. p. 4.

(٥) تقرير قومسيون تنظيم المعارف سنة ١٨٨٠ ص ١٧ — وقد أشار القومسيون بتعيين =

ويلاحظ أن مدرسى اللغات الأجنبية كانوا يقومون بتدريس التاريخ والجغرافيا كما يلاحظ أن بعض مدرسى المدرسة كان يلقى دروساً فى مدارس أخرى .

= ٦ مدرسين آخرين . وتثبت فيما يلى أسماء الذين شغلوا مناصب التدريس فى مدرسة المبتديان بالقاهرة فى فترات مختلفة من تاريخها منذ إنشائها فى ١٨٦٣ إلى ١٨٨٢ وقد جمعنا هذه الأسماء من بعض الأوراق بمحفوظات عابدين ومن كتاب دوربك عن التعليم (ص ٣٨٥) ومن الإحصاء العام للمدارس سنة ١٨٧٥ (النسخة الفرنسية ص ٤) ومن دفاتر تسجيل نتائج امتحانات تلامذة المدرسة وقد أعطيناها أرقام ١٧ و١٨ و ١٩ و ٢٠ و٢١ وهى مودعة بدفترخانة وزارة المعارف العمومية وهم :

مدرسو اللغة العربية والقرآن والخط العربى : المشايخ ابراهيم الأنصارى ومحمد بيومى وإبراهيم الدسوقى وسليمان عطوة وعلى نايل ومحمد الزيادى وأحمد المرصفى ومحمد مونس ومحمد قناوى والسيد أحمد بطة وأحمد السمنى ومحمد الشربجى وإبراهيم عمر وعلى سالم ومحمد أبو زيد والشيخ عبد العزيز والشيخ رشوان وأحمد الصفتى وعثمان مدوخ وإمام العادلى وأحمد حسين والسيد الدسوقى .

مدرسو اللغة الفرنسية والخط الأوربى : منصور عزمى ومحمد أمين فكرى وإسكندر وإسلام وألمازى وأحمد حسن وبرتلمى وعلى سلامة وإبراهيم صدقى وأحمد كمال وحسين زكى ومحمد وصفى ومحمد فكرى ومحمد زهران وأوهانس ودرويش باز وأحمد شاكر ولموان وغبريال منقريوس.

مدرس اللغة الإنجليزية : محمد أفندى طاهر .

مدرسو اللغة الألمانية : أحمد نجيب ومحمد فخرى وإبراهيم عارف وهاجنماخر

مدرسو اللغة التركية : إبراهيم ممتاز وطالب أفندى وخليل كمال وأحمد عزت ومحمد حليم ومصطفى المرابط ومحمد وصفى ومحمد شاكر ومحمود حمدى وإبراهيم رأفت وفاضل افندى .
=

هيئة الادارة بالمدرسة

عين بالمدرسة أول إنشائها ضباط بعدد فرقها الأربع ، وكانوا يدعون « رؤساء فرق » ، وقد اختيروا من ضباط الجهادية ، وكان يفضل من له سابقة العمل بالمدارس . وكان يكتفى أحيانا فى تعيين « رئيس الفرقة » أن يوجد « موافقاً فى القراءة والكتابة » . وقد نصت اللوائح على أن يكون لكل ١٠٠ تلميذ بالمدرسة ضابط (١) .

= مدرسو التاريخ والجغرافيا : محمد فخرى وأحمد نجيب وأحمد حسن واسكندر إسلام والسيد عزمى (وكان أكثر مدرسى اللغات الأجنبية يقومون بتدريس التاريخ والجغرافيا والخط الأوربى) .

مدرسو الحساب : محمد فايد وعلى أحمد وعبد المجيد سامى ومصطفى واصف وحسن كامل ومصطفى سامى وإبراهيم صدقى ومحمد منيب ومحمد فخرى واحمد كمال وحسين زكى وأحمد حسن وإبراهيم عارف والشيخ حسن جلال والشيخ على عيسى والشيخ محمد دياب ومحمد إدريس وعثمان أنور ومحمود فاضل وحسن رائف .

الرسم النظرى : عبد الحميد فوزى وحسين سامى ومحمود سامى ومحمد رشوان وعبد الرازق حسنى وعبد الله زهدى ومحمد عبد اللطيف وإبراهيم حسنى .

ملاحظات :

كان يدرس لتلاميذ كل من فصول الفرقة الرابعة (وهى أدنى الفرق الابتدائية) مدرس واحد يدرس لهم مبادئ الحساب والقراءة والكتابة والقرآن الكريم . وقد نصت اللائحة الأولى التى وضعت للمدرسة أول إنشائها على أن يعين المعلمون بنسبة معلم واحد لكل خمسين تلميذا (دفتر ٣٩٤ — مدارس عربى — ص ٧٤ رقم ٣٧٩ إلى المبتديان فى ١٦ المحرم ١٢٨٤)

(١) دفتر ٣٨٥ (مدارس عربى) ص ٢٨ رقم ٢ إلى المعاونة السنية فى ٢٣ ربيع الثانى ١٢٨١

وإلى جانب هؤلاء الموظفين كان بالمدرسة باشكاتب وكتاب وقبانى ووكيل خرج وعدد كبير من الخدم ، حتى زاد مجموع موظفيها الفنيين والإداريين والكتابيين والخدم على مائتين ، ثم اقتضى الأمر — كما رأيت — إنقاص عدد تلاميذها وبالتالى عدد موظفيها وخدمها ، وقد كان مجموعهم قبل المحرم ١٢٨٤ (إبريل ١٨٦٧) ٢١٢ موظفاً وخادما فانقصوا إلى ١٨٢[1] . وبعد ذلك بأشهر أنقصوا إلى ٩٤ فقط (للمدرسة ومخزن العموم) ، ومجموع مرتباتهم فى الشهر ٢٦,٨٩٠ قرشاً . وقد قدرت ميزانية المدرسة (والمخزن العمومى) الملحق بها فى ترتيب أول رمضان ١٢٨٤ (ديسمبر ١٨٦٧) كما يلى[2] :

	بارة	قرشا	جنيها
المرتبات	—	٨٠	٣,٢٢٦
المصروفات	٢٩	٢٤	٧,٠٩٨
المجموع	٢٩	٤	١٠,٣٢٥

مـــدرسة رأس التين الأميرية

صدر الأمر بإنشاء مدرسة « الاسكندرية » فى الوقت الذى صدر فيه الأمر بإنشاء مدرستى المبتديان والتجهيزية بالقاهرة (يناير ١٨٦٣) ، على أن يكون عدد تلامذة

---

(١) دفـــتر ٣٩٤ (مدارس عربى) ص ٧٤ رقم ٣٧٩ إلى مدرسة المبتديان فى ١٦ المحرم ١٢٨٤

(٢) دفـتر ٤٠٥ (مدارس عربى) ص ١٩٨ رقم ١٤٦ إلى مدرسة المبتديان فى ١١ رمضان ١٢٨٤

مدرسة الاسكندرية ٥٠٠ تلميذ موزعين مناصفة بين قسم ابتدائى وآخر تجهيزى [١]. وبادر الديوان فعين ناظرها وأنفذه إلى الاسكندرية ليشرف على إعداد وإصلاح بناء المدرسة ، وهو البناء الذى كانت تشغله مدرسة الاسكندرية فى عهد محمد على ثم جعل مدرسة حربية فى عهد سعيد[٢] . وعهد إليه جمع الأدوات والمهمات اللازمة من مخازن دار الصناعة (الترسانة) ومستشفى رأس التين[٣] وتقييد التلامذة الراغبين الدخول بالمدرسة وتوزيعهم بين القسمين التجهيزى والابتدائى : فتلاميذ القسم الإبتدائى — أو المدرسة الإبتدائية — تتراوح أعمارهم بين الثامنة والحادية عشرة ، وتلاميذ القسم التجهيزى تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والخامسة عشرة[٤] ، على أن يؤجل قيدهم حتى يؤدوا بنجاح امتحانا فى القراءة والكتابة وترفع درجاتهم ونماذج من خطوطهم إلى الديوان . أما التلامذة المبتدئون فليس من الضرورى أن « يفهموا فى القراءة » بل يكفى أن يكون « منظور فيهم الاستعداد واللياقة وقيافتهم موافقة ومأمول منهم النجابة »[٥]. ولما كان من اليسير أن تتوفر هذه (الشروط) فى الكثير من التلامذة

---

(١) دفتر ٣٦٦ (مدارس عربى) ص ١١ رقم ٥ من مدرسة اسكندرية فى ١١ ربيع الثانى ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٣٣ رقم ١٥ إلى مدرسة اسكندرية فى ٢٩ شوال ١٢٧٩

(٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٦ رقم ٥ إلى مدرسة التجهيزية والمبتديان باسكندرية فى ٢٦ رمضان ١٢٧٩

(٤) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٥ رقم ٨ إلى مدرسة التجهيزية والمبتديان باسكندرية فى ١٥ شوال ١٢٧٩

(٥) دفتر ٣٤٦ (مدارس عربى) ص ٤٤ رقم ٢٨ من مدرسة إسكندرية فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٧٩

المتقدمين للمدرسة فسرعان ما امتلأ بهم القسم الابتدائى . وعلى هـذا النحو تكونت مدرسة المبتديان بالإسكندرية ، أما المدرسة التجهيزية فسنرجىء الكلام عليها الآن . وسرعان ما امتلأت المدرسة بالتلاميذ : إذ لم يمض على افتتاحها عام حتى كان بها ٣٦٠ تلميذاً على الرغم من أن بناء المدرسة لم تكن عمارته قد كملت بعد[١] ، وكانت المدرسة الابتدائية فى استكمال نصابها من التلاميذ أسرع من زميلتها التجهيزية [٢] .

ولكن نصاب المدرسة مالبث أن نقص فى سنة ١٨٦٧ تمشياً مع الخطة التى أخذ بها ديوان المدارس فى ذلك الوقت ، وترمى إلى انقاص عدد تلامذة المدارس الأميرية انتظاراً لإنشاء المدارس المركزية والمكاتب الأهلية بالقاهرة والأقاليم ، وقد صدرت اللائحة بإنشائها فى ذلك الوقت ، « لائحة رجب ١٢٨٤ » ، ففى « الترتيب » الذى وضع للمدارس فى غرة رمضان ١٢٨٤ (ديسمبر ١٨٦٧) جعل نصاب مدرسة الاسكندرية بقسميها ٢٥٠ تلميذاً : ١٥٠ للتجهيزية و ١٠٠ للمبتديان[٣] ، وتبعاً لذلك فصل من المدرسة ٧٧ تلميذاً : ٤٧ من تلامذة التجهيزية و ٣٠ من تلامذة المبتديان[٤] . ولكن كان

---

(١) دفتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ٧٠ رقم ٣٣ إلى ديوان الواردات فى ٤ صفر ١٢٨٠ ودفتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ٨٦ رقم ٨٤ إلى ديوان الواردات فى ٢ رمضان ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٤٧ (مدارس عربى) ص ٢٣ رقم ١٢٣ من مدرسة إسكندرية فى ٧ ربيع الأول ١٢٨٠

(٣) دفتر ٤٢٤ (مدارس عربى) ص ٨٢ رقم ٢١٥ من مدرسة إسكندرية فى غرة جمادى الثانية ١٢٨٦

(٤) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ١٢ رقم ٧٤ إلى مدرسة إسكندرية فى ٤ شوال ١٢٨٤

بها علاوة على العدد المقرر وهو (٢٥٠) عشرون تلميذاً يتعلمون بها (على ذمة) المدرسة البحرية التى شرعت الحكومة فى إنشائها فى ذلك الوقت وأربعون تلميذاً أرسلوا إلى القاهرة لتوزيعهم على المدارس التى فتحت إذ ذاك حديثا (١) .

ثم رفع نصاب المدرسة فى يناير ١٨٦٩ إلى ٣٠٠ تلميذ بزيادة ٥٠ تلميذاً بالمدرسة الابتدائية (٢): منهم : ٢٠٦ تلاميذ بالقسم الخارجى و٩٤ تلميذاً بالقسم الداخلى « بتعيين كامل بما أنهم أيتام وعبيد سودانية وأولاد لقطاء والبعض بلادهم مستبعدة عن الاسكندرية »(٣) وأنشىء « مكتب خيرى أهلى » وألحق بالمدرسة — على مثال المكتب الخيرى الذى ألحق بمدرسة المبتديان بالقاهرة — ويتعلم به ١٥٠ تلميذاً وتبلغ نفقاته السنوية (من مصروفات ومرتبات) ١٨١٧ جنيهاً و ٧٦ قرشا و ٢٧ بارة وتؤخذ من إيرادات المكاتب الأهلية والرسوم المدرسية (الجزئية) التى تفرض على التلاميذ . (٤) وعلى أثر ذلك ارتفع عدد التلاميذ إلى ٤١٨ تلميذاً منهم ٢٨٥ تلميذاً بالقسم الداخلى و١٣٣ بالقسم الخارجى . وكانت المدرسة تصرف لهم « تعيينات » فقررت عدم

---

(١) دفتر ٤١٠ (مدارس عربى) ص ١٠٣ رقم ٧٣ من مدرسة إسكندرية فى ١٦ شوال ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٢٤ (مدارس عربى) ص ٨٢ رقم ٢١٥ من مدرسة الإسكندرية فى غرة جمادى الثانية ١٢٨٦

(٣) دفتر ٤٥٤ (مدارس عربى) ص ١١٨ رقم ١٤٨ من مدرسة الإسكندرية فى ١٢ ربيع الثانى ١٢٨٩

(٤) دفتر ٤٤٨ (مدارس عربى) ص ١٧٠ رقم ١٤ إلى المعية السنية فى ٥ ذى الحجة ١٢٨٨

صرفها طبقاً « لترتيب » جديد وضع فى أواخر سنة ١٨٧٣[١] .

وهاك بياناً بعدد تلاميذ المدرسة بأقسامها وفرقها المختلفة : [٢]

السنة	تجهيزى		مبتديان		خيرى		بحرية		مجموع التلاميذ	عدد المعلمين
	الفرق	تلميذ	الفرق	تلميذ	الفرق	تلميذ	الفرق	تلميذ		
١٨٧٣	٤	١٢٠	٥	٢٠١	٢	٩٤	—	—	٤١٥	١٨
١٨٧٤	٤	٧٩	٥	١٧٣	٢	٧٧	—	—	٣٢٩	
١٨٧٥	٢	٥٥	٤	٢٠٦	٢	٥٧	—	—	٣١٨	٢١
١٨٧٦	٣	٥٧	٤	٢٢٠	—	—	—	—	٢٧٧	
١٨٨٧	٣	٦٤	٤	١٤٤	—	—	١	٤٩	٢٥٧	
١٨٧٨	٤	٦٠	٤	١٥٦	—	—	٢	٤٣	٢٥٩	
١٨٨٠	١	١٢	٤	٣٥٦	—	—	—	—	٣٦٨	١٨
١٨٨١	٢	١٠					—	—		
١٨٨٢	٢	١٣					—	—		

وقد مضت على المدرسة فترة تحولت فيها إلى مدرسة أهلية يصرف عليها من إيرادات المكاتب الأهلية أسوة بالمدارس الأهلية بالأقاليم كبنها وأسيوط ، فتقرير

---

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ١٠٨ رقم ٦٤ إلى مدرسة الإسكندرية فى ٢٨ شوال ١٢٩٠

(٢) انظر دفترى ٤ و ٥ (امتحانات مدرسة الإسكندرية) بدفترخانة المعارف وتقرير قومسيون تنظيم المعارف والإحصاء العام فى سنة ١٨٧٥

المفتش أمين سامى أفندى[١] (المرحوم أمين باشا سامى) فى يولية ١٨٧٩ يذكر أن بمخزن المدرسة كتباً وتعيينات غير لازمة للمدرسة (لأنها مكتب أهلى) ، وتقرير (قومسيون تنظيم المعارف) فى ديسمبر ١٨٨٠ يعد مدرسة الإسكندرية أولى المدارس الأهلية بمصر وتلامذتها جميعاً (خارجية)[٢] . ولسنا نعرف على وجه التحقيق متى تحولت مدرسة الإسكندرية إلى مدرسة أهلية ، ونرجح أن ذلك حدث منذ سنة ١٨٧٦ حين ألغى المكتب الأهلى الخيرى الذى كان ملحقاً بها اكتفاء بتحويل المدرسة كلها إلى مدرسة أهلية أو مكتب أهلى ، على أن ذلك لم يطل أمره ، ولسنا نعرف على وجه التحقيق كذلك متى أعيدت مدرسة الاسكندرية (مدرسة أميرية) يصرف عليها من ميزانية الدولة ، ولكن التقارير السنوية التى أصدرتها نظارة المعارف منذ سنة ١٨٨٥ تعدها ضمن المدارس الأميرية .

على أن أمين باشا سامى يذكر[٣] أن مدرسة الاسكندرية من ابتداء يناير ١٨٧٩ أصبحت تابعة للمكاتب الأهلية لغاية ديسمبر ١٨٨١ ، ومن ابتداء يناير ١٨٨٢ أعيدت للمدارس الأميرية .

نظار المدرسة :

عين لنظارة المدرسة أول إنشائها البكباشى « أحمد أفندى التومى »[٤] ، ويذكره

---

(١) انظر أوراق أمين سامى باشا بمتحف التعليم .

(٢) ص ١٨

(٣) التعليم فى مصر : القسم الخامس من الملحقات ص ٥٧

(٤) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٦ رقم ٢ إلى مدرسة التجهيزية والمبتديان باسكندرية فى ٨ رمضان ١٢٧٩

أمين باشا سامى[١] كما تذكره بعض الوثائق باسم أحمد بك فتحى[٢]، ونرجح أنهما اسمان لشخص واحد .

وخلفه « محمد أفندى نامى » من مارس ١٨٧٦ إلى أكتوبر ١٨٧٧[٣]، ثم « أحمد أفندى إدريس » من نوفمبر ١٨٧٧ إلى أكتوبر ١٨٧٨[٤]، ثم « حامد أفندى نيازى » من نوفمبر ١٨٧٨ إلى يولية ١٨٧٩[٥]، ثم « دوفان بك » من أغسطس ١٨٧٩ إلى ديسمبر ١٨٨٥[٦] .

وكلاء المدرسة

عين وكيلا للمدرسة أول إنشائها « الصاغقول أغاسى رضوان أفندى حلمى »[٧]، وظل فى منصبه حتى سنة ١٨٦٧ حين فصل لإلغاء وظيفته بناء على (الترتيب) الذى وضع فى ذلك العام[٨] (ترتيب غرة رمضان ١٢٨٤) . وظل منصب الوكالة ملغى

---

(١) التعليم فى مصر . القسم الخامس من الملحقات ٥٧

(٢) دفتر ٣٦٧ (مدارس عربى) ص ٥٨ رقم ١٩٠ من مدرسة إسكندرية فى ١٧ شوال ١٢٨١

(٣) وكان قبل ذلك وكيلا وضابطا بالمدرسة .

(٤) وكان قبل ذلك مدرسا للرياضة بمدرسة الإسكندرية ثم نقل ناظرا لمدرسة أسيوط فناظرا لمدرسة الصنائع بالقاهرة .

(٥) وكان ناظرا لمدرسة دار العلوم .

(٦) وكان ناظرا للمدارس الحرة المجانية العامة بالاسكندرية .

(٧) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ٦٣ ص رقم ٤٦ إلى المالية فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٧٩

(٨) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ١٢٢ رقم ١٥٥ إلى المالية فى ٦ ذى القعدة ١٢٨٤

حتى كثر العمل على ناظر المدرسة ، إذ أحيلت إليه — علاوة على نظارة المدرسة — ادارة الأوقاف بالاسكندرية وملاحظة المكاتب الأهلية بها ، فأعيدت وظيفة الوكالة فى فبراير ١٨٧٣ ، وأسندت إلى «محمد أفندى نامى» وكان مأموراً لجفلك الوادى فعين وكيلا وضابطا لمدرسة الاسكندرية [١] ، ثم فصل فى يونية ١٨٧٥ وعين بدلا منه محمد أفندى ماهر » وكان قبلا ضابطا بالمدرسة ثم معاوناً بديوان المدارس [٢].

وكان الضبط بالمدرسة موكولا إلى «رؤساء فرق» ، وقد عين للمدرسة الأول إنشائها « محمد أفندى ماهر » والملازم الثانى « حسن كامل أفندى » والملازم الأول « محمد كامل أفندى » رؤساء فرق بالمدرسة [٣] . ثم ألغيت وظائف رؤساء الفرق فى (ترتيب غرة رمضان ١٢٨٤) ، ففصل الأول وجعل الثانى (باشخوجه) اللغة التركية بالمدرسة وعين الثالث ضابطا بها [٤] .

ميزانية المدرسة

نثبت فيما يلى بيانا بميزانية المدرسة السنوية : مصروفاتها ومرتبات موظفيها وخدمها مع بيان عدد تلامذتها وموظفيها فى بعض السنوات التى استطعنا أن نحصل على أرقام عنها نطمئن إليها :

---

(١) دفتر ٤٥٨ (مدارس عربى) ص ٢٣ رقم ١٢١ إلى مدرسة الاسكندرية فى ١٩ المحرم ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٨٦ (مدارس عربى) ص ١٧٣ رقم ٢١٦ إلى مدرسة الاسكندرية فى ٢٠ جمادى الأولى ١٢٩٢ — ويذكر دور فى كتابه (التعليم فى مصر ص ٣٨٦) فى إحصاء موظفى المدرسة فى شتاء ١٨٧١ — ١٨٧٢ أن «محمد كامل» كان وكيلا للمدرسة ، ولكن الوثائق تذكره رئيسا لفرقة بالمدرسة .

(٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٦ إلى مدرسة اسكندرية فى ٢٨ رمضان ١٢٧٩

(٤) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ١٢ رقم ٧٤ إلى مدرسة اسكندرية فى ٤ شوال ١٢٨٤

السنة	الميزانية			عدد التلاميذ	عدد المعلمين والخدم وسائر الموظفين
	بارة	قرشا	جنيها		
ديسمبر ١٨٦٧ (١)	٢٠	٩٢	٧٧٨٦	٢٥٠	٧٣
سبتمبر ١٨٦٩ (٢)	٢٦	١١	٨٨٩٥	٣٠٠	—
مايو ١٨٧٠ (٣)	٢٧	١٢	٨٥٥٩	»	—
نوفمبر ١٨٧٠ (٤)	٣٢	٨١	٧٥٩٤	»	٥٩ (٥)
يونيه ١٨٧٢ (٦)	٣١	٦٠	٥٧٨٢	٣٦٠	١٦ معلما
نوفمبر ١٨٧٣ (٧)	٢١	١٦	٦٨٤٢	٤١٥	١٨ معلما

(١) وضعت هذه الميزانية تطبيقا لما جاء فى (ترتيب عموم المدارس وفروعها الصادر عليه الأمر الكريم فى غرة رمضان ١٢٨٤ رقم ٦) وقد فصل من المدرسة بناء على هذا الترتيب ٢٨ بين موظف وخادم و ٧٧ تلميذا وأبقى بالمدرسة ٢٥٠ تلميذا : ١٥٠ للتجهيزية و ١٠٠ للمبتديان كما أبقى بها ناظرها وضابطها وطبيبها و ٢٢ معلما و ٥ من الكتبة (ومنهم وكيل الخرج والمخزنجى) و ٤٣ خادماً وجنديا (بين طاه وغسال وحلاق وسقاء وفراش وممرض وحراس) — دفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ١٢ رقم ٧٤ إلى مدرسة اسكندرية فى ٤ شوال ١٢٨٤

(٢) زادت ميزانية سنة ١٨٧٠ (١٢٨٦) على سابقتها لزيادة التلامذة ٥٠ تلميذا : دفتر ٤٢٤ (مدارس عربى) ص ٨٢ رقم ٢١٥ من مدرسة اسكندرية فى غرة جمادى الثانية ١٢٨٦

(٣) دفتر ٤٣٣ (مدارس عربى) ص ١٠٣ رقم ١٠١ من مدرسة الاسكندرية فى ٢٨ صفر ١٢٨٧

(٤) وردت هذه الميزانية فى (الترتيب الذى وضع للمدارس) وصدر فى ٤ رمضان ١٢٨٧ (نوفمبر ١٨٧٠) وكان فى جرائه أيضا فصل عدد من الموظفين والخدم — دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ٧٧ رقم ٤٨ إلى مدرسة الاسكندرية فى ٦ رمضان ١٢٨٧

(٥) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ٨٧ رقم ٥١ إلى مدرسة الاسكندرية فى ١٧ رمضان ١٢٨٧

مدرسة المنصورة الأميرية

كانت المنصورة من المدن التى اتجهت إليها رغبة إسماعيل منذ أول حكمه لإنشاء

= (٦) ميزانية هذه السنة أقل ميزانية نعرفها لمدرسة الاسكندرية على الرغم من ازدياد عدد تلامذتها — دفتر ٤٥٤ (مدارس عربى)ص ١٢٩ رقم ١٦٠ من مدرسة الاسكندرية فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٨٩

(٧) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٢٩ رقم ٤٢ إلى مدرسة الاسكندرية فى ١٩ رمضان ١٢٩٠ ونأسف لأنا لم نستطع أن نعثر على أرقام للسنوات التالية لسنة ١٨٧٣ .

ونختم هـذا الحديث عن مدرسة الاسكندرية بذكر أسماء أعضاء هيئة التدريس بأقسامها المختلفة منذ إنشائها حتى سنة ١٨٨٢

مدرسو اللغة العربية والقرآن والخط العربى : المشايخ محمد حمودة وحسين الشباسى ومنصور العوامرى وإبراهيم حنفى وعلى المصرى وإبراهيم شمس وسيد محمد وطه محمد وعطا العوامرى والأفندية حسين حافظ ومحمد مذكور وإبراهيم رشدى (للخط) .

مدرسو اللغة التركية : عمر أفندى ومصطفى حافظ وحافظ على ترابى وحسن كامى وحسن شكرى وعبد الله سعد الدين .

مدرسو اللغة الانجليزية : الدكتور محمد على (وكان فى الوقت نفسه طبيب المدرسة وقد أتم علوم الطب فى انجلترا) وروبرت لوت وبوناويا ومحمد صادق ومحمد منجى .

مدرسو اللغة الفرنسية : عبد الكريم فهمى وبرتلى وأحمد راتب وعلى سلامة .

مدرسو اللغة الألمانية : محمد توفيق وأحمد كمال .

مدرسو الجغرافيا : على سلامه وأحمد راتب وأحمد كمال .

مدرسو الرياضة : أحمد خليل وعلى أحمد وعلى عزت وأحمد إدريس ومحمد طلعت وعبد الوهاب ذهنى ومحمود منجى وحسن كامى ومصطفى راشد وعثمان أنور ومصطفى صادق وأحمد شرين . =

مدرسة فيها ، وقد تجدد السعى لإنشائها لتكون على غرار مدرستى طنطا وأسيوط . وقد وضع منذ سنة ١٨٧١ مشروع لتحويل بناء المصنع الذى كان يملكه « إبراهيم باشا » نجل الخديو إلى مدرسة أهلية [١] لخمسمائة تلميذ من الذكور والإناث . وتبرع إبراهيم باشا ببعض المال لإنشاء المدرسة وأمر بوقف بناء المصنع عليها [٢] .

وعلى الرغم من ذلك كله لم تفتتح مدرسة المنصورة الابتدائية إلا فى ٧ فبراير سنة ١٨٨١ (٨ ربيع الأول ١٢٩٨) . وكانت النية متجهة — قبيل افتتاحها — إلى أن تكون مدرسة تجهيزية ، ولكنها جعلت مدرسة ابتدائية أميرية ينفق عليها من ميزانية نظارة المعارف العمومية ، وظلت على ذلك حتى الوقت الحاضر .

ووضعت ميزانيتها على أن يكون بها من هيئة التدريس : اثنا عشر مدرسا وعريفان ، ومن التلاميذ خمسمائة تلميذ نصفهم بالقسم الخارجى ونصفهم الآخر بالقسم الداخلى ، والبعض منهم بالمجان والبعض الآخر يدفع رسوما مدرسية [٣] .

= مدرسو الرسم : إبراهيم خورى ولويجى ومسيو إكلى لكى (؟ Achille) وقد أخذنا هذه الأسماء من دفاتر امتحانات مدرسة الاسكندرية ودور (فى كتابه عن التعليم ص ٣٨٦) والإحصاء العام لسنة ١٨٧٥ ومن وثائق متفرقة .

(١) دفتر ٤٣٧ (مدارس عربى) ص ٧١ رقم ١٩ إلى مديرية الدقهلية فى ٢٩ ربيع الأول ١٢٨٨ ومحفظة ٤ (مدارس) رقم ٢١٨ إلى ناظر الأشغال والمعارف والأوقاف فى ١٥ ربيع الأول ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ١١ رقم ٧ إلى المعية السنية فى ٢٩ شعبان ١٢٩٠

(٣) دفتر ١٩٤٧ (أوامر عربى) ص ٢١ رقم ٥ أمر إلى الخاصة الخديوية فى ١١ شوال ١٢٩٠

وعين لنظارتها أمين أفندى (باشا) سامى . وكان قبل ذلك مدرسا بمدرسة بنى سويف ثم مفتشا بالديوان[1] . وقد بذل لنجاحها ما وسعه من جهد : يقول إنه ألقى على تلاميذها يوم افتتاحها خطبة طريفة نقتطف منها ما يلى :

« ونحن إن شاء الله تعالى نريد أن نسلك بكم فى كيفية التعليم طريقة ألفتها البلاد المتمدنة وأقرتها العقول النيرة ، لتستكملوا حق الاستكمال وتكونوا من جملة أعضاء الأمة فتنتفع بكم وتنتفعون بها وتقتسمون الثروة والرفاهية فيما بينكم بنسبة ماستصلون إليه من درجات الكمال وعلى قدر ما تتصفون به من محاسن الأدب وما يعود منكم من المنفعة على العباد » .

وهذه — فيما نعلم — أول مرة يصارح فيها ناظر المدرسة تلامذته — فى خطاب يلقيه عليهم — بما يعتزم أن يسلك بهم من طرائق التربية . وقد بلغ من إخلاص (الأستاذ) أمين سامى أنه — لما كان يقدره من قلة عدد المدرسين — كان يلقى دروسا على الفصول المتأخرة بعد انتهاء اليوم المدرسى مساعدة لتلامذتها .

وبلغ من نجاح المدرسة — فيما يحكى المرحوم سامى باشا — أن أقبل ناظر لمدرسة أجنبية بالمنصورة يلتمس قبوله وتلامذته بالمدرسة وكانوا ١٢٨ تلميذا ، ووافقت النظارة وعين هذا الأستاذ الأجنبى مدرسا للغة الفرنسية بها . ونظمت الدراسة بمدرسة المنصورة الابتدائية الأميرية على مثال المدارس الابتدائية الأميرية

---

(١) لسعادة المرحوم أمين باشا سامى أوراق مخطوطة مودعة بمتحف التعليم ، وقد اطلعنا عليها وأكثرها خاص بمدرسة المنصورة فى عهد نظارته لها (من يناير ١٨٨١ إلى ديسمبر ١٨٨٥) ومنها أخذنا أكثر معلوماتنا عن هذه المدرسة .

الأخرى ، أى طبقا للمناهج التى صدرت فى سنة ١٨٧٤ [١] .

مدارس أميرية أخرى

فى ديسمبر سنة ١٨٨٠ تقدم (قومسيون تنظيم المعارف) بمقترحاته لإصلاح التعليم فى مصر وبمشروع القانون الذى وضعة لتنظيم التعليم الأولى الابتدائى وجعله على ثلاث درجات [٢] . وقدتقبلت الحكومة آراء القومسيون قبولا حسناً وشرعت فى تنفيذها ، فأنشأت لذلك المدارس أو المكاتب الابتدائية الآتية :

١ — مدرسة الجيزة :

أنشئت فى يناير ١٨٩١ وهى من مكاتب الدرجة الأولى وعدد تلامذتها ٢٢٠ تلميذاً ، وكان عدد تلامذتها فى سنتيها الأوليين ١٦٢ و ١٣٠ تلميذاً على التوالى . ونظمت خطة

---

(١) انظر دفتر ٣٤ (امتحانات مدرسة المنصورة) بدفترخانة المعارف . ومن هذا الدفتر ننقل أسماء مدرسى المدرسة :

مدرسو العربية والقرآن والخط : المشايخ عبد الرحيم غلاب وعبد الرؤف الهيثى وابراهيم محمد الملاحظ وعبد الله المنصورى وخليل الرويني ومحمد سليمان وعلى عرفة . مدرسو الرياضة : عبد الرحمن محمد وخليل أفندى عبد الرحمن غلاب وعبد الرؤف الهيثى وعلى الألفى — مدرسو الفرنسية : محمد شاكر والياس هيمان — مدرس التركية : محمد شاكر — مدرس التاريخ والجغرافيا : الشيخ عبد المنعم — مدرسو الرسم : نصر نعمت وحسن فهمى ودرويش أفندى .

(٢) انظر فيما سبق ص ٨٦

الدراسة فيها على مثال المدارس الابتدائية الأخرى[١] .

٢ — مدرسة قليوب :

أنشئت فى نوفمبر ١٨٨١ وهى من مكاتب الدرجة الثانية ، وكان عدد تلامذتها فى سنيها الأولى ١١٠ تلاميذ[٢] ، وقد نقلت إلى بنها فى أكتوبر ١٩٠٦[٣] .

٣ — مكتب طوخ :

أنشىء فى يناير ١٨٨٢ وهو من مكاتب الدرجة الثالثة ، وكان عدد تلامذته ستين تلميذاً[٤] .

وقد أنشئت هذه المدارس جميعاً بأموال من ميزانية نظارة المعارف ، فهى لذلك مدارس (أميرية) ، وتلا ذلك إنشاء مدارس أميرية أخرى فى دمنهور وشبين الكوم والزقازيق فى خلال سنة ١٨٨٣ ، وقبل ذلك كانت نظارة المعارف قد أنشأت مدرسة المعلمين (النورمال أو التوفيقية) وألحقت بها قسما ابتدائياً فى سبتمبر ١٨٨٠ ليمرن فيه طلبة المعلمين على التدريس . ولذلك سنرجىء الكلام عليه الآن .

وفى أواخر سنة ١٨٨٥ أو أوائل سنة ١٨٨٦ حولت هذه المدارس — عدا القسم الابتدائى بمدرسة المعلمين — إلى مدارس أهلية ونقلت إلى ميزانية المكاتب الأهلية[٥].

---

(١) انظر دفتر ٣٦ (امتحانات الجيزة) بدفترخانة المعارف . ويذكر أمين باشا سامى (التعليم فى مصر القسم الثانى من الملحقات ص ٦) أن مدرسة الجيزة كان بها فى السنوات الأولى من إنشائها ٢٢٠ تلميذا .

(٢) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الثانى من الملحقات ص ٦

(٣) المصدر السابق ص ٧٣

(٤) المصدر السابق .

(٥) Minist. de l'Inst. publique, Exposé des réformes .... 1885. p. 85, 113.

وبذلك لم يبق من المدارس الابتدائية الأميرية التى يصرف عليها من ميزانية نظارة المعارف العمومية سوى مدرستى الناصرية بالقاهرة ورأس التين بالاسكندرية ومدرسة المنصورة .

* * *

ونختم حديثنا عن المدارس الابتدائية الأميرية ببيان مسألتين :

المسألة الأولى : السن التى كانت تشترط فى تلامذة هذه المدارس .

المسألة الثانية : خطة الدراسة الابتدائية ومناهجها .

أما عن سن التلامذة فالأمر الصادر بإنشاء المدارس الابتدائية فى سنة ١٨٦٣ ينص على أن تتراوح أعمار التلامذة الذين يقبلون فيها بين الثامنة والحادية عشرة (١). ولكن سرعان ما تجاهلت المدارس والديوان هذا الأمر ، وقبل بالمدارس تلاميذ فى سن الثالثة عشرة والرابعة عشرة (٢) .

وقد نصت المادة السابعة من لائحة قبول التلامذة بالمدارس الملكية الصادرة فى فبراير ١٨٧٤ (٣) على أن تلامذة مدرسة المبتديان يجب أن تتراوح أعمارهم بين الثامنة والثانية عشرة . على أن هذه المادة ظلت بدون تنفيذ ، حتى شكا (قومسيون تنظيم المعارف) فى سنة ١٨٨٠ ازدحام المدارس بعدد كبير من التلامذة المتقدمين فى السن

---

(١) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٥ رقم ٨ إلى مدرسة التجهيزية والمبتديان باسكندرية فى ١٥ شوال ١٢٧٩

(٢) دفتر ٣٦٤ (مدارس عربى) ص ١٠٠ رقم ٣٣٥ إلى مدرسة الاسكندرية فى ١٨ صفر ١٢٨٢

(٣) انظر هذه اللائحة فى ملحقات الكتاب (الجزء الثالث) .

والفاشلين فى دراستهم ، ودعا الحكومة فى تقريره [١] إلى أن لاتأخذها شفقة فى إبعاد هؤلاء التلاميذ عن المدارس ، حتى تزول من أذهان التلاميذ فكرة أن الحكومة ملزمة بالصرف عليهم وتدبير الوظائف لهم مهما تقدم بهم السن أو أخفقوا فى الدراسة .

ولم يتح لاقتراح القومسيون أن ينفذ ـ شأن كثير من اقتراحاته الأخرى ـ إلا فى سنة ١٨٨٥ حين عين يعقوب أرتين باشا وكيلا لنظارة المعارف وأخذ نفسه بتنفيذ السياسة التى رسم قومسيون ١٨٨٠ قواعدها ، ومنها فصل التلامذة الأغبياء المتقدمين فى السن وقصر المجانية على المتفوقين وتحديد عدد تلاميذ الأقسام الداخلية تمهيداً لإلغائها .

خطة الدراسة الابتدائية ومناهجها

ليس لدينا معلومات رسمية ـ نستطيع الإطمئنان اليها ـ عن خطة الدراسة بالمدارس الإبتدائية قبل سنة ١٨٧٤ وهى أول سنة وضعت فيها خطة دراسية ومناهج مفصلة طبقت على جميع المدارس الإبتدائية القائمة فى ذلك الوقت سواء أكانت مدارس أميرية أو أهلية . وقد قسم أمين باشا سامى المدة بين سنتى ١٨٦٣ و ١٨٧٤ إلى فترتين ، وأورد لكل منهما خطة دراسية مع اعترافه بأنه « لم يكن هناك جداول رسمية تشمل ما كان جاريا تدريسه » : الفترة الأولى من ١٨٦٣ إلى ١٨٦٨ ، ويقول إنه كان فى ذلك الوقت تلميذا ودرس على مقتضى جدول الدروس الآتى ويوضح عدد الدروس من كل مادة فى الأسبوع [٢] :

---

(١) ص ٥٧ و ٥٨

(٢) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الثالث من الملحقات ص ٢

(١) السنة	قرآن كريم	لغة عربية	خط عربى	حساب	لغة تركية	جملة	دراسة باللغة العربية	دراسة باللغة الاجنبية	دراسة باللغة التركية	جملة الدروس فى الاسبوع
الأولى	١٤	١٤	—	—	—	٢٨	٢٨	—	—	٢٨
الثانية	١٤	١٤	—	—	—	٢٨	٢٨	—	—	٢٨
الثالثة	—	٩	٥	٩	٥	٢٨	٢٣	—	٥	٢٨
الرابعة	—	٩	٥	٩	٥	٢٨	٢٣	—	٥	٢٨

وزاد أمين باشا سامى على ذلك أن (الجغرافيا) كانت تدرس باللغة الأجنبية ، مع أنه لم يذكر — فى هذه الخطة — شيئاً عن تدريس أية لغة أجنبية ، ولكن الواقع أن هناك فروقا كثيرة بين (خطة) أمين باشا سامى هذه والبيانات التى تذكرها بعض الوثائق الأخرى :

أولا — من حيث مدة الدراسة : ذكر أمين باشا سامى أنها أربع سنوات ، ولكن «Sachot» الذى رفع الى وزير المعارف الفرنسية تقريراً عن التعليم فى مصر فى سنة ١٨٦٨ (٢) ذكر أن مدة الدراسة بالمدارس الابتدائية ثلاث سنوات ، وتؤيده فى

---

(١) رتب أمين باشا سامى هذه الخطة بترتيب (السنوات) فاذا أردنا ترتيبها على حسب الفرق بالنظام الذى كان متبعا فى ذلك العصر قلنا : الفرقة الرابعة (وتعادل السنة الأولى) ثم الثالثة ثم الثانية فالاولى (وتعادل السنة الرابعة) .

(٢) Sachot, Mission en Egypte. Rapport adressé à S. E. M. Victor Duruy, Ministre de l'Instruction. publique. sur l'état des sciences, des lettres et de l'Instruction publique en Egypte dans la population indigène et dans la population europeénne. 1868 p. 12.

فى ذلك وثيقة رسمية نشرت فى العام التالى (١٨٦٩)[١] وزعت فيها مواد الدراسة على السنوات الابتدائية الثلاث . وليس فى الوثائق العربية ما يجعلنا نجزم برأى قاطع فى هذا الموضوع سوى ما جاء فى إحدى الوثائق[٢] من أن مدرسة المبتديان بالقاهرة — وقد مضى على افتتاحها نحو العام وتكامل لها نحو ٣٠٠ تلميذ « مستعدين لقراية العلوم السايرة المرتب تدريسها بالمدرسة فى علم الحساب والنحو والتركى والخط » — رأت « أن ترتب ثلاثة أطقمة (كذا) خوجات للعلوم المذكورة وكل طقم يترتب (من) أربعة خوجات أحدهم حساب والثانى نحو والثالث تركى والرابع ثلث كما هو جارى ، وهذا الطقم يتغير بطريق التبادل ». وليس مايمنع أن نرجح أن كل (طقم) أعد لإحدى الفرق الدراسية الثلاث التى تتألف منها المدرسة .

ثانياً — لم يذكر أمين باشا سامى شيئاً عن تدريس لغة أجنبية بالمدارس الابتدائية فى ذلك الوقت (١٨٦٣ — ١٨٦٨) . ولكن الواقع أن اللغة الفرنسية كانت من مواد الدراسة بالمدارس الابتدائية : فكانت تدرس لتلامذة السنة الثالثة (ويقتصر فيها على القراءة وأوليات من الأجرومية) كما ذكر Sachot[٣] أو لتلامذة السنتين الثانية (أحرف الهجاء وقراءة كلمات بسيطة) والثالثة (أجرومية وتمارين) كما ذكر مصدر آخر[٤] .

---

(١) Notice sur les établissements d'Instruction publique en Egypte. 1869. p. 8

(٢) دفتر ٣٥٦ (مدارس عربى) ص ١٠٤ رقم ٥٩٩ من مدرسة المبتديان فى ٧ ذى القعدة ١٢٨٠

(٣) Sachot, Rapport (op. cit.,) p. 13.

(٤) Notice sur établissements..(op. cit.,) p. 8.

وقد بدأ تدريس اللغة الفرنسية لتلامذة مدرسة المبتديان بالقاهرة فى العام التالى لإنشاء المدرسة وكانت ماتزال بالعباسية ، وقد دعا إلى تدريسها أن أنجال الخديو — عقب التحاقهم بالمكتب الخاص الذى أنشىء لهم فى مدرسة المبتديان — رغبوا فى تعلمها ، فعين لهذا الغرض معلم من خريجى مدرسة الألسن القديمة ليعلم الأنجال وبعض التلامذة (المستعدين) من المدرسة وليكون أمينا على (الكتبخانة) الموجودة بها [١] . ثم ترتب تدريسها لفرقة واحدة بمدرسة المبتديان [٢]

أما مدرسة الإسكندرية فقد بدأ تدريس اللغة الإنجليزية لتلامذتها (وإن كنا لانستطيع أن نجزم إن كانوا من المبتديان أو من التجهيزية) منذ الشهور الأولى من افتتاحها ، ووكل تدريسها إلى طبيب المدرسة وهو مصرى أتم دراسته بانجلترا [٣] ثم عين مدرسون من الإنجليز [٤] . أما اللغة الفرنسية فقد درست فى مدرسة الاسكندرية الابتدائية فى سنة ١٨٧٣ [٥] .

كما أن اللغة الانجليزية بدأ تدريسها بمدرسة المبتديان بالقاهرة فى أوائل سنة ١٨٦٩،

---

(١) دفتر ١٥٨٠ (إرادات للمدارس) ص ٢ رقم ٥ فى ٩ المحرم ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٦٢ (مدارس عربى) ص ١٩٥ رقم ٤١٥ إلى المدرسة التجهيزية فى ٩ ذى القعدة ١٢٨١

(٣) دفتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ١١٤ رقم ١٠٣ إلى مدرسة إسكندرية فى ١٤ صفر ١٢٨٠

(٤) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) ص ١٠٥ رقم ٢٤٢ أمر إلى ناظر المالية فى ٤ صفر ١٢٨١

(٥) دفتر ٤٧٤ (مدارس عربى) ص ٧٩ رقم ٢٩ من مدرسة إسكندرية فى ٢٠ رمضان ١٢٩٠ ، وكانت الفرنسية تدرس قبل ذلك لتلامذة المدرسة التجهيزية بأسكندرية .

وفى الوقت نفسه بدأ تدريس اللغتين الفرنسية والانجليزية فى مدرستى بنها وأسيوط المركزيتين (١) ، وتلا ذلك إدخال اللغة الألمانية فى المدارس الابتدائية . وكان التلاميذ يختارون إحدى اللغات الأجنبية الثلاث : الفرنسية أو الانجليزية أو الألمانية .

ثالثا — وفى (جدول الدراسة) الذى أورده أمين باشا سامى أن مادة الحساب كان يقصر تدريسها على تلاميذ السنتين الثالثة والرابعة (أى الفرقتين الثانية والأولى) ، ولكنا نستبعد ذلك : فان مادة الحساب كانت من المواد التى تبذل فى تدريسها عناية كبيرة ، وقد رأيت أن أهم إصلاح للتعليم فى الكتاتيب فى لائحة رجب ١٢٨٤ (١٨٦٧) هو إدخال مادة الحساب إلى جانب القرآن والقراءة والكتابة ، وتؤيدنا فى ذلك الوثيقة التى نشرت بالفرنسية فى سنة ١٨٦٩ عن المدارس المصرية (٢) : ففيها أن الحساب كان يدرس منذ السنة الأولى ، ومع ذلك فقد لاحظ ديوان المدارس أن تلامذة المبتديان بالقاهرة « لم لهم (كذا) دراية بقواعد الجساب والقليل منهم جارى تفهيمه ذلك . . . فيقتضى ترتيب حصة من حصص القراءة لتعليم قواعد الحساب وبيان العدية حتى يحلول الامتحان يكون التلامذة ماهرين فى العمليات الحسابية ويقتضى عدم الالتفات للإثبات والبرهان . . . فى الفرق الأخيرة لجميع التلامذة من دون استثنى . . . »(٣) .

رابعا — وفى الوثيقة الفرنسية التى أشرنا إليها أن الرسم كان يدرس فى السنة الثالثة الابتدائية ، وليس فى (جدول) أمين باشا سامى ذكر له .

---

(١) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ١٨٩ رقم ٢٣٢ إلى ناظر التجهيزية وما معها فى ٨ شوال ١٢٨٥

(٢) Notice sur les établissements . . . (op. cit.) p. 8.

(٣) دفتر ٤٠٥ (مدارس عربى) ص ٩٣ رقم ٥٥ إلى المبتديان فى ٢ رجب ١٢٨٤

والفترة الثانية من سنة ١٨٦٨ إلى سنة ١٨٧٤ :

وقد وضع لها أمين باشا سامى جدول الدروس الآتى « بناء على جداول أوقات دروس كانت محفوظة بتفتيش المدارس »[1] :

السنة	قرآن	لغة عربية	خط عربى	حساب	رسم	لغة أجنبية	لغة تركية	جملة	دراسة باللغة العربية	دراسة باللغة الأجنبية	دراسة باللغة التركية	جملة الدروس فى الأسبوع
الأولى	١٥	١٨	—	—	—	—	—	٣٣	٣٣	—	—	٣٣
الثانية	١٠	١٦	—	٧	—	—	—	٣٣	٣٣	—	—	٣٣
الثالثة	—	٧	٥	٧	٣	٦	٥	٣٣	٢٢	٦	٥	٣٣
الرابعة	—	٧	٥	٧	٣	٦	٥	٣٣	٢٢	٦	٥	٣٣

وزاد أمين باشا سامى على ذلك أن دراسة الجغرافيا والتاريخ كانت باللغة الأجنبية . فيتضح من هذا الجدول :

(١) أن عدد الحصص الأسبوعية زاد من ٢٨ إلى ٣٣ حصة .

(٢) وأن اللغة الأجنبية والرسم أصبحت تدرس لتلاميذ السنتين الثالثة والرابعة .

(٣) وأن الحساب زيد على تلاميذ السنة الثانية .

---

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر . القسم الثالث من الملحقات ص ٢

(٤) وأن حصص اللغـــة العربية والحساب للسنتين الثالثة والرابعة قد نقصت فى مقابل زيادة اللغة الأجنبية .

ولـكن بين أيدينا وثائق على جانب كبير من الأهمية : هى (جداول امتحانات) تلامذة المدارس — الابتدائية وغير الابتدائية — وتبـدأ من امتحانات سـنة ١٢٩٠ هجرية (١٨٧٣ م)[١] . وهـذه الجداول وإن كانت لا تعطينا عدد الحصص لكل مادة من مواد الدراسة إلا أنهـا تقدم لنـا صورة صحيحة عما درسه التلامذة فى كل عام وامتحنوا فيه فى آخر العام الدراسى . وبمقارنة هـــذه الجداول بجدول الدراسة الذى ذكره أمين باشا سامى نجد فارقا كبيرا .

فى ســـنة ١٨٧٣ كان تلاميذ المدرسة الابتدائية بالقاهرة موزعين على ستة (فصول) وقد درسوا المواد الآتية وامتحنوا فيها [٢].

---

(١) هذه الدفاتر أكثرها بمحفوظات (دفتر خانة) وزارة المعارف العمومية وبعضها بمتحف التعليم ، وهى فى الأصل بدون أرقام وقد أعطيناها أرقاما من عندنا تسهيلا للبحث فيها والرجوع إليها .

(٢) انظر دفتر ١٧ (امتحانات المبتديان) بدفترخانة المعارف .

الفصل	مواد الدراسة						
الفصل الأول	حساب	لغة عربية	لغة فرنسية	لغة تركية	ثلث ونسخ	رسم نظرى	هندسة
« الثانى	«	«	لغة إنجليزية	«	«	«	تعريفات هندسية
« الثالث	«	«	«	«	«	«	—
« الرابع	«	«	لغة فرنسية	«	«	«	—
« الخامس	«	«	« ألمانية	«	«	«	—
« السادس	«	«	« فرنسية	«	«	«	—

أما تلامذة المكتب الخيرى أو مدرسة المبتديان الخيرية فكانوا فى سنة ١٨٧٣ أيضاً موزعين بين أحد عشر فصلا وقد درسوا ما يلى :

الفصل	مواد الدراسة				
الفصل الأول	حساب	لغة عربية	لغة فرنسية	لغة تركية	ثلث ونسخ
« الثانى	«	«	لغة ألمانية	«	«
« الثالث	«	«	«	«	«
« الرابع	«	«	«	«	«
« الخامس	«	«	لغة فرنسية	«	«
« السادس	«	«	«	«	«
« السابع	«	قرآن (١)	«	—	—
« الثامن	«	«	—	—	—
« التاسع	«	«	—	—	—
« العاشر	«	«	—	—	—
« الحادى عشر	«	«	—	—	—

وفى امتحان العام التالى (١٨٧٤) لم يدخل تغيير كبير على هذه الخطة سواء فى المدرسة الملكية (الأميرية) أو فى المدرسة الخيرية . ولم يظهر أثر الخطة والمناهج التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ إلا فى امتحان شعبان ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) .

(١) وفى مادة القرآن ثلاث درجات للمطالعة والخط والإملاء .

أما تلامذة المدرسة الابتدائية بالاسكندرية فكانوا فى سنة ١٨٧٣ موزعين على خمس (فرق) وقد درسوا المواد الآتية [١] :

الفرقة	مواد الدراسة					
الفرقة الأولى	حساب	قرآن	لغة عربية	لغة أجنبية [٢]	لغة تركية	ثلث ونسخ
« الثانية	«	«	«	«	«	«
« الثالثة	«	«	«	«	«	«
« الرابعة	«	« [٣]	—	—	—	ثلث
« الخامسة	—	«	—	—	—	—

أما تلامذة المكتب الخيرى بالاسكندرية فكانوا موزعين على فرقتين اثنتين ودرسوا المواد الآتية :

الفرقة	مواد الدراسة		
الفرقة الأولى	حساب	قرآن [٤]	ثلث
الفرقة الثانية	حساب	قرآن	ثلث

والفرق كما ترى واضح بين خطة الدراسة فى مدرسة الناصرية بالقاهرة وخطتها فى مدرسة رأس التين بالاسكندرية ، على الرغم من حرص ديوان المدارس على توحيد

---

(١) دفتر ٤ (امتحانات إسكندرية) بدفتر خانة المعارف .

(٢) الفرنسية أو الانجليزية أو الألمانية .

(٣) وقد طالع تلاميذ الفرقتين الرابعة والخامسة مع القرآن قطعا من كتاب التمرين لعلى باشا مبارك .

(٤) الملاحظة السابقة .

خطة الدراسة بالمدرستين بأن تتبع مدرسة الاسكندرية (جدول الدروس) الذى وضعته مدرسة القاهرة [١].

وكانت المدارس المركزية فى بنها وأسيوط وبنى سويف والمنيا قد افتتحت، ونظمت المكاتب الأهلية بالقاهرة والاسكندرية أسوة بالمدارس الابتدائية الأميرية، لهذا أصبحت الحاجة ماسة إلى وضع خطة دراسية ومنهج مفصل ليطبقا فى جميع المدارس الابتدائية الأميرية والأهلية.

وقد وضعت هذه الخطة وهذا المنهج فى سنة ١٨٧٤، وظلت قائمة فى مجموعها حتى بدأ تعديلها فى سنة ١٨٨٥. وضعتها لجنة رئيسها عبد الله بك فكرى وكيل ديوان المكاتب الأهلية فى ذلك الوقت وأعضاؤها دور بك مفتش المدارس وإسماعيل بك زهدى وكيل ديوان المدارس وإسماعيل بك الفلكى ناظر المهندسخانة وعلى بك إبراهيم ناظر المدرسة التجهيزية وأحمد أفندى عبيد ناظر مدرسة الناصرية وأبو السعود أفندى رئيس قلم الترجمة بديوان المدارس وبعض المدرسين بالمدارس [٢]. وقد طبع المنهج المفصل باللغة العربية بمطبعة المدارس الملكية سنة ١٢٩١ هجرية وبالفرنسية أيضاً فى ذلك الوقت [٣]. وأثبت أمين باشا سامى خطة الدراسة فى مؤلفاته [٤]، ونوردها فيما يلى:

---

(١) دفتر ٣٦٣ (مدارس عربى) ص ١٦٦ رقم ٢٩٢ فى ٧ المحرم ١٢٨٢ و ص ١٧٨ رقم ٣٠٢ فى ١٣ المحرم ١٢٨٢ إلى مدرسة اسكندرية

(٢) أمين باشا سامى: التعليم فى مصر. القسم الثالث من الملحقات ص ٢

(٣) Ecoles Civiles du Gouvernement egyptien. Programme général de l'enseignement aux écoles primaires. Le Caire. 1874.

(٤) التعليم فى مصر. القسم الثالث من الملحقات ص ٢، وتقويم النيل وعصر اسماعيل. المجلد الثالث من الجزء الثالث ص ١٣٣

| | | |

وبمقارنة هذا الجدول بجدول الدراسة السابق الذى ذكر أمين باشا سامى أنه كان متبعاً فى الفترة بين سنتى ١٨٦٨ و ١٨٧٤ يتضح ما يلى :

(١) ظل عدد (الحصص) الأسبوعية كما هو لجميع الفرق (٣٣ حصة فى الأسبوع) .

(٢) زيدت مادة الحساب على تلامذة السنة الأولى (الفرقة الرابعة) .

(٣) زيدت اللغة الأجنبية (والخط الأفرنكى) على تلامذة السنة الثانية (الفرقة الثالثة) وفى مقابل ذلك نقصت حصص القرآن الكريم واللغة العربية .

(٤) زيدت حصة للتاريخ على تلامذة السنة الثالثة (الفرقة الثانية) وحصتان للتاريخ ومثلهما للجغرافيا على تلامذة السنة الرابعة (الفرقة الأولى) وفى مقابل ذلك نقصت حصص المواد الأخرى .

ونظمت خطة دراسية خاصة للتلامذة الذين يود آباؤهم أن يحفظوهم القرآن كله ويقتصروا فى الدروس الأخرى على الخط فقط ، فهؤلاء يمكثون بالمدرسة ست سنوات يتمون فيها القرآن الكريم حفظاً وترتيلا .

كما نظمت خطة دراسية أخرى للتلاميذ الذين يودون حفظ القرآن كله وحضور الدروس الأخرى كلها فى تسع سنوات .

ونظمت كذلك خطة للتلامذة الذين يودون الاقتصار على قراءة القرآن دون حفظه، وتبدأ هذه الخطة فى أول السنة الثانية ، حتى إذا انتهت السنتان الثانية والثالثة أتموا قراءة القرآن الكريم كله على أن يستعيضوا عن حفظه بحفظ أجزاء من كتاب (الفصول الفكرية) [1] .

---

(١) كتاب مدرسى فى النحو وضعه عبد الله (بك) فكرى وقد حل فى المدارس محل (متن الأجرومية) ، وكان التلاميذ يقرءون أيضا فى كتاب (التمرين) لعلى باشا مبارك .

اللغة العربية : يبدأ التلاميذ فى السنة الثالثة فى دراسة قواعد النحو ويستعملون لهذا الغرض كتاب (الفصول الفكرية) فى السنتين الثالثة والرابعة مع الاستمرار فى القراءة فى كتاب (التمرين) . وعلى المدرس أن يعنى — إلى جانب تعويد تلامذته على حسن القراءة — بتفهيمهم قواعد النحو والإعراب وعمل تطبيقات كثيرة مما يقرأونه .

وفى التركية والفارسية : يستعمل التلاميذ كتابى (النخبة) و (علم حال) .

وفى اللغة الفرنسية : يستخدمون كتاب (Guide de Conversation) لقدرى بك (باشا) وله كتاب آخر فى القراءة .

وفى اللغتين الإنجليزية والألمانية : يعنى التلاميذ بدراسة قواعد النحو والقراءة والترجمة إلى العربية وبالعكس وكتابة قطع للإملاء .

ويختار التلميذ من السنة الثانية (الفرقة الثالثة) إحدى هذه اللغات الثلاث ويستمر فى دراستها طوال دراسته الابتدائية ثم التجهيزية .

الحساب : يتدرج التلميذ من (العد) شفوياً فى السنة الأولى إلى الكسور العشرية والموازين والمكاييل المصرية وتحويلها والنسبة والتناسب فى السنة الرابعة .

الجغرافيا والتاريخ والتاريخ الطبيعى والصحة : ويستعمل التلميذ فى السنة الثالثة كتاب (التمرين) ، وفى السنة الرابعة يدرسون الحوادث الهامة من تاريخ مصر حتى فتح العرب بطريق القصص والمحادثات البسيطة ، ومن الجغرافية يدرس التلميذ التعاريف الأولية وجغرافية النيل ومصر .

هذه خطة الدراسة الابتدائية ومناهجها كما وضعت فى سنة ١٨٧٤ ، فلننظر الآن إلى حظها من التنفيذ .

أما مدرسة الناصرية فقد نفذت هذه الخطة تماماً فى سنة ١٨٧٦ [١] .

ونلاحظ أن دراسة (القرآن) فى الفرقتين الثالثة والرابعة تتضمن القراءة والكتابة والخط والإملاء .

ولهذا نجد أن درجة امتحان التلميذ فى القرآن كانت تتألف من أربع درجات : للخط والمطالعة والاملاء والامتحان التحريرى على التوالى أسوة بامتحان اللغة العربية واللغة التركية واللغة الأجنبية .

وكان الامتحان فى المواد الأخرى ـ عدا الرسم ـ يتضمن اختبارا شفويا وآخر تحريريا ولكل منهما درجة ، وكان يقوم بالتدريس فى كل فصل من فصول الفرقة الرابعة مدرس واحد للحساب والقرآن ومايتصل به من قراءة وكتابة وحفظ .

أما المدرسة الابتدائية بالأسكندرية فقد اتبعت فى هذه السنة (١٢٩٣ — ١٨٧٦) نفس الخطة التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ مع تغيير بسيط جداً [٢] .

وقد استمرت هذه الخطة قائمة حتى نهاية عصر إسماعيل ، وقد طبقت فى مدرسة المنصورة التى أنشئت فى سنة ١٨٨١ .

وكان أول تغيير — إن عد هذا تغييرا — جعل مادة (الدين) أساسية فى التعليم ولها درجة خاصة فى الامتحان ، وكانت تسمى (قواعد الإسلام) . وذلك بالمنشور الذى أصدرته

---

(١) دفتر ١٨ (امتحانات المبتديان) بدفترخانة المعارف .

(٢) دفتر ٤ (امتحانات إسكندرية) بدفتر خانة المعارف .

نظارة المعارف فى أواخر سنة ١٨٨٠ [1]، ودعت فيه نظار المدارس الابتدائية الى العناية بتدريس (قواعد الإسلام المندرجة فى المسامرة الخامسة والعشرين من كتاب التمرين - بمعرفة خوجات القرآن) لتلاميذ الفرقة الثالثة المسلمين ومذاكرتها لهم كل سنة فى كل فرقة يترقون اليها حتى لا ينسوها « بحيث يحفظونها عن ظهر القلب ويفهمون معناها فهما جيداً ويعرفون كيفية أدائها على أكمل وجه ....». وعلى مدرسى القرآن والنحو حث التلامذة على الصلاة فى المحل المعد للصلاة بالمكتب أو المدرسة أو فى أقرب مسجد أو فى فناء المدرسة إلى أن ينشأ مكان خاص بها للصلاة . وقد علق الشيخ محمد عبده على هذا القرار بمقال نشره - مع نص القرار - فى جريدة الوقائع فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٠ (وكان الشيخ إذ ذاك رئيسا لتحريرها) شكر فيه النظارة على اهتمامها بالتربية الدينية فى المدارس والمكاتب ، ولكنه رجا « أن لا تكون هذه العبادات والتعليمات الدينية صوراً يابسة لا روح فيها كعبادة الجاهلين» ، ودعا النظارة الى ملاحظة الدروس الدينية التى يلقيها المعلمون « حتى لا تكون محشوة بأنواع من التخريف المضاد لحقيقة الدين كما جرت به عادة كثير من المتعلمين الذين يظهرون بصورة العلماء وإن كانوا فى الحقيقة من أردأ الجهلاء » .

وفى سنة ١٨٨٠ عنى (قومسيون تنظيم المعارف) ببحث خطة الدراسة الابتدائية وتقدم باقتراحات نفيسة منها :

(١) إلغاء تدريس اللغة الألمانية لتلامذة المدارس الابتدائية على أساس أن التلامذة

---

(١) انظر نص المنشور وتعليق الشيخ محمد عبده عليه فى : تاريخ الامام للسيد رشيد رضا ج ٢ ص ٨٠ نقلا عن الوقائع المصرية . العدد ٩٥٧ فى ٣ ذى الحجة ١٢٩٧ (٢٩ نوفمبر ١٨٨٠) .

الذين يدرسونها وآباءهم قد شكوا واعتبروا أنفسهم « فى حالة حرمان وخسران » — وفى الترجمة الفرنسية « ضحوا أنفسهم » — لأن اللغة الألمانية لاتستعمل فى مصر ، لا فى الإدارات العامة ولا فى العلاقات الاجتماعية بين الناس [١] .

(٢) جعل تدريس اللغة التركية اختياريا للتلامذة الذين لا يزمعون أن يلتحقوا بالمدارس التجهيزية ، لأنه لايستفيد من تعلمها إلا التلامذة الذين يتكلم أهلوهم التركية ، أما أغلب تلامذة الريف والمدن فليس لديهم استعداد لتعلمها ، وبسبب فتورهم يتأخر غيرهم من التلاميذ الذين يستعدون لدراستها [٢] .

(٣) قصر تعليم اللغة الأجنبية فى المدارس الابتدائية على تلامذة الفرقتين الأولى والثانية (السنتين الثالثة والرابعة) أى إلغاؤها من الفرقة الثالثة (السنة الثانية) بسبب الرغبة فى « لزوم تقوية الأولاد فى معرفة لغتهم الأصلية قبل أن يبتدئوا فى تعلم اللغات الأجنبية » ، على أن يهتم فى تعليم اللغة الأجنبية بالتمرين ، أما قواعد الأجرومية فيؤجل تدريسها الى المرحلة التجهيزية [٣] . وقد شكا القومسيون من ضعف مستوى مدرسى اللغات الأجنبية ـ وإن يكن قد سلم بأن مدرسى الانجليزية أكفأ من مدرسى الفرنسية ـ ولم يجد علاجا لهذه الحالة إلا بإنشاء مدرسة المعلمين لتخريج المعلمين الأكفاء .

(٤) واقترح القومسيون تأليف لجنة من المختصين للبحث فى رفع مستوى تدريس اللغة العربية .

---

(١) تقرير قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ ص ١٦ وص ٦١ — ٦٢ والنسخة الفرنسية ص ١٧ ، ص ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٠ ، ٦١ .

(٣) المصدر السابق .

(٥) أما التاريخ والجغرافيا « فلا وجود لهما بين فروع التعليم الا صورة فقط »[١] . ولاعلاج لهذا إلا إعداد المعلم الصالح .

(٦) ولاحظ أعضاء القومسيون أن زائر المدارس يعجب لفتور تلامذتها ، « وبدل أن يلعبوا أو يتريضوا برياضة نافعة يمكثون بدون حركة قعوداً أو قياما فى جمعيات صغيرة أو يتفسحون بغاية البطء » واقترح إدخال الألعاب الرياضية فى كافة المدارس[٢].

وبدأت نظارة المعارف تنفذ مقترحات القومسيون :

(١) فأصدرت فى ديسمبر ١٨٨١ الى مدارسها (منشورا)[٣] بالقرار الذى أصدره مجلس المعارف الأعلى بالغاء تدريس اللغات الأجنبية من الفرقة الثالثة (السنه الثانية) بجميع المكاتب والمدارس الابتدائية والاستعاضة عنها بتقوية التلامذة فى اللغة العربية قراءة وكتابة ، ليسهل عليهم تحصيل المواد الأخرى ، هذا إلى أن دراسة اللغة الأجنبية فى سن متقدمة تمكن من زيادة تحصيلها .

على أن نظارة المعارف عادت بعد هذا إلى تقرير دراسة اللغة الأجنبية فى السنة الثانية الابتدائية فى سنة ١٨٨٧[٤] ثم فى السنة الأولى فى سنة ١٩٠١[٥] وقد أقدمت وزارة المعارف أخيراً على إلغاء اللغة الأجنبية (الإنكليزية) من منهج السنة الأولى ، ويقال

---

(١) المصدر السابق ص ٦٢ ، ص ٦٣

(٢) المصدر السابق ص ٦٣

(٣) انظر نص هذا المنشور فى المجلد الرابع من (قاموس الادارة والقضاء) لفيليب بك جلاد ص ٢٩٣

(٤) Minist. de l'Inst. Publique Prog. de l'enseignement pour les Lycées (enseignement primaire et secondaire) 17 août, 1887.

(٥) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر . القسم الثالث من الملحقات ص ٤

إن الوزارة تبحث الآن فى إلغائها من منهج التعليم الابتدائى جملة ، وهو لا شك إصلاح محمود .

(٢) وبالتدريج ألغيت اللغة الألمانية فى المدارس الابتدائية ، فلم يبق بها سوى اللغتين الفرنسية والانكليزية يختار التلميذ إحداهما ، حتى انقرضت الفرنسية وأصبحت اللغة الإنكليزية وحدها هى التى تدرس لتلاميذ المدارس الابتدائية فى سنة ١٩٠٣ . ويعلل مرب انجليزى [١] انقراض اللغة الفرنسية من المدارس الابتدائية إلى هبوط النفوذ الفرنسى فى مصر بعد حادثة فاشودة .

(٣) وعنيت النظارة بإعداد المعلمين الأكفاء : فأنشأت فى سبتمبر ١٨٨٠ مدرسة المعلمين (النورمال — التوفيقية) ليتخرج فيها مدرسو اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا ، ثم أنشأت مدرسة المعلمين الخديوية فى سنة ١٨٨٩ (بضم قلم الترجمة أو مدرسة الألسن القديمة إلى المدرسة التجهيزية) لتخريج مترجمين ومدرسين للغة الإنجليزية بالمدارس الابتدائية .

(٤) أما اللغة التركية فقد قررت النظارة فى سنة ١٨٨٨ أن لا تعلم للتلامذة إلا إذا طلب آباؤهم ذلك [٢] ، ولهذا حذفت اللغة التركية من جدول الدراسة وجعلت اختيارية (وقت الفسحة) منذ سنة ١٨٨٨ [٣] .

---

(١) George Robb : Report on Educational progress in Egypt.1882-1921. p. 7.

(٢) Minist. de l'Inst. publique. Quatnième rapport .... 1888. p. 22.

(٣) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الثالث من الملحقات ص ٢

(٥) وفى سنة ١٨٨٨ اهتمت النظارة بإصلاح تدريس اللغة العربية فكونت لجنة من بعض المفتشين والمدرسين « للنظر فيما يختص بتعليم اللغة العربية بالمدارس الأميرية وتقرير ما ينبغى اتخاذه من الوسائل واتباعه من الطرق للوصول إلى الغاية المقصودة من تدريسها » (١) .

على أن الخطة الدراسية فى المدارس الابتدائية ظلت فى مجموعها قائمة حتى سنة ١٨٨٥ ، حين وضعت مناهج جديدة « لتساير التقدم الذى تم حديثاً فى علوم التربية فى أوروبا » (٢) .

---

(١) انظر قرار النظارة وتقرير اللجنة فى المجلد الرابع من (قاموس الادارة والقضاء) لفيليب بك جلاد ص ٣٠٩ — ٣١٣

(٢) Minist. de l'Inst. publique. Eposé des Réformes . . . 1885. p. 13-14.

الفصل الثانى

المدارس المركزية

أدرك إسماعيل منـــذ بداية حكمه أن التعليم الابتدائى لا يستقيم أمره ويعم أثره إلا إذا تعددت معاهده ، فلا تقتصر على حاضرة البلاد وثغرها . على أن أكثر مدارس الأقاليم التى أمر بإنشائها لم تخرج إلى حيز الوجود إلا بعـــد أن صدرت قرارات شورى النواب ولائحة رجب ١٢٨٤ . وقد فصلنا فى مكان آخر الحديث عن هذه القرارات وعن لائحة رجب[1] . ونقتصر فى هذا الفصل وفى الفصول التالية على الحديث عن أحكام اللائحة الخاصة بالمدارس المركزية ثم المكاتب الأهلية ثم الكتاتيب معقبين على شرح هذه الأحكام بتتبع نصيبها من التنفيذ .

ولنبـــدأ بالمدارس المركزية ، وهى المدارس الابتدائية التى تقرر افتتاحها فى عواصم المديريات .

أشارت اللائحة (المادة ٣٣) بأن يبـــدأ بإنشاء ثمانى مدارس مركزية : أربعة منها بالوجه البحرى وهى : مدرسة فى طنطا لقبول أبناء مديريتى الروضة (الغربية والمنوفية) والبحيرة ، ومدرسة فى الزقازيق لقبول أبناء مديرية الشرقية والبلاد القريبة منها من مديريتى القليوبية والدقهلية ، ومدرسة فى المنصورة لقبول أبناء مديرية الدقهلية والبلاد القريبة منها من مديريتى الروضة والشرقية ، ومدرسة فى الجيزة لقبول أبناء مديرية الجيزة وما جاورها من بلاد القليوبية والروضة .

(١) انظر فيما سبق ص ٣٩ — ٦٣ .

ومثلها بالوجه القبلى وهى : مدرسة فى بنى سويف لقبول أبناء مديريتى بنى سويف والفيوم ، ومدرسة فى المنيا لقبول أبناء مديرية المنيا وبنى مزار ، ومدرسة فى أسيوط لقبول أبناء مديريتى أسيوط وجرجا ، ومدرسة فى قنا لقبول أبناء مديرية قنا وإسنا .

وتقام هذه المدارس فى أبنية أوعلى أرض تملكها الحكومة وتتنازل عنها فتصبح « من ضمن المبانى الخيرية الأهلية » ، ونفقات إصلاح البناء أو تشييده تكون على نفقة أهالى المديريات . فإذا لم يكن للحكومة بناء أو أرض اشترى بناء جديد بثمن من الأهالى ، إن لم يتبرع بالبناء كله أو بعضه أحد من أهل الخير (المادة ٣٤) . أما أثاث المدرسة فبعض ثمنه من الأهالى وبعضه من الأوقاف الخديوية والأوقاف « الآيلة لمدارس المديريات » .

والمدرسون تتراوح مرتباتهم بين مائتى قرش و ٧٥٠ قرشاً فى الشهر وتحصل من الأوقاف الآيلة للمدرسة ، والنظار لا تزيد رتبهم على الصاغقول أغاسى ومرتباتهم « على طرف » أهالى المديرية .

ويعين بديوان المدارس مفتشان عامان : أحدهما للتفتيش على مدارس الوجه البحرى ، والآخر للتفتيش على مدارس الوجه القبلى ، ويكونان برتبة الصاغقول أغاسى ، ويكون مع كل منهما معاونان برتبة اليوزباشى ، ومرتباتهم من ميزانية الحكومة . ويكون تعيين هؤلاء الموظفين من اختصاص ديوان المدارس .

ويندب أطباء المديريات لزيارة هذه المدارس ، وتصرف الأدوية للمرضى من تلامذتها أسوة بالأهالى « من الإحسانات الخديوية » (المادة ٣٥) .

ويتراوح عدد تلاميذ كل مدرسة من هذه المدارس المركزية بين مائتين وثلاثمائة تلميذ ، يوزعون بنسبة عدد سكان كل مديرية ، ويكونون داخليين بالمدرسة ، ويمكن أن

يسمح بقبول تلامذة خارجيين فوق العدد المقرر للمدرسة ، على أن لا يزيدوا على نسبة ٢٠ ٪ من مجموع تلامذتها ، ويمكن الترخيص بتحويل التلامذة من القسم الداخلى إلى القسم الخارجى بشروط يسيرة .

وتقوم لجنة من ناظر المدرسة ومدرسيها وبعض أعيان المديرية باختبار التلامذة الجدد ممن يتقدم لها من أطفال مكاتب القرى وغيرها . ويلحظ فى هذه المدارس صفتها (الأهلية) فتقرر قبول تلامذتها من غير تعنت فى السن والصحة ، فيقبل التلامذة فيها من سن العاشرة إلى الخامسة عشرة من غير تمييز بين غنى وفقير ، مسلم وغير مسلم ، على أن يكون صحيح الجسم سليم البصر بالقدر الذى يمكنه من الإفادة من التعليم .

ويدرس التلاميذ المواد الآتية (المادة ٣٦) :

أولا — اللغة العربية من نحو وصرف ومطالعة وإنشاء وعقائد التوحيد وواجبات العبادة والأدب .

ثانيا — اللغة التركية ولغة أوروبية .

ثالثا — مبادىء الجغرافيا والتاريخ .

رابعا — أصول الحساب وتطبيقه على التجارة ومبادىء الهندسة وتطبيقها على المساحة .

خامسا — نبذة فى الحيوانات والنباتات الأهلية ومقدمة لفن الزراعة .

سادسا — خط الثلث والنسخ والرقعة والرسم .

وتجتمع لجنة بديوان المدارس لتقرير الكتب سواء من الكتب الموجودة أو التى تشير اللجنة بطبعها ونشرها .

ويلبس التلاميذ جميعاً لباساً واحداً ، ومن يريد من التلاميذ أن يلبس ملابس أخرى فله أن يلبسها تحت « الجلابية لتحفظ قيافة التلامذة » (المادة ٣٧) .

وتعقد فى المدارس المركزية امتحانات شهرية يقوم بها المعلمون وامتحانات فى منتصف السنة يقوم بها ناظر المدرسة وأحد المفتشين ، وامتحانات عامة فى آخر السنة تقوم بها لجان يرأسها مندوب من ديوان المدارس ويشترك فيها بعض علماء وأعيان المديرية وتوزع المكافآت فى احتفال تعزف فيه الموسيقى ، ومن يود من تلامذة المدرسة الناجحين أن يلتحق بالمدرسة التجهيزية الأميرية فليتقدم بطلبه ، ومن يرسب فى الامتحان عامين يفصل أو يقبل بالقسم الخارجى (المادة ٣٨) .

وبذلك ترى أن هذه المدارس « ولو أنها أهلية » إلا أن « إدارتها كالمدارس الميرية بمعرفة ديوان المدارس » . ولذلك فإن موظفيها يعاملون أسوة بموظفى الحكومة من حيث المعاش . والواقع أنا لا نجد فرقاً كبيراً واضحاً بين هذه المدارس والمدارس الابتدائية الأميرية إلا فى ناحية واحدة : هى أن هذه المدارس لا ينفق عليها من ميزانية الدولة بل دبر لها إيراد خاص من الأوقاف ومما يقدمه الأهالى . على أن ديوان المدارس حرص على أن يقرر أن جميع إيراداتها تحفظ فى خزانته ومنها يصرف ما تحتاج إليه ، وفى كل سنة يوضع الحساب الختامى للعام المنصرم ، وتوضع ميزانية العام القادم بحضور جمعية من أعيان المديرية (المادة ٣٩) .

أما فيما عدا ذلك فالنظام الذى وضع لهذه المدارس مزيج من النظم القديمة وأخصها الاحتفاظ بالنظام الداخلى كأساس للحياة المدرسية واللباس الموحد لجميع التلاميذ وحظر خروجهم من المدرسة إلا إذا أتموا الدراسة ، مع قدر ليس بالقليل من النظم الحديثة وأخصها تقرير مبدأ اشتراك الأهالى فى تحمل نفقات تعليم أبنائهم ،

وإن يكن هذا التقرير جاء غامضاً — ولكن يصح أن نتخذه أساساً لمبدأ فرض الرسوم المدرسية على الآباء مقابل تعليم أبنائهم — وإيجاد أقسام خارجية بالمدارس . وسينمو هذان المبدآن : مبدأ فرض الرسوم المدرسية ومبدأ النظام الخارجى حتى يصبحا — بعد سنوات — أساساً للحياة المدرسية فى التعليم الابتدائى على وجه الخصوص .

هذا ما جرت به لائحة رجب ١٢٨٤ خاصاً بالمدارس المركزية . فلنر الآن حظها من التنفيذ :

أشرنا إلى أن الشروع فى فتح مدارس ابتدائية بالأقاليم بدأ منذ السنة الأولى من حكم الخديو إسماعيل ولكن افتتاحها تأخر بالفعل إلى ما بعد صدور لائحة رجب ١٢٨٤ ، وافتتحت المدارس الآتية :

مدرسة طنطا

عهد إلى « على مبارك » قبل نقله وكيلا لديوان المدارس — وكان ما يزال ناظراً للقناطر الخيرية وكبيراً لمهندسى المعية السنية — بوضع رسم لبناء المدرسة على قطعة أرض بقرب محطة السكة الحديدية فى طنطا [١] ، وفى أوائل سنة ١٨٦٧ وضع الحجر الأساسى للبناء [٢] . ودعى أعيان المديرية (الروضة) إلى تقديم معونتهم « للمدرسة الخيرية لتتميم المشاركة فى الأجر والأهلية » ، فجمع منهم مبلغ ٣٥ بارة و ٩٩٤ قرشاً و ٥٦٦ جنيهاً أرسل لديوان المدارس [٣] . ولكن البناء

---

(١) دفتر ٣٨٧ (مدارس عربى) ص ١٥٤ إلى ناظر القناطر الخيرية وباشمهندس المعية السنية فى ١٨ ذى الحجة ١٢٨٣

(٢) محفظة ٤٢ (معية تركى) رقم ١٩ من مفتش عموم الأقاليم إلى رياض باشا (بالمعية) فى ٤ جمادى الأولى ١٢٨٤

(٣) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٩٩ رقم ١٠٢ إلى المالية فى ١٢ شعبان ١٢٨٥

كان يحتاج إلى وقت طويل حتى يتم ، فرؤى البحث عن مكان بطنطا ليستأجر ليكون مكتبا أهلياً لمائة تلميذ حتى يتم البناء [١]. ثم رؤى أن تفتح المدرسة فى بنها فى القصر الذى كان عباس باشا الأول قد ابتناه لنفسه وإعداده لمائة وخمسين تلميذاً ريثما يتم بناء المدرسة بطنطا [٢] . وهكذا افتتحت مدرسة أو مكتب طنطا ببنهـا فى شوال — ذى القعدة ١٢٨٤ (يناير — فبراير ١٨٦٨) .

وعين ناظراً للمدرسة أول افتتاحها (إبراهيم أفندى مقامى) ، وكان معاونا بديوان المدارس ، ثم خلفه [٣] عبد الله أفندى حسين من ينـاير ١٨٧١ إلى أكتوبر ١٨٧٢ وكان قبلا ناظراً لمدرسة أسيوط ، ثم منصور أفندى عزمى من ديسمبر ١٨٧٢ إلى أغسطس ١٨٧٣ وكان قبلا بالمدرسة التجهيزية ، ثم محمد أفندى على القوصى من ديسمبر ١٨٧٣ إلى نوفمبر ١٨٧٥ وكان قبلا ناظر قلم جوازات السفر بالاسكندرية ، ثم يوسف أفندى وعدى من ديسمبر ١٨٧٥ إلى يولية ١٨٧٩ ، ثم محمد أفندى ثابت

---

(١) دفتر سنة ١٥٨٤ (إرادات للمدارس) ص ١ رقم ٢ ودفتر ١٩٢٥ (أوامر عربى) ص ١٤ رقم ٦ إلى تفتيش عموم الأقاليم فى ٢٧ رجب ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٦٥ رقم ٣٤٧ إلى رئيس مجلس بنها و ص ٦٦ رقم ٣٥٢ إلى ناظر مكتب طنطا فى ٤ شوال ١٢٨٣ وقد استؤجر الجانب الذى شغلته المدرسة من القصر — وكان قد حول بعد عباس إلى دار للضيافة — من دائرة طوسون باشا بمبلغ عشرة جنيهات فى الشهر (دفتر ٤١٤ مدارس عربى ص ١٣٩ رقم ٧ إلى الداخلية فى ١٠ رجب ١٢٨٥)

(٣) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر — القسم الخامس من الملحقات ص ٦٣ ودفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٦٠ رقم ٣٤٥ إلى كتاب الحسابات بديوان المدارس فى ٢٧ رمضان ١٢٨٤

من أغسطس ١٨٧٩ إلى يولية ١٨٨١ ، ثم مراد أفندى مختار من سبتمبر ١٨٨١ إلى نوفمبر ١٨٨٢ .

ومضت أشهر على افتتاح المدرسة ببنها ، وأهمل « عمد المديريات » ما كانوا اتفقوا عليه من تجهيز أدوات البناء بطنطا ، فوقف العمل فى بناء المدرسة بعد وضع أساسه[١] .

وكان ديوان المدارس يقدر ضرورة التعجيل بإتمام البناء وخاصة لضيق المكان الذى خصص من القصر لمدرسة بنها ، وكان « مجلس » بنها يشغل جانباً منه[٢] .

ومضت سنوات ولم يشرع بعد فى البناء ، حتى ضاق الخديو ذرعاً فأمر بأن ترسل المواد اللازمة للبناء على نفقته الخاصة[٣] . وهكذا فشل مشروع اشتراك الأهالى فى تحمل نفقات أبنية المدارس المركزية بالمديريات .

ونظمت المدرسة على غرار المدارس الأميرية ، ولا غرو فقد أزمعت الحكومة أن تجعل منها « نموذجا للمدارس الأهلية المركزية »[٤] .

وعمل ديوان المدارس على أن يبسط عليها إشرافه التام ، فكان يعين المدرسين وسائر الموظفين ويطلب إلى الناظر أن يبعث إليه (بيوميات) عن التلاميذ فى كل

---

(١) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ٤٦ رقم ٢ إلى الداخلية فى ٤ جمادى الثانية ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ٦٥ رقم ٢٧ إلى مديرية القليوبية فى ٩ ذى القعدة ١٢٨٥

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢١٣ إلى ناظر الأشغال والمعارف والأوقاف فى ١٥ ربيع الأول ١٢٩٠

(٤) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ١١ رقم ٨ إلى المعية السنية فى ١٥ شوال ١٢٩٠

أسبوع[١] وجداول بما حصله التلامذة من العلوم فى كل ثلاثة أشهر وترتيب الدروس والمعلمين الخ [٢].

وقد أصابت المدرسة فى مستهل حياتها نجاحاً كبيراً . إذ لم تمض أشهر حتى كان بها ١٥٠ تلميذاً ، وأذن الديوان برفع العدد إلى مائتى تلميذ ، لأن « القصد من افتتاح المكاتب بالأقاليم هو تمدن الأهالى واتساع دائرة العلوم وقبول كل من يرغب الإلحاق بالمدارس عليه مدار كلى بالنسبة لكثرة التلامذة »[٣]. وأشار مفتش المدارس الملكية فى أحد تقاريره إلى أنه وجد المدرسة « فى غاية النظافة وحسن الترتيب وتلامذتها مستعدين »[٤]. ولهذا وافق ديوان المدارس على ما رآه ناظر المدرسة من انتخاب بعض تلامذتها « من أولاد العمد خالين عن أبناء الترك وخلافهم » ليحضروا النشريفات الخديوية فى عيد الفطر ، حتى يرى الخديو بنفسه ثمار غرسه [٥] .

وظل تقدم المدرسة مطرداً ، حتى وصل عدد تلامذتها إلى ٣٠٠ تلميذ ، وهو الحد

---

(١) دفتر ١٠٤ (مدارس عربى) ص ١٩٤ رقم ١٠ من مكتب طنطا فى ٢٤ ذى الحجة ١٢٨٤ ودفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ٦٢ رقم ١ و ٢ و ٣ و ٤ إلى مدرسة طنطا فى ١٠ — ٢٤ ذى القعدة ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٢٢ (مدارس عربى) ص ١٣٥ رقم ١١٢ من مكتب طنطا بينها فى ٢٦ المحرم ١٢٨٦

(٣) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ١٢ رقم ٦٠ إلى مكتب طنطا فى ١١ ربيع الأول ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤١١ (مدارس عربى) ص ٧٢ من حماد بك مفتش المدارس الملكية فى ١١ المحرم ١٢٨٥

(٥) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٥٨ إلى مكتب طنطا بينها فى ١٨ شعبان ١٢٨٥

الأعلى الذى حددته لائحة رجب لعدد تلاميذ المدرسة المركزية . ولم يجد الديوان بدّا — ليفسح المجال لأبناء العمد والأهالى الذين يلحون فى طلب الدخول بالمدرسة — من فصل بعض تلامذتها الأغبياء وأصحاب العاهات والمتقدمين فى السن[١] .

وعلى أن بُعد المدرسة عن الإدارة المركزية بالقاهرة ما لبث أن كان له أثره فى ارتباك سير الدراسة والنظام بالمدرسة ، وقد ظهر هذا فى عهد ناظرها الثانى : «فالتعليمات الجارى عليها العمل بالمدرسة ليست موافقة لأصول التعليمات بالمدارس الميرية» ، والتلاميذ ملابسهم قذرة ممزقة ومكان المستشفى غير لائق وأدوات الطعام وغرفة المائدة قذرة والمعلمون يتعدى بعضهم على بعض ويؤذون التلاميذ بالضرب المبرح والتلاميذ الذين أرسلوا إلى القاهرة وجدوا مبتدئين لم يقرأوا الكتب التى أرسلها الديوان إلى المدرسة . . . الخ[٢] .

ويبدو أن الديوان قد اقتنع بأن اكتظاظ المدرسة بالتلاميذ ليس مما يعين على تقدمها ، فقرر نقل مائة منهم إلى مدرسة الاسكندرية[٣] ، وعلى أثر ذلك توالى هبوط عدد تلامذتها حتى وصل إلى ١٧٤ تلميذاً فى سنة ١٨٧٨ ، ثم عاد يرتفع حتى وصل

---

(١) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ١٤٣ رقم ٥١ إلى مدرسة طنطا بينها فى ٢٦ شوال ١٢٨٧ .

(٢) دفتر ٤٥٠ (مدارس عربى) ص ٦٠ رقم ١٠٩ إلى مدرسة بنها فى ٢٢ ربيع الأول ١٢٨٩ — وعلى أثر ذلك فصل الناظر وعين آخر بدله .

(٣) دفتر ٤٥٧ (مدارس عربى) ص ٨٦ رقم ٤٥ إلى مكتب بنها فى ١٢ ذى القعدة ١٢٨٩ ، على أن لا يكون من بينهم تلاميذ سودانيون .

فى سنة ١٨٨٣ إلى ٤١٤ تلميذاً [١].

وكان تلاميذ المدرسة — فى عامها الأول — موزعين بين أربع فرق دراسية [٢]، وفى العام التالى استكملت المدرسة فرقها الست [٣]. وكان تلاميذها يدرسون القرآن الكريم واللغة العربية والخط والحساب والجغرافية.

ولما صدر منهج التعليم الابتدائى فى سنة ١٨٧٤ طبق على المدارس المركزية أسوة بمدرسة المبتديان بالقاهرة. فأضيف إلى خطة الدراسة الهندسة واللغتان التركية والفرنسية والجغرافيا والرسم.

وقد ألحقت بالمدرسة فى فترات مختلفة من تاريخها فرقة للمساحة وفرق تجهيزية سنعود إلى الكلام عليها فى مواضع أخرى.

مدرسة أسيوط

فى شعبان ١٢٨٤ (ديسمبر ١٨٦٧) صدر أمر الخديو بمنح ديوان المدارس قصر الحكومة القائم بالحمراء بأسيوط وما يحيطه من أرض ووقفهما لينشأ فيهما مدرسة أهلية لمائة تلميذ [٤]. وعلى أثر ذلك نشط ديوان المدارس لافتتاح المدرسة ودعا أهالى

---

(١) انظر دفتر (امتحانات مدرسة طنطا) بمتحف التعليم ؛ أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٩٨

(٢) دفتر ٤١٢ (مدارس عربى) ص ٤٥ رقم ٦٦ من مكتب طنطا فى ٢٥ ربيع الأول ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٢٢ (مدارس عربى) ص ١٣٥ رقم ١١٢ من مكتب طنطا فى ٢٦ المحرم ١٢٨٦

(٤) دفتر سنة ١٥٨٤ (ارادات المدارس) ص ١ رقم ٣ ومحفظة ٤ (مدارس) رقم ١٨٦ أمر إلى المدارس فى ٥ شعبان ١٢٨٤، وكان يقيم بالقصر إذ ذاك مجلس استئناف أسيوط : دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ١٣٦ رقم ٧ إلى مديرية أسيوط فى ١٧ ذى القعدة ١٢٨٤

مديرية أسيوط والأقسام المجاورة لها من مديريات الوجه القبلى إلى إلحاق أبنائهم بها «بالطوع والاختيار»، على أن تتراوح أسنانهم بين العاشرة والخامسة عشرة وأن يكونوا أصحاء الجسم والبصر « بقدر المساعدة على الكتابة والقراءة والمنفعة الملكية »، وأن يكونوا عند الدخول يحسنون القراءة والكتابة « لأجل الاشتغال بالعلوم النافعة »، وعين اليوم الأول من شهر ذى القعدة ١٢٨٤ (فبراير ١٨٦٨) لافتتاح المدرسة[١].

ولكن مدرسة أسيوط فى مستهل حياتها لم تصادف من الإقبال ما صادفته زميلتها فى بنها : فقد مضت أشهر على افتتاح المدرسة ولم يدخلها سوى ٢٨ تلميذاً ، بينما استكملت مدرسة بنها مقررها من التلاميذ ، ويتعلل الناظر بأن هذا النقص يرجع إلى اشتراط القراءة والكتابة فى التلامذة الجدد ، وقدر الديوان هذه العقبة فقرر أن يقبل بها جميع من يتقدم إليها سواء أكان ملماً بالقراءة والكتابة أم غير ملم بهما مادام خاليا من العاهات ، وذلك لأن « القصد من افتتاح المدارس بجهات الأقاليم هو تعليم التلاميذ وتمدن الأهالى واتساع دائرة العلوم »[٢].

على أنه يبدو أن أول ناظر للمدرسة ، وهو أحمد أفندى جابر — وكان مهندسا

---

(١) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٦٥ رقم ٣٤٦ إلى كتاب الحسابات فى ٢٧ رمضان ١٢٨٤ و ص ٦٦ رقم ٦٥١ إلى ناظر مكتب أسيوط فى ٤ شوال ١٢٨٤ وص ٨٩ رقم ٣٨٢ إلى مفتش عموم الأقاليم فى ١٨ شوال ١٢٨٤ . كانت المواصلات فى ذلك الوقت شاقة بين القاهرة وأسيوط لأن خط السكة الحديدية كان قد مد إلى المنيا فقط ومن المنيا كانت المهمات ترسل فى سفينة للبريد (دفتر ٤٠٣ مدارس عربى ص ١٦٤ رقم ٤٤١ إلى الانجرارية فى ٢ ذى الحجة ١٢٨٤)

(٢) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ١٩٤ رقم ٣٦ إلى مكتب أسيوط فى ١١ ربيع الأول ١٢٨٥

بالأشغال العمومية [١] — لم يكن موفقاً فى إدارة المدرسة [٢]، مما أدى إلى عزله وتعيين آخر محله [٣] لم يكن خيراً منه فكان نصيبه العزل أيضاً [٤] وكان قد مضى على افتتاح المدرسة عام كامل وليس بها سوى ١٤٧ تلميذاً وثلاثة معلمين : أحدهم للرياضة وآخر للنحو والثالث القرآن [٥]، ثم أضيف إليهم معلم للفرنسية وآخر للتركية [٦]. ويظهر أنه كان لتغيير أشخاص النظار أثره : فما لبث الإقبال أن اشتد على المدرسة حتى أذن الديوان بزيادة عدد التلاميذ الذين يقبلون بها إلى ٣٠٠ تلميذ ، وكان ذلك بعد نحو عامين ونصف عام منذ أنشئت المدرسة [٧] ، واقتضى ذلك بناء حجرات جديدة [٨] ، بل فكر ناظر المعارف

---

(١) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٦٥ رقم ٣٤٦ إلى كتاب الحسابات بديوان المدارس فى ٢٧ رمضان ١٢٨٤

(٢) شكا بعض الموظفين إلى الديوان أنه يرفض قبول أولادهم بالمدرسة (دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١١ رقم ٣ إلى مكتب أسيوط فى ٥ جمادى الثانية ١٢٨٥) وأخذ عليه أنه كان يترك المدرسة ويقيم كثيرا بالقاهرة (دفتر ٤٢٠ مدارس عربى ص ١٢٤ رقم ١٦ من مكتب أسيوط فى ٤ رجب ١٢٨٥)

(٣) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ١٦٧ رقم ٤٤ إلى مدرسة أسيوط فى ١٤ شوال ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربى) ص ١٦١ رقم ٩ إلى مديرية أسيوط فى ٢٨ شوال ١٢٨٦

(٥) دفتر ٤٢١ (مدارس عربى) ص ٦٢ رقم ٣٨ من مكتب أسيوط فى ١٩ شوال ١٢٨٥

(٦) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ١٦٧ رقم ٤٥ إلى مدرسة أسيوط فى ٢٣ شوال ١٢٨٥ ودفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ٥٠ رقم ٥٠ إلى مكتب أسيوط فى ١٧ ذى القعدة ١٢٨٥

(٧) دفتر ٤٣٩ (مدارس عربى) ص ٤٥ رقم ٥٤ إلى مكتب أسيوط فى ٢٢ جمادى الأولى ١٢٨٨

(٨) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٥ رقم ١٧ إلى مديرية أسيوط فى ٢ ربيع الأول ١٢٨٧

فى بيع القصر وشراء آخر يكون أنسب منه[١] .

ولكن عدد التلاميذ مالبث أن هبط إلى درجة كبيرة ، والأرقام التالية توضح ذلك[٢] :

السنة	عدد التلاميذ	ملاحظات
١٨٧١	٣٠٠	
١٨٧٣	٢١٦	منهم ٢٨ تلميذاً سودانياً .
١٨٧٤	١٦٨	
١٨٧٥	١٨١	منهم ١٠ يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٦	١٣٦	منهم ٧ يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٧	٩٧	منهم ١١ يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٨	١٠٠	منهم ١٠ يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٩	١٤٠	منهم ١٧ يكونون فرقة التجهيزية .
١٨٨٠	١٢٦	منهم ٢١ يكونون فرقتين تجهيزيتين .
١٨٨١	١٢٨	منهم ١١ يكونون فرقة تجهيزية .
١٨٨٢	١٣١	

(١) دفتر ٢٧ (معية عربى) ص ٢٨ رقم ٣٠ من المهرار إلى نظارة الداخلية فى ١٨ رجب ١٢٩٥

(٢) أخذنا هذه الأرقام من دفترى ٣٠ و ٣١ (امتحانات أسيوط) بدفترخانة المعارف وهذه الأرقام يتفق أكثرها مع ما أورده أمين باشا سامى فى كتابه (التعليم فى مصر القسم الثانى من الملحقات ص ٦) .

مواد الدراسة :

كان تلاميذ المدرسة فى سنة ١٨٧٢ يدرسون اللغات العربية والتركية والفرنسية والخط والرسم والحساب والتاريخ والجغرافية موزعة على فرق المدرسة الأربع ، وقد درس المتقدمون منهم أحيانا شيئاً من الفقه والتوحيد والهندسة والجبر .

حتى إذا كانت سنة ١٨٧٦ نظمت خطة الدراسة على نحو يقرب مما رسمه منهج سنة ١٨٧٤ مع تعديلات يسيرة كانت تختلف من عام إلى آخر (١) .

ونختم حديثنا عن مدرسة أسيوط بإثبات أسماء من تولوا نظارتها من أول إنشائها (ديسمبر ١٨٦٧ أو يناير ١٨٦٨)(٢) إلى سنة ١٨٨٥ :

---

(١) انظر دفترى ٣٠ و ٣١ (امتحانات أسيوط) بدفترخانة المعارف

ونثبت فيما يلى أسماء معلمى مدرسة أسيوط من أول إنشائها إلى سنة ١٨٨٢ مأخوذة من هذين الدفترين ووثائق الديوان العربية ومؤلف « دور » عن التعليم فى مصر ص ٣٧٧ والإحصاء العام سنة ١٨٧٥ :

مدرسو اللغة العربية والخط والقرآن : المشايخ زين الدين رافع ، حسن بشنك ، محمد عطية ، محمد الحداد ، على عوض ، أحمد جوده

مدرسو اللغة التركية : محمد فاضل ، إبراهيم رأفت ، أحمد صدقى .

مدرسو اللغة الفرنسية : حبيب شدودى ، محمد شيته ، مصطفى علوى ، حسن على .

مدرسو الرياضة : حسن وصفى ، حسن على ، محمد قدرى ، على أحمد ، أحمد إدريس ، إسماعيل محمد ، محمد أدريس

مدرسو الرسم : محمد إسلام ، محمد عبداللطيف ، محمد توفيق .

(٢) نقلا عن وثائق الديوان وأمين باشا سامى : التعليم فى مصر . القسم الخامس من الملحقات ص ٦٤

أحمد جابر أفندى : من يناير ١٨٦٨ إلى يناير ١٨٦٩ ، وقد رأيت أنه فصل لسوء إدارته.

عبد الله حلمى أفندى : من فبراير ١٨٦٩ إلى يناير ١٨٧٠ ، وقد فصل هو الآخر لسوء إدارته .

عبد الله حسين أفندى : من فبراير ١٨٧٠ إلى ديسمبر ١٨٧٠ ، ثم نقل ناظراً لمدرسة بنها [١] .

أحمد إدريس أفندى : من يناير ١٨٧١ إلى يولية ١٨٧٥ ، وكان مدرساً للرياضة بمدرسة الإسكندرية ، ثم نقل فى يولية ١٨٧٥ ناظراً لمدرسة الصنائع التى أنشئت فى ذلك الوقت بالقاهرة [٢] .

على أحمد أفندى : من أغسطس ١٨٧٥ إلى اكتوبر ١٨٨٥ ، وكان مدرساً للرياضة بمدرسة المبتديان بالقاهرة [٣] .

مدرسة بنى سويف

بعد افتتاح مدرستى بنها وأسيوط بعام أزمعت الحكومة افتتاح مدرستين أخريين فى المنيا وبنى سويف ، وأخذت تدبر الأمكنة اللازمة [٤] . ولكن الحكومة

---

(١) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ٩٤ رقم ٣٨ إلى مكتب ظنطا بنبها فى ٩ شوال ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ١١٥ رقم ٦٣ إلى مدرسة الاسكندرية فى ١٢ شوال ١٢٨٧

(٣) دفتر ٤٨٢ (مدارس عربى) ص ١٥٨ رقم ٣١٦ إلى كتاب الحسابات فى ١٤ رجب ١٢٩٢

(٤) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ٦٢ رقم ٢٦٠ إلى وكيل تفتيش عموم الأقاليم قبلى فى ٢٩ شوال ١٢٨٥

لم تجد بناء صالحاً لمدرسة بنى سويف فأقدمت على تشييد بناء جديدلها ، ولم يتم البناء إلا فى سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) ، ودعى أهالى مديريات الجيزة وبنى سويف والفيوم لإلحاق أبنائهم بالمدرسة الجديدة وفرضت عليهم رسوم دراسية بسيطة روعى أن تكون « مناسبة لحالة الأهالى ووجوه وعمد البلدان والتجار وما يماثلهم » [١] . وسرعان ما امتلأت المدرسة بالتلاميذ .

وفيما يلى بيان بعدد تلاميذ المدرسة منذ إنشائها حتى سنة ١٨٨٢ [٢] .

السنة	عدد التلاميذ	ملاحظات
١٨٧٣	١٥٠	
١٨٧٤	٢٥١	
١٨٧٥	٢٥٨	منهم ١٠ تلاميذ يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٦	١٩٥	« « « « «
١٨٧٧	١٣٦	« ١١ تلميذاً « « «
١٨٧٨	١٦٢	« « « « « «
١٨٧٩	٣٠٣	« ١٣ « « « « و٢٢ « « « تجهيزية .
١٨٨٠	٣٣٦	« تلاميذ « فرقتين تجهيزيتين .
١٨٨١	٣٥٨	« « « « «

(١) دفتر ٤٤٧ (مدارس عربى) ص ٧٩ رقم ٤ إلى عموم وجه قبلى فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٨٩

(٢) اقتبسنا هذا الإحصاء من وثائق الديوان ودفتر ٣٢ (امتحانات بنى سويف) بدفترخانة المعارف وهو يتفق كثيرا مع الإحصاء الذى ذكره أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الثانى من الملحقات ص ٦

وتولى نظارة المدرسة منذ فتحت فى سبتمبر ١٨٧٢ إلى ديسمبر ١٨٨٥ أحمد أفندى نظيم ، وقد طبقت خطة التعليم الابتدائى التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ مع تعديلات يسيرة اختلفت من عام لآخر (١) .

مدرسة المنيا

شرعت الحكومة فى إنشاء مدرسة بالمنيا منذ سنة ١٢٨٥ (١٨٦٩) ووقع اختيارها على بناء مصنع قديم كانت تملكه الحكومة (٢) ، ثم هزت الأريحية « مدير عموم قبلى » فصح عزمه على أن ينشىء مدرسة بالمنيا ويقف عليها جانبا من أطيانه وفاء لمصروفاتها .

---

(٢) انظر دفتر ٣٢ (امتحانات بنى سويف) بدفترخانة المعارف . ونثبت فيما يلى أسماء مدرسى المدرسة مقتبسة مما جاء فى هذا الدفتر ووثائق الديوان والإحصاء العام للتعليم سنة ١٨٧٥ :

مدرسو اللغة العربية والقرآن والخط : المشايخ محمد عبد الرؤف ، على هنداوى ، عبد الله عبد الرحمن (عريف) ، عبد المنعم النقيب ، عبدالدايم يوسف ، محمد هنداوى (عريف) ، سيد يوسف (عريف) ، حسن على ، حسين نامق (خط) .

مدرسا اللغة التركية : حافظ محمد على ، حسين نامق .

مدرسا اللغة الفرنسية : مسيو اريجتى ، مسيو أورسينى .

مدرسو الجغرافيا والتاريخ : أحمد كمال ، مسيو أريجتى ، إبراهيم توفيق ، أمين سامى (باشا).

مدرسو الرياضة : أحمد نظيم ، سيد أحمد حمدى ، عبد الدايم يوسف ، أمين سامى (باشا) .

وكان يدرس لفرقة المساحة : عفيفى شوكت ، أحمد وصفى ، إبراهيم حلمى .

مدرسو الرسم : أحمد كمال ، عفيفى شوكت ، محمد حسيب .

(١) دفتر ٤٢٧ (مدارس عربى) ص ١٤٩ رقم ٣٥٢ إلى مفتش أقاليم قبلى فى ١٢ المحرم ١٢٨٧

وقدر له الخديو جميل صنعه فأمر بأن تتنازل له الحكومة عن قطعة من الأرض ليشيد عليها البناء، إذ « أن هذه مادة خيرية »[١]. ولكن البناء لم يتم إلا فى سنة ١٨٧٣ وافتتحت المدرسة فى يناير من ذلك العام[٢].

وكان عدد تلامذتها :[٣]

السنة	عدد التلاميذ	ملاحظات
١٨٧٤	١٥٧	كان التلاميذ موزعين على ست فرق دراسية .
١٨٧٥	٢٠٦	« « « أربع « «
١٨٧٦	١٣٤	« منهم ١١ تلميذاً يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٧	١١٠	« « ١٠ تلاميذ « « «
١٨٧٨	٩٦	
١٨٧٩	٨٧	
١٨٨٠	٨٥	
١٨٨١	١١٨	
١٨٨٢	١٣٧	

وطبقت بالمدرسة خطة التعليم التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ مع تعديلات كانت

---

(١) دفتر ١٩٣٥ (أوامر عربى) ص ١٢٠ رقم ١٥٦ أمر كريم إلى المالية فى ٦ ذى الحجة ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤٥٨ (مدارس عربى) ص ٧ رقم ١٢ إلى مديرية المنيا فى ١٣ المحرم ١٢٩٠ وأمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٢٨

(٣) هذا البيان مقتبس من دفتر ٣٣ (امتحانات المنيا) بدفترخانة المعارف ولا يختلف عنه كثيرا البيان الذى ذكره أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الثانى من الملحقات ص ٦

تختلف من عام لآخر [١] .

وقد تولى نظارة المدرسة حين إنشائها إبراهيم أفندى مقامى : من يناير ١٨٧٣ — نوفمبر ١٨٧٤ ، وكان قبل ذلك معاوناً بديوان المدارس ثم ناظراً لمدرسة بنها المركزية ثم مدرساً بمدرسة أسيوط المركزية [٢] . ثم خلفه « مراد أفندى مختار » من ديسمبر ١٨٧٤ إلى أغسطس ١٨٨١ وكان ناظراً لمكتب الشيخ صالح بالقاهرة [٣] .

ثم خلفه « عابدين أفندى خير الله » من سبتمبر ١٨٨١ إلى نوفمبر ١٨٨٨ [٤]

مدرسة رشيـــد

فى سنة ١٨٧٣ (١٢٩٠ هـ) نشط ديوان المدارس للسعى لافتتاح مدارس مركزية

---

(١) انظر دفتر ٣٣ (امتحانات) وقد اقتبسنا منه ومن الإحصاء العام للتعليم (١٨٧٥) أسماء المدرسين وهم :

مدرسو اللغة العربية والقرآن والخط : المشايخ رشوان مروان ، على الرشيدى ، أحمد غانم (عريف) إبراهيم زهران (عريف) .

مدرسا اللغة التركية : حسين يحيى ، مراد مختار (الناظر) .

مدرس اللغة الانكليزية : محمد زكى .

مدرس اللغة الفرنسية : غبريال منقريوس .

مدرسو الحساب : محمود حمدى ، على قادر ، محمود فهمى ، محمد على ، محمد المنياوى .

مدرس الجغرافيا والتاريخ : محمد زكى مدرسا الرسم : محمود حمدى ، محمود فهمى .

(٢) دفتر ٤٥٨ (مدارس عربى) ص ٧ رقم ١٢ إلى مديرية المنيا فى ١٣ المحرم ١٢٩٠

(٣) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربى) ص ١٥٠ رقم ٥٤ إلى كتاب الحسابات فى ٢٦ شوال ١٢٩١

(٤) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٦٦

أو أهلية أخرى فى الثغور والبنادر ومنها ثغر رشيد. وحوّل المصنع الذى كانت تملكه الحكومة فيها إلى مدرسة بعد إصلاحه على نفقة ديوان الأوقاف، ووضع « ترتيب » للمدرسة على أن يقوم ديوان الأوقاف بالإنفاق على كافة شئونها [١]، على أن تتبع ديوان المدارس فى الشئون الفنية : كتعيين المدرسين وإمدادها بالكتب المدرسية وامتحان تلامذتها ووضع مناهج الدراسة . . . الخ [٢].

وافتتحت المدرسة فى مارس ١٨٧٦ (١٢٩٣ هـ)[٣] وكان عدد تلامذتها [٤] :

السنة	عدد التلاميذ	ملاحظات
١٨٧٦	٧٠	كان التلاميذ موزعين على فرقتين ابتدائيتين.
١٨٧٧	٩١	» » » » » »
١٨٧٨	١٠٢	» » » » ثلاث فرق ابتدائية .
١٨٧٩	١١٩	» » » » أربع » »
١٨٨٠	٩٠	» » » » ثلاث » » وفرقة تجهيزية.
١٨٨١	٩٧	» » » » » » »
١٨٨٢	١١٧	» » » » أربع » »

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٢٢ إلى مدير المدارس والأوقاف فى ١١ شوال ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٨٧ (مدارس عربى) ص ٧٠ رقم ١٤٢ إلى مفتش المدارس والمكاتب فى ٣ رجب ١٢٩٢

(٣) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٣٣

(٤) هذا البيان لعدد التلاميذ ومواد الدراسة مقتبس من دفتر (امتحانات رشيد) بمتحف التعليم ، وننقل عن هذا الدفتر أيضا أسماء مدرسى المدرسة :

ولم يكن يدرس بالمدرسة أول إنشائها سوى القرآن والنحو والحساب واللغة التركية وخط الثلث ، وفى العام التالى لإنشائها أدخلت دراسة الفرنسية والجغرافية ، وعند ما استكملت المدرسة فرقها الأربع فى سنة ١٨٧٩ كانت خطة الدراسة لا تختلف كثيراً عن خطة التعليم الابتدائى التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ .

وتولى نظارة المدرسة [١] :

محمود أفندى وهبى : من مارس ١٨٧٦ إلى فبراير ١٨٧٩

ثم عبد السلام أفندى محمد : من فبراير ١٨٧٩ إلى أغسطس ١٨٨١

ثم أحمد أفندى خلوصى : من سبتمبر ١٨٨١ إلى ديسمبر ١٨٨٢

مدرسة الفشن .

ليس فى الوثائق التى أتيح لنا الاطلاع عليها ذكر لتاريخ إنشاء مدرسة الفشن ، ولم نجد عنها إلا ما ذكره أمين باشا سامى [٢] من أنها فتحت فى فبراير ١٨٧٩ أى قبل انتهاء حكم إسماعيل بأشهر ، وناظرها « أحمد أفندى راتب » ولم نعثر لها على دفاتر (امتحانات) وكان عدد تلامذتها [٣] :

= مدرسو اللغة العربية والقرآن والخط : المشايخ محمد على الجريسى ، سليمان محمد عبد الواحد وافى ، أحمد اسماعيل ، عبد السلام طيبه ، أحمد حسين ، مدرس التركية : أحمد صدقى . مدرس الرسم : على حيدر — مدرسو الحساب : محمود وهبى ، على حيدر ، عبد الباقى ، — مدرسو الفرنسية والجغرافية : محمد كامل ، عبد السلام محمد ، يوسف افندى ، مسيو قرابيت سربيان .

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ٨٨

(٢) المصدر السابق ص ٧١

(٣) المصدر السابق ص ٣٣ والقسم الثانى من الملحقات ص ٦

فى سنة ١٨٧٩ ٧٧ تلميذاً
« « ١٨٨٠ ١٠٠ تلميذ
« « ١٨٨١ ٨٣ تلميذاً
« « ١٨٨٢ ٨٦ «

وفى التقرير الذى أصدره (قومسيون تنظيم المعارف) فى سنة ١٨٨٠[١] ثم فى التقارير التى أصدرتها نظارة المعارف سنوياً منذ سنة ١٨٨٥ ذكر لمدرسة الفشن بين المدارس الأهلية بالأقاليم وبيان لعدد تلامذتها .

* * *

هذه هى المدارس المركزية أو الأهلية التى افتتحت فى الأقاليم فى حكم الخديو إسماعيل ، وعلى الرغم من صدور أوامره تباعاً بالسعى لافتتاح مدارس فى جهات أخرى كالمنصورة والزقازيق ودمياط والسويس وقنا وتقديم مصانع الحكومة لتحويلها إلى مدارس ونفقات إنشائها تكون من « الجيب » الخاص[٢] ، على الرغم من هذا كله لم تفتح منها مدرسة طوال حكمه .

وفى الفترة من سنة ١٨٨٠ إلى سنة ١٨٨٢ أنشئت مدارس الجيزة وقليوب والمنصورة فى سنة ١٨٨١ وطوخ فى سنة ١٨٨٢ .

وقبل ذلك كان أنشىء قسم ابتدائى ملحق بمدرسة المعلمين (التوفيقية) فى سبتمبر

---

(١) ص ١٩

(٢) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ٥٠ رقم ١٠ إلى تفتيش المدارس الملكية والمكاتب الأهلية فى ١٦ ربيع الثانى ١٢٩٠

١٨٨٠ ليمرن فيه طلبة المعلمين على التدريس . وقد أنشئت هـذه المدارس كلها على نفقة الدولة وكان يصرف عليها من ميزانية نظارة المعارف ، ثم نقلت كلها — ما عدا مدرسة المنصورة والقسم الابتدائى بمدرسة المعلمين — إلى ميزانية المكاتب الأهلية فى أواخر سنة ١٨٨٥ (١) تخفيفاً عن ميزانية الدولة وتمشياً مع السياسة التى سارت عليها حكومة إسماعيل وأشرنا إليها قبل ذلك من الرغبة فى قصر ميزانية الدولة على الإنفاق على المدارس التجهيزية والخصوصية وجعل التعليم الابتدائى « أهليا » ينفق عليه من موارد « أهلية » أهمها إيراد جفلك الوادى .

---

(١) Ministre de l'Instruction Publique. Exposé des Réformes. 1885 p. 113.

الفصل الثالث

المكاتب الأهليـــة

ولننتقل الآن إلى القسم الآخر الذى تنتظمه لائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ وهو الخاص بالمكاتب الأهلية ، القديم منها والجديد ، وما كان منها فى المدن وما كان فى القرى ، مبتدئين بما جرت به اللائحة فى تنظيمها ومعقبين بحظها من التنفيذ ، على نحو ما فعلنا فى حديثنا عن المدارس المركزية .

عنى على مبارك فى « رسالته » أو تقريره الذى تقـــدم به إلى الخديو فأحاله على « القومسيون » بالمكاتب الأهلية القائمة فى المدن والبنادر والقرى أكبر عناية ، حتى ليشغل حديثه عنها واقتراحاته بشأنها أكبر جزء من تقريره ولائحته . وقد قام مشروعه على ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى :

الاحتفاظ لهذه المكاتب بصبغتها « الأهلية » : ويظهر هذا فى تعيين الموارد المالية التى تعتمد عليها هـذه المكاتب ، فقد حرص على أن تكون موارد « أهلية » بعيدة عن ميزانية الدولة ، فعمارتها تكون إما من الأوقاف أو من الإحسانات الخيرية .

والمكاتب التى تنشأ فى القرى يكون بنـــاؤها وعمارتها وأثاثها على نفقة القرى والنواحى المنشأة فيها ، وكذلك القائمون بالتدريس للأطفال فى هـذه المكاتب وهم المؤدبون — ولأول مرة تستعمل هـذه الكلمة بدلا من الفقهاء — والعرفاء

« يرتب لهم من طرف أهالى المتعلمين شىء على قدر معاشهم بدون اتكالهم على الأشياء الهينة كالأخمسة التى لا تقوم بمعاشهم » ، وفى ذلك تقرير — أو تنظيم — لمبدأ فرض الرسوم (المصروفات) الدراسية على الأطفال ، ومنها تخصص مرتبات المؤدبين والعرفاء .

وتلامذة المكاتب يترددون عليها نهاراً ويبيتون فى بيوتهم ليلا ، وبذلك يتحمل أهلوهم ما يقتضيه لباسهم وغذاؤهم ويساهمون مع المكاتب فى تنشئة أبنائهم .

الفاعدة الثانية :

إخضاع هذه المكاتب لهيمنة الدولة ممثلة فى ديوان المدارس : فهو الذى يضع مناهج الدراسة ويشرف على تنفيذها بواسطة مفتشيه ولجان امتحانه ، وهو الذى يضع رسوم أبنيتها وعمارتها ، وعلى الجملة « جميع المدارس والمكاتب سواء بالقرى أو بالبنادر تكون تحت أصول تنظيمية وترتيبات حسنة منتجة وامتحانات سنوية وملاحظات وتفتيشات من طرف الحكومة وهذا لتحسين حالهم واستقبالهم ومنفعتهم الخصوصية العائدة إليهم مع المنفعة العمومية على الحكومة من تهذيب رعاياها وإصلاح حالهم ووجود التعاون بينهم ومعاونتهم لأوطانهم » .

الفاعدة الثالثة :

السعى إلى رفع المكاتب الكبيرة فى المدن ذات الأبنية الصالحة والاستعداد الطيب من حيث عدد المدرسين والتلاميذ والموارد المالية إلى مستوى المدارس الابتدائية . وسنرى أن ديوان المدارس نجح فى ذلك إلى حد كبير ، حتى أصبحت المدارس الابتدائية كلها — عدا مدرستى الناصرية ورأس التين « الأميريتين »[1] — مكاتب

---

(١) وقد رأيت أن مدرسة رأس التين حولت وقتا ما إلى مكتب أهلى .

أهلية بعضها ينفق عليه من ديوان الأوقاف وبعضها الآخر من الإيرادات التى خصصت للمكاتب الأهلية ، ولكنها كلها تخضع لديوان المدارس خضوعاً تاما .

أما المكاتب الصغيرة — سواء فى المدن أو فى القرى — فسنفصل أمرها فى الفصل التالى ، ولكنا نكتفى هنا بأن نقول إن اللائحة قنعت بأن تجعل منها المرحلة « الأولية » التى تعدّ تلامذتها — إذا شاءوا — للمدارس الابتدائية ومنها للمدارس التجهيزية . ولذلك اكتفت اللائحة بما كان يدرس بها من القرآن والقراءة والكتابة وأضافت إليها قليلا من الحساب . وبذلك ترى أن لائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ قد أرخت أول محاولة من جانب الحكومة لإدخال الكتاتيب الأهلية فى نطاق النظام التعليمى المصرى .

وأقرّ « القومسيون » هذه القواعد وعلى أساسها وضعت المواد الخاصة بالمكاتب فى لائحة رجب .

ميزت اللائحة بين مكاتب المدن الكبيرة ومكاتب القرى والنواحى .

مكاتب المدن الكبيرة

مكاتب المدن الكبيرة تنقسم من حيث مواردها ثلاثة أقسام :

(١) مكاتب لها أوقاف تحت نظر (الميرى) أى ديوان الأوقاف .

(٢) ومكاتب لها أوقاف نظارتها لغير ديوان الأوقاف .

(٣) مكاتب أهلية لا وقف لها .

وقد لحظ القومسيون أن هذه المكاتب ليست على نسق واحد من حيث صلاحية البناء وتوفر الموارد وعدد التلامذة وحال المؤدبين ، فقرر أن يجعلها جميعا فى أسلوب

واحد ، بأن يطبق عليها أحكاماً معينة . فقرر أن تلغى المكاتب الصغيرة القائمة فى أمكنة خربة ضارة بالصحة سواء أكانت معدة من قبل واقف لغرض التعليم وانقطع إيرادها أو كان قليلا لا يفى بعمارتها أم كانت غير معدة من قبل واقف لغرض التعليم ، أما أطفالها فينقلون إلى مكاتب أخرى صالحة (المواد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

أما المكاتب القائمة فى أماكن ضيقة يستطاع إصلاحها فيكون ذلك من إيرادها إذا كان لها إيراد وإلا فمن « أهل الخير أو من طرف بيت المال » (المادة ٥) .

وقد وقعت اللائحة على مصدر هام للإيراد تنفق منه على المكاتب الأهلية ، وقد قام هذا المصدر على اعتبار جدير بالنظر : وهو أن « إحياء المدارس والمكاتب لتعليم القرآن وغيره من أنواع المعارف الشرعية لا يخرج عن كونه أحد الوجوه الخيرية » ، فرسمت اللائحة بأن الأوقاف الأهلية والخيرية التى انقرض مستحقوها ومآلها أن تصرف فى أوجه خيرية غير معينة أو معينة — ولكن تعذر الصرف لها — يصرف ريعها فى تعليم الأطفال بالمكاتب (المادتان ٨ ، ٩) . ولكن الحق أن لائحة رجب لم تكن فى ذلك مبتدعة : فقد سبقها إلى تقرير هذا المبدأ مجلس شورى النواب حين كان يتناقش فى أفضل السبل المؤدية إلى نشر التعليم ، فقرر استخدام موارد الأوقاف الخيرية بعد الصرف منها على عمارتها وما يلزم لها . ثم جاء على مبارك فى لائحة رجب فأكد هذا المبدأ وزاده بياناً . وقد أرادت اللائحة أن تجعل لديوان المدارس سلطة فى البحث عن هذه الأوقاف الخيرية وعزل نظارها وتعيين غيرهم (المادة ١٠) ضماناً للاستيلاء على إيرادها وصرفه فى شئون المكاتب ، ولكن (المجلس الخصوصى) حين عرضت عليه اللائحة أقرها كلها فيما عدا سلطة ديوان المدارس على هذه الأوقاف ، فقرر أنه « لا يكون للمدارس فيها بحث لأنها من الأمور التابعة لديوان الأوقاف

وإنما فى كل سنة ينظر بمعرفة ديوان الأوقاف إلى مقدار ما يصير انحلاله من الأوقاف الموضح عنها فى الثلاثة بنود المذكورة وتخصم منه قيمة تعميراتها والخيرات المتعلقة بها وبعد ذلك إذا كان يزيد شىء من إيرادها فيرسل مقداره من ديوان الأوقاف للمدارس » ، ولما عرضت اللائحة على الخديو وافق عليها مع هذا التحفظ .

حتى إذا فرغت اللائحة من التنظيم « المالى » لمكاتب المدن الكبيرة على النحو الذى رأيت ، أقبلت تبغى تنظيمها الفنى . وقد قدرت اللائحة ما بين هذه المكاتب من تباين فى الشهرة والسعة والاستعداد ، فأشارت بأن المكاتب الكبيرة التى يزيد أطفالها على السبعين يعلم بها الخط والحساب — وتطبيقه على التجارة — والنحو والصرف والتاريخ والجغرافية وإحدى اللغات الأجنبية « وما يلزم من كتب الآداب » .

أما معلموها فمرتباتهم على نفقة الأوقاف — إن كانت من مكاتب الأوقاف — أو من غلة وقفها إن كانت كافية ، وإلا فمن الأوقاف الخيرية التى سبقت الإشارة إليها ، فان لم تكن كافية وزع الباقى على أهالى الأطفال ، ويطلب منهم أداؤه فى أول كل شهر (المادتان ١١ ، ١٢) .

وبذلك ترى أن اللائحة أزمعت رفع هذه المكاتب من حيث المستوى العلمى إلى مستوى المدارس الإبتدائية فى القاهرة وعواصم المديريات . وقد تحقق هذا فى عدد لا بأس به من مكاتب الأوقاف بالقاهرة والإسكندرية .

والآن بعد أن قدمنا بين يديك خلاصة لما جرت به لائحة رجب بشأن إنشاء وتنظيم المكاتب الأهلية بتحويلها إلى مدارس ابتدائية حقة تعلم فيها من المواد ما يعلم فى تلك المدارس ، وتعد تلامذتها للمدارس التجهيزية فلندرس حظها من التنفيذ ، أو

بعبارة أخرى فلنجب عن هـــذا السؤال : إلى أى حد حققت الدولة ما رسمه (الشارع) فى سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) ؟

وتتناول الإجابة عن هذا السؤال الموضوعين الآتيين :

(١) إنشاء المكاتب الأهلية الكبيرة أو تحويل بعض المكاتب ذات الاستعداد الطيب إلى مكاتب أهلية كبيرة ، أى إلى مستوى المدارس الابتدائية .

(٢) المدى الذى وصل إليه تحقيق مبدأ إشراك الأهالى فى تحمل الأعباء المالية للمكاتب الأهلية ، ويؤدى بنا هذا إلى بحث الموارد المالية التى استمدت منها هذه المكاتب كيانها .

رأيت [1] أن مجلس شورى النواب — حين كان يتناقش فى اقتراح أحد أعضائه نشر التعليم فى مصر — قرر إنشاء مدارس مركزية فى حواضر المديريات ، أما فى القاهرة والاسكندرية فقد قرر أن يكتفى بما فيها من مكاتب أهلية بعد تنظيمها و « إدخالها تحت رابطة حسنة » .

وبذلك كانت قرارات مجلس النواب فى سنة ١٨٦٧ أول مانبه الأذهان إلى ضرورة الاستفادة من هـذه المكاتب كأداة لنشر التعليم الابتدائى « الأهلى » أى الخارج عن ميزانية الدولة ، ولا سبيل إلى ذلك إلا إذا بسط ديوان المدارس عليها سلطانه حتى يتسنى إصلاح ما يحتاج منها إلى الإصلاح فى نواحيها الصحية والتعليمية . وكان لابد للتمهيد لذلك بحصر هـذه المكاتب فى القاهرة والاسكندرية وجمع البيانات الصحيحة عن مختلف أحوالها من حيث أبنيتها ومواردها المالية وعدد تلامذتها ومعلميها إلخ .

---

(١) انظر فيما سبق ص ٣٩ وما بعدها .

والحق أن ديوان المدارس نشط لجمع هـذه البيانات ، حتى إذا وضع على مبارك مذكرته ولائحته واجتمع القومسيون ووافق عليها لم يكن شيء مما قرره مجلس النواب خاصاً بالمكاتب الأهلية قد نفذ . ولكن على مبارك كان قد (تسلم) الفكرة غامضة محدودة قاصرة على القـــاهرة والاسكندرية فعكف على دراستها ، وكانت ثمرة هذه الدراسة لائحة رجب ، وفيها فصل على مبارك هذه الفكرة تفصيلا وديج حواشيها وأعدّ لها ما وسع من الضمانات لنجاحها ، وأهم من هذا كله أنه رسم تعميمها فى أنحاء القطر كافة ، وجعل من هذا كله نظاماً تعليمياً واضح المعالم محبوك الأطراف . وفى ظل هذا النظام تحقق إنشاء المكاتب الأهلية (الابتدائية) ، ولكنها ظلت — على ما رسمه مجلس شورى النواب — مقصورة على القاهرة والاسكندرية ، وأصابت من النجاح حظاً عظيما . ولاغرو فقد تضافرت فى العمل لنجاحها قوى ثلاث بذلت كل منها ماوسعها من جهد ومال : الخديو بتشجيعه المستمر وهباته المتكررة ، وديوان الأوقاف بماله ، وديوان المدارس بإشرافه الفنى والإدارى .

والآن نتبع هذه المكاتب منذ إنشائها أو تنظيمها حتى سنة ١٨٨٢ .

يذكر المرحوم أمين باشا سامى — فى إحصاء تلامذة هذه المكاتب — أن أول إنشائها كان فى سنة ١٨٧٢ ثم توالى إنشاؤها حتى سنة ١٨٧٩ [١] .

ولكن الواقع أن أكثر هـذه المكاتب كانت تقوم منذ زمن بعيد ، وكان ديوان الروزنامة أو ديوان الأوقاف أو منشئوها يجرون عليها المرتبات لفقهائها وعرفائها

---

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر . القسم الثانى من الملحقات ص ٦ و ص ٨

وتلامذتها[١] ، وكانت المكاتب التى ينفق عليها من الروزنامة أو الأوقاف تدعى أحيانا « مكاتب ميرية » أو تابعة « للميرى » .

وقد نشط ديوان المدارس — على أثر صدور لائحة رجب ١٢٨٤ — لتنفيذ مارسمته هذه اللائحة خاصا بإشراف ديوان المدارس على هذه المكاتب . فعين المفتشين ليزوروا المكاتب ويقرروا عن حالتها ويمتحنوا القائمين فيها على تعليم الأطفال من فقهاء وعرفاء ، وكتب إلى أطباء الصحة ليفتشوا عن أبنية هذه المكاتب ويظهروا الفاسد منها والصالح ، وبادر إلى الاتصال بالروزنامة والأوقاف لتنفيذ المادة (١٦) التى تقول بأن تعيين المؤدبين يختص به ديوان المدارس[٢] .

وكان الديوان يرمى — بهذا النشاط — إلى الكشف عن المكاتب الكبيرة التى تصلح — بعد أن يتم تنظيمها — أن تكون مكاتب إبتدائية تدرس بها المواد التى تدرس بالمدارس الابتدائية الأخرى على النحو الذى رسمته اللائحة . وكان الديوان قمينا بأن

---

(١) لنأخذ منها مثالا مكتب خليل باشا بالنحاسين ومكتب طوسون باشا بالعقادين . فقد كانا يتبعان ديوان الروزنامة وكان مرتب كل منهما من التلاميذ عشرين ولكل منهم فى اليوم خمسة (فضة) ورغيفان من الخبز وفى السنة كسوة ، ورتب لتعليمهم فقيه وعريف وللفقيه فى اليوم خمسة أرغفة وفى الشهر ثلاثون قرشا وفى السنة أربعة أذرع من الجوخ وطاقة من القطنى الشامى ، وللعريف فى اليوم أربعة أرغفة وفى الشهر خمسة وعشرون قرشا وفى السنة أربعة أذرع من الجوخ وألاجه شامى . أما التلامذة فيحفظون القرآن وبعد ختمه يتوجه بعضهم إلى الازهر لطلب العلم ويترك آخرون القرآن لتعلم صنعة ما (دفتر ٤٠٩ مدارس عربى ص ٤٣ رقم ٦ من ديوان الروزنامة فى ١١ جمادى الأولى ١٢٨٥)

(٢) دفتر ٤٠٩ (مدارس عربى) ص ٤٣ رقم ٥ من ديوان الروزنامة فى ٧ جمادى الأولى ١٢٨٥

يجد ضالته فى المكاتب « الميرية » بالقاهرة ، وهى التى ينفق عليها من ديوان الإوقاف أوالروزنامة وكانت أربعة عشر مكتباً ، ذلك لأنها أكثر المكاتب استعداداً من حيث الموارد المالية وصلاحية البناء . لهذا وجه ديوان المدارس إليها عنايته واستطاع أن ينظم أكثرها وأن يرتفع بها إلى مستوى المدارس الابتدائية النظامية ، ولم يكن هـذا العمل هيناً ، فقد كان تلامذتها لا يقرءون بها سوى القرآن فإن تعدوه فإلى قليل من خط الثلث على الألواح ، وكان فقهاؤها لا يعرفون أكثر مما يعرفه تلامذتهم ، وأثاثها حصر خلقة وأكثر أبنيتها يحتاج إلى تقويم [١] .

وقد وفق ديوان المدارس — ولما يمض على وضع لائحة رجب عام واحد — إلى تنظيم مكتبين — كان يصرف عليهما من الروزنامة : مكتب خليل باشا بالنحاسين ومكتب طوسون باشا بالعقادين . وجدهما مفتشو ديوان المدارس « صالحين لتعليم القرآن الشريف وعلوم أخرى مثل النحو والصرف والتاريخ والحساب والجغرافية والتركى » ، أما بناؤهما فجديد « وفى غاية الاعتدال » مع حاجته إلى قليل من الإصلاح . فأزمع الديوان تنظيمهما ، ومهد لذلك بتعيين المعلمين وراعى فى ذلك الاقتصاد ، فقرر أن يكتفى بأربعة معلمين يقومون بالتدريس فى كلا المكتبين : أحدهم للنحو والتاريخ وآخر للحساب والجغرافية وثالث للصرف واللغة التركية ورابع للثلث والرقعة ، ولاتزيد مرتباتهم جميعاً فى الشهر على ١٣٥٠ قرشاً ، ونبه إلى فرش المحلات الخالية (بالحصر الجديدة) ، وأبدى استعداده لإرسال الأثاث اللازم من المناضد والكراسى على أن تؤدى الروزنامة أثمانها [٢] ، فإن لم تف النقود المقرر صرفها من الروزمانة فى كل شهر

---

(١) المصدر السابق

(٢) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ٢١ رقم ٤ إلى الروزنامة فى ١١ شعبان ١٢٨٥ ، دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ١١٤ رقم ٦ إلى الروزنامة فى ٥ رمضان ١٢٨٥

لأداء هذه المرتبات وأثمان الأثاث ألخ ، ولم يكن لهذه المكاتب أوقاف خاصة فلينفذ ما جاء بالمادتين الثامنة والتاسعة من لائحة رجب خاصاً باستخدام إيرادات الأوقاف الخيرية التى انقرض مستحقوها فى الصرف على المكاتب الأهلية باعتبار أنها من أوجه الخير[١] . وعلى هذا النحو نظم مكتباً (أو مدرستا) النحاسين والعقادين فى أواخر سنة ١٨٦٨ ، وقد أصبحا بعد من المكاتب الأهلية الشهيرة بالقاهرة ، وهما من المكاتب التى يذكر أمين باشا سامى — خطأ — أنها أنشئت فى سنة ١٨٧٢ .

وفى الوقت نفسه جرى تنظيم المكاتب الآتية على هذا الأسلوب :

مكتب السلطان قلاوون : وكان ينفق عليه من ديوان الأوقاف[٢] ، وقد أحيل فى يونية ١٨٧١ إلى ديوان المكاتب الأهلية عقب إنشائه ، على أن تدفع الأوقاف لهذا الديوان فى نظير إدارته مبلغ ١٣,٠٨٠/٣٧ قرشاً فى السنة[٣] .

مكتبا السلطان مصطفى ، والسلطان قايتباى بالسيدة زينب ، ومكتب السلطان محمود بالدوادية : وهى من مكاتب الأوقاف[٤] . وكان بالمكتب الأول ٣٥ تلميذاً

---

(١) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ١٥٢ إلى ديوان المالية فى ١٣ شعبان ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٢ إلى ديوان الأوقاف فى ٤ جمادى الثانية ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٤٦ (مدارس عربى) ص ١٨ رقم ٣ من ديوان الاوقاف فى ٩ ربيع الثانى ١٢٨٨

(٤) دفتر ٤٠٨ (مدارس عربى) ص ٢ رقم ١٦ الى ديوان الاوقاف فى ١١ جمادى الأولى ١٢٨٥

وبالثانى ٦٠ تلميذاً وبالثالث ٤٠ تلميذاً ، ولم يكن بها كلها من المعلمين سوى معلم واحد لخط الثلث ، فقرر الديوان تعيين ثلاثة مدرسين آخرين ومرتباتهم من ديوان الأوقاف[١] ، ثم نظم مكتب الصلبية (شيخون) وكان يصرف عليه من أوقاف الحرمين التى نظارتها لديوان الأوقاف . وكان هذا المكتب كثير التلاميذ — إذ كان به ١٧٥ تلميذاً — على الرغم من سوء بنائه وفساد هوائه[٢] .

ونظم مكتب الحبانية [٣] ومكتب الحرمين الشريفين ببولاق بجوار ضريح السلطان أبى العلاء (وكان يدعى أحياناً مكتب القزلار أو مكتب أبى العلاء) وكان من المكاتب الكبيرة التى رؤى صلاحيتها للتنظيم[٤] .

وكانت العناية بالمكاتب الأهلية — على النحو الذى رأيت — حافزة لبعض رجال الخير إلى إنشاء مكاتب وحبس الأوقاف عليها : ومنهم « خليل أغا » كبير أغوات والدة الخديو إسماعيل ، فقد أنشأ بعمارته الكائنة بالمشهد الحسينى « مدرسة لأربعين من الأيتام وأغدق عليهم الخيرات الكثيرة والمبرات العظيمة وسمح أيضاً لطلاب العلم

---

(١) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٧٩ رقم ١٧ إلى ديوان الأوقاف فى ١٣ رجب ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ٩٧ رقم ٩ إلى ديوان الأوقاف فى ٢٦ جمادى الثانية ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٤٩ رقم ١٠ إلى ديوان الأوقاف فى ٣ رجب ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤١٩ (مدارس عربى) ص ٥٦ رقم ٥٢٣ إلى مفتش مكاتب وجه بحرى فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٨٦

الذين يريدون التزود فى الانتظام فى سلكها . . »[١] ، ودعاهذا المحسن ديوان المدارس إلى النظر فى الإشراف على مكتبه « ليعامل تلامذته أسوة بتلامذة المدارس » ، فلبى الديوان الدعوة ووضع أحد مفتشيه ترتيباً للدروس والمعلمين[٢] . ومن ذلك الوقت أصبحت « مدرسة خليل أغا » من المدارس الابتدائية الشهيرة بالقاهرة .

ومن المكاتب الأهلية بالقاهرة التى أنشأها أفراد على نفقتهم الخاصة المكتب الذى أنشأه بشبرا « محمد بك سيد أحمد » سكرتير المجلس الخصوصى ، وكان من المكاتب الناجحة الخاضعة لإشراف ديوان المدارس ، فقد كان تلاميذه يدرسون اللغة الفرنسية قبل تلاميذ كثير من المكاتب الأخرى . ولكن هذا المكتب لم يظل قائماً حتى سنة ١٨٨٠ لأنا لا نراه مائلا بين المكاتب الأهلية فى تقرير (قومسيون تنظيم المعارف) فى تلك السنة . ومن تلك المكاتب المكتب الذى أنشأه « حافظ باشا » وكان من مكاتب الدرجة الأولى وظل قائماً حتى سنة ١٨٨٠[٣] .

على أن الإصلاح رغم بطئه كان مجدياً ، وحسبك أن تلامذة مكاتب الأوقاف الأربعة عشر قد أدوا فى نهاية العام الدراسى الذى بدأ فيه تنظيم المكاتب امتحاناً فى الحساب واللغة التركية واللغة العربية والخط والإملاء ، وما كانوا من قبل يعرفون

---

(١) الوقائع المصرية : العدد ٣٠٠ فى ٢٢ صفر ١٢٨٦ (٣ يونية ١٨٦٩)

(٢) دفتر ٤١٨ (مدارس عربى) ص ٥٨ رقم ٤٣٢ إلى مفتش مكاتب وجه بحرى ، ص ٩٣ رقم ٤٤٣ إلى سراغاى افندم والدة باشا فى ٢٥ ربيع الاول ١٢٨٦

(٣) دفتر ٤٥٦ (مدارس عربى) ص ١٣٦ رقم ٩٥ إلى محمد بك سيد أحمد كاتب المجلس الخصوصى فى ٢٢ شعبان ١٢٨٩ (بخصوص ندب عبد الله بك فكرى وكيل ديوان المكاتب الأهلية لامتحان تلامذة مكتبه) .

سوى قراءة القرآن وحفظه [١] .

وكان إنشاء ديوان المكاتب الأهلية فى مارس ١٨٧١ [٢] بشير خير للمكاتب الأهلية ، فقد حصر إدارتها فى سلطة واحدة قامت على تنظيم دروسها وترتيب معلميها . ونشط على مبارك باشا حين عين مديرا لديوان المكاتب الأهلية ثم حين جمع بينه وبين ديوان المدارس للسعى لما فيه ترقية المكاتب الأهلية وتقوية (شخصيتها) : فنزع من ديوان المدارس المدرستين المركزيتين بينها وأسيوط ، واستصدر من الخديو أمراً بإنشاء مكتبين أهليين بكل من مدرستى الناصرية ورأس التين الأميريتين وأمراً آخر بتعميم المكاتب الأهلية بالأقاليم وإنشاء ثمانية مكاتب أهلية بالقاهرة ، وكلها من إيرادات المكاتب الأهلية ، وشرع يؤلف اللجان لوضع الكتب المدرسية الصالحة ، وسعى لزيادة إيرادات المكاتب الأهلية بتحسين استغلال جفلك الوادى والبحث عن الإعانات التى سبق أن تبرع بها أغنياء البلاد والالتجاء إلى عطف الخديو وكرمه ، أما المكاتب (القديمة) فقد تسلمها ديوان المكاتب الأهلية من الأوقاف ، على أن تدفع الأوقاف مصروفاتها ، ونظمت دروسها ورتب معلموها وهى [٣] : مكتبا السلطان مصطفى والسلطان قايتباى (وقد ضما معاً بعد ذلك ودعيا باسم مدرسة السيدة زينب)

---

(١) دفتر ٤٢٦ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ٢٨ الى ديوان الأوقاف فى ١٣ شعبان ١٢٨٦

(٢) انظر فيما سبق ص ١٥٦

(٣) دفتر ٤٥١ (مدارس عربى) ص ٦١ رقم ١٦٣ فى غرة جمادى الثانية ١٢٨٩ ، ص ٨٦ رقم ١٦٧ فى ١١ جمادى الثانية ١٢٨٩ الى الأوقاف — ويذكر أمين باشا سامى (التعليم فى مصر ص ٢٥) أن هذه المكاتب أنشئت فى سنة ١٨٧٢ ، ولكن واضح مما قدمنا ان هذه المكاتب كانت قائمة قبل هذا التاريخ أما فى سنة ١٨٧٢ فقد تسلمها ديوان المكاتب الاهلية لتكون تابعة له وتحت إشرافه ، فشرع ينظم دروسها ويعين نظارها ومعلميها .

وبهما ٨ معلمين ، ومكتب الشيخ صالح ومكتب الحبانية (ولهما ناظر واحد) وبهما تسعة معلمين ، ومكتب العقادين وبه ستة معلمين ، ومكتب النحاسين وبه ثلاثة معلمين ، ومكتب القزلار وبه خمسة معلمين .

وكان النظار يكلفون بتدريس بعض العلوم ، وخاصة الحساب أو اللغة التركية ، كما كان أكثر المعلمين يلقون الدروس فى أكثر من مكتب ، وكان بكل مكتب عريف لمعاونة معلمى القرآن الشريف . ولم تتعد مواد الدراسة فى أول الأمر الحساب والنحو واللغة التركية والخط والقرآن .

أما مشروع إنشاء مكاتب القاهرة الثمانية فقد سار بطيئاً ، وهذا بيان بما أنشىء من هذه المكاتب وتاريخ إنشائه :

(١) مكتب القربية : أنشىء فى سنة ١٨٧٢[١] .
(٢) « الجمالية : أنشىء فى يناير ١٨٧٣ .
(٣) « باب الشعرية : أنشىء فى ديسمبر ١٨٧٣[٢] .
(٤) « الإمام الشافعى : أنشىء فى ديسمبر ١٨٧٨ .
(٥) « مصر القديمة : أنشىء فى يناير ١٨٧٩ .

---

(١) وكانت بالمكتب فرقة من التلاميذ تتعلم النجارة ثم انتقلوا إلى مدرسة المبتديان : دفتر ٤٦٥ (مدارس عربى) ص ٧٥ رقم ١٦ فى ٢٦ رجب ١٢٩٠ ، دفتر ٤٨١ (مدارس عربى) ص ٧٩ رقم ٦٥٩ فى ٧ ربيع الأول ١٢٩٢ إلى مدرسة القربية

(٢) وليس فى ديسمبر سنة ١٨٧٤ كما ذكر أمين باشا سامى (التعليم فى مصر ص ٣٠) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ١٣٨ رقم ٢٣٦ إلى اسماعيل أفندى سرى (ناظر المكتب) فى ٩ ذى القعدة ١٢٩٠

(٦) مكتب عابدين : أنشىء فى يناير ١٨٧٩ .

(٧) « الحسينية : أنشىء فى مارس ١٨٧٩ .

وكلما أنشىء مكتب جديد كان ديوان المدارس ينشر إعلاناً بالوقائع المصرية عن ميعاد افتتاحه ، فمن أراد تعليم أولاده فليبادر « إليه ويقبل بكليته عليه وينتهز الفرصة قبل الفوات ليجتنى من يانع المعارف أطيب الثمرات ويثنى على ولى النعم خديو مصر على تسهيل طرق التحصيل فى هذا العصر ... »[1] .

وظل ديوان المكاتب الأهلية يتفقد المكاتب الكبيرة ليدخلها تحت إدارته وينظم دروسها ، ومنها المكتب الكائن بالصليبة الموقوف من قبل والدة عباس باشا والذى يسمى لذلك « مكتب أم عباس »[2] .

---

(١) إعلان بافتتاح مكتب الجمالية : دفتر ٤٥٧ (مدارس عربى) ص ٨٨ رقم ١٨ إلى قلم الوقائع فى ١٩ ذى القعدة ١٢٨٩

(٢) من المكاتب التى كانت موجودة بالقاهرة « مكتب والدة المرحوم محمد على باشا » وقد امتحن تلامذته مع بقية تلامذة المكاتب فى امتحان شعبان ١٢٨٩ ، ولكننا نرجح أنه لم يضم إلى ديوان المكاتب الأهلية أسوة بالمكاتب الأخرى لأنا لا نراه فى أى إحصاء رسمى للمكاتب فى سنة ١٨٧٣ — انظر :

Programmes des Ecoles, 1873, & Regny : Statistique, 1873, & Distribution des prix, 1873. Minist. de l'Inst. publique.

ودفتر ٤٥٨ (مدارس عربى) ص ٦ رقم ٢٧٧ إلى ناظر مكتب والدة المرحوم محمد على باشا فى ١١ المحرم ١٢٩٠

وكان يقام لامتحان تلامذة المكاتب محفل عام فى سراى درب الجماميز ، ويؤتى بالتلاميذ فى ملابس نظيفة ويدعى كبار رجال الدولة ولفيف من آباء التلاميذ [١] . ثم رؤى تعيين لجان للامتحان تزور المكاتب وتمتحن تلامذتها ، ويرأس اللجان بعض كبار رجال ديوانى المدارس والمكاتب الأهلية كنظار المدارس والمفتشين ووكيلى الديوانين ، ويقتصر فى (المحفل العام) على امتحان نجباء التلامذة [٢] .

وكان يؤذن للفيف من تلامذة كل مكتب بحضور (التشريفات) مصحوبين بناظرهم وبعض أساتذتهم [٣] .

ولم يغفل الديوان الاهتمام بالناحية الفنية من هذه المكاتب ، وأهم ماحدث من تجديد فى دروسها — بعد مارأينا من تنظيمها فى سنة ١٨٧١ — إدخال اللغات الأجنبية فى بعض هذه المكاتب وهى مكاتب خليل أغا وقلاوون والنحاسين والقربة وحافظ باشا ومحمد بك سيد أحمد وكانت تدرس فيها اللغة الفرنسية ، ومكتبا الجمالية وباب الشعرية وكانت تدرس فيهما اللغة الانكليزية ، ومكتب الشيخ صالح وكانت تدرس فيه اللغة الألمانية . أما المكاتب الأخرى فلم تكن تدرس بها من اللغات سوى العربية والتركية (والفارسية فى مكتب والدة محمد على باشا) .

---

(١) دفتر ٤٥٦ (مدارس عربى) ص ٨٢ رقم ٤٢ إلى مصطفى بك وهبى (رئيس الامتحان) فى غرة شعبان ١٢٨٩ ، دفتر ٤٦٥ (مدارس عربى) ص ٣٧ رقم ٢ إلى تفتيش المدارس والمكاتب فى ٢٩ رجب ١٢٩٠

(٢) انظر لجان امتحان المكاتب فى دفتر ٤٦٥ (مدارس عربى) ص ١١٧ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣٠ الخ

(٣) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ٤ رقم ٣١٦ إلى ناظر مكتب القربية فى ٢ ذى الحجة ١٢٩٠

وتبعاً لهذا كانت هذه المكاتب موزعة على درجتين[١] :

مكاتب الدرجة الأولى : القربية ، قلاوون ، الجمالية ، خليل أغا ، حافظ باشا ، محمد بك سيد أحمد . وتدرس فيها اللغة العربية (بما فيها القرآن) والتركية ولغة أوروبية والجغرافية والحساب والخط العربى والخط الأوروبى .

مكاتب الدرجة الثانية : قايدباى ، الشيخ صالح ، السلطان مصطفى ، الحبانية ، أم عباس باشا ، شيخون ، العقادين ، النحاسين ، القزلار ببولاق . ويدرس فيها اللغتان العربية والتركية والحساب والخط العربى .

وفى سنة ١٨٧٤ وضع منهج التعليم الابتدائى ، فشرع الديوان يطبقه على هذه المكاتب ، وبدأ بتعميم دراسة لغة أوروبية — الفرنسية أو الإنكليزية أو الألمانية — فى مكاتب الدرجة الثانية ، وأدخل بها كذلك دراسة الجغرافية والرسم وقوى دراسة المواد الأخرى[٢] . حتى استطاع دور بك أن يقول فى مقدمة الإحصاء العام فى سنة ١٨٧٥ : « وحدث تطور كلى فى المكاتب الأهلية ، فقد اختفت تماماً مدارس الدرجة الثانية ذات البروجرام الناقص وأصبح التعليم الآن فى هذه المدارس كلها يسير على قدم المساواة مع التعليم فى المدارس الابتدائية الأميرية ، وهذا التعديل يضع منذ الآن أساساً

---

(١) Programmes des Ecoles. 1873. ، ودفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ٣٢ — ٣٥ فى ١٥ ذى الحجة ١٢٩٠ : ترتيب ناظر ومعلمى كل مكتب .

(٢) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ٨ رقم ٢٤٥ و ٢٤٦ فى ١٠ ذى القعدة ١٢٩١ إلى مكتبى أبى العلا والعقادين ودفتر ٤٨١ (مدارس عربى) ص ٤١ رقم ١٤٦ فى ١٣ صفر ١٢٩٢ إلى الأوقاف

قوياً للمدارس العالية »[١] . ولكن يبدو أن نجاح ديوان المدارس فى هذا الشأن لم يكن تاماً : فإذا كان تقرير إقومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ قد عدها كلها — مع مدرسة الناصرية الأميرية — مدارس ابتدائية راقية أو عالية (Ecoles primaires supérieures) فقد لاحظ مع ذلك أن التعليم لا يسير فيها على أسلوب واحد [٢] .

ونختم الحديث عن المكاتب الأهلية بالقاهرة بذكر المدرسة التى أنشأها فى سنة ١٨٧٤ سمو ولى العهد (توفيق باشا) على نفقته الخاصة فى أملاكه (بالقبة) ، وكانت تعد من المدارس الأهلية ، وكان بها ٩٠ تلميذاً منهم ٥٠ تلميذاً بالقسم الداخلى بالمدرسة والباقون بالقسم الخارجى ويتعلمون بها المواد الآتية[٣] .

الزراعة العملية	ويقوم بتدريسها	أحمد بك ندا .
الهندسة والرسم والحساب	» »	أحمد أفندى صبرى .
اللغه الفرنسية والجغرافية	» »	إسماعيل أفندى .
اللغة العربية	» »	الشيخ أحمد .
القرآن والقراءة	» »	الشيخ الشعراوى .
الخط العربى	» »	الشيخ حسين .
الألعاب الرياضية	» »	يعقوب أفندى .

---

(١) Minist. de l'Inst. publique, Statistique des Ecoles Civiles. 1875. p. VI.

(٢) انظر هذا التقرير ص ١٨ — ٢١ وفى الأصل الفرنسى

" l'enseignement est loin d'être donné d'une manière uniforme. "

(٣) Mc. Coan. Egypt as it is, p. 219 . Minist. de l'Inst. publique, statistique des Ecôles. 1875 p. 7 - 8.

وكان توفيق باشا يعنى بمدرسته ، فكان يكثر من زيارة الفصول وتفقد أحوال الطلبة ، بل قيل إنه كان يعرف كلا منهم باسمه [١] .

مكاتب الاسكندرية الأهلية

أحيل على ناظر مدرسة الاسكندرية (رأس التين الأميرية) تنظيم المكاتب الأهلية بالاسكندرية على نحو ما كان جاريا بالقاهرة ، وكان مكتب « وقف الأستاذ البوصيرى » أول مكتب أهلى من مكاتب الأوقاف نظم بالأسكندرية على مثال مكاتب الأوقاف بالقاهرة ، وقد نظم فى أوائل سنة ١٨٦٩ .

وتلا ذلك أن أنشأ « راتب باشا » على نفقته مكتباً بجوار الكمرك بالاسكندرية ، افتتح فى مايو ١٨٧٠ واجتمع به ١٠٠ تلميذ وخمسة معلمين ، ورتب مفتش مكاتب الاسكندرية دروسهم [٢] ، وأعلن عن ذلك بالوقائع المصرية لأنه « من المواد الخيرية ... ومما يسر الناظرين » [٣] .

وكانت هاتان المدرستان تعدان أول إنشائهما وسطا بين المدارس والكتاتيب . فقد كانت كل منهما تتألف من ثلاثة فصول واقتصر التعليم فيها على القرآن والحساب واللغتين العربية والتركية [٤] ، أو بعبارة أخرى كانت بمثابة مكاتب الدرجة الثانية بالقاهرة

---

(١) Mismer, Souvenirs. p. 268.

(٢) دفتر ٤٣٣ (مدارس عربى) ص ١٤٢ رقم ٤٧ (سايرة) من مفتش مكاتب الإسكندرية إلى مفتش وناظر عموم المكاتب — دروس المدارس .

(٣) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٢٧ رقم ٤٤ إلى قلم الوقائع فى ١٩ ربيع الأول ١٢٨٧ وراتب باشا هذا هو مؤسس رواق الحنفية بالأزهر .

(٤) Dor: L'Instruction publique en Egypte, p. 259.

قبل إدخال تعليم لغة أوروبية بها . وفى سنة ١٨٧٣ أدخلت فى مكتبى الاسكندرية دراسة اللغة الفرنسية [١] ، وبذلك ارتفعا إلى مستوى مكاتب الدرجة الأولى أو المدارس الابتدائية الراقية [٢] .

على أن الديوان كان يستبطىء حركة إنشاء أو تنظيم المكاتب الأهلية بالاسكندرية ، فقرر ضرورة « وجود أربعة مكاتب متميزة باسكندرية لكل ربع فيها مكتب ، وأحال أمرها على ناظر مدرسة الاسكندرية بالاتفاق مع محافظ المدينة [٣] ، ولكن هذا القرار لم ينفذ ، وذلك لصعوبة العثور على الأبنية أو المكاتب الصالحة [٤] .

* * *

هذه هى المكاتب الأهلية — سواء ما كان منها بالأقاليم وتدعى أحيانا المدارس المركزية أو ما كان منها بالقاهرة والاسكندرية — وقد أنشئت كلها فى حكم اسماعيل ، وقد أنشىء بعضها إنشاءاً وهى المكاتب التى يصرف عليها من الايرادات الخاصة بالمكاتب الأهلية والمكاتب التى أنشأها وقام على نفقاتها أفراد ، وكان البعض الآخر منها — وهى مكاتب الأوقاف — قائما منذ عهد بعيد ، ورأى فيها ديوان المدارس استعداداً للإصلاح ، فقام على إصلاحها وتنظيمها أسوة بالمكاتب الأخرى .

---

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٣٣ رقم ١٦ إلى مفتش المدارس الملكية فى ٤ شوال ١٢٩٠

(٢) Minist. de l'Instruction publique, Statistique des écoles. . 1875. p. 12.

(٣) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ١٣٦ رقم ١٢١ إلى مدرسة الإسكندرية فى ١٦ المحرم ١٢٩١

(٤) دفتر ٤٧٤ (مدارس عربى) ص ١٥٧ رقم ٦١ من مدرسة الاسكندرية فى ١٨ القعدة ١٢٩٠

ويرجع فضل التفكير فى إنشائها إلى أعضاء مجلس شورى النواب ، وفضل تنفيذها وتوفير أسباب نجاحها إلى على باشا مبارك . وقد أصبحت وحدها تكاد تحتكر التعليم الابتدائى كله فى مصر فى عصر إسماعيل .

بل إن المكاتب أو المدارس الابتدائية الأميرية التى أنشئت بعد حكم إسماعيل من ميزانية الدولة — فى سنتى ١٨٨١ و ١٨٨٣ فى الجيزة وقليوب وطوخ ثم فى الزقازيق ودمنهور وشبين الكوم — سرعان ماتحولت إلى مكاتب أومدارس « أهلية » يصرف عليها من ايرادات المكاتب الأهلية .

وبذلك ترى أن النزعة التى كانت سائدة فى سياسة التعليم فى حكم إسماعيل وبعد حكمه بسنوات كانت ترمى إلى جعل التعليم الابتدائى فى البلاد كلها « أهلياً » ، وذلك بحصره فى تلك المكاتب الأهلية التى أنشئت أو تنشأ فى القاهرة والأقاليم .

وقد نهض ديوان المدارس للإشراف على المكاتب الأهلية القائمة فى مصر عقب صدور لائحة رجب ١٢٨٤ ، وكان أكبر ماانجهت إليه عنايته السعى (لاستنقاذ) المكاتب التى يرى صلاحيتها واستعدادها للتنظيم ، وقد نجح فى ذلك إلى حد بعيد وخاصة فى مكاتب الأوقاف بالقاهرة ، وعين لذلك المفتشين ولجان الامتحان وتدخل فى تعيين المدرسين والنظار وترتيب الدروس . . . الخ . أما فى الأقاليم فقد نهض لانشاء المكاتب الأهلية التى سميت باسم (المدارس المركزية) بسبب إقامتها فى (مراكز المديريات) ، كما بذل الديوان وسعه لإصلاح المكاتب الصغيرة المنتشرة فى المدن والريف .

على أنه وجد بعد ذلك أن من الخير أن ينشأ لإدارة هذه المكاتب الأهلية ديوان خاص ، فأنشىء (ديوان المكاتب الأهلية) فى مارس ١٨٧١ . ووضع على رأسه

الرجل الذى يرجع إليه الفضل فى وضع اللائحة التى نظمت هذه المكاتب والذى قام بالخطوات الأولى فى سبيل تنفيذها : وهو على مبارك باشا ، وكان قد ترك منذ عهد قصير ديوان المدارس[١] . ونشط على مبارك للعمل : فنظم الديوان فى ناحيتيه الفنية والادارية ، على أن يكون مستقلا تمام الاستقلال عن ديوان المدارس . على أن الفصل التام بين الديوانين اللذين يقومان على شئون العلم والتعليم فى البلاد لم يكن طبيعياً ، وهو ليس فى مصلحة العلم والتعليم ، لهذا سرعان ما نصب على مبارك باشا مديراً للديوانين . ولكنه حرص على أن يحفظ لديوان المكاتب الاهلية شخصيته فاستبقاه تحت إدارة « وكيل » خاص هو عبد الله فكرى بك (باشا) ، على أن يعمل تحت إشراف مدير المدارس أو ناظر المعارف ، فكان عليه أن يتفقد فى كل يوم مكتباً من مكاتب القاهرة وفى آخر كل أسبوع يرفع إلى ناظر المعارف تقريراً مفصلا عن مشاهداته ومقترحاته . أما مدارس الاقاليم فترفع إليه تقريراً فى كل أسبوع ، وعلى وكيل ديوان المكاتب الأهلية أن يرفع إلى ناظر المعارف هذه التقارير الأسبوعية مشفوعة بما يعن له من ملحوظات[٢] . وحرص الديوان الناشىء على أن يحتفظ بشخصيته ، بل أخذ يتزيد من النفوذ ليجعل من نفسه (ديوانا) لايقل خطراً ونفوذاً عن ديوان المدارس . فإذا كان لديوان المدارس فروعه من المدارس الخصوصية والتجهيزية والابتدائية (الأميرية) فى القاهرة والاسكندرية ، فلديوان المكاتب فروعه من المدارس المركزية والمكاتب الأهلية المنبثة فى حواضر الأقاليم

---

(١) انظر فيما سبق ص ١٥٦

(٢) دفتر ٤٦٩ (مدارس عربى) ص ١٣٣ رقم ٧٤٧ إلى وكيل ديوان المكاتب الأهلية فى ٧ ربيع الثانى ١٢٩١

وسائر المدن والريف. وإذا كان لديوان المدارس نصيبه من ميزانية الدولة فلديوان المكاتب موارد منوعة مما وقفه ولى الأمر فى البلاد وبعض أهل الخير ومما تغله الأوقاف المرصودة على أعمال البر.

وعلى هذا النحو توزع التعليم فى مصر بين هيئتين إداريتين : إحداهما تشرف على التعليم (الأميرى) وهى التى أنشأت الحكومة معاهدة بمالها وطبقت فيها نظماً خاصة لتكوين عمالها من الموظفين ، والأخرى تدير التعليم (الأهلى) أو القومى ومعاهده أشد اتصالا بالشعب . واعتزاز ديوان المكاتب الأهلية بشخصيته وحرصه على تحقيق رسالته جعل منه أداة نافعة حملت دور بك فى أحد تقاريره الخاصة إلى الخديو على أن يثنى عليه ويفضله — من الناحية الإدارية — على ديوان المدارس ، ويقول عن مدارسه إنها تعطى نتائج طيبة وإنها استطاعت أن تنال محبة الأهالى وعنايتهم (١) .

وكان لإنشاء ديوان المكاتب الأهلية أثره فى العناية بالتعليم الابتدائى ، ففى عهده أنشئت :

(١) المدارس المركزية فى بنى سويف والمنيا والفشن بالإضافة إلى مدرستى بنها وأسيوط اللتين أنشئتا من قبل .

(٢) المكاتب الأهلية الآتية فى القاهرة : القربية والجمالية وباب الشعرية ومصر القديمة والحسينية وعابدين .

(٣) وخضعت لإدارته مكاتب الأوقاف الآتية : الحبانية والشيخ صالح وشيخون

---

(١) انظر Dor, Rapport (confidentiel) à S.A. le Khédive sur les améliorations à apporter à l'état actuel des Ecoles Civiles. S. D. (1874-75 ؟) بالمحفوظات الأوروبية بعابدين .

وأبى العلاء وقلاوون والإمام الشافعى والسلطان مصطفى والسلطان قايد باى والعقادين والنحاسين بالقاهرة ومكتب البوصيرى بالاسكندرية ومكتب رشيد برشيد .

(٤) كما خضعت لإدارته كذلك المكاتب التى أنشأها وقام على نفقتها أفراد وهى : أم عباس باشا وخليل أغا وحافظ باشا ومحمد بك سيد أحمد بالقاهرة ، ومكتب راتب باشا بالاسكندرية .

وعمل ديوان المكاتب الأهلية على أن يمهد لإلغاء المدرستين الابتدائيتين (الأميريتين) الباقيتين لديوان المدارس إتماما لخطة احتكاره التعليم الابتدائى فى البلاد ، فأنشأ مكتبين أهليين (أو خيريين) ألحقهما بكل من مدرستى الناصرية ورأس التين ، وحولت مدرسة رأس التين وقتاً ما إلى مكتب أهلى .

بل لقد عمل ديوان المكاتب على أن يجعل من مدارسه المركزية بالأقاليم معاهد للدراسة الابتدائية وفوق الابتدائية كذلك ، فأنشأ بها — فى سنوات مختلفة — فرقا للدراسة التجهيزية وأخرى للمساحة .

وعلى هذا النحو استطاع ديوان المكاتب أن يبسط سلطانه على كل النواحى المالية والفنية والإدارية لهذه المكاتب .

فمن الناحيتين الإدارية والفنية كان من اختصاصه تعيين موظفى هذه المكاتب ونقلهم وتأديبهم ووضع مناهج التعليم وتقرير الكتب الدراسية والتحقق من حسن الدراسة بالتفتيش والامتحانات . واستطاع ديوان المكاتب أن يرفع هذه المكاتب إلى مستوى لا يقل كثيراً عن مستوى الدراسة فى المدارس الأميرية ، وخاصة بعد أن وضعت خطة الدراسة الابتدائية فى سنة ١٨٧٤ ، ونشط الديوان لتطبيقها على المكاتب جميعها وأخذها باتباع برنامج واحد ، وأصبح يشترط فى الدخول فيها معرفة القراءة

والكتابة ، وسار التعليم فيها على نمط قريب من المدارس الحكومية ، وأصبحت تعد تلامذتها للمدارس التجهيزية : فقد بدأت مدرستا بنها وأسيوط تموّنان المدرسة التجهيزية بالقاهرة بعد عامين من إنشائهما . ولم يكن العدد الذى أرسلته كل منهما من التلاميذ قليلا : فقد أرسلت إحداهما ٦٢ تلميذاً والأخرى ٦٤ تلميذاً [١] . وفكر ديوان المدارس أولا فى أن يأذن لمدارس الأقاليم بأن تنشىء بها فرقا تجهيزية ثم عدل عن ذلك ودعا تلامذتها المتفوقين إلى القاهرة [٢] ، ثم حقق ديوان المكاتب الأهلية هذه الفكرة بعد ذلك ، فأنشأ أقساما تجهيزية بالمدارس المركزية .

وكان نجاح المدارس المركزية فى إعداد تلامذتها للدراسة التجهيزية مما لفت أنظار بعض المعاصرين المهتمين بمشاكل التعليم ومستقبله وغذّى أملهم فى زيادة تقدم هذه المدارس [٣] .

ولم تكن هذه المكاتب الأهلية ترمى — كالمدارس الأميرية — إلى إعداد تلامذتها للمدارس التجهيزية والخصوصية ومنها إلى وظائف الحكومة فحسب ، وإنما كان المرجو كذلك أن تعد تلامذة قد تلقوا تعليما ابتدائياً طيباً يمكنهم من أن يصبحوا

---

(١) دفتر ٤٢٦ (مدارس عربى) ص ١٦٢ رقم ٣٢٨ فى ٢ ذى القعدة و ص ١٦٥ رقم ٤٨ فى ١٢ ذى القعدة ١٢٨٦

(٢) دفتر ٤٢٧ (مدارس عربى) ص ١٣ إلى مدرسة أسيوط فى ٤ ذى الحجة ١٢٨٦

(٣) نشرت جريدة Courrier de Port-Said. فى عددها (٨) الصادر فى ٢٦ ديسمبر ١٨٧٤ فى إحدى مقالاتها عن التعليم الابتدائى فى مصر أنه كان بالمدرسة التجهيزية بالقاهرة مائة محل خال ملئت باثنين وسبعين تلميذا من مدرسة المبتديان بالقاهرة وثمانية وعشرين تلميذا من مدارس الأقاليم ، وأملت أنه عند ما تستكمل هذه المدارس الأخيرة مناهجها سيكون لها النصيب الأكبر فى ملء الأماكن الخالية .

قادرين على أن ينغمروا فى الحياة العملية ليمارسوا مهنة يكسبون منها رزقهم [١] .

أما الناحية المالية لهذه المكاتب فكانت أشد تعقداً ، وذلك لتعدد الموارد المالية التى يصرف منها على المكاتب الأهلية واختلاف مصادرها . وقد رأيت فى قانون رجب ١٢٨٤ حرص الشارع على أن لا يكلف الدولة من نفقاتها شيئاً ، فقرر أن تكون مواردها من مصادر ثلاثة [٢] :

الأول : إيرادات الأوقاف التى وقفها أو يقفها الخديو وأهل الخير .

الثانى : إيرادات الأوقاف الموقوفة على التعليم أو الأوقاف التى انقرض مستحقوها وتقرر صرف إيراداتها فى وجوه الخير ومنها التعليم .

الثالث : المساعدات المالية التى يقدمها الأهالى ، وتكون على أشكال منوعة كتقديم نفقات البناء والتأثيث ومرتبات الموظفين أو على شكل رسوم دراسية يدفعها الآباء .

وكان جفلك الوادى أول ما وقف على المدارس ، ومن إيراده أنشئت مدرستا بنها وأسيوط المركزيتان فى أول الأمر . ثم كان هذا الإيراد أكبر مورد لميزانية المكاتب الأهلية ، وقد رأيت ما كان من سوء استغلال هذا المورد الهام [٣] .

أما تبرعات الأهالى — فى أولى خطوات المشروع عقب قرارات مجلس شورى النواب — فعلى الرغم من أنها لم تكن شيئاً قليلا إلا أنها استخدمت فى غير الأغراض

---

(١) Dor, Rapport confidentiel بالمحفوظات الأوروبية بعابدين، وعلى باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٢

(٢) انظر من اللائحة المواد ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ الخ

(٣) انظر فيما سبق ص ٤٤ — ٤٥ ، ص ٤٨ — ٤٩

التى خصصت لها (١).

أما بعد ذلك فلم نعد نسمع عن تبرعات من الأهالى سوى ما فعله أحد أثرياء القاهرة وهو « مصطفى بك العنانى » حين تبرع فى سنة ١٨٧١ بنفقات تعليم مائة تلميذ من « الأيتام والفقراء والمساكين والمنقطعين لأجل أكلهم وشربهم وملابسهم وتربيتهم وتعليمهم فى أحد المكاتب الأهلية »، وأعلن أنه يقف « العمارة الجديدة بشارع قولة لينتفعوا بريعها أبد الآبدين ودهر الداهرين ». وقبل الديوان تبرعه وشكره عليه(٢). هذا عدا إقبال بعض الأثرياء على إنشاء مكاتب على نفقتهم وقيامهم بكافة مصروفاتها: وقد رأينا منها مكاتب حافظ باشا وراتب باشا ومحمد بك سيد أحمد وخليل أغا ألخ.

وطالب ديوان المدارس ديوان الأوقاف بأن ينفذ ماجاء بلائحة رجب خاصاً بصرف إيرادات الأوقاف الخيرية التى انقرض مستحقوها على المكاتب الأهلية باعتبار أن التعليم فيها من وجوه الخير التى انصرفت إليها رغبة الواقفين. وكان لجمع على مبارك باشا بين نظارتى المدارس والأوقاف أثره فى معاونة الأوقاف للمدارس معاونة جدية بتقديم المال من جهة وقبولها إخضاع مكاتبها للمدارس من جهة أخرى، فقررت الأوقاف أن ترسل للمدارس سبعة آلاف قرش فى كل شهر من إيراد الأوقاف الخيرية « وفى آخر كل سنة تعمل الحسبة اللازمة بالأوقاف عن إيراد

---

(١) بعضها ورد لخزينة المالية وبعضها الآخر حسب على ديوان المدارس من أصل ميزانيته — محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٧ أمر إلى ناظر الأشغال والمعارف والأوقاف فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٨٩

(٢) دفتر ٤٤٨ (مدارس عربى) ص ٨٦ رقم ٢١١ إلى حضرة مصطفى بك عنانى فى ٩ شوال ١٢٨٨.

الأوقاف التى تخصص منها المبالغ المذكور ومنه ماصرف فى العمائر اللازمة بمحلات الأوقاف المذكورة وما يترتب صرفه فى شئونها أيضاً وما أعطى للمدارس ، وإذا تبقى بعد ذلك شىء من الإيراد يرسل للمدارس » وكان ديوان المدارس حريصاً على إجراء « هذه الحسبة » ومطالبة الأوقاف بما يبقى له منها[1] .

هذه هى الموارد المالية التى كان ينفق منها على المكاتب الأهلية حتى إنشاء ديوان المكاتب الأهلية فى سنة ١٨٧١ . وكانت — على قلتها — تكفى المدارس الأهلية الموجودة إذ ذاك ، ولم تكن تتعدى مدرستى بنها وأسيوط المركزيتين وبعض المكاتب بالقاهرة .

وقد رأيت أن إنشاء ديوان المكاتب قد بدأ صفحة جديدة فى تاريخها : فقد تعددت (فروعه) بإنشاء مدارس مركزية فى بعض عواصم المديريات ومكاتب أهلية فى القاهرة وكان ينفق عليها كلها من إيراداته ، كما تعددت فروعه كذلك باخضاع مكاتب الأوقاف والروزنامة والمكاتب الأهلية التى أنشأها أفراد ووضعوها تحت إدارته . فكان على ديوان المكاتب الأهلية أن يواجه هذا التوسع الجديد . وقد نشط الديوان واتخذ لهذا وسائل ثلاث : الأولى تدبير موارد مالية جديدة مع الحرص على حسن استغلال الموارد الموجودة . والثانية اتخاذ خطة الاقتصاد فى إدارة ديوان المكاتب وفروعه . والثالثة الاستعانة بالأهالى وآباء التلاميذ فى أداء بعض ما يتكلفه تعليم أبنائهم من نفقات .

١ — أما عن الوسيلة الأولى فقد رأيت ما كان من سعى ديوان المكاتب الأهلية لضمان

---

(١) دفتر ٤٣٧ (مدارس عربى) ص ١٢ رقم ٤٥ إلى الأوقاف فى ٢١ ذى القعدة ١٢٨٧

ثم أمر الخديو بإعطاء جميع الأملاك والعقارات والأطيان التى تخلفت للحكومة من (مبايعة) الأمير عبد الحليم باشا — ما عدا مصلحة شبرا والأطيان التى دخلت فى السكة الحديدية — للمكاتب الأهلية « بنوع الإيقاف » لصرف ريعها على المكاتب[١].

من هذه الموارد المنوعة كان يتكون الجانب الأكبر من إيرادات المكاتب الأهلية ، أما بقيتها فكانت من الرسوم الدراسية التى يدفعها آباء التلاميذ[٢] ، وسنعود إليها عما قليل . ومن هذه الإيرادات كان ينفق على المدارس المركزية فى الأقاليم والمكاتب الأهلية بالقاهرة ، وبسبب تنوع هذه الموارد وتغيرها من عام إلى آخر كان من المتعذر وضع (ميزانية) للمكاتب الأهلية[٣] .

أما مكاتب الأوقاف فكانت — كما رأيت — تتبع من الناحيتين الإدارية والفنية ديوان المكاتب الأهلية ، أما من الناحية المالية فكان ديوان الأوقاف يرسل إلى ديوان المكاتب ما خص مكاتبه من ريع الأوقاف الموقوفة عليها ويتولى الديوان الأخير الصرف عليها .

---

(١) دفتر ١٩٤٧ (أوامر عربى) ص ٣١ رقم ٤٢ أمر إلى المالية فى ١١ شوال ١٢٩٠

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٠ — ٥١

(٣) دفتر ٤٦٨ (مدارس عربى) ص ٤٥ رقم ٥٢٦ إلى وكيل ديوان المكاتب الأهلية فى ٢٨ المحرم ١٢٩١ وقد أحصى قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ (ص ٧٥ من النسخة الفرنسية) إيرادات المكاتب الأهلية ب ١٧ بارة و ٥٢ قرشا و ١٩٧ر١٤ جنيها ، يضاف اليها ٣٦ بارة و ٤ قروش و ١٢٥٧ جنيها رسوما دراسية ، أما ديوان الاوقاف فيقدم ٢٦ بارة و ٦٣ قرشا و ٤٥٧٥ جنيها (عدا ما يقدمه للصرف على دار العلوم ومدرسة العميان ومدرسة السيوفية للبنات ومعمل الطبيعة) . أما ديوان الروزنامة فيقدم ٢٠ بارة و ٣٨ قرشا و ١٢٨ جنيها .

أما المكاتب الأهلية التى أنشأها أفراد فلهم أن يتولوا الصرف عليها بأنفسهم أو يكلوا ذلك إلى ديوان المكاتب الأهلية على أن يرسلوا إليه المصروفات المقررة .

٢ — أما عن الوسيلة الثانية التى لجأ إليها ديوان المكاتب الأهلية لتدبير موارده وهى الاقتصاد فى إدارة المكاتب الأهلية فكانت من خطط على مبارك ، الذى يفخر بأنه « جعل المصاريف اللازمة للمدارس والمكاتب جارية على وجه يستوجب انتظامها مع خفة المصرف على الديوان » (١) . وقد اتجه ديوان المكاتب الأهلية أول إنشائه إلى انتهاج خطة الاقتصاد ، ولو أدى ذلك إلى فصل بعض الموظفين وتخفيض مرتبات البعض الآخر (٢) . وتظهر خطة الاقتصاد هذه عند مقارنة ما كان ينفق على مدرسة « أميرية » وأخرى « أهلية » : فقد قدر دوربك أن التلميذ بمدرسة الناصرية — وهى المدرسة الابتدائية الأميرية الوحيدة بالقاهرة — كان يتكلف فى السنة من نفقات التعليم فقط (فضلا عما يتكلفه من نفقات الطعام واللباس والمرتب الشهرى) جنيهين وسبعة وسبعين قرشاً ، بينما يتكلف التلميذ فى مكتب القربية جنيهين وثلاثة وثلاثين قرشاً ، وأقل من ذلك فى مكتب قلاوون ، إذ يتكلف فيه التلميذ جنيهاً واحداً وتسعة وثمانين قرشاً ، وأقل من ذلك فى مكاتب أخرى (٣) .

---

(١) الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٠

(٢) دفتر ٤٤٧ (مدارس عربى) ص ٣٥ رقم ٧ إلى مدرسة أسيوط ، ص ٧١ رقم ١٠ إلى مدرسة بنها فى ١١ رجب ١٢٨٨

(٣) Dor. L'Instructionpublique. p. 394.

وقدرت نظارة المعارف فى سنة ١٨٨٨ أن تلميذ المدرسة الاميرية يتكلف فى العام ٦٦ مليما و ٣٥ جنيها بينما يتكلف تلميذ المدرسة الاهلية ٩٥ مليما و ٥ جنيهات .

ويجب أن لا يغرب عن البال أن التلاميذ فى هـــذه المكاتب يتحملون بالرسوم الدراسية التى يؤدونها جانباً كبيراً — بل الجانب الأكبر — من مرتبات معلميهم ، وقد قدر دوربك — نقلا عن معلومات رسمية استقاها من الديوان — أن تلاميذ القرية وقلاوون كانوا يتحملون سبعين فى المائة من مجموع مرتبات معلميهم .

على أن هذا الاقتصاد الذى حرص عليه الديوان قد تم على حساب المعلمين ، فقد قدم لهم الديوان مرتبات جد حقيرة : فمن بين الثمانية عشر مدرساً بمكتبى القرية وقلاوون تجد عشرة مدرسين لايزيد مرتب الواحد منهم على جنيهين فى الشهر ! وسخط دوربك على هذه الخطة وتساءل عما إذا كان مستطاعاً أن يجد الديوان بهذه المرتبات الضئيلة رجالا ذوى معارف تؤهلهم لأن يؤتى تعليمهم الثمر المرجو ، وكيف يستطيع معلم بمثل هـــذا المرتب الضئيل أن يؤثر بشخصيته على تلاميذه ويحملهم على احترامه ويحتفظ بكرامته ؟ وخشى أن تؤدى هـذه الخطة إلى زيادة تلك الطبقة الفقيرة المجهدة من طغام المعلمين (prolétariat) وهى أحد الأدواء التى تشكو منها مصر [١] .

وفى إحدى الوثائق أن بعض الفقهاء والعرفاء رفضوا أن يعملوا بالمرتبات الزهيدة التى عرضها ديوان المدارس عليهم « بالقول أن المرتب لا يكفى لمعاشهم ومع ترغيبهم وتشويقهم توجهوا ولم يعودوا ثانية » [٢] ويجب أن نضيف إلى هذا أن أكثر معلمى هذه المكاتب كانوا يقومون بالتدريس فى أكثر من مكتب .

---

(١) Dor, op. cit. p. 256-257.

(٢) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٣ إلى الاوقاف فى ٨ جمادى الثانية ١٢٨٥

٣ — والآن نتكلم على الوسيلة الثالثة من وسائل تدبير المال التى لجأ إليها ديوان المكاتب الأهلية : وهى الاستعانة بالأهالى وأباء التلاميذ فى تقديم بعض ما يتكلفه تعليم أبنائهم من مال ، وقد رأيت أن لائحة رجب سنة ١٢٨٤ قررت أن نفقات بناء المدارس المركزية أو إصلاحها تكون على أهالى المديريات التى تنشأ بها تلك المدارس (المادة ٣٤) ، وكذلك أثمان الأثاث (الثابت) بالمدرسة كالكراسى والمناضد والألواح ومرتبات المدرسين والنظار (المادة ٣٥) ، وتسلم إيرادات هذه المدارس إلى خزينة ديوان المدارس ، وهو الذى يتولى الصرف ويحاسب المديريات فى كل عام (المادة ٣٩) ، وكذلك قررت اللائحة أن تكون تلامذة هذه المدارس (داخلية) ويسمح بقبول ٢٠ ٪ من التلاميذ (خارجية) ، ويتحمل أباؤهم نفقاتهم لأنهم يقيمون معهم (المادة ٣٦) .

ولكن الأمر فى إنشاء المدارس المركزية لم يجر على النحو الذى رسمته اللائحة .

أما عن تحمل الأهالى نفقات بناء المدرسة القائمة فى مديريتهم فقد رأينا[1] كيف أن بناء المدرسة المركزية فى طنطا قد وضع أساسه وتعاهد العمد والأعيان من ناحية وديوان المدارس من ناحية أخرى على أن يقدم الأهالى الطوب والجير والعمال ويقدم الديوان الأخشاب وأرباب الصنائع . ولكن مضت سنوات ورغم إلحاح الديوان لم يف الأهالى بما تعهدوا به ، واضطر الديوان إلى أن يقيم المدرسة فى بنها ريثما يتم البناء ، كما اضطر الخديو بعد ذلك إلى أن يأمر بإرسال مواد البناء اللازمة إلى طنطا على نفقته .

---

(١) انظر فيما سبق ص ٢٣٧

أما عن تحمل الأهالى نفقات التأثيث والمرتبات ألخ . فلم نسمع عن تنفيذه شيئاً ، بل نهض ديوان المدارس بكافة النفقات من إيرادات جفلك الوادى ، وكان أول ما رصد للمكاتب الأهلية ، وعبثا أعلن الديوان أن « الصرف على المدارس المركزية عائد الخصم به على المديريات المقيمة بها بما أن مصروفاتها وماهيات خدمها عائد سدادها من طرف أهالى وعمد تلك الجهات ... وتوقف الصرف عليها من المديريات مما يوجب إبطال حركة إدارتها »(١) .

وظل الأمر يجرى على أن يقوم ديوان المدارس — ومن بعده ديوان المكاتب الأهلية — بكافة مصروفات هذه المكاتب من الإيرادات الخاصة بالمكاتب الأهلية ، وإذا أنفقت المديرية شيئاً حاسبت عليه ديوان المدارس ، وبذلك انهارت الفكرة التى بنى عليها إنشاء المدارس المركزية على نفقة المديريات القائمة فيها ، وانهار بذلك ركن أساسى من لائحة رجب ١٢٨٤ .

وقامت هذه المدارس على أساس النظام الداخلى المجانى ، فالتلميذ فيها لا يتكلف شيئاً فى تعليمه أومقامه بالمدرسة ، والشىء الوحيد الذى يميزها عن المدارس «الأميرية» أن التلميذ فيها لا يأخذ مرتباً شهرياً (٢) . وفى الوقت الذى بدأ فيه الديوان يتقاضى آباء التلاميذ فى مدرسة الناصرية الابتدائية الأميرية (المبتديان بالقاهرة) بعض ما تتكلفه الدولة فى تعليم أبنائهم وتنشئتهم ، ظل تلامذة المدارس المركزية بالأقاليم يتمتعون

---

(١) دفتر ٤٣٠ (مدارس عربى) ص ٣٨ رقم ٣٠١ إلى ديوان المالية فى ٧ جمادى الثانية ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤١٧ (مدارس عربى) ص ١ رقم ٣٣٨ إلى وكيل مرور مصر فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٥

بالإعفاء أو المجانية الكاملة [١] ، إلى أن أنشئت مدرسة بنى سويف فى سنة ١٨٧٢ فبدا لديوان المكاتب الأهلية أن ينظم ما جرت به اللائحة خاصاً باشتراك الأهالى فى تحمل نفقات المدارس المركزية ، وذلك بفرض رسوم مدرسية يدفعها آباء التلاميذ كل بحسب قدرته المالية على النحو الآتى : [٢]

٦٠ تلميذاً يدفع كل منهم فى الشهر ١٥ قرشاً .

و ٤٠ » » » » » ٢٠ »

و ٣٥ » من الفقراء لا يدفعون شيئاً .

وتلاميذ هذه (الفئات) الثلاث تصرف لهم الكتب مجاناً .

و ٤٠ تلميذاً يدفع كل منهم فى الشهر ٢٥ قرشاً .

و ٣٥ » » » » » ٣٥ »

و ٣٥ » » » » » ٢٣ / ٣٨ قرشاً (أى نصف بنتو) .

و ٢٥ » » » » » ٥٠ قرشاً .

وتلاميذ هذه (الفئات) الأربع تؤخذ أثمان كتبهم من أهاليهم ، وتحصل المصروفات مقدماً فى كل ستة أشهر أو أربعة أو ثلاثة أو شهرين حسب ما يراه ناظر المدرسة . ونفذ هذا النظام أيضاً فى المدرستين المركزيتين القائمتين فى بنها

---

(١) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ١٤٢ رقم ٦٧ إلى الاسبتالية والمدرسة الطبية فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٥٦ (مدارس عربى) ص ١٥٩ رقم ١٠ إلى مكتب بنى سويف فى ١٧ شوال ١٢٨٩

وأسيوط ، وكان هذا أول تقرير للمصروفات المدرسية على تلاميذهما [١] . كما نفذ أيضاً فى مدرسة المنيا عقب إنشائها [٢] . وكذلك سمح فيها بنظام الخارجية وإن يكن التلامذة الخارجيون أقل بكثير من التلاميذ الداخليين . ويحسن أن نلاحظ هنا أن أكبر مبلغ قدر على التلاميذ وهو خمسون قرشاً كان أقل مبلغ قرر على تلامذة مدرسة المبتديان بالقاهرة [٣] . أما مدرسة الاسكندرية فلا تزيد فيها نسبة التلاميذ الذين يتعلمون بالمجان على عشرة فى المائة من مربوط تلامذتها ، ويكونون من أبناء الفقراء والمعوزين وأبناء مدرسى المدارس وموظفيها [٤] .

وعندما صدرت لائحة قبول التلامذة بالمدارس الملكية (أى الأميرية) وحددت فيها المصروفات المدرسية بين ٢,٦٠٠ قرش و ١,٢٠٠ قرش فى السنة (عدا تلاميذ الدرجة الثالثة المجان) لم يطبق منها شىء على تلامذة المدارس المركزية .

أما المكاتب الأهلية بالقاهرة والاسكندرية فكان لها شأن آخر : ذلك لأنها قامت منذ القدم على أساس النظام الخارجى ، فتلامذتها يترددون عليها نهاراً ويقيمون مع ذويهم ليلا ، كما أنها قامت كذلك منذ القدم على أساس نظام (المصروفات المدرسية)

---

(١) دفتر ٤٥٧ (مدارس عربى) ص ٩٨ رقم ٥٠ إلى مكتب بنها فى ١٦ ذى القعدة ١٢٨٩

(٢) دفتر ٤٦٠ (مدارس عربى) ص ٢٤ رقم ٧ إلى مدرسه المنيا فى ٧ جمادى الاولى ١٢٩٠

(٣) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٩٥ إلى مدرسة المبتديان فى ٣ ، ٤ ، ٢٧ صفر ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ٥٧ رقم ٩٧ إلى مدرسة الاسكندرية فى ٢٦ شوال ١٢٨٥

فالطفل يحمل إلى الفقيه والعريف فى كل أسبوع أوفى كل شهر بضعة قروش وقد يحمل إليه بعض الزاد أيضاً . وإلى جانب هذا كان يعطى لتلامذة المكاتب الفقراء من ريع أوقافها — إذا كان لها أوقاف تغل ريعاً — بعض الخبز فى كل يوم وشىء من الكسى فى كل عام[١] . فلما نظمت هذه المكاتب وأصبحت خاضعة لإشراف ديوان المدارس ثم تابعة لديوان المكاتب الأهلية عقب إنشائه احتفظ بهذا الأساس القديم الذى قامت عليه مع تهذيبه وتحسينه . فالتلاميذ جميعاً يبيتون فى بيوتهم وأهلوهم يتعهدونهم بالغذاء واللباس ، والقروش التى كان الأطفال يحملونهـــا إلى فقهائهم استحالت إلى (رسوم دراسية) تتراوح بين خمسة قروش وخمسة عشر قرشاً يحملها الآباء إلى (إدارة) المكتب فى كل شهر فيحملها ناظره إلى خزانة الديوان ، لتكون مصدراً من مصادر إيرادات المكاتب الأهلية[٢] . أما الفقراء والمعوزون فظل يجرى عليهم بعض الرزق من ريع الأوقاف المحبوسة على مكاتبهم[٣] . وعلى هذا النحو جرى الأمر كذلك فى المكاتب الجديدة التى أنشأها ديوان المكاتب الأهلية بالقاهرة[٤] . وبذلك ترى أنه لأول مرة فى تاريخ التعليم الحديث فى مصر تنشىء الحكومة مدارس تقوم فيها الحياة المدرسية على النظام (الخارجى) ويتحمل الآباء قسطا مما يتكلفه تعليم أبنائهم ، استمالة

---

(١) دفتر ٤٤٨ (مدارس عربى) ص ٨ رقم ٣٦ إلى الأوقاف فى ٢٦ شعبان ١٢٨٨

(٢) Dor, L'Instructon publique. p. 256, De Regny, Statistique. 1873. p. 251.

(٣) المصدر السابق ، دفتر ٤٧٤ (مدارس عربى) ص ٤٩ رقم ٦٨ من وكيل دايرة والدة وكريمات إلهامى باشا فى ٢٩ شعبان ١٢٩٠

(٤) روضة المدارس : السنة الثانية العدد ١٠ فى غاية جمادى الأولى ١٢٨٨ (إعلان بافتتاح مكتب القربية) .

لقلوبهم واستدعاء لرغبتهم »[١]. لهذا لا غرو إذا اعتبر دور بك إنشاء هذه المدارس أهم تجديد فى التعليم المصرى منذ السنوات الأولى من حكم إسماعيل[٢].

على أن إدخال نظام (الخارجية) فى المدارس المركزية سار ببطء شديد وخاصة فى المدرستين اللتين أنشئتا فى سنة ١٨٦٨. والأرقام التالية توضح ذلك فى سنة ١٨٧٥ وهى السنة التى نملك عنها إحصاءا رسمياً[٣]، ونورد معها عدد تلامذة المدرسة الابتدائية الأميرية بالقاهرة على سبيل المقارنة :

المدرسة	التلاميذ الداخليون	التلاميذ الخارجيون	المجموع	النسبة المئوية للتلامذة للخارجيين
بنها	٢٣٣	—	٢٣٣	صفر ٪
أسيوط	١٦٤	١٤	١٧٨	٧,٧٥ ٪
بنى سويف	٢٠٨	٤٤	٢٥٢	١٧, ٥ ٪
المنيا	١٣٠	٧١	٢٠١	٣٥ ٪
المبتديان بالناصرية	٤٧٠	٦٩	٥٣٩	١٢,٧٥ ٪

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٠

(٢) Dor, op. cit. p. 256.

(٣) Minist. de l'Inst. Publ. Statistique des Ecoles Civiles. 1875.

وفى ٣١ ديسمبر ١٨٨٥ صدر أمر نظارة المعارف بتحويل جميع تلامذة المدارس المركزية الأربع إلى (الأقسام الخارجية) أسوة ببقية المدارس الأهلية بالقاهرة والأقاليم (١) .

أما نسبة التلاميذ الذين يدفعون المصروفات إلى التلاميذ الذين لا يدفعون شيئاً فى مختلف المدارس الابتدائية فتوضحها الأرقام التالية عن يونية ١٨٨٥ ، وهى أول سنة نملك فيها إحصاءا رسمياً مفصلا (٢) :

---

(١) وهو أول تقرير للمعارف : Minist. de l'Inst. publ. Exposé des réformes 1885. p. 5.

(٢) المصدر السابق . وقد أخذنا هذه الأرقام من إحصاءات مطولة ، أما النسب المئوية فمن عملنا وهى تقريبية .

المدارس	داخلية			خارجية			المجموع العام	النسبة المئوية للمجانية	النسبة المئوية للخارجية
	بمصروفات	مجانا	المجموع	بمصروفات	مجانا	المجموع			
المبتديان بالناصرية	٥٧	٤٦٩	٥٢٦	١٢٦	١٩٥	٣٢١	٨٤٧	٪ ٧٨,٥	٪ ٣٨
مدارس ابتدائية أخرى أميرية (١)	٥٧	٢٧٣	٣٣٠	٩٤١	١٠٠٨	١٩٤٩	٢٢٧٩	٪ ٥٦	٪ ٨٥,٥
المدارس الأهلية (٢)	٢٥	٢٧٦	٣٠١	١٠٣٩	١٢٩٨	٢٣٣٧	٢٦٣٨	٪ ٥٩,٥	٪ ٨٨,٥
مكاتب الأوقاف (٣)	—	—	—	٤٤٥	١٠٦٩	١٥١٤	١٥١٤	٪ ٧٠	٪ ١٠٠

(١) وهى مدارس رأس التين والمنصورة والزقازيق ودمنهور وشبين الكوم والجيزة وقليوب وطوخ وقد حولت الست الأخيرة بعد ذلك إلى مدارس أهلية .

(٢) وهى مدارس طنطا وأسيوط وبنى سويف والمنيا والفشن ومصر القديمة والقربية والحسينية وباب الشعرية وعابدين والجمالية .

(٣) وهى مكاتب شيخون والشيخ صالح والسيدة زينب والإمام الشافعى والحبانية والعقادين والنحاسين وقلاوون وأم عباس وأبو العلا ورشيد وفى مكان آخر من تقرير سنة ١٨٨٥ الذى نقلنا عنه هذه الإحصاءات أن تلامذة مكاتب الأوقاف كانوا ٣٩٦ بمصروفات و١١١٨ مجانا (انظر ص ١٩ من تقرير ١٨٨٥)

وبذلك ترى أن نسبة التلامذة الذين يتمتعون بالمجان فى المدارس والمكاتب الأهلية كانت أقل منها فى المدارس الأميرية . كما أن التلامذة الخارجيين فى المدارس والمكاتب الأهلية أكثر منهم فى المدارس الأميرية ، وقد هالت نظارة المعارف فى سنة ١٨٨٥ ارتفاع نسبة التلامذة الذين يتمتعون بالمجان وخاصة فى الأقسام الداخلية ورأت أن المدارس قد اكتظت بتلامذة من أشد الأوساط فقراً ليس لهم أى ميل للتعليم ، وإنما يعتبرون المدارس مجرد ملاجىء ويعتبرون الحكومة ملزمة بأن تنفق عليهم طول حياتهم ، فقررت النظارة — تمشياً مع توصيات قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ — ما يلى :

(١) تحديد عدد التلامذة الذين يتمتعون بالمجان بأقل عدد ممكن .

(٢) « « « « « بالداخلية تمهيداً لإلغاء النظام الداخلى من المدارس جملة . وتنفيذاً لذلك حولت النظارة تلامذة المدارس المركزية بالأقاليم جميعاً إلى النظام الخارجى . وفرضت على كل تلميذ بالمكاتب عشرة قروش فى الشهر ، وحددت عدد الذين يتمتعون بالمجان بنصف عدد تلامذة المكتب ، وفصلت كثيراً من التلامذة الأغبياء الفاشلين ، وكان لهذا كله أثره : ففى سنة ١٨٨٨ كانت نسبة التلامذة الذين يتمتعون بالمجان (فى الداخلية والخارجية) من المدارس الأميرية ٤١٪ ومن المدارس الأهلية ٢٣٪ فقط [١] .

---

(١) Minist. de l'Inst. publ., Quatriéme rapport, 1888.

وظلت المكاتب الأهلية بالقاهرة والأقاليم تابعة لديوان المكاتب الأهلية، وعلى رأسه « وكيل » يعمل تحت إمرة مدير ديوان المدارس أو ناظر المعارف ، تابعة له من الناحية الإدارية والفنية ، أما من الناحية المالية فهذا الديوان يتولى الصرف — من إيراداته الخاصة وأهمها إيراد جفلك الوادى — على مدارسه ومكاتبه بالقاهرة وعواصم المديريات ، أما مكاتب الاوقاف ومكاتب الافراد فترسل مصروفاتها إلى ديوان المكاتب وهو يتولى الصرف عليها ، حتى إذا كانت سنة ١٨٧٨ لاح لنظارة المعارف وديوان المكاتب أن يتخففا من عبء الادارة المالية لهذه المكاتب ، فصدر أمر الخديو فى ٦ أغسطس من ذاك العام — بناء على طلب ناظر المعارف — بإحالة حسابات وإيردات ومصروفات المكاتب الاهلية على ديوان الأوقاف ، بشرط إبقاء إدارة المكاتب المذكورة مستقلة ومنفصلة على حدتها كما هى الآن فى عهدة وكيل المكاتب تحت أمر ناظر المعارف وملاحظته العمومية ، وعلى ديوان الأوقاف القيام بأداء مصروفات المكاتب المذكورة والمكاتب الجارى الصرف عليها بمعرفة الأوقاف من قبل بأوقاتها بحسب أصولها المقررة » ، أى أن تكون الإدارة المالية من اختصاص الأوقاف والإدارة الفنية من اختصاص المعارف ، ومن ذلك « اعتبار كل من ناظر المعارف ومفتشها ووكيل المكاتب بصفة قومسيون لإدارة المدارس والمكاتب على وجه العموم »[1] .

---

(١) دفتر ٢٥ (أوامر عربى) ص ٣٣ رقم ٥٦ إلى الداخلية فى ٧ شعبان ١٢٩٥ (٦ أغسطس ١٨٧٨)

وظل الأمر يجرى على هذا النحو : للأوقاف الإدارة المالية وللمعارف الإدارة الفنية، ونجم من ذلك نزاع مستمر بين المعارف والأوقاف، حتى إذا كانت أواخر سنة ١٨٨٥ أريد أن يوضع حد لهذا التعدد فى الاختصاص : فصدر أمر الخديو بأن تتبع المدارس والمكاتب الأهلية ديوان الأوقاف من أول إبريل ١٨٨٦ [1]، حتى تولى على باشا مبارك نظارة المعارف فى سنة ١٨٨٧ فعاد الحال إلى ما كان عليه .

---

(١) Minist. de l'Instruction publi., Exposé des Réformes ... 1885. pp. 19, 32, 33.

الفصل الرابع

الكتاتيب الأهلية

تحدثنا فى الفصل السابق عن المكاتب (الكبيرة) بالمدن ، وهى التى أشارت لائحة رجب بتنظيمها وتحويلها إلى مدارس أهلية ابتدائية نظامية على غرار المدارس الأميرية الابتدائية ، درسنا المواد الخاصة بها فى لائحة رجب ، ثم درسنا الخطوات التى نفذت بها هذه المواد ، ومدى تنفيذها سواء فى النواحى الفنية أو الإدارية أو المالية . ونستطيع أن نلخص هذه الدراسة فى أن الحكومة استطاعت أن تنشىء — أو تحوّل — بضعة عشر مكتباً من هذه المكاتب الكبيرة بالقاهرة والإسكندرية إلى مدارس ابتدائية تخضع لبرامج التعليم الابتدائى التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ خضوعاً يختلف شدة وضعفاً باختلاف موارد هذه المكاتب ومستوى هيئة التدريس بها .

فلننتقل الآن إلى المكاتب (الصغيرة) بالمدن أولا ثم بالقرى والبنادر ، ولندعها « بالكتاتيب » احتفاظاً لها باسمها الذى لازمها منذ نشأتها من جهة وتمييزاً لها عن « المكاتب » الأهلية التى أنشئت أو نظمت على غرار المدارس الابتدائية الأميرية من جهة أخرى .

وستكون خطتنا فى دراسة هذه الكتاتيب — كما فعلنا فى دراسة المدارس المركزية ثم المكاتب الأهلية — أن نبدأ بما جاء خاصا بها فى لائحة رجب ، إذ هى كما قررنا الأساس الذى قام عليه تنظيم التعليم الابتدائى فى عصر إسماعيل ، ثم نتبع ذلك بالخطوات التى نفذ بها ما أشارت به اللائحة ومدى هذا التنفيذ .

تحدثت اللائحة عن كتاتيب المدن وكتاتيب القرى والبنادر .

كتاتيب المـــدن

احتفظت اللائحة بالبساطة التى لازمت هذه الكتاتيب ، وتظهر هذه البساطة فى خطة الدراسة وتعيين القوامين على تعليم التلاميذ فيها . فقررت أن يكتفى فيها بتعليم القرآن الشريف والكتابة والقراءة وهى مواد الدراسة التى كانت تدرس بها من قديم ، ثم أضافت إليها الحساب وقصرته على « باب العدية » . فكان هذا أول تجديد بل أهم تجديد فى هذه الكتاتيب ، كما قررت اللائحة أن يكتفى فيها بالمؤدبين والعرفاء (المادة ١٣) على أن يكون تعيينهم من اختصاص ديوان المدارس ، وهو بالاتحاد « مع من يلزم من العلماء وعمد الجهة » يعطى الصالحين منهم للتدريس « شهادة » (البند ١٦) ، ويشترط فى المؤدب « أن يكون حسن الأخلاق والصفات وفيـــه أهلية لتعليم القرآن الشريف كما ينبغى ، وأن يكون له معرفة بأمور الدين القويم وأن يحسن الخط ويحسن باب العدية من الحساب » (المادة ١٧) ويكون دخول الأطفال فى المكاتب الصغيرة « بالرغبة » ومنها إلى المكاتب الكبيرة ثم إلى المدارس الأميرية بالرغبة كذلك ، على أن يؤدوا امتحاناً (المادة ١٨)

وتعقد الامتحانات لتلامذة المكاتب فى شهر شعبان من كل عام ومن فاق منهم أقرانه « تعمل له صرافة تفريحية »[1] ، فإذا كان بمكتب من المكاتب الكبيرة تعمل له

---

(١) كان المعتاد — إلى عهد ليس بالبعيد — أنه عند ما يختم الصبى القرآن يدعو أهله الناس إلى شىء من الطعام — كل ويساره — ويعطون شيخه شيئا من المال أو اللباس . (انظر : الدكتور طه حسين بك : الأيام . الجزء الاول ص ٢٩ — ٣٠ والاستاذ محمد عبد الجواد : فى كتاب القرية ص ١١٥ — ١١٧)

الصرافة « بالموسيق الميرية » ، هـــذا عدا ما يصيب من المكافآت التى يقدمها ديوان المدارس فى كل عام ، وتكون محابر أو كتباً أو ما شا كل ذلك . ويكون للتلاميذ المتقدمين أيضاً حظ حضور « التشريفات » فى الأعياد « مكافأة لهم على تقدمهم » (المواد ١٩ و ٢٠ و ٢١) .

ويعين ديوان المدارس الكتب التى يستعملها تلامـــذة المكاتب ويصرفها لهم بأثمانها (المادة ٢٢) .

ويتكون أثاث المكاتب الكبيرة من كراس للمؤدبين و (دكك) خشبية للأطفال ، أما أثاث المكاتب الصغيرة فحصر . ويكون أثاث المكاتب التابعة للأوقاف على نفقتها . أما المكاتب التى لا وقف لها فأثاثها على نفقة أصحابها (المادة ٢٣) .

ويمنع من دخول المكاتب الأطفال المصابون بأمراض منفرة أو معدية ، ولا يضر وجود عاهات غير معدية كالعمى والعرج (المادة ٢٤) ، وعلى طبيب القسم أن يزور المكاتب القائمة فى قسمه ليتفقد النظافة العمومية وصحة الأولاد (المادة ٢٥) .

كتاتيب القرى والبنادر

كان من أهم ما اتجهت اليه عناية اللائحة الأبنية التى تشغلها مكاتب القرى لما كانت تعلم من سوء حالها : فقضت بأن تكون « حسنة الموقع لطيفة المبنى تأنس بهـا نفوس الأطفال المقيمين بها أكثر ساعات النهار ومدة سنوات » ولذلك يجب عمارة المكاتب المحتاجة إلى الإصلاح ، أما أبنية المكاتب الجديدة بالقرى فيجب أن تنشأ طبق رسم مخصوص يضعه ديوان المدارس (المادة ٢٨) .

ويقوم أهالى القرية بكافة النفقات التى يتطلبها (مكتبهم) من بناء وترميم ومرتبات المؤدبين و (صرافة) الأولاد المتفوقين و (تشويق) المؤدبين فى آخر العام . أما أدوات التعليم كالمصاحف والكتب المطبوعة والألواح والمحابر والأوراق فأثمانها على أهالى الأولاد ، أما اليتامى فما يلزم لهم يكون على القرية (المادة ٢٨) . أما من الناحية (الفنية) فعلى جميع المكاتب أن تتبع أسلوباً واحداً فى التعليم . والسبيل إلى هذا أن تستخدم — عدا القرآن — الكتب التى يصدق عليها ديوان المدارس « لأنها تعمل سهلة العبارة قريبة المأخذ من المسائل الأولية التى تقبلها عقول الأطفال » ، ويكتفى فى مكاتب القرى والكفور بتعليم القرآن الشريف والكتابة والقراءة وباب العدية من الحساب وهى المواد التى تعلم فى المكاتب الصغيرة فى المدن الكبيرة .

ولما كان دخول الأطفال فى هذه المكاتب بمطلق الرغبة من أهليهم « فلا يحدد للتعليم بالنسبة لجميع الأطفال ساعات معينة بل تكون الأولاد تحت احتياجات أهليهم وإنما يكون المكتب فى جميع ساعات النهار المعدة للتعليم مفتوحا والمؤدب (أى الفقيه) حاضر للتعليم والملاحظة ، وإذا كان فى بحر السنة يحتاج أحد من الأهالى لإخراج ولده من المكتب فلا يمنع من ذلك ولو كان ولده من المتقدمين فى المكتب ، ما دامت تلك المكاتب أهلية فتبقى كالجارى فى السابق إلا فى النظافة وانتظام التعليم والتربية » . (المادة ٢٩) .

وقدرت اللائحة بساطة التعليم فى هذه المكاتب ، فأقرت للتعليم فيها « فقهاء الريف كما هم الآن » ، على أنها اشترطت فى المؤدب أو — الفقيه — أن « يحسن تجويد القرآن والخط وله معرفة بأمور الدين وأن يكون بيده شهادة تدل على رضا أهل القرية عنه ، وعلى أن يكون محكوماً فى هذه الشهادة بلياقته للتعليم على هذا الوجه من أعيان

الناحية وأهل العلم الموجودين بها أو بمجاورتها ، ويكون على ورقة الشهادة المذكورة تصديق ممن يندب من طرف ديوان المدارس للتصديق على ذلك » ، ويسمح للفقهاء المكفوفين من ذوى الخبرة الطويلة بتعليم الأطفال وممن حسنت فيهم الشهادة بمزاولة مهنتهم .

ولما كانت معرفة الحساب من الشروط الجوهرية فى المؤدبين فيمهل من يجهله منهم مدة لا تزيد على السنة ليتعلم فيها (باب العدية) ، وأما المؤدبون الجدد الذين يعينون بالمكاتب من الآن فصاعدا فيجب أن يستوفوا هذا الشرط الهام (المادة ٣٠) .

ويمتحن غلمان المكاتب فى آخر شعبان من كل عام ويقوم على امتحانهم مؤدبوهم وبعض الفقهاء « وأهل الفضل بحضور عمدة الناحية ووجوه البلد » و (يشوق) الأطفال المتقدمون (بصرافة) وكذلك يشوق المؤدبون و « يطيب خاطرهم » ويشجع أوائل التلاميذ فى جميع سنى الدراسة بقبولهم بدون امتحان فى المدارس المركزية « المعدة لاتساع دائرة المعارف الوطنية » (المادة ٣٠) .

وختمت لائحة رجب بتوجيه جميع المؤدبين القائمين على تربية الأطفال الى « أن يبذلوا غاية جهدهم فى تلقين ما يلزم اكتسابه فى المدارس والمكاتب الأولية للأطفال بالطرق البسيطة الحسنة الموافقة لحداثة سنهم بحيث لا يستعملون فى تربيتهم إلا ما تقوى به حواسهم وقواهم العقلية ويجتنبون فى التربية الأمور الموروثة لشراسة الأخلاق مثل السب وما أشبه مما يوجب الجفاوة وأن يعاملوا الأطفال معاملة الأبناء لأنهم عوض عن آبائهم ألخ » .

وبذلك نستطيع أن نلخص القواعد التى قامت عليها لائحة رجب فيما يختص بالكتاتيب الأهلية فيما يلى :

أولا — احتفظت اللائحة لهذه الكتاتيب بالحياة البسيطة التى عاشتها ودرجت عليها منذ إنشائها : ويتمثل ذلك فى احتفاظها بالقرآن الكريم أساساً للتعليم والتربية فيها ، وعن طريق القرآن الكريم يتعلم الصبى القراءة والكتابة ، ولم تزد اللائحة على على هذا سوى مبادىء فى الحساب لا تتجاوز (الأعداد) ، ويتمثل ذلك أيضاً فى احتفاظها بمؤدبى صبيتها من الفقهاء والعرفاء ، وهم الذين لم تعرف البلاد غيرهم من تكل إليه تربية أبنائها ، كما يتمثل فى احتفاظها بالأثاث البسيط الذى لم تعرف تلك الكتاتيب غيره ، هذا عدا أن اللائحة أقرت بعض التقاليد التى كانت تجد هوى فى نفوس الناس فى ذلك الوقت والتى كانت تعد حافزاً قوياً للصبية على الجد والإقبال على الحفظ : وهى تلك (الصرافة) التفريحية التى كانت تعمل للصبية الذين أتموا حفظ القرآن فيطاف بهم فى البلد ويقدم أهلهم للفقيه ما تيسر من الطعام والشراب أحياناً ومن اللباس والنقد أحياناً أخرى .

كما أن اللائحة قد أقرت للمكاتب عنصراً هاماً من مقوماتها : وهو الحرية التى كان يتمثل بها الأهلون فى إرسال أبنائهم إليها أو صرفهم عنها ، لا يحفزهم إلى ذلك سلطان غير الرغبة المطلقة من ناحية وإقبال أبنائهم على الدرس واحتفالهم به من ناحية أخرى .

وهكذا ترى أن اللائحة قد حرصت على أن تظل هذه الكتاتيب — كما كانت — مؤسسات «أهلية» لا تتدخل الحكومة فى شأنها إلا بمقدار ، حرصاً من الحكومة على أن تظل تلك الكتاتيب محتفظة بثقة الأهلين . حتى تكون فى يد الحكومة أداة شعبية

بسيطة ورخيصة لنشر قسط من التعليم الأولى وإن يكن بسيطا إلا أنه لا شك يجدى فى مكافحة الأمية ومقاومة الجهالة .

ويلخص هذا كله فى تلك العبارة التى جرت بها اللائحة : « ما دامت تلك المكاتب أهلية فتبقى كالجارى فى السابق إلا فى النظافة وانتظام التعليم والتربية » (المادة ٢٩) .

ثانياً — وهنا نصل إلى القاعدة الثانية التى قام عليها تنظيم الكتاتيب فى لائحة رجب : وهى إخضاعها لإشراف الدولة ممثلة فى الإدارة التعليمية القائمة فى ذلك الوقت وهى ديوان المدارس ، ثم ديوان المكاتب الأهلية . وقد حددت العبارة التى أسلفنا المجال الذى يكون فيه إشراف الدولة وهو مراعاة « النظافة وانتظام التعليم والتربية » ففى « النظافة » رسمت اللائحة زيارة المفتشين وأطباء الصحة يتفقدون أبنية الكتاتيب ويفحصون صحة الصبية ويقررون عن هذا كله إلى ديوان المدارس ليتخذ الإجراءات الملائمة لإصلاح الفاسد وتلافى النقص .

أما « انتظام التعليم والتربية » فقد رأى الديوان أنه لا يتم إلا بتطلب شروط خاصة فى المؤدبين ، كان أهمها — إلى جانب إجادة حفظ القرآن والكتابة — معرفة القواعد الأولية من الحساب ، بل إن اللائحة كانت رفيقة بالمؤدبين فأمهلتهم عاما ليستكملوا مابهم من نقص فى هذه الناحية ، حتى إذا توافرت فى المؤدبين الشروط المطلوبة تقدموا إلى الديوان ، فمنح كلا منهم إجازة أو رخصة تبيح له الاشتغال بمهنة التعليم .

و « انتظام التعليم والتربية » يقتضى أن لا يقرأ الصبية كتباً غير الكتب التى يقرها ديوان المدارس . أما السبيل إلى التحقق من هذا كله فزيارات متوالية من مفتشى الديوان وإشراف على امتحان الصبية فى الكتاتيب فى نهاية كل عام .

ثالثاً — ومن المبادىء البارزة التى قام عليها تنظيم الكتاتيب على النحو الذى رسمته لائحة رجب محاولتها ربط المكتب بالبيئة التى يقوم فيها ، ولا شك فى أن هذا الارتباط كان موجوداً من قبل ، ولكن اللائحة عملت أن (تنظم) الصلة بين المكتب والبيئة المحلية على نحو جديد يرمى من ناحية إلى أن تتحمل القرية النفقات التى يتطلبها تأسيس مكتب جديد أو إصلاح مكتب موجود وإلى أن يتحمل آباء الصبية نصيباً من مرتبات المؤدبين والعرفاء وإن لم تحدد اللائحة مقدار هذا النصيب ، كما يرمى من ناحية أخرى إلى أن يبعث فى نفوس الأهلين الشعور بأن هذا المكتب القائم فى قريتهم لم ينشأ إلا لخدمتهم ، فيجب أن يعدوه جزءاً من كيانهم يحفلون لنجاحه ويجهدون لتقدمه ، فأعضاء (المجالس) يتفقدون المكاتب ويقررون عن حالتها ، وعلماء الناحية ووجوهها يشتركون فى الشهادة للمؤدبين والعرفاء كما يشتركون فى امتحانات الصبية كل عام ، وأثرياؤهم يدعون إلى أن يجودوا بالمال لتعليم الفقراء واليتامى من أبناء بلدتهم الخ .

رابعاً — أما الشىء الجديد حقاً فهو أن اللائحة قد جهدت أن تصل ما بين هذا التعليم « الأهلى » الممثل فى الكتاتيب والتعليم « الأميرى » الممثل فى مدارس الحكومة الابتدائية والتجهيزية والخصوصية ، وذلك بأن تجعل اللون الأول من التعليم أساساً ودعامة يستند إليها اللون الثانى ويستمد منه مصدر كيانه ، فرسمت اللائحة بأن التلامذة المنتهيين من تلك الكتاتيب يدخلون — إذا شاءوا — فى المدارس الابتدائية الأهلية أو المركزية ومنها إلى المدارس الأميرية التجهيزية فالخصوصية ، وهكذا رمت اللائحة إلى أن تمهد لسد الثغرة — أو الهوة — التى كانت تفصل بين النظام التعليمى الأهلى والنظام التعليمى الأميرى .

ومن تعاون هذين اللونين — أوهاتين المرحلتين — فى تعليم ناشئة البلاد يقوم نظام قومى للتعليم المصرى . وعلى هذا النحو رسمت اللائحة الطريق التى يجب أن تتجه إليها جهود المصلحين والمتحدثين على أمور التربية والتعليم فى مصر . وقد أثمرت — على مر الزمن — الدعوة التى توجهت بها اللائحة فى الناحية التى عنيت بها وهى التعليم فى الكتاتيب ، أما ماعدا ذلك من معاهد التعليم «الأهلى» — إن جاز أن نصف الأزهر والمعاهد الدينية بهذا الوصف — فقد جهدت فى المحافظة على شخصيتها ومقوماتها ونجحت فى ذلك إلى الحد الذى نراه ماثلا فى أيامنا هذه ، ولكنها مع ذلك لم تكن بمعزل عن التطورات التى مر بها التعليم الحديث منذ نشأته فى مصر حتى الوقت الحاضر ، فقد أثرت فى هذه التطورات أحيانا وتأثرت بها فى أكثر الأحيان .

هذه هى الأحكام التى جرت بها لائحة رجب بشأن الكتاتيب الأهلية . فلنر الآن حظها من التنفيذ .

والحق أن أكثر النظار الذين تولوا أمر المعارف لم تكن تعوزهم الرغبة الصادقة فى العمل لجعل تلك الكتاتيب أداة منظمة لنشر التعليم ومقاومة الجهلة .

فشريف باشا كان يزعم الإكثار من المكاتب حتى « لايكون هناك عذر فى مصر للجيل الناشىء من الذكور والإناث فى عدم معرفة القراءة والكتابة على الأقل »[1] .

وقد رأيت أنه فى أواخر نظارته للمعارف (١٨٦٧) بدأت فكرة إصلاح المكاتب الأهلية للاستعانة بها فى نشر التعليم الابتدائى .

أما على مبارك باشا فقد رأينا جهوده فى وضع لائحة رجب وصياغته للأحكام

---

(١) Sachot, op. cit.

الخاصة بالمكاتب الأهلية وهى الجزء الرئيسى من اللائحة . وقد ظل على مبارك مخلصاً لسياسته هذه فى كل مرة تولى فيها نظارة المعارف سواء فى عصر إسماعيل أم بعده .

ورياض باشا كانت سياسته ترمى إلى جعل تلك الكتاتيب كلها تحت رقابة الدولة وإلى تحسين إدارة الأوقاف ليستعين بها فى زيادة مرتبات المؤدبين ، حتى يستطيع أن يحسن مستوى التعليم بأن يجذب إلى المهنة أفراداً أكثر كفاءة من غير أن يحمل ميزانية الدولة أعباء جديدة[١] .

على أن هذه الجهود — على قيمتها وما اكتنفها من حسن القصد — لم يتح لها أن تتحقق إلا فى أواخر القرن الماضى ، على النحو الذى سنراه . أما الآن فلنقصر بحثنا على جهود حكومة إسماعيل فى تنفيذ ما رسمته لائحة رجب خاصاً بالكتاتيب .

بدأ ديوان المدارس فأعد عدته : كون « قومسيوناً » للمدارس والمكاتب الأهلية بالديوان ليعرض عليه كل المسائل الخاصة بالمكاتب وخاصة تقارير المفتشين الذين يزورونها ويقررون عن أحوالها التعليمية والصحية[٢] . وأفرد من أقلامه قلماً خاصا للمكاتب ليقوم بالتحريرات الخاصة بها[٣] . وأهم من هذا أنه نظم التفتيش عليها : فعين مفتشاً عاما يساعده (مفتشان) أحدهما للوجه البحرى والآخر للوجه القبلى ، وألحق بكل منهما معاونين ، أما التفتيش عن مكاتب القاهرة فيقوم به المفتش العام أو أحد

---

(١) Mc. Coan, Egypt as it is, p. 225.

(٢) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٧ رقم ٦ إلى مديرية القليوبية فى ٢٦ رجب ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ٩١ رقم ٨ إلى مديرية المنيا فى ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٦ (من قلم المكاتب) .

المفتشين الآخرين [١].

أما التفتيش عن مكاتب الاسكندرية فعهد به إلى أحـــد أساتذة الرياضة بمدرسة الاسكندرية [٢].

وشرع ديوان المدارس يتصل بالإدارات المختلفة التى يتصل عملها بالكتاتيب عن قرب أو عن بعد : فاتصل بالجهات الإدارية كديوان الداخلية وتفتيش عموم الأقاليم ومديرى المديريات لتصدر أوامرها إلى السلطات الإدارية المحلية لمعاونة المفتشين فى تفقد مكاتب الأقاليم وتنفيذ ما يرونه من ضرورة إصلاح بعض المكاتب أو إلغاء بعضها الآخر [٣]، « لأن نتيجة هذا تعود على منفعة الوطن والتقدم لأبناء الوطن » [٤].

واتصل بمجلس الصحة العام لتنظيم زيارة أطباء الصحة فى القاهرة والأقاليم للمكاتب لفحص أبنيتها وحالة تلاميذها الصحية [٥].

واتصل بديوان الأوقاف لينهض إلى إصلاح المكاتب التى تعتمد على أوقاف يديرها الديوان والتى تدعى لذلك (مكاتب الأوقاف) [٦].

---

(١) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ١١٥ رقم ٦٣٥ إلى حماد بك مفتش المدارس الملكية فى ١٥ ربيع الثانى ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٣١ رقم ١٥١ إلى مدرسة الاسكندرية فى ٨ ربيع الأول ١٢٨٧

(٣) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٧ رقم ٦ إلى مديرية القليوبية فى ٢٦ رجب ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤٢٧ (مدارس عربى) ص ٦ رقم ٢٥٨ إلى مفتش عموم الأقاليم المصرية فى ١٩ ذى القعدة ١٢٨٦

(٥) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ٩٦ رقم ٢٥ إلى مجلس الصحة فى ٢٣ ربيع الثانى ١٢٨٥ .

(٦) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٤ إلى الأوقاف فى ١١ جمادى الثانية ١٢٨٥

وانبث المفتشون فى (أقسام) القاهرة وبنادر الأقاليم لزيارة الكتاتيب — سواء أكانت للمسلمين أم للأقباط — والتقرير عن أحوالها[١] . ولسنا نعرف على وجه التحقيق النتائج العملية لهذا التفتيش ، ولكنا نعلم أن حالة هذه الكتاتيب كانت من من السوء بحيث رأى المفتشون أن كثيراً منها لا يصلح قط أن يكون أماكن للتعليم فما ترددوا فى أن يشيروا بإلغائها وتحويل صبيتها إلى الكتاتيب الأخرى إن اتسعت لهم أو إنشاء كتاتيب جديدة . وهاك بعض الأمثلة لذلك :

كان بطنطا ١٦ مكتباً بها ٥٠٠ تلميذ ، رأى المفتش أن ستة مكاتب منها فقط صالحة البناء وبها ٣٨٥ تلميذاً ، أما العشرة الباقية فيجب إلغاؤها وبناء مكاتب جديدة تتسع للتلامذة الباقين وهم ١١٥ تلميذاً [٢] .

وفى مدينة الجيزة لم يجد المفتش مكتباً صالحاً ، فأشار بإلغاء مكاتبها جملة وإنشاء غيرها [٣] .

وفى الفيوم ٢٤ مكتباً أشار المفتش بإغلاق اثنى عشر مكتباً منها وإنشاء غيرها[٤] . وهكذا .

---

(١) دفتر ٤٣٢ (مدارس عربى) ص ١١ رقم ٢٢ من مديرية الغربية فى ٥ صفر ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٤٤ رقم ٧ إلى مديرية الغربية فى ٢٧ رجب ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٤٥ رقم ١٠ إلى مديرية الجيزة وأطفيح فى ٢٠ شوال ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربى) ص ٩٣ رقم ٣٢ إلى مديرية بنى سويف والفيوم فى ٢٦ جمادى الثانية ١٢٨٦

وكان المفتشون يمنحون أصحاب المكاتب أو المديريات مهلة ستة أشهر ليتم فيها إصلاح المكاتب المحتاجة إلى الاصلاح أو بناء المكاتب الجديدة ، حتى إذا عاد المفتش لزيارة المكاتب بعد هذه المهلة وجد كل ما أشار به قد أنفذ . والحق أن المفتشين لم يدخروا وسعاً فى النهوض بواجبهم : ففى أقل من أربعة أعوام من صدور اللائحة أتم المفتشون التفتيش على عدد من الكتاتيب بلغ تلامذتها ٤٤,٠٩٥ تلميذاً وهو عدد لم يكن قليلا بالنسبة لمجموع تلامذة الكتاتيب فى مصر ، وعلى كواهل المفتشين وبفضل جهودهم تم وضع الإحصاء المفصل للمكاتب فى مصر الذى تضمنه الإحصاء العام الذى نشره « دوربك » فى سنة ١٨٧٥ .

ولكن الإصلاح المنشود مالبث أن اصطدم بعقبات كان لها الأثر الأكبر أو الأثر كله فى تعطيل الجهود ووقف الاصلاح :

العقبة الأولى — المال : فطبيعى أن إصلاح المكاتب القائمة وبناء المكاتب الجديدة وتأثيثها واستخدام المؤدبين يقتضى المال ، وقد رسمت اللائحة — كما رأيت فى مواد مختلفة — طرق الحصول عليه ، فبعضه من إيراد الوقف إن وجد (المادة ٢٣) وبعضه من أهالى الأطفال أو على (طرف) القرية (المادتان ٢٧ و ٢٨) .

وقد عوّل ديوان المدارس على تنفيذ هذه الأحكام ، فكان يطلب إلى المديريات أن تتصل بالقاضى والقمص الموجودين بها للنظر فى حالة الأوقاف الأهلية أو الخيرية للاستعانة بها فى بناء المكاتب الجديدة [1] ، أو يطلب إلى المديريات أن تعمل

---

(١) دفتر ٤٢٣ (مدارس عربى) ص ١١٩ رقم ٣٨٣٦ من مديرية بنى سويف والفيوم فى ٣ ربيع الثانى ١٢٨٦

لتنفيذ المواد الخاصة بقيام القرى بنفقات مكاتبها [١].

ولكن هذا المصدر أو ذاك لم يأت بثمرة، فأصحاب المكاتب فى إحدى المديريات يتعللون بأنه لا يوجد فى بلادهم أوقاف أو مرتبات أهلية أو خيرية يستعان بإيرادها فى بناء المكاتب أو إصلاحها [٢]. والأهالى فى مديرية أخرى « تضرروا من جسامة (هذا) المبلغ وتكليفهم به »، وطلبوا الاقتصار على إصلاح بضعة مكاتب تكفيهم « لحين افتتاح مدرسة الميرى » [٣]. وعلى هذا النحو فشلت الخطة التى رسمتها لائحة رجب، وهى تحميل القرى نفقات المكاتب المنشأة بها، وانهار بذلك حكم هام من أحكام هذه اللائحة، ووضح أن المشروع أعظم من أن تستطيع القرى أن تنهض به، وأن الأمر يقتضى الحكومة أن تكرس له جانباً من ميزانيتها أو تنظم له موارد خاصة كما فعلت للمكاتب الأهلية (الابتدائية) بالقاهرة والاسكندرية، وكما ستفعل عند إنشاء مجالس المديريات، فتفرض ضريبة خاصة يخصص إيرادها لنشر التعليم الأولى.

العقبة الثانية — تعيين المؤدبين الذين تتوفر فيهم الشروط التى نصت عليها اللائحة، ويظهر أن هذه الشروط كانت — على بساطتها — عقبة فى الحصول على المؤدبين اللازمين، إذ أنها كانت تتطلب شيئا جديداً لم يكن موجودا فى فقهاء البلاد فى ذلك الوقت: وهو معرفة القواعد الأولية من الحساب. وكان ديوان المدارس يكل إلى

---

(١) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٤٤ رقم ٧ إلى مديرية الغربية فى ٢٧ رجب ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٢٣ (مدارس عربى) ص ١٩٩ رقم ٣٨٣٦ من مديرية بنى سويف والفيوم فى ٣ ربيع الثانى ١٢٨٦

(٣) دفتر ٤٤١ (مدارس عربى) ص ١٥٢ رقم ٣ من مديرية المنيا وبنى مزار فى ٢٩ صفر ١٢٨٨

وجوه الناحية وعلمائها — كالقاضى أو شيخ الجامع الأحمدى مثلا — أمر اختيار المعلمين « اللائقين » وإفادة الديوان[١] .

وبذلك كانت صعوبة الحصول على المؤدبين العارفين بالحساب معطلة لتنفيذ إصلاح هام وأساسى فى برنامج التعليم بالكتاتيب وهو إدخال مادة الحساب أو باب « العدية » على التخصيص . فأحد المفتشين بعد ثلاث سنوات من وضع اللائحة يقرر أن « معلمى المكاتب — فى إحدى المديريات — فيهم الكفاءة التامة لتعليم القرآن والخط العادى » ، ولكنه لا يذكر شيئاً عن الحساب[٢] .

وفى المحفل العام الذى عقد بدار العلوم لامتحان تلامذة المكاتب بالقاهرة كانوا يتنافسون « فى تجويد القرآن وكان كل مكتب يفاخر غيره بكثرة شبابه الذين أتموا التجويد ووصلوا إلى غاية إتقانه ، وقد أنشأ ذلك فى الحاضرين ابتهاجا وسروراً »[٣] .

وفى سنة ١٨٨٠ ذكر قومسيون تنظيم المعارف فى تقريره أن التعليم فى الكتاتيب مازال مقصوراً على حفظ القرآن والقراءة والكتابة[٤] .

والواقع أن (تقوية) منهج الدراسة بهذه الكتاتيب لم يبدأ إلا بعد ضم كتاتيب الأوقاف إلى المعارف فى سنة ١٨٩٠ . ثم كان من الواضح أنه لا يتسنى إيجاد المعلمين الأكفاء إلا بإنشاء مدارس خاصة لتخريج المعلمين للكتاتيب ، وقد اقترح إنشاءها

---

(١) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٤٥ رقم ١٠ إلى مديرية الجيزة وأطفيح فى ٢٠ شوال ١٢٨٥ ، Mc . Coan, op. cit. p 224

(٢) روضة المدارس : العدد ٢ فى غاية المحرم ١٢٨٧

(٣) روضة المدارس : العدد ١٦ فى غاية شعبان ١٢٨٨

(٤) تقرير القومسيون : ص ١١

« قومسيون تنظيم المعارف » فى تقريره فى سنة ١٨٨٠ (١) ، ولكنها لم تنشأ فعلا إلا فى سنة ١٩٠٤ حين أنشئت مدرسة عبد العزيز للمعلمين بعد عام من إنشاء مدرسة المعلمات ببولاق (٢) .

العقبة الثالثة : كان تفتيش عمال الحكومة على هذه الكتاتيب وتفقد أحوالها بغية الوقوف على حالها من حيث المستوى الصحى والعلمى لتلامذتها ومؤديها شيئاً جديداً لم يألفه أهل البلاد عامة وأصحاب الكتاتيب من الفقهاء خاصة ، وقد عدوه تدخلا (حكومياً) فى أخص شئونهم وأكثرها اتصالا برزقهم يصحبه ما يصحب التدخل (الحكومى) عادة من إرهاق وعنت . وهم يرون أن هـذا التفتيش يتبعه فى أغلب الأحيان إغلاق لبعض مكاتبهم ، وفى ذلك ما فيه من تعطيل للمصدر الرئيسى — والوحيد أحيانا — الذى منه يتعيشون (٣) أو تكليفهم ما يطيقون وما لا يطيقون فى سبيل (إصلاح) مكاتبهم على النحو الذى يرضى المفتش ، وهم يرون أن المفتشين يستعدون عليهم السلطات الإدارية لتنفيذ ما يشاءون . ويلوح أن بعض المفتشين قد غالى فى تقدير مهمته فلجأ إلى العنف لتحقيق ما أراد ، ومن ذلك « حبس الفقهاء وإهانتهم » (٤) ، لهذا لم يكن عجيباً إذا تسامع أصحاب الكتاتيب بوصول المفتش إلى

---

(١) ص ١١ و ١٢

(٢) وزارة المعارف العمومية : تقرير (عن حركة تطور التعليم الأولى خلال المائة عام الماضية) ؛ Robb, op. cit. p. 4.

(٣) دفتر ٤٤٢ (مدارس عربى) ص ١٨٨ رقم ١٤٣٠ من مديرية المنوفية فى ٥ المحرم ١٢٨٨

(٤) دفتر ٤٣٤ (مدارس عربى) صر ٩٦ رقم ٢٩ من مديرية الغربية فى ٥ جمادى الثانية ١٢٨٧

بلدهم فأغلقوا مكاتبهم وسرحوا أطفالهم وانصرفوا إلى بيوتهم ، حتى إذا وصل المفتش لم يجد شيئاً (١) . وظلت حالة الحذر هذه قائمة وقتاً طويلا . ومن ذلك أنه فى سنة ١٨٧٥ حين شرع دور بك (المفتش العام) فى وضع إحصاء مفصل لـكتاتيب المدن والقرى وأنفذ لذلك مفتشيه ليجمعوا له البيانات اللازمة عنها لم يستطع أن يحصل على أرقام مضبوطة ، لأن « مدارس الأقاليم الصغيرة لا تدرك دائما الغرض من إجراء تفتيش منتظم وكثير منها تختفى (تتوارى) حذراً من كل تجديد » (٢) .

ولم يستطع ديوان المدارس — ونظارة المعارف من بعده — أن يتغلب على هذه العقبة إلا بعد جهد وصبر طويلين .

هـــذه هى العقبات التى صادفها مشروع تنظيم الـكتاتيب الأهلية وإصلاحها على النحو الذى رسمته لائحة رجب ١٢٨٤ (١٨٦٧) ولقد كانت كفيلة أن تعوق تنفيذ المشروع فى جملته وتفاصيله .

---

(١) دفتر ٤٤٧ (مدارس عربى) ص ٤٣ رقم ٦ إلى مديرية جرجا فى ٢٦ شوال ١٢٨٨

(٢) Minist. de l'Instruction Publique, Statist. des Ecoles Civiles. 1875 p. 7.

ومن ذلك أنه فى ســـنة ١٨٩٨ حين سن نظام إعانة الـكتاتيب لتشجيع أصحابها ومساعدتهم على رفع مستوى التعليم فى مكاتبهم وإصلاح أماكنها وتوفير أمتعتها كان عدد الـكتاتيب الأهلية التى طلبت الاعانة قليلا بالنسبة لعدد جميع الـكتاتيب ، ويرجع ذلك إلى أن الفقهاء على وجه العموم كان عندهم سوء الظن بمشروع الإعانة فى مبدأ تنفيذه ، فعوضا عن أن يعتبروه طريقة لتشجيعهم بواسطة المكافأة لأن يؤهلوا أنفسهم تدريجيا إلى تأدية وظيفتهم ، كانوا يظنونه وسيلة اتخذتها الحـكومة لوضع يدها على كتاتيبهم ، فبناء على هـــذه الأوهام امتنعوا إلا القليل منهم عن تقديم طلبات الإعانة ، وزارة : المعارف العمومية : تقرير عن تطور التعليم الأولى . . ألخ .

حتى إذا كانت سنة ١٨٧٤ وشرع رياض باشا ناظر المعارف يعاونه دور بك المفتش العام للمدارس والمكاتب فى تنظيم التعليم ورفع مستواه بوضع مناهج الدراسة واللوائح المنظمة لقبول التلاميذ فى المدارس وتحديد واجبات النظار والمعلمين ووضع مشروع لإنشاء مدرسة للمعلمين (١) . . . الخ كان من الطبيعى أن لا يغفلا أمر التعليم فى الكتاتيب وهو الأساس الذى يجب أن يقوم عليه كل نظام تعليمى قومى ، فنشط المفتشون للتفتيش ونشط الديوان إلى الاتصال بالسلطات الإدارية ووضع إحصاء للكتاتيب فى جميع أنحاء البلاد (٢) . على أن الأمر لم يتعدّ حد التفتيش وكتابة التقارير ودعوة السلطات الإدارية إلى معاونة (المدارس) فى رفع المستوى العلمى والصحى للكتاتيب (٣) . على أنا لا نرى أن هذا كله قد ذهب عبثاً ، فإذا كانت الدعوة إلى الإصلاح لم تثمر فى وقتها ، إلا أنها لا شك قد نبهت الأذهان إلى ضرورة السعى لرفع الكتاتيب من الوهدة التى كانت متردية فيها ووضعت بذلك الأساس لمجهود الحكومات والأفراد ، ويكفى أنها وضعت ذلك المبدأ الذى ستقوم عليه كل المحاولات والجهود : وهو مبدأ إخضاع الكتاتيب لرقابة الدولة على اعتبار أنه السبيل الوحيد

---

(١) انظر فيما سبق ص٦٧ — ٧٤

(٢) Ministère. de l' Instruction publique, Statistique des Ecoles Civiles. 1875. Ecoles primaires arabes inspectées dans les grandes villes et les provinces. pp. 17 — 135.

(٣) دفتر ٤٧٠ (مدارس عربى) ص ٩٦ رقم ٤٤ إلى مديرية الغربية فى ١٣ جمادى الأولى ١٢٩١ : من تقرير المفتش عن مكاتب الغربية فى يونية ١٨٧٤ أى بعد سبع سنين من لائحة رجب ، أنه وجد إدارتها فى طريقة غير مستقيمة الأحوال خصوصا نظافتهم (كذا) وإقامتهم بمحلات وخيمة غير لايقة بالصحة البشرية كما وعدم التفات الخوجات للتعليم ... » .

لرفع مستواها العلمى والصحى واتخاذها أداة صالحة لنشر التعليم الأولى فى البلاد ، كما أن عناية الحكومة بالكتاتيب واعتبارها إياها المصدر الذى يمون مدارسها الأميرية بالتلاميذ المبتدئين واهتمام الحكومة بحياة التلاميذ الصحية والتعليمية بتلك الكتاتيب كل هذا لا شك كان حافزاً على زيادة إقبال الناس على تعليم أبنائهم بها ، ومن ثم كانت الزيادة المطردة فى عدد تلاميذ الكتاتيب كما نرى فى الإحصاءات التالية التى جمعناها أو استنتجناها من مصادر متعددة :

سنة	(١) ١٨٦٩	(٢) ١٨٧١	(٣) أوائل ١٨٧٣	(٤) نهاية ١٨٧٣	(٥) ١٨٧٤	(٦) ١٨٧٤ أوأوائل ١٨٧٥	(٧) ١٨٧٥	(٨) ١٨٧٨	(٩) ١٨٨٦ — ١٨٨٧
عدد الكتاتيب	—	١,٢١٩	٢,٠٦٧	٢,٦٢٤	—	٣,٧٠٨	٤,٦٨٥	٥,٣٧٠	٧,١٤٢
عدد المعلمين	—	—	٢,٠٧٧	٢,٦٩٦	—	٣,٨٣٦	٤,٨٨١	٥,٧٢٥	٧,٧٦٤
عدد التلاميذ	٦٠,٠٠٠	٤٤,٠٩٥	٦٩,٨٥١	٨٢,٢٥٦	٩٠,٠٠٠	٩٨,٣٠٨	١١١,٨٠٣	١٢٧,٥٥٣	٢٠,١٢١

---

(١) De Régny, Statistique 1870. p. 91, Notice sur les établissements d' Instruction Publique en Egypte 1869. p. 9.

(٢) De Régny, Statistique 1872 P. 109 , Dor , L' InstructionPublique en Egypte P. 379

وقد أضاف دور الى هذا العدد ٤ مدارس للسوريين والأرمن وبها ١٠٤ تلاميذ — ولكن عند توزيع الكتاتيب على المحافظات والمديريات اختلف المصدران . وإحصاء سنة ١٨٧١ هو أول إحصاء للكتاتيب موزعة على القاهرة والاسكندرية والمحافظات والمديريات .

(٣) De Régny. Note statistique sur les Progrès des Ecoles en Egypte. (N. 13. 1875. pp. 234—237.)

المحافظات والمديريات	سنة ١٨٧١ (١)					سنة ١٨٧٣ (٢)			سنة ١٨٧٥ (٣)			سنة ١٨٧٨ (٤)				
	عدد المكاتب	عدد التلاميذ	عدد الأهالى لكل مكتب	عدد الأشخاص بالنسبة للتلميذ الواحد	عدد القرى لكل مكتب	عدد المكاتب	عدد المعلمين	عدد التلاميذ	عدد المكاتب	عدد المعلمين	عدد التلاميذ	عدد المكاتب	عدد التلاميذ	متوسط عدد التلاميذ بالمكتب	عدد السكان	عدد الأهالى للمكتب الواحد	عدد التلامذة من كل ألف شخص
القاهرة وضواحيها	٢٩١	٩٧٧٩	٢٠٣٤	٦١	—	٢٨٥	٣٣٢	١٠٥٧٧	٢٦٥	٢٧٥	٨٨٧٥	٢٧٨	٨٥٦٥	٣١	٣٢٧٤٦٢	١١٧٨	٢٦
الاسكندرية	٤٦	٣٢٨٤	٦٠٨٧	٨٥	—	١٢٧	١٣٧	٢٢٠٦	١٣٧	٢١٢	٣١١٤	١٨٢	٤٣١٦	٢٤	١٦٥٧٥٢	٩١١	٢٦
دمياط	—	—	—	—	—	٢٨	٢٨	١٤٣٠	٢٨	٢٨	١٤٣٠	٣٣	١٣٩٢	٤٢	٣٢٧٣٠	٩٩٢	٤٢
رشيد	١٤	٣٨٥	٢١٤٣	٧٨	—	١٤	١٤	٥٣٨	١٢	١٢	٣٧٦	١١	٢٠٢	١٨	١٦٢٤٣	١٤٧٧	١٢
السويس	—	—	—	—	—	١١	١١	٣٦٣	١١	١١	٣٦٣	١٥	٥٨٧	٣٩	١١٣٢٧	٧٥٥	٥٢
بورسعيد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٩	٣١٠	٣٤	٣٨٥٤	٤٢٨	٨٠
الاسماعيلية	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٤	١٠٤	٢٦	١٨٩٧	٤٧٤	٧٥
البحيرة	٢١	٥٨٢	—	—	—	١٩٥	١٩٥	٥٤٣٢	١٨٩	١٨٩	٤٦٠٦	٢٧٥	٦٥٠٣	٢٤	٢٣٨٥٩٠	٨٦٥	٢٧
المنوفية	١٤٤	٦٢٣٠	١٥٨٣	٢٧	٢½	٢٧٦	٢٧٦	١١٧٥٥	٦٣٠	٦٦٦	١٤١٩٥	٦٤٢	١٦٩٢٦	٢٦	٤٨٤٥٥٠	٧٥٤	٣٥
الشرقية	٣٣	١٠١٩	١٠٦٠٦	٢٤٣	٢١	١٠٨	١٠٨	٢٤٦٧	٥٠٧	٥١١	٩٢٦٠	٥٤٧	١٣٤٢٥	٢٥	٤١٤٤٧٠	٧٥٨	٣٢
الدقهلية	٨٨	٢٦٥٦	٣٧٥٠	١٢٤	٦	٣٢٦	٣٢٥	٩٤٢٢	٤٤٠	٤٤٢	١٠٥٠١	٥٩٤	١٣٥٨١	٢٣	٥٣١٩٥٤	٨٩٥	٢٦
الغربية	١١١	٢٦٦١	—	—	—	٢٥٠	٢٥٠	٥٦٨٣	٩٥٥	٩٦٢	١٦٤٠٩	٩٩٣	٢٢٦٩٣	٢٣	٦٧٨٩٧٩	٦٨٤	٣٤
القليوبية	٤٤	٩٨٢	٣٨٦٤	١٧٣	٥	١٣٧	١٣٧	٣٠٨٢	١٩١	٢٠٥	٥١٢٣	٢٣٧	٦٦٣٥	٢٤	٢٠٥٣٨٠	٨٦٧	٢٧
الجيزة	٢٣	٥٥٤	٨٦٩٦	٣٦١	٢٠	١٦٧	١٦٧	٤٢٣٤	١٦٦	١٧٤	٤١٩١	٢٣٣	٥٣١١	٢٣	٢٧٠٠٧٢	١١٥٩	٢٠
بنى سويف	٨٢	٢٤٩١	٤٨٧٨	١٠٠	١٣	٧٨	٨٢	٢٣٧١	٧٩	٨١	٢٦٠١	١٢٢	٣٤٩٦	٢٨	١٤٠٨٤٨	١١٥٤	٢٥
الفيوم						٧٣	٧٣	٢٣٠٠	١٠٤	١٠٤	٢٦٩٤	١٠٢	٢٦٢٩	٢٥	١٧٣٦٥٥	١٧٠٢	١٥
المنيا	٤١	١٥٣٠	٩٢٦٨	٢٤٨	٢٢	١٧٨	١٩٥	٤٦٥١	١٨٨	١٩٥	٤٦٥١	٢١١	٥٥٠٣	٢٦	٣٣٨٦١٦	١٦٠٥	١٦
أسيوط	١٥٧	٧٨١٢	٢٦٢٤	٥٣	٥	١٥٠	١٥٠	٧٦٠٥	٢٨٣	٣٠٠	٨٤٨٣	٣٥٧	٩٠٤٦	٢٥	٤٦١٦٧٩	١٢٩٣	١٩
جرجا	١٢٤	٤١٣٠	٢٩٨٤	٩٠	٤	١٦٤	١٦٤	٥٧٥٠	٢٥٧	٢٦٣	٧٦٣٦	٢٧٠	٨٩٢٠	٣٣	٤١٧٨٦٩	١٥٤٧	٢١
قنا	—	—	—	—	—	٥٨	٥٨	٢٣٩٠	١١٣	١١٦	٣١٧٥	١٠٤	٣٥٠٦	٣٣	٣١٠٢٥٧	٢٩٨٣	١١
إسنا	—	—	—	—	—	—	—	—	١٣٠	١٣٥	٤١٢٠	١٥١	٤٩٠٣	٣٢	٢٨١٥٩٣	١٨٦٥	١٨
المجموع	١٢١٩	٤٤٠٩٥	—	—	—	٢٦٢٤	٢٦٩٦	٨٢٢٥٦	٤٦٨٥	٤٨٨١	١١١٨٠٣	٥٣٧٠	١٣٧٥٥٣	٢٦	٥٥١٠٢٨٣	—	٣٠

(١) Dor, op cit. p. 379 ويتفق معه De Regny Statistique. P.72: فى مجموع عدد التلاميذ (٤٤٠٩٥) بعدانقاص تلامذة المكاتب السورية والأرمنية التى ذكرها إحصاء دور بك ولكنهما يختلفان فى توزيع التلاميذ على المحافظات والمديريات ، وقد اعتمدنا هنا على إحصاء دور بك لانه أكثر تفصيلا . ويلاحظ أن هذا الإحصاء ينقصه مكاتب محافظتى دمياط والسويس ومديريتى قنا واسنا ومكاتب (مراكز) مديرية البحيرة.

(٢) Programmes et tableaux Statistiques.

(٣) Statistique des Ecoles Civiles. 1875.

(٤) تقرير قومسيون تنظيم المعارف ص ٨

والإحصاء التالى يبين عدد المكاتب وتلاميذها موزعة على المحافظات والمديريات :

= و De Régny Bey له احصاء آخر للكتاتيب فى سنة ١٨٧٣ (Statistique 1873) ذكر فيه أنها كانت ٢٠٦٧ر٢ كتاباً بها ٣٨١ر٢ معلما و٢٩٢ر٧٧ تلميذاً ، إذا أنقصنا منهم معلمى الازهر (٣١٤) وطلبته (٩٤٤١) كان عدد معلمى الكتاتيب ٢٠٦٧ر٢ معلماً وعدد تلامذتها ٨٥١ر٦٧ تلميذا .

(٤) المصدر السابق و Programmes. des Ecoles du Gouvernement et tableaux Statistiques. 1873.

وهذا الاحصاء مفصل أيضا إذ فيه عدد الكتاتيب بالمحافظات والمديريات .

(٥) وثيقه بقسم المحفوظات بعابدين Pall Mall Budget 28 Aout 1874.

(٦) De Régny, Note Statistique sur les Progrès des Ecoles.

ونتيجة احصائية عمومية للدارس والمكاتب بالقطر المصرى عن سنة ١٢٩٢ هلالية (١٨٧٥) ص ٣٤٦ ونشر بالفرنسية بعنوان : —

Ministère de l' Instruction Publique. Statistique des Ecoles Civiles 1875.

وهو الاحصاء المفصل جدا الذى وضعه دوربك المفتش العام للدارس والمكاتب ونشره فى القاهرة فى ديسمبر ١٨٧٥ مع مقدمة بقلمه .

(٧) المصدر السابق

(٨) تقرير قومسيون تنظيم المعارف (سنة ١٨٨٠) ص ٦ ، E. Plauchut : l' Egypte et l'Occupation anglaise, 1889. p. 231.

(٩) Minist, de l' Instruction publique. 3 ième rapport. 1887. p. 198.

وواضح أن إحصاء سنة ١٨٦٩ ليس دقيقا بل هو مبالغ فيه كثيراً . أما إحصاء سنة ١٨٧١ وهو الذى نشره فى سنة ١٨٧٢ « دور بك » فى كتابه عقب حضوره إلى مصر لأول مرة كما أورده « De Régny » فى إحصاءاته التى نشرها فى سنة ١٨٧٢ فهو أول إحصاء (رسمى) وضعه ديوان المدارس بناء على تقارير مفتشيه عن زياراتهم للكتاتيب ثم رفعه إلى الخديو مع بيان آخر بعدد تلامذة الكتاتيب الذين امتحنهم مندوبو الديوان فى القاهرة والاسكندرية [1] . ولكن إحصاء سنة ١٨٧١ غير كامل إذ تنقصه كتاتيب مديريتى قنا وإسنا ومراكز مديرية البحيرة كما تنقصه أيضاً كتاتيب دمياط والسويس وبورسعيد والإسماعيلية ، ويبدو أن (التفتيش) لم يكن قد وصلها بعد .

أما إحصاء أواخر سنة ١٨٧٣ فقد نشره ديوان المدارس ضمن بيان باللغة الفرنسية عن برامج الدراسة فى المدارس المختلفة — الأميرية والأهلية — وعدد تلامذتها وقد جاء — كإحصاء السنة السابقة — مفصلا . فالكتاتيب موزعة فى القاهرة والإسكندرية على (أقسامها أو أثمانها) وفى المديريات على قاعدة المديرية ومراكزها ، وزاد على إحصاء السنة السابقة أنه لم يكتف بعدد الكتاتيب وعدد التلاميذ بل زاد عليها عدد المعلمين ومكاتب مديرية البحيرة كلها ودمياط والسويس ومديرية قنا .

أما إحصاء أوائل سنة ١٨٧٥ فقد نشره (De Régny Bey) فى بيان وضعه على سبيل المقارنة بغية إظهار تقدم التعليم فى مصر — مدعماً بالأرقام — من أوائل

---

(١) دفتر ٤٤٨ (مدارس عربى) ص ١٩٦ رقم ١٦ إلى المعية السنية فى ١٧ ذى الحجة ١٢٨٨

سنة ١٨٧٣ إلى أوائل سنة ١٨٧٥ ، واكتفى فيه بعدد الكتاتيب والمعلمين والتلاميذ من غير أن يتكلف عناء توزيعهم على المحافظات والمديريات .

أما إحصاء سنة ١٨٧٥ فهو بلا شك أكثر الإحصاءات السابقة دقة ، ولا غرو فهو ثمرة التفتيش الذى نظمه ديوان المدارس لأول مرة عقب صدور لائحة رجب سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) ثم عاد فانتعش بتولى دور بك رياسته فى مارس ١٨٧٣ . وقد نشر دور بك إحصاءه العام عن المدارس والمكاتب الأميرية والأهلية والأزهر ومدارس الجاليات الأجنبية والطوائف غير الإسلامية باللغتين الفرنسية والعربية فى ديسمبر ١٨٧٥ ووضع له مقدمة قصيرة (وتلاحظ هنا أن ترجمتها العربية التى نشرت فى نسخة الإحصاء العربية غير دقيقة بل وفيها أخطاء كثيرة) . ويمتاز البيان الخاص بالكتاتيب بأنه اشتمل — لأول مرة — على إحصاء كتاتيب مديرية إسنا وتلامذتها ومعلميها « بناء على ماحصل الآن من إتمام التفتيش على المكاتب بالأقاليم والمحافظات بالقطر المصرى من إسكندرية إلى وادى حلفا » ، كما يمتاز بالتفصيل التام : فقد أورد المكاتب مكتباً مكتباً مقرونة بأسماء أصحابها أو فقهائها ، ولهذا فقد استغرق إحصاء الكتاتيب الشطر الأكبر من هذا الإحصاء العام . على أن هذا الإحصاء — كما ذكر دور بك نفسه — ليس دقيقاً كل الدقة للأسباب التى أبداها وسنذكرها بعد قليل .

ويلى ذلك الإحصاء الذى وضع فى سنة ١٨٧٨ واعتمد عليه « قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ » ونشره فى تقريره الذى صدر فى نوفمبر من هذه السنة ، ولم يرد به عدد معلمى الكتاتيب ، ولكنه — بمقارنة عدد الكتاتيب وتلامذتها بعدد السكان فى كل محافظة ومديرية — أتى ببيانات طريفة : كمتوسط عدد التلامذة فى المكتب ومتوسط عدد الأهالى المكتب الواحد وعدد التلامذة من كل ألف من الأهالى ، وقد نقلنا هذه البيانات فى الإحصاءات التى أوردناها .

والمتتبع لهذه الإحصاءات — فى سنى ١٨٧١ و١٨٧٣ و١٨٧٥ و١٨٧٨ — يستطيع أن يلاحظ الملاحظات التالية :

أولا — يلاحظ أن العمل فى المكتب كان يقع فى الغالب على كاهل معلم واحد . فقد رأيت أن عدد الكتاتيب فى إحصاء سنة ١٨٧٨ بلغ ٥٣٧٠ كتاباً وعدد معلميها ٥٧٢٥ معلماً ، فيخص كل ١٠٠ كتاب ١٠٦ من المعلمين . والواقع أنه لم يكن ثمة إرهاق لهؤلاء المعلمين ، فقد كان متوسط عدد التلاميذ بالمكتب ٢٦ تلميذاً وهو عدد معقول نجده فى كثير من البلاد الأجنبية ، كما يظهر من الاحصاءات التى نشرها تقرير قومسيون سنة ١٨٨٠ .

ثانياً — نلحظ الزيادة المطردة فى عدد الكتاتيب وتلامذتها ومعلميها ، فقد بلغت هذه الزيادة :

الزيادة فى عدد	بين سنتى ١٨٧١ — ١٨٧٣	بين سنتى ١٨٧٣ — ١٨٧٥	بين سنتى ١٨٧٥ — ١٨٧٨
المكاتب	١,٤٠٥	٢,٠٦١	٦٨٥
التلامذة	٣٨,١٦١	٢٩,٥٤٧	٢٥,٧٥٠
المعلمين	غير معروف فى ١٨٧١	٢,١٨٥	٨٤٤

أو بعبارة أخرى تكون الزيادة فى عدد الكتاتيب وتلامذتها فى عصر إسماعيل ، أو بعبارة أدق منذ نظم التفتيش ووضع أول حصاء رسمى فى سنة ١٨٧١ إلى سنة ١٨٧٨ أى قبل انتهاء حكم اسماعيل بعام واحد : ٤,١٥١ مكتباً و ٩٣,٤٥٨ تلميذاً .

أما فى السنوات التسع التالية لإحصاء سنة ١٨٧٨ فقد زادت عدد المكاتب ١,٧٧٢ مكتباً، ولكن نقص عدد التلامذة ١٧,٤٣١ تلميذاً وهو نقصان لا نجد ما يبرره.

ويظهر اطراد الزيادة فى عدد المكاتب من دراسة عدد الأهالى بالنسبة إلى عدد المكاتب فى محافظتهم أو مديريتهم فى أول عام وآخر عام وضع فيه إحصاء رسمى فى عصر إسماعيل، أى فى عامى ١٨٧١ و ١٨٧٨ :

المحافظة أو المديرية	عدد الأهالى للمكتب الواحد	
	سنة ١٨٧١	سنة ١٨٧٨
القاهرة	٢٠٣٤	١١٧٨
الإسكندرية	٦٠٨٧	٩١١
الدقهلية	٣٧٥٠	٨٦٧
المنوفية	١٥٨٣	٧٥٤
المنيا	٩٢٦٨	١٦٠٥

وهكذا. ومن هذه الإحصاءات ترى أن أكبر زيادة فى عدد الكتاتيب كانت بين سنتى ١٨٧٣ و ١٨٧٥، ونستطيع أن نعلل هذه الزيادة بما يلى :

(١) دقة الإحصاء العام الذى تم فى سنة ١٨٧٥ بالنسبة إلى الإحصاءات السابقة ولو أن دور بك نفسه يذكر — فى مقدمة هذا الإحصاء —[١] أن عدد الكتاتيب أقل من الحقيقة لسببين :

الأول : انعدام المعلومات الكافية، لأن أصحاب الكتاتيب فى المديريات لم يفهموا

(١) Statisique des Ecoles Civiles. 1875. pp. V—VI.

الغرض الحقيق من التفتيش ، ولهذا لم تظهر فى الإحصاء كتاتيب كثيرين منهم .

والآخر أن التفتيش على أكثر من مديرية حـــدث فى وقت جنى المحصول أو ارتفاع فيضان النيل حين خرج الأهالى جميعاً إلى الحقول أو الى جسور النيل ، ولهذا فان عدد التلاميذ فى هـذا الإحصاء (سنة ١٨٧٥) جاء أقل من الحقيقة بكثير .

(٢) انتهاء التفتيش على مكاتب القطر جميعاً (من الإسكندرية إلى وادى حلفا كما ذكر دور فى مقدمة الإحصاء) ، ولم تكن مكاتب الصعيد الأعلى قد أحصيت فى الإحصاءات السابقة .

(٣) ونعيد هنا ماسبق أن ذكرناه من أن عناية حكومة إسماعيل بالكتاتيب الأهلية وسعيها إلى رفع مستواها الصحى والتعليمى حتى يفيد التلاميذ من ترددهم عليها الفائدة المرجوة قد أدى إلى أن تبدأ هذه الكتاتيب فى عهد إسماعيل حياة جديدة ، فأخذت تجذب اليها تلاميذ أكثر من ذى قبل وأقدم (فقهاء) كثيرون على فتح مكاتب جديدة ، ومن هنا كانت الزيادة المطردة فى عدد المكاتب وتلامذتها ومعلميها .

(٤) هـذا إلى أن الحكومة قد رفعت مستوى الدراسة بالمدارس الابتدائية سواء الأميرية أو الأهلية فجعلتها — على حد تعبير تقرير قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ — مدارس ابتدائية راقية أو عالية وألزمت تلامذتها المبتدئين معرفة القراءة والكتابة وقليل من الحساب[1] ، ويستطيع التلميذ أن يتلقى هذه (المبادىء)

---

(١) لم يكن يشترط فى تلامذة المدارس والمكاتب الابتدائية التى أنشأتها حكومة محمد على معرفة القراءة والكتابة ، بل كانوا كما قالت لائحة تنظيم التعليم الابتدائى فى سنة ١٨٣٦ « مبتدئين عجما » ، ولذلك فان مستوى الدراسة فيها لم يكن يعلو كثيرا على مستوى الكتاتيب الأهلية (انظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ١٤٧ ، ص ١٧٤)

فى بيته ، ولكنه يتلقاها فى الغالب على أيدى (فقيه) فى أحد الكتاتيب المنتشرة فى المدن والقرى ، وقد رأيت أن لائحة رجب (المادتان ١٨ و ٣٢) قد أذنت لمن يشاء من صبية الكتاتيب المنتهين أن يلتحقوا بالمدارس الأميرية . وبذلك (نظمت) الصلة بين الكتاتيب الأهلية والمدارس الأميرية وزاد إقبال الأهالى على تعليم أبنائهم بالكتاتيب لتعدهم للحاق بالمدارس الأميرية .

(٥) ويمكن أن نضيف إلى ما تقدم أن نشاط الحركة التعليمية فى البلاد كلها — ويتمثل فى افتتاح المدارس الأميرية وتنظيم المكاتب الأهلية والسعى إلى إصلاح الازهر والكتاتيب وازدياد المدارس الأجنبية وانتشار الصحف والكتب ويقظة الرأى العام ألخ — هذا كله لاشك قد نبه أذهان المصريين إلى العمل على تعليم أبنائهم وليس أمامهم من معاهد لتلقين التعليم (الأولى) سوى هذه الكتاتيب التى تقوم بينهم منذ عهد بعيد والتى يتمتعون فيها (بحرية) لا يجدونها فى غيرها ، إذ لا يحفزهم على موالاة التعليم فيها أو الانقطاع عنه سوى مطلق الرغبة وتوفر أسباب الرزق ، وهكذا أصاب الكتاتيب الأهلية حظ كبير من النهضة التى أصابت التعليم فى مصر على وجه العموم .

ثالثاً — على أنا نلاحظ أنه بالرغم من هذه الزيادة المطردة فإن انتشار الكتاتيب فى المدن والقرى كان بطيئاً :

ونعتمد فى بيان ذلك على آخر إحصاء فى عهد إسماعيل وهو إحصاء سنة ١٨٧٨ : فى هذا الإحصاء قدر أن لكل ١٠٢٨ نفساً من الأهالى مكتب واحد [١] ، وكانت

---

(١) ويقرب من هذه النسبة من الدول الأوروبية (فى ذلك الوقت) هولندا (لكل ١٠٣٥ر١ نسمة مدرسة) واليونان (١٠٦٢ر١) وأكثر من ذلك النمسا والمجر (٢٧٦ر١) =

نسبة عدد التلاميذ إلى عدد الأهالى تتراوح بين ٨٠ فى الألف (أى ٨٠ تلميذا بين كل ألف من الأهالى (فى بورسعيد) و ١١ فى الألف (فى قنا). ويمكن ترتيب المحافظات والمديريات بنسبة انتشار التعليم فيها كما يلى :

المحافظة أو المديرية	النسبة	المحافظة أو المديرية	النسبة
بورسعيد	٨٠ فى الألف	الاسكندرية	٢٦ فى الألف
الاسماعيلية	٧٥ »	الدقهلية	٢٦ »
السويس	٥٢ »	بنى سويف	٢٥ »
دمياط	٤٢ »	جرجا	٢١ »
المنوفية	٣٥ »	الجيزة	٢٠ »
الغربية	٣٤ »	أسيوط	١٩ »
الشرقية	٣٢ »	إسنا	١٨ »
البحيرة	٢٧ »	المنيا	١٦ »
القليوبية	٢٧ »	الفيوم	١٥ »
القاهرة	٢٦ »	رشيد	١٢ »
		قنا	١١ »

والمتوسط العام ٣٠ تلميذا من كل ألف من الأهالى .

= والروسيا (٢٫٣٠١). وأكثر دول أوروبا من حيث عدد المدارس النرويج : فلكل ٢٨٠ نفسا من أهلها مدرسة وفى انجلترا ٥٨٢ وفى فرنسا ٥١٨ (انظر تقرير قومسيون تنظيم المعارف فى ١٨٨٠ ص ٩ — ١٠)

وبإيجاد النسبة بين عدد التلاميذ فى ذلك الإحصاء (فى سنة ١٨٧٨) وهو ١٣٧,٥٥٣ تلميذا وعدد المكاتب وهو ٥٣٧٠ مكتباً وبمجموع عدد السكان وهو ٥,٥١٠,٢٨٣ نسمة يكون متوسط كل مكتب ٢٥ أو ٢٦ تلميذا فقط ، ويكون لدينا تلميذ واحد بين كل ٤٠ نفساً من الأهالى ، وإذا قدرنا — مع دوربك — أن عدد الأطفال الذكور الذين بلغوا سن الدخول فى المدارس بلغ ٣٣٤,٠٠٠ طفل نرى أن ٤١٪ منهم يتلقون مبادئ التعليم الأولى وأن ٥٩٪ منهم محرومون منها . ويجب أن لا يغرب عن البال — حين تقدير نسبة المتعلمين إلى مجموع الأمة فى ذلك الوقت — أن نحو نصف مجموع الأمة ويتكون من الإناث كان محروما من تلق أى تعليم

الفصل الخامس

مشروع التعليم القومى

(مقترحات قومسيون تنظيم المعارف لتنظيم التعليم الابتدائى فى سنة ١٨٨٠)

وعلى هذا النحو كان التعليم الابتدائى — الأولى فى عصر إسماعيل وكانت معاهده . وقد رأيت أنها لم تكن كلها من نوع واحد أو فى مستوى واحد .

فهناك أولا :

المدارس الابتدائية (الراقية أو العالية) وتنتظم أنواع متعددة :

(١) المدرستان الأميريتان فى القاهرة والإسكندرية ، وقد حولت المدرسة الأخيرة إلى مكتب أهلى فترة من الزمن .

(٢) المدارس المركزية فى بنها وأسيوط وبنى سويف والمنيا والفشن .

(٣) المكاتب الأهلية الآتية بالقاهرة : القربية والجمالية وباب الشعرية ومصر القديمة والحسينية وعابدين .

ويصرف على المدارس المركزية والمكاتب الأهلية من إيرادات المكاتب الأهلية وأهمها إيراد جفلك الوادى .

(٤) المكاتب الأهلية التى ينفق عليها من ديوان الأوقاف وهى : رشيد والحبانية والشيخ صالح وشيخون وأبو العلا وقلاوون والإمام الشافعى والسيدة زينب (السلطان مصطفى والسلطان قايد باى) .

(٥) مكتبان ينفق عليهما من الروزنامة عن طريق ديوان الأوقاف : وهما مكتبا العقادين والنحاسين .

(٦) مكاتب ينفق عليها مؤسسوها من مالهم أو أوقافهم الخاصة : وهى أم عباس باشا وخليل باشا وحافظ باشا بالقاهرة وراتب باشا بالإسكندرية .

ولم يكن التباين فيما بينها قاصراً على اختلاف مواردها المالية بل كان موجوداً أيضاً فى مستوى التعليم بها ، وقد رأيت ما كان بينها من اختلاف كبير فى هذه الناحية .

وهناك ثانياً — الكتاتيب : ويدعوها تقرير قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ (مدارس التعليم الابتدائى ذى الدرجة الثالثة) وباللغة الفرنسية (Enseignement primaire du dégré Inférieur) تمييزاً لها عن المدارس الابتدائية الراقية أو العالية (Supérieures) . وقد رأيت كيف حاولت لائحة رجب ١٢٨٤ (١٨٦٧) أن تدخل هذه الكتاتيب الأهلية فى نظام التعليم العام ، وذلك بجعلها الأساس الذى يقوم عليه هذا النظام واستخدامها أداة لنشر التعليم فى مصر ، ورسمت لهذا إخضاعها لرقابة الدولة ممثلة فى ديوان المدارس تمهيداً لإصلاحها ورفع مستواها الصحى والتعليمى . وقد رأيت أن هذه الجهود الإصلاحية لم تؤت ثمرها وأن هذه المكاتب فى سنة ١٨٨٠ لم تتغير كثيراً عما كانت عليه فى الوقت الذى صدرت فيه لائحة رجب ، فإن التعليم فى الكتاتيب لم يسم — فى خطة الدراسة أو معلميه — إلى الدرجة التى تؤهله لإعداد تلامذته إعدادا حسناً للمدارس الابتدائية فالتجهيزية والعالية و « ظلت الهوة القائمة بين نظامى التعليم : العربى القديم والأوروبى الحديث من

الاتساع بحيث أن أحداً منهما لا يستطيع أن يمد يديه للآخر ويعملا متفقين جنباً إلى جنب » .

وهكذا أصبح نظام التعليم — على حدّ تعبير دوربك — يشبه الدرج الذى ينقصه عدة (درجات) لا يستطيع التلميذ اجتيازها بدون مساعدة خارجية وبدون أن يقف قليلا ليستعيد نشاطه قبل الاستمرار فى الصعود (١) .

وقد زار « دور » مصر فى الفترة التى تلت وضع لائحة رجب ، وعنى بدراسة نظام التعليم الأولى فى مصر فقرر الحقائق التى أسلفنا ، وخرج من دراسته إلى أن العيب الأساسى أن مصر لا تملك نظاما للتعليم بالمعنى القومى ، فلا التعليم فى الكتاتيب ولا التعليم فى المدارس الابتدائية التى أنشئت على النسق الأوروبى يحقق شيئاً من ذلك ، وفى رأيه أن مصر يجب أن تقيم على أنقاض هذين النوعين من التعليم نظاما تعليمياً « لاهو بالعربى ولا هو بالأوروبى ، بل هو قومى ثابت أصوله فى ثرى مصر نفسها »(٢) . وأدرك دور أن هذا المشروع العظيم يحتاج إلى المال والرجال . أما عن المال فقد قرر أن الحكومة المصرية يجب أن لا تتقهقر أمام أية تضحية فى سبيل تعميم التعليم الأولى بين الشعب ، وأن تعود الشعب على أن يسعى إلى التعليم بنفسه من غير أن يفرض عليه (من فوق) ، فان يكون للتعليم أساس قومى إلا حين يدرك الشعب قيمته ويجعل منه مسألته وملكه وأن يكون على استعداد لعمل كل شىء فى سبيل تقدمه ودفع الأذى

---

(١) Dor, L' Instruction publique en Egypte p. 301—303.

(٢) الأستاذ شفيق بك غربال . خبير سويسرى فى خدمة التعليم المصرى فى عهد اسماعيل ف . إدوار دوربك (مجلة التربية الحديثة . السنة العاشرة . العدد الرابع فى ابريل ١٩٣٧ ، ص ٣٧٧ — ٣٨٢) .

عنه كأثمن شيء يملكه [١] .

أما عن الرجال — ونقصد المعلمين الكفاة للنهوض بالتعليم الأولى — فقد اقترح دور لإعدادهم إنشاء مدرسة مركزية ومدارس فرعية للمعلمين . حتى إذا حققت مصر هذا كله حق لها أن تقرر مبدأ التعليم الإلزامى .

ووضع دور بك — المفتش العام للمدارس والمكاتب — نصب عينيه أن يتدبر الوسائل التى يحقق بها مشروعه فى إنشاء نظام التعليم الأولى القومى ، ولكن لم يتح له أن ينهض لتحقيق هذا الإصلاح الجوهرى إلا فى السنة الأخيرة من حياته (سنة ١٨٨٠).

فى سنة ١٨٨٠ تولى رياض باشا رياسة الوزارة وكان على ابراهيم باشا ناظراً للمعارف وعبد الله باشا فكرى وكيلا لها ، وكان دور بك قد عاد إلى منصبه فى رياسة التفتيش بالمعارف بعد عزله منه فى ٨ ابريل ١٨٧٩ . وكان لكل منهم خبرته الخاصة بمسائل التعليم ، وهكذا تضافرت الجهود لوضع سياسة التعليم فى مصر ونظمه على أساس سليم من الحاجة القومية . واستعين على ذلك بتكوين « قومسيون » أو لجنة لتنظيم التعليم ، وكان دور بك من أعضائها البارزين الذين اشتركوا بنصيب كبير فى توجيهها ، ولكنه مات قبل أن تتم اللجنة وضع تقريرها .

وكان طبيعياً أن يشغل التعليم الابتدائى — وهو الأساس الذى يقوم عليه أى نظام تعليمى — الجانب الأكبر من اهتمام ناظر المعارف وأعضاء اللجنة : رأى ناظر المعارف [٢] — ونلحظ من ورائه قلم دور بك وفكره — أن « التعليم الابتدائى

---

(١) Dor, op. cit. p. 313

(٢) انظر مذكرة ناظر المعارف إلى مجلس النظار فى مايو ١٨٨٠ فى (مجموعة الديكريتات ص ٢٤٥ — ٢٤٨) وقد أتى أمين باشا سامى فى كتابه (التعليم فى مصر ص ٣٦) على خلاصتها . ونشرناها كاملة فى الجزء الثالث (ملحقات) .

قليل الاتساع ولم ينتشر فى أى جهة بين الأهالى ماخلا المحروسة »، ورتب على ذلك نتيجته الحتمية وهى ضعف مستوى التعليم التجهيزى والتعليم الخصوصى . فالمدارس التجهيزية لا تستطيع أن تجد « تلامذة أنجاب مستعدة للتعليمات التجهيزية » والمدارس الخصوصية « تنجبر فى أكثر الأحوال على قبول تلامذة لم يستوفوا الحالة التجهيزية اللازمة »، وينتج من ذلك ضعف الأداة الحكومية على وجه العموم ، إذ تستخدم الحكومة « فى أكثر الأحوال بعض التلامذة فى خدامات ليسوا أهلا لها ، وقد سرى الاعتقاد وتشعب فى قلوب الجميع أن الحكومة المصرية ملزومة على أن تخدم جميع التلامذة الخارجين من المدارس بعد انتهاء الدراسة حتى من لم يصلوا إلى درجة الاستعداد التام» . ورأى على باشا إبراهيم أن لاسبيل إلى إصلاح هذا كله إلا « باتساع دائرة المعارف بين جميع أهالى الديار المصرية وسريانها بالتدريج حتى تصل إلى أهالى الأرياف لكى توجد عند ذرياتهم المستجدة احتياجا إلى التعليم وإحساساً بما لهم من الحقوق الوطنية وماعليهم من الواجبات فى حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة» وبذلك كان على إبراهيم باشا — فيما نعلم — أول من نبه الأذهان إلى الهدف (القومى) الذى يجب أن يتجه اليه التعليم الأولى فى مصر .

ورسم ناظر المعارف فى مذكرته إلى مجلس النظار السبيل إلى نشر التعليم الأولى — الابتدائى ، فجعله ثلاث درجات ، وأشار بأن تنشأ فى كل قرية مهمة مدرسة ابتدائية من الدرجة الثالثة وفى كل بندر أو مدينة صغيرة أو قرية كبيرة مدرسة من الدرجة الثانية وفى كل قاعدة مديرية أو مركز مهم عدد من المدارس الابتدائية من الدرجة الأولى .

وكان الناظر يدرك ما يحتاجه هذا المشروع الضخم من نفقات جمة لا قبل للحكومة

بتحملها جميعاً ، فاقترح « طاب مساعدة محدودة من الأهالى لهذا المشروع » مؤكدا « أن الأهالى ترغب زيادة فى المدارس التى يصرفون عليها أكثر من المدارس المستجدة التى تنسب للميرى خاصة » . وقدر ناظر المعارف خطر هذا المشروع ، فطالب أن تعبأ قوى الدولة جميعا للعمل لإنجاح هذا المشروع ، ويكون ذلك بواسطة « اجتماع جميع القوى المتعددة مهما كانت ضعيفة بانفرادها » .

وصدر الأمر بتأليف « قومسيون » للنظر فى مقترحات ناظر المعارف واقتراح أفضل الوسائل لتنفيذها ، وتلقى القومسيون آراء الناظر — وقد جعل رئيساً له — وعليها بنى دراسته ومقترحاته فى التعليم الابتدائى — الأولى ، وقد شغلت من تقريره الذى رفعه إلى الحكومة فى نوفمبر ١٨٨٠ مكان الصدارة[1] .

بدأ القومسيون دراسته ببحث مدعم بالاحصاءات لنوعى التعليم الابتدائى القائمين فى مصر فبدأ بالتعليم فى الكتاتيب وقد أسماه (التعليم الابتدائى ذى الدرجة الثالثة (Inférieur) وقد تكلم على هذا التعليم من ناحيتين :

الأولى مدى انتشاره : وقد دلل بالأرقام المختلفة عن التعليم فى مصر وفى الدول الأوروبية على أنه ليس منتشراً فى مصر بالدرجة التى تجعلنا نطمئن إلى كفايته لنشر التعليم بين الأهالى .

والثانية مستواه العلمى : فالتعليم فيها ما زال قاصراً على حفظ القرآن الكريم والقراءة والكتابة وما زالت طريقة التعليم فيها هى الطريقة (الفردية) : ويقصد بها أن المعلم يعنى بتعليم تلامذته كل منهم على حدة : فهذا يحفظ (الماضى) وذاك يكتبه فى (لوحه)

---

(١) ص ٦ — ٢١

وثالث يعبث بزملائه وهكذا ، حتى إذا أتم كل منهم عمله توجه إلى الفقيه يسمعه ما حفظ أو يعرض عليه ما كتب ، والفقيه — ويساعده أحيانا العريف — يستمع إلى التلاميذ الذين يقرأون فيصلح لهم أخطاءهم مع انهماكه فى الوقت نفسه فى إملاء الطفل الجالس بجانبه أو الاستماع إلى (ماضيه) .

ومع أن طريقة التعليم الفردى من الطرائق التى تميل إليها النظريات الحديثة فى التربية (١) ، إلا أن القومسيون رأى فى تطبيقها على النحو الذى وصفنا تكراراً للدرس الواحد وإضاعة لوقت المعلمين والمتعلمين .

ولعلاج هذين النقصين — قلة انتشار التعليم الأولى وضعف مستواه — سبيلان : الأول ازدياد عدد المكاتب والآخر تعليم المؤدبين طريقة التدريس .

وانتقل القومسيون إلى بحث النوع الآخر من التعليم الابتدائى وهو التعليم ذى الدرجة العالية (Supérieur) ونموذجه المدرسة الابتدائية الأميرية بالناصرية . فعدّد معاهده الأميرية منها والأهلية ، وما يصرف عليه من إيرادات المكاتب الأهلية ومايصرف عليه من الأوقاف أوالروزنامة أو الموارد الخاصة . ودعّم دراسته بإحصاء عدد تلاميذ كل مدرسة ومعلميها ومنهاج الدراسة بها ، وخلص من هذه الدراسة إلى تقرير الحقيقة التى أشرنا إليها أكثر من مرة : وهى تباين هذه المدارس والمكاتب فيما بينها تبايناً واضحاً من حيث مواردها المالية وعدد تلامذتها ومستوى التعليم فيها وكفاية مدرسيها .

من هذه المكاتب والمدارس المنوعة المشتتة التى لاتقوم بينها رابطة أو تقوم بينها

---

(١) انظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ١٤

رابطة ضعيفة حاول قومسيون سنة ١٨٨٠ أن يقيم نظاماً قومياً للتعليم الأولى — الابتدائى يعمق أساسه حتى ينتظم كتاتيب القرى وتمتد فروعه حتى تشمل تلك المدارس والمكاتب الأميرية والأهلية التى ذكرنا . ويتمثل هذا النظام القومى فى قانون التعليم الابتدائى والتجهيزى الذى اقترحه القومسيون فى سنة ١٨٨٠ (١) .

يقوم هذا النظام على اعتبار أن التعليم الابتدائى — الأولى كله فى البلاد يكوّن وحدة متصلة الحلقات أدناها الكتاتيب الصغيرة وأرقاها المدارس والمكاتب الابتدائية القائمة فى القاهرة والاسكندرية وعواصم المديريات ، وفيما بين هاتين (الحلقتين) أنشئت (حلقة) وسطى لنسد الثغرة التى كانت قائمة بين التعليم فى الكتاتيب والتعليم فى المدارس . وقد قام هذا التقسيم على اعتبار جدير بالنظر : وهو اختلاف احتياجات الأهالى فى المدن والقرى والكفور ، فنشأ لكل منها مكتب مناسب لاحتياجاتها (٢) .

(١) فأبسطها مكاتب الدرجة الثالثة (degré Inférieur) وتقوم على أنقاض الكتاتيب الأهلية : فالمكتب منها يتكون من فصل واحد ولا يزيد تلامذته على الستين ويعلمهم معلم واحد يساعده عريف إذا زاد عدد تلامذته على الأربعين (المادة ٣) ، ويقتصر التعليم فى مكتب الدرجة الثالثة على مبادىء الدين والقرآن والقراءة والكتابة وقواعد الحساب الأربع . ويمرن التلاميذ على استعمال الموازين

---

(١) نشر هذا القانون بالفرنسية كملحق للنسخة الفرنسية التى نشرت من تقرير قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ وقد ترجمناه إلى العربية ونشرناه فى ملاحق الكتاب (الجزء الثالث) .

(٢) تقرير القومسيون ص ١٢

والمقاييس ويتلقون معلومات أولية فى جغرافية مصر وقانون الصحة ويقومون بتدريبات رياضية (المادة ٤) . وينشأ مكتب من الدرجة الثالثة فى كل قرية يتراوح عدد سكانها بين ألفين وخمسة آلاف نسمة (المادة ١١)، أما القرى الصغيرة التى يقل عدد سكانها عن ذلك فتتجمع ليكون لها جميعاً مكتب ابتدائى من الدرجة الثالثة (المادة ١٢) .

(٢) وتعلوها مكاتب الدرجة الثانية : ويتكون المكتب منها من فصلين اثنين ولكل منهما معلم ، ولا يزيد عدد تلاميذ المكتب على ١١٠ تلاميذ (المادة ٥)، ويتعلم التلاميذ فى هذا المكتب مبادىء الدين والقرآن والمطالعة والكتابة والنحو وقواعد الحساب الأربع وشيئاً من الموازين والمقاييس وجغرافية مصر وتاريخها والتاريخ الطبيعى وقانون الصحة وتمارين عملية على قياس السطوح والأحجام البسيطة والرسم الخطى ويتلقون تدريبات رياضية (المادة ٦) .

وينشأ مكتب ابتدائى من الدرجه الثانية فى عاصمة كل مركز وفى كل مدينة يتراوح عدد سكانها من خمسة آلاف إلى ١٠ آلاف نسمة (المادة ١٠) .

(٣) وأرقاها المكاتب الابتدائية الراقية أومكاتب الدرجة الأولى(degré superieur) وهى تعد تلامذتها للمدارس التجهيزية ، ولهذا فهى تسير طبقا لبرنامج الدراسة بالمدارس الابتدائية الأميرية . وتلاميذ هذه المكاتب الذين لا يزمعون أن يدخلوا فيما بعد إحدى المدارس التجهيزية ليسوا ملزمين بتعلم اللغة التركية أوإحدى اللغات الأوروبية ، ولكنهم يمضون سنة دراسية تكميلية يتلقون فى خلالها معلومات عملية فى قياس السطوح والأحجام البسيطة والرسم الخطى ، وفى البلاد التى يشتغل أغلب أهلها بالزراعة تعطى لهم عدا ذلك دروس فى المساحة والزراعة والتاريخ الطبيعى ، وفى

البلاد التى يشتغل أغلب أهلها بالتجارة تعطى لهم دروس فى الحساب التجارى وإمساك الدفاتر والخط ومعلومات اقتصادية ، ويتدرب التلاميذ جميعا تدريبا رياضيا ، ولا يقبل تلميذ بهذه المدارس إلا فى الشهر الأول من السنة الدراسية (المادة ٧) .

وتألف هيئة التدريس فى المدرسة الابتدائية الراقية من ناظر ويعهد إليه بقسط من التدريس ومن أربعة معلمين ومن العدد اللازم من العرفاء والخدم ، ولا يزيد عدد تلامذة المدرسة على مائتى تلميذ (المادة ٨) ، وتنشأ فى القاهرة وعواصم المحافظات والمديريات والمراكز وجميع مدن الأقاليم مدارس ابتدائية من الدرجة الأولى باعتبار مدرسة واحدة لكل عشرة آلاف نسمة (المادة ٩) .

ولا يقبل بهذه المكاتب — على اختلاف درجاتها — سوى تلامذة خارجيين (المادة ١) والتعليم فيها مجانا وكذلك تقدم للتلاميذ الأدوات المدرسية من غير مقابل (المادة ٢٠) ، وتنشأ المكاتب بالتدريج كلما توافر المال اللازم والمعلمون الأكفاء [١].

أما الكتاتيب القديمة فمصيرها إلى الانقراض وعلى أنقاضها تقوم المكاتب الجديدة : فبمجرد أن يفتح فى ناحية ما عدد من المكاتب يكفى لسد حاجات الأهالى تقفل الكتاتيب القديمة ويسمح لفقهائها الذين يثبتون أهليتهم للتدريس فى امتحان مسابقة أن يعينوا فى المكاتب الجديدة ويفضلون على المعلمين الجدد أو يؤذن لهم بالالتحاق بمدرسة المعلمين لإكمال معلوماتهم ونيل إجازتها (المادة ٢١) .

أما المال اللازم للصرف على هذه المكاتب من بناء وصيانة وتأثيث ودفع مرتبات الموظفين وأثمان الأدوات . ألخ فتتحمله المحافظات والمديريات . وقد رأيت أن هذا

---

(١) تقرير القومسيون ص ١٣

الإجراء كان من القواعد الهامة التى قام عليها تنظيم المكاتب فى لائحة رجب ١٢٨٤ (١٨٦٧)، ولكنه لم ينفذ لأن المواد الخاصة بتولى القرى الصرف على مكاتبها واشتراك الأهالى فى نفقات تعليم أبنائهم جاءت عامة ولم ينص فيها على طريقة معينة. أما قومسيون سنة ١٨٨٠ فقد عمل على تلافى هذا النقص: فاقترح على مجلس النظار[1] أن تفرض فى المديريات ضريبة قانونية تحدد بالبارات أو بكسور البارات مضافة إلى كل قرش من الضريبة العقارية وتقدر فى كل عام طبقا لحاجات المدارس التى أنشئت أو التى ستنشأ فى كل عام. وفى عواصم المحافظات والمدن توزع هذه الضريبة تبعا لحاجات وموارد الأهالى المالية، وتستخدم حصيلة هذه الضريبة فى الصرف على المكاتب الابتدائية. وكان هذا أساس فرض ضريبة الـ ٥ ٪ التى أنشئت فى سنة ١٩٠٩ للمساعدة على نشر التعليم الأولى. وإظهارا لعناية الحكومة بهذا الضرب من التعليم أشار قومسيون ١٨٨٠ على نظارة المعارف العمومية بأن تخصص فى ميزانيتها فى كل عام قدرا من المال تقدم منه الأعانات للنواحى التى تتطلب المساعدة (المادة ١٣)، وكان هذا بدء نظام الإعانة الذى وضعته وزارة المعارف بعد ذلك وتوسلت به — من ناحية — إلى الإشراف على المكاتب (المعانة) لتضمن سيرها فى الطريق المستقيم — ومن ناحية أخرى — إلى مساعدة أصحاب الكتاتيب من الفقهاء على تحسين حالهم ورفع مستوى مكاتبهم.

ونظم القانون الصلة بين المكاتب الابتدائية والإدارة المحلية، على نحو أفضل مما فعلت لائحة رجب، فقد جعلت هذه اللائحة لعمد البلاد وأعيانها حقا فى الشهادة

---

(١) تقرير القومسيون ص ١٤

للمؤدبين وحضور امتحان التلامذة والنظر فى إيرادات ومصروفات المكاتب القائمة فى بلادهم ، ولكن قانون التعليم الابتدائى نظم هذه الصلة على النحو الآتى :

(١) « أنه لأجل ترغيب الأهالى فى حسن سير المكاتب المستجدة وتشجيعهم على دفع النقود الكافية لها . . . الخ » [١] سيؤلف فى كل محافظة أو مديرية « قومسيون » للمكاتب تحت رياسة المحافظ أو المدير ، ويتألف «القومسيون» فى المديريات من أعضاء يمثل كل منهم مركزا من مراكز المديرية وفى المحافظات من أعضاء يمثل كل منهم حيا من أحيائها ، وفى جميع الحالات لا يقل عدد الأعضاء الذين يكونون القومسيون عن خمسة . ويرسل المحافظون أو المديرون إلى نظارة المعارف العمومية قائمة تحتوى على ثلاثة أسماء عن كل مركز أو حى ، وتعين النظارة من هذه الأسماء الأعضاء الذين تتألف منهم (قومسيونات) المدارس . فإذا كثر عدد المكاتب أمكن إنشاء (قومسيون) فرعى فى كل مديرية أو حى من محافظة ويكون تابعا للقومسيون الرئيسى فى قاعدة المديرية أو المحافظة (المادة ١٥) .

(٢) وتدبر هذه (القومسيونات) الأموال التى تجبى (على ذمة) المكاتب وتودعها فى صندوق خاص وتشرف على الصرف منها على المكاتب ، ولا يكون لنظارة المعارف سوى الاشراف والمراقبة ، وما فاض بعد مصروفاتها يستخدم إما فى تكوين مال احتياطى أو فى إعانة مدارس المعلمين المقترح إنشاؤها فى الأقاليم أو فى دفع مصروفات كاملة أو نصف مصروفات لبعض تلامذة المديرية أو المحافظة الذين يتمون تعليمهم بالمدارس التجهيزية أو العالية (المادة ١٦) .

---

(١) تقرير القومسيون ص ١٥

(٣) وتعرض على قومسيون المدارس المقترحات الخاصة بزيادة المصروفات (المادة ١٧) أو زيادة الموظفين أو توسيع البناء، وله أن يرفع مستوى الدراسة بمكتب من المكاتب الداخلة فى اختصاصه إلى درجة أعلى (المادة ١٨).

(٤) تقدم النظارة للقومسيون الرسوم والتصميمات الخاصة بأبنية المكاتب وتقدم لها الأثاث والأدوات المدرسية بأثمانها الأصلية (المادة ١٩)، وللنظارة وحدها «تنظيم بروجرامات الدروس وترتيب الخوجات وتغييرهم وعزلهم من وظائفهم عند الاقتضاء، وقصارى الأمر لها الإدارة والملاحظة على التلامذة والخوجات»[1].

أما الوجه الآخر من وجوه إصلاح التعليم الابتدائى وهو إنشاء مدارس تقوم على إعداد المعلمين الأكفاء فنرجئ الكلام عليه إلى مكان آخر[2].

* * *

هذه خلاصة وافية لمقترحات قومسيون تنظيم المعارف الخاصة بالتعليم الأولى الابتدائى وقد توجها بمشروع القانون الذى وضعه لتنظيم التعليم الابتدائى والتجهيزى فى مصر. وقد رأيت أنه — فى كثير من نواحيه — قام على المبادئ التى التى جرت بها لائحة رجب ١٢٨٤، ومن ذلك:

أولا — وحدة التعليم الأولى — الابتدائى: فقد رأت لائحة ١٨٦٧ (رجب ١٢٨٤) وقانون ١٨٨٠ أن تؤلف معاهد التعليم الابتدائى سواء القديمة (الكتاتيب) أو الحديثة (المدارس) وحدة متصلة يمهد أولها لآخرها، والتلميذ يستطيع من غير عنت أو اضطراب أن يتم تعليمه بإحداها ثم ينتقل إلى الأخرى ومنها إلى المدارس التجهيزية فالعالية.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر فيما بعد الفصل الخاص بمدارس المعلمين.

ولكن قانون ١٨٨٠ يختلف عن لائحة ١٨٦٧ فى أمر هام : فإن اللائحة قد اعترفت بالكتاتيب وأقرتها بل جعلت منها الأساس الذى يقوم عليه النظام التعليمى فى مصر ، وحاولت أن تجعلها جديرة بأداء هذه المهمة الخطيرة فأخضعتها لرقابة الإدارة التعليمية الحكومية (ديوان المدارس) وأمرت بإدخال مادة الحساب فى خطتها الدراسية واشترطت فى مؤديها شروطا خاصة . . . ألخ وعملت اللائحة من ناحية أخرى على أن تنظم المكاتب الأهلية والمدارس المركزية على نسق المدارس الابتدائية الأميرية ، أو على نسق مدرسة المبتديان بالناصرية على وجه التحقيق ، وهكذا وجد هذان النوعان أو هاتان المرحلتان من المدارس الابتدائية — الأولية : الكتاتيب وتعد — طبقا لهذا النظام — مدارس للتعليم الأولى ، ثم المدارس الابتدائية (سواء المدارس الأميرية أو المركزية أو المكاتب الأهلية) وتعد مدارس للتعليم فوق الأولى أو الابتدائى . والمرحلة الأولى تعد التلاميذ للمرحلة الثانية . ولكن هذه الجهود الاصلاحية لم تنجح . وظلت الهوة قائمة بين نظامى التعليم الأهلى والأميرى — أو على حد تعبير دوربك العربى والأوروبى ، وظلت مصر يعوزها نظام قومى للتعليم ، وهو ما نهض لتشييده قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ .

وهذا النظام التعليمى القومى شاده قانون ١٨٨٠ على أنقاض الكتاتيب والمدارس الابتدائية جميعا : فهـذه المدارس الابتدائية تتحول إلى مكاتب ابتدائية من الدرجة الأولى ، والكتاتيب تختفى كلما أنشىء فى المناطق القائمة فيها من المكاتب الابتدائية ذات الدرجة الثالثة ما يكفى ليحل محلها ، وبين هاتين الدرجتين تقوم درجة وسطى من المكاتب لتسد الثلمة التى كانت قائمة بين الكتاتيب والمدارس .

فلائحة رجب لا تقيم نظاما جديداً للتعليم الأولى — الابتدائى ، وإنما تقع بتنظيم

معاهده القائمة ، فتعمل على إدخال الكتاتيب فى نظام التعليم المصرى وتصل ما بينها وبين المدارس الابتدائية الحكومية . أما قانون ١٨٨٠ فيرمى إلى (إنشاء) نظام جديد للتعليم الأولى — الابتدائى يستمد مقوماته من الكتاتيب والمدارس الابتدائية على السواء .

ثانيا — وتتفق اللائحتان (لائحة ١٨٦٧ — رجب ١٢٨٤ ولائحة ١٨٨٠ التى وضع على أساسها تنظيم التعليم الابتدائى والتجهيزى) فى النظر إلى التعليم الأولى — الابتدائى نظرة قومية . وآية ذلك ما رسمته لائحة رجب خاصا بتحمل القرى نفقات كتاتيبها واشتراك الأهالى فى نفقات تعليم أبنائهم وإشراك عمد البلاد ووجوهها فى النظر فى بعض شئون المكاتب وأخصها إدارتها المالية . ولكن وجهة النظر (القومية) فى لائحة رجب لم تكن شاملة ، فإنها لم تشمل المدارس الابتدائية الأميرية ، ثم إنها لم تتحقق لأنها لم تنص على إجراءات واضحة معينة .

أما فى قانون ١٨٨٠ فقد حرص واضعوه على أن يوفروا الأسباب لتحقيق وجهة النظر (القومية) فى نظام التعليم الأولى الذى أقاموه ، فطبقوا الفكرة على درجات المكاتب جميعا الكبيرة منها والبسيطة ، فلا يكون هناك مكاتب أهلية وأخرى أميرية ، بل كلها مكاتب ابتدائية يدبر للصرف عليها إيراد قومى . ونظموا مبدأ نهوض البلاد بتكاليف كتاتيبها وإشراك الأهالى فى تحمل نفقات تعليم أبنائهم على شكل ضريبة جزئية يؤديها دافعو الضرائب ، كما نظموا مبدأ إشراك الأهالى فى إدارة المكاتب بإنشاء (قومسيونات) أو لجان مدرسية محلية وعهدوا إليها بسلطات واسعة .

وأضاف قانون ١٨٨٠ إلى هذا كله مبدأ لا يقل خطراً : وهو ضرورة بذل الدولة شيئاً من مالها بغية العمل لتقدم المكاتب ، ويكون ذلك على شكل جزء من ميزانية نظارة المعارف العمومية تخصصه لإعانة المكاتب التى تحتاج إلى الإعانة . وإذا كانت فكرة

(القومسيونات) المحلية لم تتحقق حتى الآن[1] فإن الدولة سرعان ما حققت المبدأين اللذين تقوم عليهما (ميزانية) التعليم الأولى وهما : فرض الضريبة الخاصة لنشر التعليم الأولى وتخصيص مال من ميزانية المعارف لإعانة المكاتب .

ولا يسعنا أن نختم هذه الملاحظات من غير أن نشير إلى مسائل ثلاث عنى « القومسيون » بدراستها وتدبير العلاج لها :

أولا — مصير التلاميذ المنتهين من المكاتب الابتدائية العالية : فقد رأى أن تلامذة المكاتب لا يلتحقون جميعاً بالمدارس التجهيزية ، فمنهم من يقعد به استعداده أو سعيه للرزق عن متابعة التعليم فيقتصر على التعليم بالمكاتب ثم ينقلب إلى أهله ليعمل فيما يعملون فيه من زراعة أو تجارة أو صناعة ، فقرر القانون لكل فريق مستوى الدراسة الذى يجب أن يصل إليه . فالذين يزمعون متابعة الدراسة التجهيزية يجب أن يتعلموا اللغة التركية وإحدى اللغات الأوروبية ، أما من عداهم فقد رسم لهم أن يقضوا سنة تكميلية وقرر لهم من مواد الدراسة مايتفق مع البيئة التى يعيشون فيها (المادة ٧) ، ومنهم من لا يزمع متابعة الدراسة التجهيزية ولكنه يرغب فى تلقى دراسة أخرى تساعده على توسيع أفق تفكيره وازدياد ثقافته ، ولهذا الفريق من التلاميذ اقترح القومسيون إنشاء مدرسة زراعية ، لا شك فى أن الحاجة تمس إليها فى بلد زراعى كمصر ، وتكون

---

(١) اقترح مستر « مان » على وزارة المعارف فى تقريره (عن بعض نواحى التعليم فى مصر) سنة ١٩٣١ أن « يكون لكل وحدة من وحدات الإدارة المحلية مجلس خاص بها يمثل المصالح المحلية فى التعليم والحياة الاجتماعية والتجارة والزراعة والصناعة ويجب أن توكل أعمال هذا المجلس التنفيذية إلى مدير التعليم ... » وتوجه هذه المجالس أخص عنايتها إلى مسائل التعليم الأولى (انظر ص ١٢ و ص ١٣ من النسخة العربية لهذا التقرير) .

بالإضافة إلى مدرسة (الشغالة) أو « الصنائع » [١] معهدين يلحق بهما التلامذة المنتهون من الدراسة الابتدائية ويتلقون فى أحدهما ثقافة زراعية وفى الآخر ثقافة صناعية تتفق مع البيئة التى يعيشون فيها والمهنة التى يعدون أنفسهم لها[٢] .

ثانياً — والمسألة الثانية تتعلق بمستوى التعليم فى المكاتب الابتدائية والوجهة القومية التى يجب أن يتجه إليها التعليم حتى يوجد فى نفوس المصريين « إحساسا بما لهم من الحقوق الوطنية وما عليهم من الواجبات فى حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة» على حد تعبير ناظر المعارف فى ذلك الوقت . ونظم قانون التعليم الابتدائى فى سنة ١٨٨٠ هذه الوجهة القومية ، فقرر أن يبدأ الطفل — منذ التحاقه بأبسط معاهد التعليم الأولى وهى مكاتب الدرجة الثالثة — بتلقى « معلومات أولية عن جغرافية الوطن وقانون الصحة وتدريبات رياضية » ، وزاد عليها فى مكاتب الدرجة الثانية دراسة شىء من « تاريخ الوطن » .

ثالثا — وهنا نصل إلى تقرير حقيقة هامة فطن إليها قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ وعمل تقريرها فى القانون الذى وضعه للتعليم الأولى — الابتدائى : وهى أن مهمة هذا التعليم أجل وأخطر من مجرد محو الأمية بتعليم الصبية القراءة والكتابة كما كانت تفعل الكتاتيب القديمة ، فإن هذا التعليم القاصر المحدود لا يستطيع أن يثبت حين يخرج الصبى به إلى معترك الحياة العملية ، فغالباً ما ينسى الصبى ما تعلمه ويرتد كما بدأ أمياً ، وإذا ثبت فلا غناء فيه لتكوين ثقافة طيبة يستعين بها الرجل فى رفع مستواه المادى والعقلى .

---

(١) تقرير القومسيون ص ٢٢ — ٢٥

(٢) وكانت هذه المدارس نواة المدارس المتوسطة الصناعية والزراعية .

فطن القومسيون إلى ذلك فأضاف إلى القراءة والكتابة قواعد الحساب الأربع ومعلومات فى الدين وأوليات فى جغرافيـــة مصر وقانون الصحة واستعمال المقاييس والموازين . ولم ينس العناية بجسم الطفل إلى جانب العناية بعقله فأضاف إلى هذه (الخطة) الدراسية تدريبات رياضية . وفى مكاتب الدرجة الثانية أضاف إلى هذه المواد النحو وتاريخ مصر والتاريخ الطبيعى والرسم وقياس السطوح والأحجام . وفى مكاتب الدرجة الأولى أضاف اللغة التركية وإحـــدى اللغات الأوروبية ولكنه قصر تعلمهما على التلاميذ الذين يودون متابعة الدراسة التجهيزية . ثم أنشأ القانون دراسة تكميلية للتلامذة الآخرين تتصل ببيئاتهم .

ووعد القومسيون أن ينظر فى رفع مستوى الدراسة بهذه المكاتب عندما يتوافر العدد الكافى من المعلمين الأكفاء[١] .

* * *

والآن بعد أن قدمنا بين يديك خلاصة وافية ونقداً مستفيضاً لمقترحات قومسيون تنظيم المعارف وقانون التعليم الابتدائى الذى وضعه فى سنة ١٨٨٠ نحب أن نختم هذا الفصل ببحث عن مدى تنفيذ هذه المقترحات وأحكام هذا القانون :

كانت الحكومة — حكومة رياض باشا — تعلق أهمية كبيرة على مداولات قومسيون تنظيم المعارف وقراراته ، فكانت تتبع أعماله أولا فأولا ويصلها المهم من قراراته فتنفذ منها ما يمكن تنفيذه[٢] ، ومن ذلك أنها أنشأت مدرسة المعلمين فى

---

(١) تقرير القومسيون ص ١٣

(٢) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٤٥

أكتوبر سنة ١٨٨٠ أى قبل تقديم تقرير القومسيون بشهر ، وأقرت قانون التعليم الابتدائى ، وشرعت تعد العدة لإنشاء مكاتب ابتدائية على ثلاث درجات ، فوضعت رسوم البناء لكل نوع[١] وأنشأت المكاتب الآتية[٢] :

(١) مكتب الجيزة فى يناير ١٨٨١ وهو من مكاتب الدرجة الأولى .
(٢) مكتب قليوب فى نوفمبر ١٨٨١ « « « « الثانية .
(٣) مكتب طوخ فى يناير ١٨٨٢ « « « « الثالثة .

وقبل ذلك كانت قد افتتحت مدرسة المنصورة الأميرية ، وكانت النية متجهة أول الأمر إلى جعلها مدرسة تجهيزية[٣] ، ولكنها جعلت مدرسة ابتدائية راقية (من الدرجة الأولى) ثم أنشىء بها قسم تجهيزى[٤] .

وفى القانون العمومى الذى وضع لنظارة المعارف فى سنة ١٨٨٧[٥] نظم التعليم الابتدائى طبقاً للقواعد العامة التى وضعها قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ مع تغييرات بسيطة أهمها أن التلميذ يدفع رسوما دراسية تختلف باختلاف درجة المكتب ، ونظمت المرحلة الثانوية على مثال (الليسيه) فتشغل أربع فرق ابتدائية ثم أربع

---

(١) نقل أمين باشا سامى هذه الرسوم فى القسم الرابع من ملحقات كتابه .
(٢) انظر فيما سبق ص ٢٠٨ — ٢٠٩
(٣) تقرير القومسيون ص ٣١
(٤) انظر فيما سبق عن مدرسة المنصورة ص ٢٠٥ — ٢٠٧
(٥) انظر نص هذا القانون فى قاموس الادارة والقضاء لفليب بك جلاد ، المجلد الرابع ص ٣٠٢ — ٣٠٨

فرق تجهيزية (١) .

ولكن النظارة لم تفعل شيئا لتنفيذ مقترحات قومسيون ١٨٨٠ وماجاء فى قانون نظارة المعارف سنة ١٨٨٧ خاصا بإنشاء المكاتب الابتدائية ذات الدرجات الثلاث ، بل قصرت الحكومة عنايتها على إنشاء مدارس ابتدائية من الدرجة الأولى .

أمامكاتب الدرجتين الثالثة والثانية فلم ينشأ منها شيء بعد مكتبى قليوب وطوخ . بل إنه لما بدأت مجالس المديريات تعنى بالتعليم وقررت لنشره ضريبة خاصة وجهت عنايتها أيضا إلى إنشاء مدارس ابتدائية (راقية أو عالية) وهى التى لا يفيد منها فى الحقيقة إلا عدد محدود من الأهالى وأهملت العناية بالتعليم الأولى ، تعليم سواد الشعب ، سواء فى الكتاتيب القديمة أو فى مكاتب الدرجتين الثالثة والثانية التى رسم قانون ١٨٨٠ وقانون ١٨٨٧ إنشاءها .

وهكذا تعطل تنفيذ إصلاح هام لانغلو إذا قلنا إنه كان يقدم خير الحلول لمشكلات التعليم الأولى والابتدائى فى مصر .

أما الكتاتيب فقد ظلت على ما هى عليه ، لم تفد فى إصلاحها لائحة رجب ١٢٨٤ أوالقانون الذى وضعه القومسيون فى سنة ١٨٨٠ أوقانون سنة ١٨٨٧ . وكذلك كان مصير المشروع الذى وضعه على باشا مبارك فى سنة ١٨٩٠ « بإنشاء نظام عام للتعليم الابتدائى » (٢) . وهو مقتبس فى مجموعه من قانون سنة ١٨٨٠ .

---

(١) Minist. de l'Instruction publique, programme de l'enseignement pour les Lycées (enseignement primaire et secondaire) approuvé par arrêté ministériel du 17 aout 1887 (29 zilkédeh 1304). Le Caire. Imprimerie Nationale, 1888.

(٢) Minist. de l'Inst. publique. Note sur la création d'un système général d'enseignement primaire en Egypte. 15 Février 1890.

وزاد فى إهمال شأن الكتاتيب أنها فى سنة ١٨٨٦ نزعت من رقابة نظارة المعارف وتفتيشها وجعلت تابعة لديوان عموم الأوقاف[١]، وبذلك انهارت دعامة من أقوى الدعامات التى قامت عليها لائحة رجب وهى إخضاع هـذه الكتاتيب لسلطة ديوان المدارس (أو نظارة المعارف) . وظل الأمر على ذلك حتى سنة ١٨٨٨ فى نظارة على مبارك للمعارف أيضا ، وكان لا يزال متشبثا بمبدئه الذى نادى به منذ عشرين عاما وعمل على تقريره فى لائحة ١٨٦٧ (رجب ١٢٨٤) وهو ضرورة إخضاع جميع المدارس والمعاهد القائمة فى مصر لهيمنة نظارة المعارف ، فبدأ بالمكاتب الأهلية التى كان ينفق عليها من إيرادات المكاتب الأهلية (وأهمها إيراد جفلك الوادى) فأعادها إلى نظارة المعارف فى سنة ١٨٨٨ ثم ألحق بها مكاتب الأوقاف فى العام التالى .

ولكن نظارة المعارف ما لبثت أن أدركت أن الإصلاح لا يجدى إلا إذا دعمه المال ، ولا يتسنى هذا إلا إذا تقدمت النظارة ببعض المال لتشجيع أصحاب الكتاتيب « بإعانة مالية تساعدهم على إصلاح أماكنهم وتوفير أمتعتها وتنمية معارفهم » وأصدرت لهذا الغرض لائحة فى ١٢ ديسمبر ١٨٩٧ [٢] .

وهكذا — بواسطة هذه الإعانات المالية — اشتركت الدولة لأول مرة فى تحمل بعض نفقات التعليم الأولى فى مصر .

وهكذا فشلت المحاولات التى بذلت لتشييد نظام قومى للتعليم الأولى — الابتدائى يجمع بين المكاتب الأولية والمدارس الابتدائية فى مرحلة واحدة لها من المرونة ما يسمح بالتنوع فى أجزائها المختلفة . ويرجع هذا الفشل — فى رأينا — إلى أن العناية بكلا

---

(١) Exposé des réformes effectuées pendant l' année 1885....etc.

(٢) وزارة المعارف العمومية : تقرير عن تطور التعليم الأولى فى المائة عام الماضية .

النوعين من التعليم لم تكن متكافئة : فقد كانت الحكومة — حكومة محمد على وحكومة إسماعيل من بعده — تبذل للتعليم الابتدائى فى مدارسها التى أنشأتها على الطراز الأوروبى (à l'européénne) لتعد لها الموظفين فى الإدارات المختلفة من مالها ورعايتها ، فأكثرت من معاهده فى العاصمة والمدن الصغيرة والكبيرة ورفعت مستوى التعليم فيه (ويظهر ذلك على الخصوص فى إدخال اللغات الأجنبية فى منهجه) كما عنيت بإعداد معلميه وتوفير الأبنية والكتب والأثاث لتلاميذه . . . الخ . حتى أصبحت المدرسة الابتدائية الآن لا تعدو أن تكون فى الواقع قسما أولياً من المدرسة الثانوية .

أما التعليم الأولى — وهو التعليم القومى للشعب — فقد بدأت العناية به متأخرة ، ذلك لأن الإصلاح الحقيق للكتاتيب لم يتحقق إلا فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى . وعلى أنقاضها نشأ نظام التعليم الأولى القائم إلى أيامنا هذه ، وقد اتخذته الدولة أداة سهلة متواضعة لمكافحة الأمية ليس غير . فهو بالنسبة للتعليم الابتدائى أضعف مستوى وأشد فقرا فى البناء والمعلم والأثاث وفى كل شىء .

وهكذا تم الانفصال بين التعليم الابتدائى والتعليم الأولى فى مصر ، وهو انفصال غير طبيعى نشأت منه مشاكل خطيرة فى التعليم المصرى : أخصها مشكلة التعليم الأولى أين يبدأ ، وأين ينتهى ، وما هدفه ، وماذا نعلم الأطفال منه ؟ (١) .

---

(١) فى وزارة المعارف فى الوقت الحاضر حركة ترمى إلى توحيد التعليم الاولى والتعليم الابتدائى فى مدارس واحدة ، فلعل القائمين بهذه الحركة يفيدون من دراسة المشروعات التى وضعت لهذا الغرض فى سنوات ١٨٦٧ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨٧ ، ١٨٩٠ الخ .

الفصل السادس

مدرسة العميان والخرس

فى سنة ١٨٧٤ فكر « دور بك » فى انشاء مدرسة خاصة لتعليم العميان ، ولكنه كان مترددا ، لأنه — على حد تعبيره — لم يكن واثقا من إمكان طبع الكتب ذات الحروف البارزة للقراءة والكتابة بالقاهرة (١) .

وفضل دور أن يقوم بتجربته فى مجال محدود ، حتى إذا نجحت التجربة تقدم برأيه ومشروعه إلى الخديو .

بدأت التجربة بتعليم ثمانية من الأطفال المكفوفين : بنتين وستة صبيان أخذوا من مدارس شيخون والسيدة زينب والحبانية . وفى أربعين يوما تعلم ستة منهم القراءة بسهولة وتعلمها اثنان منهم بصعوبة ، هذا عدا اثنين من هؤلاء الأطفال تعلما أيضا الكتابة فى ثمانية أيام .

وطبعت دروس للهجاء وكتاب للمطالعة وجزءان من القرآن الكريم .

وهكذا نجحت التجربة ، واعتقد دور بك أن العوامل مهيأة لنجاح المشروع ، فتقدم به إلى الخديو ، وتقبل سموه المشروع بقبول حسن ، وطلب إلى دور بك أن يرفع إليه تقريرا عن مشروع إنشاء المدرسة وما تتكلفه من مال .

---

(١) Dor : Rapport à S. A. le Khédive sur la création d' une Ecole pour Les Aveugles. وثيقة بالمحفوظات الاوروبية بعابدين

ورفع دور بك إلى الخديو تقريره فى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٤ [١] .

ويقوم مشروع دور بك على أن تنتظم المدرسة مائة تلميذ ، ويتولى ديوان الأوقاف تقديم المصروفات اللازمة لتعليمهم ومقامهم فى (بيت) خاص . ووضع دور بك ميزانية سنوية للمدرسة بلغت فى السنة ٢٢٩,٠٤٠ قرشا تشمل مرتبات ناظر وثلاثة معلمين وصانعين للنسيج ومثلهما لأشغال الخيزران و (المقاطف) وطباخ وخدم كما تشمل ما يتكلفه غذاء التلاميذ ولباسهم وكتبهم وأدوات التعليم عدا مكافأة قدرها ١٠٠ قرش لكل تلميذ .

وعلى أثر ذلك أصدر الخديو أمراً إلى ديوان المدارس بالموافقة على المشروع الذى تقدم به إليه دوربك ، على أن تكون المدرسة بمثابة « مدرسة خارجية ابتدائية » ولهذا فإن ميزانيتها هبطت إلى ٧,١١٠ قروش فى الشهر أو ٨٥,٣٢٠ قرشا فى السنة ، يقوم بأدائها ديوان الأوقاف [٢] .

على أنه يبدو أن ميزانية المدرسة رفعت بعد ذلك إلى ١٢٧,٨٥١ قرشا و٣٦ بارة [٣] ثم إلى ٢١٢,٥١٤ قرشا و٣٦ بارة ، ثم عادت ميزانية المدرسة فهبطت حتى وصلت فى سنة ١٨٨٠ إلى ١٩٨,٥٠٠ قرش فى السنة [٤] .

ونشط ديوان المدارس لافتتاح المدرسة : فنشر (إعلانات) يبشر فيها « بافتتاح

---

(١) المصدر السابق .

(٢) دفتر سنة ١٢٩١ (إرادات للمدارس) ص ٢ رقم ٤ ، دفتر ١ (أوامر) ص ٧ رقم ٤ أمر إلى ديوان المدارس فى ٢١ جمادى الأولى ١٢٩١

(٣) وثيقة بالمحفوظات الأوروبية بعابدين : Ecoles aux frais des Wakfs. (s.d.)

(٤) تقرير قومسيون تنظيم المعارف ص ٢٢

مدرسة جديدة لتعليم العميان القراءة والكتابة وبعض صنايع يدية (يدوية) مفيدة إحسانا من طرف الحضرة الخديوية »[١]، ووقع الاختيار على منزل من منازل الأوقاف (ببير الوطاويط) ليكون مدرسة بعد إصلاحه[٢]. وعين « محمد افندى أنسى » من أساتذة المدرسة التجهيزية ناظرا للمدرسة الجديدة من فبراير ١٨٧٥[٣].

وجمع الديوان مجلساً لانتخاب الفقهاء والعرفاء اللازمين، ثم عين المعلمون والصناع[٤].

وفى بضعة أيام اجتمع بالمدرسة — وقد جعلت بالصليبية[٥] — ٣٥ تلميذاً، كان يعطى لكل منهم فى اليوم رغيف من خبز الجراية يصرف من « تكية طيلون .... محسوبا من خيرات الأوقاف »[٦]. وما لبث عددهم أن ارتفع بعد أشهر من إنشاء

---

(١) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ١٤٢ رقم ٤٠ إلى ضبطية مصر فى ٤ المحرم ١٢٩٢

(٢) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ١٥٢ رقم ١٠٥ إلى الأوقاف فى ٧ المحرم ١٢٩٢

(٣) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ١٩٨ رقم ١٨٦ إلى كتاب الحسابات فى غرة صفر ١٢٩٢ — وقد ظل أنسى أفندى فى نظارة المدرسة حتى سبتمبر ١٨٨٢ (أمين باشا سامى: التعليم فى مصر، القسم الخامس ملحقات ص ١٨٦) وقد أنعم عليه بالرتبة الثالثة فى سنة ١٨٧٩ (دفتر سنة ١٨٧٩ إرادات للمدارس ص ١ رقم ٢ فى ٢٠ رجب ١٢٩٦)

(٤) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ١٦٥ رقم ٥٠٣ الى ناظر مدرسة العميان فى ١٥ المحرم ١٢٩٢ وص ١٩٤ رقم ٥٣٧ الى محمد أفندى أنسى فى ٢٥ المحرم ١٢٩٢.

(٥) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ١٧١ رقم ٥٠٩ الى ناظر مدرسة باب الشعرية فى ١٦ المحرم ١٢٩٢. أنشئت المدرسة فى بيت (أحمد حسين) بشارع أمير الجيوش بالقاهرة وهو من البيوت الأثرية وكان مقرا لمجلس التجار فى عهد محمد على (على مبارك: الخطط ج ٣ ص ٢٢)

(٦) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ١٩٢ رقم ١٢٩ الى الأوقاف فى ٢٦ المحرم ١٢٩٢

المدرسة إلى ٨٨ تلميذاً بالقسم الخارجى[١] .

وعقب افتتاح مدرسة العميان بقليل أضيف إليها قسم لتعليم (الخرس)[٢] وكان يضم إلى جانب التلاميذ بضع تلميذات . ففى أول امتحان عقد لتلامذة المدرسة فى العام الدراسى ١٢٩٢ — ١٢٩٣ (١٨٧٥ — ١٨٧٦)[٣] كانت المدرسة مؤلفة من قسمين : قسم العميان وبه ٤٤ تلميذاً وتلميذة ، وقسم الخرس وبه ١٦ تلميذاً وتلميذة .

ويتراوح سن الذكور بين ٩ سنين و ٢١ سنة وسن الإناث بين ١٣ و ١٨ سنة

وكان قسم العميان يتألف من ثلاث فرق :

الفرقة الأولى وتتكون من فصلين : وقد درس تلاميذهما القرآن (حفظا وتجويداً) والقراءة والكتابة والإملاء والنحو والفقه والتوحيد والحساب والهندسة والجغرافية .

الفرقة الثانية وتتكون من فصلين : وقد درس تلاميذهما القرآن والقراءة والكتابة والإملاء وحفظ الألفية والأجرومية والحساب والجغرافية .

الفرقة الثالثة : ودرس تلاميذها القرآن والقراءة والكتابة والإملاء .

أما فى الصنائع اليدوية فقد مرن التلاميذ على صناعة الحصر والكراسى (البلدى) والكراسى الخيزران والمخرطة ونسج الأقمشة (للبنين والبنات) والشبيكة (للبنات) .

وكان قسم أو فرقة الخرس تتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعلم تلاميذه معرفة الفرق بين الماضى المسند المذكر والمسند المؤنث

---

(١) Minist. de l' Inst. publique. Statistique des Ecoles Civiles, 1875. P. 13. & Mc. Coan, Egypt as it is .p. 218.

(٢) ولعل هذا القسم هو المدرسة الثانية التى ذكر Mc. Coan (op.cit.p. 219) أنها أنشئت بعد المدرسة الأولى .

(٣) دفتر امتحان مدرسة العميان المصرية بمتحف التعليم .

والمضارع والأمر وأسمـــاء الصنائع وأدواتها وجملا ومركبات وقواعد فى تعريف الـكلام (كذا) .

الفصل الثانى : تعلم تلاميذه معرفة أسماء الحيوانات ومركبات إضافية تابعة لها وأسماء البيت وأجزائه وأثاثه وأسماء أدوات المدرسة وعمالها وأسماء الأسلحة وبعض مفردات تتعلق بالمسجد .

الفصل الثالث : تعلم تلاميذه معرفة أعضاء الجسم الإنسانى مفردة ومثناة وأسماء الإفرازات الجسمية ومركبات إضافية ووصفية نابعة للجسم الانسانى .

وقد جمعت بعض (أشغال) تلاميذ وتلميذات المدرسة لإرسالها إلى معرض فيلاد لفيا [1] .

وفى سنة ١٨٧٨ كان مجموع تلامذة المدرسة ٣٨ تلميذا وتلميذة موزعين على النحو الآتى :

(١) الفرقة الخصوصية : وبها ٤ تلاميذ وتلميذة : وقد درسوا القرآن والنحو والفقه والمطالعة والإملاء والحساب والهندسة والجغرافية .

(٢) الفرقة التجهيزية : وبها ٤ تلاميذ و ٤ تلميذات : وقد درسوا القرآن وحفظوا الألفية والأجرومية وتعلموا القراءة والـكتابة والإملاء والحساب والجغرافية .

(٣) الفرقة الابتدائية : فصلان :

الأول به ستة تلاميذ وتلميذة وقد درسوا القرآن والمطالعة والـكتابة والإملاء والحساب .

والثانى به ١٥ تلميذا وثلاث تلميذات وقد درسوا القرآن والمطالعة والـكتابة .

أما فى الصنائع فقد تعـــلموا (الشغل بأربع إبر وبإبرة واحدة) والغزل ونسج الأقمشة والحصر والـكراسى وخرط الخشب .

---

(١) دفتر ٤٨٢ (مدارس عربى) ص ٨٥ رقم ٩٣٧ إلى ناظر مدرسة العميان فى ١٠ جمادى الثانية ١٢٩٢

وفى العام التالى (١٨٧٩) كان بالمدرسة ٤٣ تلميذا وتلميذة موزعين على أربع فرق وفرقة للصنائع .

وفى عام ١٨٨٠ كان بالمدرسة ٥١ تلميذا وتلميذة موزعين على ثلاث فرق وفرقة للصنائع وفرقة للخرس (١) .

وفى عام ١٨٨٢ كان بالمدرسة ٦٢ تلميذا وتلميذة موزعين على النحو السابق .

وقد عدّ (قومسيون) تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ مدرسة العميان من المدارس الابتدائية (٢) وعنى ببحث حالتها . فلاحظ أن عدد تلامذتها قليل بالنسبة لكثرة عدد العميان والصم البكم فى هذه البلاد . ولكن بناء المدرسة لا يتسع لعدد كبير ، حتى أن ناظر المدرسة ذكر فى تقريره الذى رفعه إلى (القومسيون) أنه « لا يعد نفسه مسئولا عن ضبط تلامذة هذه المدرسة ولا عن صحتهم » ، وطلب زيارة عدد المعلمين والعرفاء ورفع مرتباتهم (٣) .

---

(١) دفتر امتحانات المدرسة — جاء فى تقرير (قومسيون تنظيم المعارف) فى سنة ١٨٨٠ (الجزء الثالث : ملحقات ص ٢١٠) أن بالمدرسة فى تلك السنة ٦٠ تلميذا من العميان و ١٥ من الصم البكم . ولكن العدد الذى ذكرناه (٥١ تلميذا وتلميذة) مأخوذ من دفتر امتحان المدرسة .

(٢) تقرير القومسيون بالجزء الثالث : ملحقات ص ٢١٠ .

(٣) كان بالمدرسة فى سنة ١٨٧٥ ١١ موظفا بين ناظر ومعلم وعريف وصانع وفى سنة ١٨٨٠ أصبحوا سبعة . ونثبت هنا أسماء معلمى المدرسة نقلا عن بعض وثائق الديوان والإحصاء العام لسنة ١٨٧٥ ودفتر امتحان المدرسة :

معلمو الحساب والهندسة والجغرافيا : محمد أنسى (ناظر المدرسة) ، عبد الرحمن عفت (من خريجى المهندسخانة وقد خلف أنسى فى نظارة المدرسة) أحمد شفيق .

معلمو وعرفاء القرآن والنحو والفقه والتوحيد : المشايخ حسين المرصفى ، أحمد أبو السعود ، =

إلغاء المدرسة

فى ديسمبر ١٨٨٥ أحيلت مدرسة العميان والخرس — مع غيرها من مدارس الأوقاف — إلى ديوان الأوقاف. حتى إذا كانت سنة ١٨٨٩ وأعيدت مدارس الأوقاف إلى المعارف كان مركز مدرسة العميان ضعيفاً. إذ لم يكن لها وقف خاص ورغب ديوان الأوقاف فى التخلص منها. ورأت نظارة المعارف أن المدرسة تحولت عن غرضها الأصلى، فأصبحت ملجأ لنحو عشرين من العميان، فقررت النظارة فى ٤ يولية ١٨٨٩ إلغاءها وإلحاق تلامذتها من الذكور العميان بمدارس شيخون والحسينية وأبى العلاء (بولاق) الابتدائية كل بحسب قرب مسكنه، ويعطى كل منهم خمسون قرشا فى الشهر، ويخصص لهم من المدرسين من يعلمونهم القراءة والكتابة بالطريقة التى اتبعت منذ أنشئت المدرسة مع ما يكون ضروريا لهم من الفقه وقواعد اللغة العربية ومبادىء

= محمود الرافعى، محمد العجورى، يوسف عفيفى، محمد لوا، محمد شكر، أحمد الخشاب، ابراهيم أحمد.

لفرقة الخرس: محمد أفندى الصياد.

لصناعة الكراسى: عبد الصمد جاد، حسن بدرش، محمد حزين.

لنسيج الأقمشة: حسن غالى، موسى سعيد.

لصناعة الخراطة: الحاج سالم.

للحصر: درويش مصطفى.

للجرابات والشبيكة: مصطفى الخردجى.

للشبيكة والنسيج والتطريز على الماكينة: الست فكتوريا دياسكاه وبولينه الخورى.

وكان الصناع يعملون فى المدرسة (باليومية): دفتر ٤٨١ (مدارس عربى) ص ١٧ رقم ٥٧٣ إلى أنسى أفندى فى ٢ صفر ١٢٩٢

الحساب علاوة على حفظ القرآن الشريف وتجويده. أما الخرس من الذكور فقد تقرر أن يلحقوا بالقسم الداخلى المجانى فى مدرسة الصنائع ليتعلموا فيها الأشغال اليدوية ويخصص لهم من يعلمهم القراءة والكتابة وطريقة التفهم والتفهيم ومبادىء العلوم الضرورية. أما الإناث من النوعين فألحقن بالمدرسة السنية للبنات مجاناً بالقسم الداخلى وجعلن فى فصل مخصوص يتعلمن فيه القراءة والكتابة وطريقة التفهيم والتفهم للخرس مع ما يكون ضرورياً لهن من الأشغال اليدوية.

وجاء فى القرار أنه « نظراً لما جبلت عليه المكارم الخديوية من الميل إلى اتساع نطاق التعليم والشفقة على مثل هؤلاء تسهيلا لهم لطرق التعيش »، أذن لهذه المدارس أن تقبل بها تلامذة من العميان والخرس، وحينما يتوافر العدد الكافى من المعلمين المختصين فى تعليم العميان تنشأ لهم أقسام فى المدارس الأخرى بالقاهرة والأقاليم [1].

وهكذا اختفت مؤسسة تعليمية كانت من أكثر المؤسسات التعليمية نفعاً. وكانت « أول مدرسة فتحت من نوعها بمصر وليتها دامت »[2].

---

(١) Minist. de l'Inst. publique. Cinquiéme rapport . . 1889. p. 18-19.
انظر نص قرار نظارة المعارف فى : قاموس الإدارة والقضاء لفيلبيك جلاد ج ٤ ص ١٨٩

(٢) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٣٠

الفصل السابع

مـــدارس البنات

كان المرسلون الإنجيليون أول من فتحوا فى القاهرة مدرســة لتعليم البنات فى سنة ١٨٣٥ ، وكانت أكثر التلميذات بها من بنات الأقباط وقليل منهن من المسلمات . وقد خرجت المدرسة عدداً كبيراً منهن قادرات على القراءة والكتابة وكسب عيشهن بالتطريز ومختلف أشغال الإبرة . وكانت بعض المعلمات الأوربيات تدخل قصور محمد على والأمراء لتعليم فتيات الأسرة الحاكمة و(حريمها) ، وكان وجهاء القوم يعهدون فى تعليم فتياتهم إلى معلمات أوربيات إلى جانب معلميهن من (المشايخ)[١].

والمدرســة الوحيدة التى أنشأتها حكومة محمد على هى مدرسة الولادة لإعداد المولدات والحكيمات [٢].

وفى عهد إسماعيل أنشأت بعض السيدات الإنكليزيات مدارس لتعليم البنات ، على أن أثرها — بطبيعة نشأتها وتكوينها — كان محدوداً [٣].

ولكن أهم (تجديد) فى تعليم البنت إنشاء حكومة إسماعيل مدارس خاصة لتعليم البنات.

وقد عنى إسماعيل منذ أوائل حكمه بإنشاء هذه المدارس . وكان محمد شريف باشا يعلق أهمية عظيمة على إنشائها . ويذكر «Sachot» فى تقريره إلى وزير المعارف الفرنسية

---

(١) انظر تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٦٧٤ .

(٢) المصدر السابق ٢٩٤ — ٣٠٩.

(٣) انظر فيما بعد الفصل الخاص بمدارس الجاليات الأجنبية والطوائف الدينية .

أن « سجل مداولات مجلس التعليم الذى وضعته الحكومة تحت تصرفه يثبت أن هذه المسألة كانت من مشروعات الحكومة فى الوقت الحاضر » (١) .

وفى ٢١ مارس سنة ١٨٦٧ ألفت لجنة كان أعضاؤها جميعاً من المصريين ما عدا رئيسها « ميرشير » ناظر المدارس الحربية ، وعهد إليها بدراسة مشروع لتعليم البنات وإبداء رأيها فى إنشاء مدرسة خاصة لهن .

ووضع مقرر اللجنة « شحاتة عيسى » مشروع لائحة لإنشاء المدرسة وبرنامجاً للدراسة .

وهذا أهم ما جاء فيه : تتسع المدرسة لخمسمائة فتاة تتراوح سنهن بين التاسعة والحادية عشرة ، ويلحق بالمدرسة فى كل سنة مائة تلميذة حتى تستكمل المدرسة فى سنتها الخامسة نصابها المقرر .

وتكون مدة الدراسة خمس سنوات وتوزع مواد الدرسة كما يلى :

السنة الأولى : اللغة العربية قراءة وكتابة ، وكذلك اللغة التركية ، الرسم ، أشكال هندسية .

السنة الثانية : اللغة العربية ، قراءة القرآن ، اللغة التركية ، مبادىء الدين ، الرسم ، قواعد الحساب الأربع .

السنة الثالثة : العربية والتركية ، رسم المناظر ، الحساب ، الجغرافية ، أشغال الإبرة .

السنة الرابعة : العربية والتركية ، أشغال الإبرة ، الجغرافية ، رسم المناظر .

السنة الخامسة : طرق تربية الطفل وحفظ الصحة ، الخياطة ، الطبخ ، التدبير المنزلى .

وتلا ذلك اقتراح بتنظيم هيئات الإدارة والتدريس والخدم (٢) .

---

(١) Sachot: op. cit. p. 21.

(٢) Ibid. p. 21-22.

وبلغ من اهتمام محمد شريف باشا بمشروع إنشاء المدرسة أنه فى أواخر سنة ١٨٦٧ تحادث مع قنصل انجلترا العام فى شأن استدعاء ناظرة إنكليزية لها [١] .

ومضى على ذلك نحو عامين ، ولم يخرج المشروع إلى حيز الوجود . ولكن الخديو إسماعيل ظل على اهتمامه بإنشاء مدرسة للبنات بالقاهرة ، فأصدر أمراً إلى مدير ديوان المدارس باختيار قطعة أرض من أراضى الحكومة التى تخلفت بشق طريق يصل بين شارع عبد العزيز وباب اللوق وبناء مدرسة للبنات عليها [٢]، ووقع الاختيار على قطعة الأرض ووضع رسم البناء ، وصرح الخديو بأن تكون نفقاته من الجيب الخاص ، وأن تحرر (حجة) الأرض باسم المدرسة [٣] ، ولكن العمل فى بناء المدرسة كان يسير ببطء شديد ، ونرجح أن السبب فى ذلك عدم توفر المال اللازم [٤] .

وهكذا مضت خمس سنوات — منذ وضع مشروع إنشاء المدرسة — ، والحكومة تتحدث عن افتتاح قريب لمؤسسة كبيرة لتعليم البنات بعد أن وضعت الخطط وبدئ فى العمل فعلا »[٥] .

---

(١) محفظة ٤٢ (معية تركى) رقم ٣٤٢ من شريف باشا إلى المعية فى ٦ شعبان ١٢٨٤

(٢) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٨٩ أمر إلى ديوان المدارس فى ٢٤ المحرم ١٢٨٦ ، دفتر ٨٥٢ (معية تركى) ص ١٤ أمر إلى ديوان المدارس فى ٢٢ صفر ١٢٨٦

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٩٠ أمر إلى ديوان المدارس فى ٣ جمادى الثانية ١٢٨٦

(٤) دفتر ٤٣٥ (مدارس عربى) ص ١٢١ رقم ٤٦ إلى الخواجه يعقوب القطاوى فى ١٠ رجب ١٢٨٧ (بطلب مبلغ ١٠ آلاف جنيه الذى صدر أمر الخديو بأن يأخذها منه ديوان المدارس ، وليس بخزانة الديوان نقود وللمقاول نقود متأخرة) ودفتر ١٩٣٢ (أوامر) ص ٣٤ رقم ١٦٨ من المهردار إلى مدير المدارس فى ٥ ربيع الأول ١٢٨٧ .

(٥) Dor: L' Instruction publique en Egypte. P. 114.

حتى إذا كانت أوائل سنة ١٨٧٣ أخذت سمو الأميرة جشمة آفت هانم أفندى الزوجة الثالثة للخديو إسماعيل — الأمر بين يديها ، وبفضل رعايتها وكرمها أنشئت أول مدرسة حكومية لتعليم البنت فى مصر .

مدرسة السيوفية للبنـــات

قدّمت الأميرة من المال ما يكفى لشراء قصر قديم فى أحد أحياء القاهرة المزدحمة بالسكان (السيوفية) وأعيد أكثر بنائه ليتسع لمائتى تلميذة داخلية و ١٠٠ خارجية . وقيل إنه حدث تردد فى أول الأمر من جانب النساء الوطنيات ، ولكن سرعان ما امتلأت المدرسة بالتلميـــذات ، حتى زاد عدد الراغبات فى الدخول على أضعاف العدد الذى يتسع له البنـاء [١] .

وافتتحت المدرسة فى يناير سنة ١٨٧٣ . وفى ستة أشهر كان بها ٢٨٦ تلميذة « وكثيرات يطلبن الالتحاق بها » . وكانت عمارة البناء ما تزال جارية [٢] ، وكان لهذا الإقبال الشديد أثره فى التفكير فى افتتاح مدارس أخرى لتعليم البنات .

وفى العـام التـالى (١٨٧٤) فى الوقت الذى وضعت فيه خطط الدراســة ومناهجها ووضعت اللوائح لتنظيم المدارس ، وضعت لائحة لتنظيم مدرسة السيوفية

---

(١) Mc. Coan: Egypt as it is. P. 217.
و Edwin de Leon: Egypt under its Khedives. P. 163—164.

(٢) دفتر ٤٦٠ (مدارس عربى) ص ١٠٣ رقم ٦١٤ من المستشار الى ناظر الاشغال والمعارف والأوقاف فى ٢ جمادى الثانية ١٢٩٠

للبنات[١] ، وكانت تدعى أحيانا مدرسة « السنية »[٢] .

الغرض من المدرسة : ترمى المدرسة إلى أن تقدم لتلميذاتها تعليما ابتدائياً وتعليما مهنياً عمليا يمكنهن من إفادة عائلاتهن وكسب عيشهن وقت الحاجة ، كما أنها تعد أيضا مدرسة تجهيزية لمدرسة الولادة بقصر العينى (المادة الأولى) . وقد تأكد ذلك بما جاء فى لائحة قبول التلامذة بالمدارس الملكية الصادرة فى يناير سنة ١٨٧٤ من أن تلميذات مدرسة الولادة يؤخذن من الآن فصاعدا من مدرسة البنات (المادة ١١) .

مدة الدراسة وخطتها : تتكون المدرسة من خمس فرق ، ومدة الدراسة لكل فرقة سنة ، ويمكن جمع فرقتين أو أكثر فى بعض الدروس المشتركة

---

(١) طبعت هذه اللائحة بعنوان : Ecoles Civiles du Gouvernement égyptien : Règlement pour l'Ecole des Filles. Le Caire. 1874.

وفى المحفوظات الأوروبية بعابدين مشروع هذه اللائحة بعنوان :

Ecoles Civiles du Gouvernement égyptien. Règlement pour l'Ecole des Filles de la Syoufieh sise au quartier de ce nom, créée et soutenue par la Magnanimité de Son Altesse Chachm, Aft Hanoum, 3 éme Princesse de Son Altesse le Khédive.

وقد نشرت جريدة (Courrier de Port-Said) مقالات عن تعليم البنت من سلسلة مقالاتها عن التعليم فى العدد الصادر بتاريخ ٨ فبراير ١٨٧٥ وقد نسخ هذا المقال ورفع إلى الخديو ووجدناه فى أوراق المحفوظات الأوروبية بعابدين ، وقد وصفت الجريدة اللائحة الجديدة بأنها « مظهر حر لسياسة كريمة إصلاحية » . وقد ترجمنا اللائحة بأكملها ونشرناها فى الجزء الثالث : الملحق التاسع ص ١٠٦ — ص ١٢٥ .

(٢) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ٥٨ رقم ٤٠٣ الى دوابر فامليات فى ٢١ ذى الحجة ١٢٩٠ — وبذلك ترى أن اسم المدرسة (السنية) اطلق على المدرسة أحيانا قبل أن تسمى رسمياً بذلك الاسم فى سنة ١٨٩٨ .

(المـــادة ٢) . ومواد الدراسة : الدين واللغتان العربية والتركية والحقائق البارزة فى التاريخ القومى وجغرافية مصر وأوليات فى الجغرافية العامة والحساب ونظام الموازين والمكاييل المصرية ومبادىء فى المحاسبة المنزلية وأوليات فى التاريخ الطبيعى والطبيعة وتطبيقها فى الحياة اليومية والرسم والأشغال التى تمارسها المرأة (المادة ٣) كالأشغال اليدوية والتدبير المنزلى ، وكانت أثمان هذه الأشغال تودع فى صندوق المدرسة لتفى ببعض مصروفاتها (المادة ٤)[١] .

ولا يزيد عدد الدروس فى الأسبوع — عدا الدروس العملية — على أربع وعشرين ساعة لكل فرقة (المادة ٦) ، ثم أضيفت اللغة الفرنسية[٢] . ودروس فى البيانو لبعض التلميذات[٣] .

ولم تستكمل المدرسة فرقها الدراسية الخمس إلّا فى وقت متأخر .

ففى سنتها الأولى (١٨٧٤) كان بالمدرسة ٢٨١ تلميذة موزعات على الفرق الآتيـــة[٤] :

الفرقة الأولى : بهـا ٨٥ تلميذة درسن الحساب والقرآن الشريف (حفظا ومطالعة

---

(١) وقد جاء فى مصدر آخر أن المال الذى يجمع يخصص لشراء جهاز العرس للتلميذات (Mc. Coan, op. cit. p. 218.)

(٢) دفـــتر ٤٨٤ (مدارس عربى) ص ١٥٢ رقم ٤١ إلى تفتيش المدارس فى ٢٠ ذى القعدة ١٢٩١ . وكان قد اقترح تدريس الفرنسية فى مشروع اللائحة .

(٣) ويتعلم البيانو ٢٠ تلميذة وعلى معلمتهن أن تهتم بسرعة تعليمهن ليعزفن فى (محفل الامتحان) : دفتر ٤٨٧ (مـــدارس عربى) ص ٣٩ رقم ٢٤٤ إلى مدرسة السيوفية فى ٩ جمادى الثانية ١٢٩٢ .

(٤) دفتر رقم ١ (امتحانات السيوفية) بدفترخانة المعارف .

وإملاء) واللغة التركية والأشغال اليدوية : تطريز بالأبيض . شغل الكنفه . شغل بالسنارة . الجدل . الخياطة . وضع العلامات . شغل المنسج العربى . شغل القوية والظرافة .

الفرقة الثانيـــة : بها ٩٣ تلميذة وقد درسن المواد السابقة إلا بعض تلميذات لم يمتحن فى الحساب والتركية .

الفرقة الثالثـــة : بها ١٠٣ تلميذات وقد درسن المواد السابقة ما عدا التركية ولم يمتحن فى الحساب منهن إلا تلميذتان .

وفى العام التالى (١٨٧٥) أدخلت دراسة اللغة الفرنسية والرسم والجغرافية لبعض تلميذات الفرقتين الأولى والثانيـــة ، وقسمت الأشغال اليدوية إلى أشغال أفرنكية (خياطة . كنفه . تطريز أبيض . كروشيه . شغل جوارب) ولكل منها درجة وأشغال تركية (منسج أويه . كروشيه) ولكل منها درجة و (كى) ولها درجة ، ولكل تلميذة درجة للأخلاق .

وفى سنة ١٨٧٦ بدأ تدريس العزف على (البيانو) لبعض التلميذات ، ونظمت خطة دراسية قوية : فأكثر تلميذات الفرقة الأولى من قراءة القرآن والمطالعة فى كتاب (التمرين) فى اللغة العربية وكتاب (النخبة الزكية) فى اللغة التركية وكتاب (الدر المنتخب) فى اللغة الفرنسية ودرسوا الجغرافيا والحساب والرسم . أما تلميذات الفرقة الثانية فلم يدرسن الفرنسية والجغرافية ، واقتصر تلميذات الفرقة الثالثة (المبتدئات) على قراءة القرآن و (التمرين) ، هذا عدا الأشغال اليدوية المعتادة .

ثم أدخلت دراسة الفرنسية فى (مقرر) الفرقتين الثانية والثالثة لبعض التلميذات .

ومن سنة ١٨٧٩ ألغيت اللغة الفرنسية من المدرسة : وفى سنة ١٨٨٠ جدّت فرقة

رابعة للمبتدئات . وفيما يلى بيان بعدد تلميذات المدرسة ومعلماتها منذ إنشائها فى سنة ١٨٧٣ إلى سنة ١٨٨٥ [١] :

السنة	عدد التلميذات			عدد المعلمات
	المجموع	داخلية	خارجية	
١٨٧٣	٢٨٦			
١٨٧٤	٢٨١			
١٨٧٥	٢٩٨	٢٠٣	٩٥	١٥
١٨٧٦	٢٨٦			
١٨٧٧	٢٢٧			
١٨٧٨	٢٤٨			
١٨٧٩	٢١٥			
١٨٨٠	٢٠٨			
١٨٨٠ [٢]	٢٤٤	٣١	٢١٣	١١

إدارة المدرسة : عهدت اللائحة إلى (ناظرة Directrice) بالإشراف على سير الدراسة والنظام بالمدرسة ، ومن ذلك الاتصال بأولياء أمور التلميذات وقيد الغائبات من التلميذات والمعلمين والمعلمات ورفع تقرير فى نهاية كل عام عن التلميذات وهيئة التدريس وسير الدراسة (المواد ٧ و ٨ و ٩ و ١٠) وتقوم (الوكيلة) مقامها أثناء غيابها (المادة ١١) .

---

(١) هذا البيان مقتبس من دفتر ١ (امتحانات السيوفية) ولا يختلف كثيرا عن البيان الذى أورده تقرير القومسيون سنة ١٨٨٠ — انظر الجزء الثالث (ملحقات) ص ٢١١ — ٢١٢

(٢) على أثر ضم مدرسة القربية اليها .

ويعين (ناظر Directeur) للمدرسة ويكون وحده مسئولا عن المسائل المادية للمدرسة . فهو يشرف على شراء المشتريات اللازمة وعلى الكتاب والخدم (المادة ١٥) ويشرف على سجلات قيد التلميذات ويتصل بالنظارة فى كل ما يطلب منه أداؤه (المادة ١٦) . وله أن يتصل بأولياء أمور التلميذات إما رأسا أو عن طريق الناظرة (المادة ١٧) . ولكنه لا يوجد بداخل المدرسة إلا إذا كان وجوده ضروريا (المادة ١٨) وعليه أن يفتش مرتين فى الشهر بالاشتراك مع الناظرة عن المخزن (المادة ٣٠) كما يشترك معها ومع المشرفة على النظام (الضابطة) والطبيبة فى فحص المواد الغذائية (المادة ٢١) .

وتعين مشرفة على النظام (أو ضابطة Saurveillante d' ordre) وتشرف على الخدم ونظافة المدرسة وعلى خروج ودخول التلميذات الخارجيات والتأكد من نظافتهن واستبدال ملابس (الخروج) بملابس المدرسة (المادة ٢٣) وفى حالة غياب الناظرة ترافق الطبيب فى زيارته (المادة ٢٤) .

ويلحق بالمدرسة عدد من المشرفات (القلفوات surveillantes) ويختزن من التلميذات بنسبة مشرفة واحدة لكل عشرين تلميذة ، وينمن فى (العنابر) مع التلميذات ويشرفن على نظافتهن وترتيب الأسرة والخدمة فى المطبخ والمرافق ، كما يشرفن على أشغال التلميذات العملية .

هذا ما جرت به اللائحة لتنظيم إدارة المدرسة . وقد عين ديوان المدارس فى الشهور الأولى من افتتاح المدرسة « حسن افندى صالح » ناظرا عليها[1] و « مدام روزة »

---

(١) دفتر ٤٦١ (مدارس عربى) ص ٣٤ رقم ٢٧٠ الى ناظر مدرسة السيوفية فى ١٥ رجب ١٢٩٠ .

Mme. Rose Naggar « ملاحظة الضبط والربط والنظافة بالمدرسة » [١] أى فى وظيفة (surveillante d'ordre) ، ثم جعلت « وكيلة » للمدرسة [٢] ثم « ناظرة » عليها .

وتلا ذلك أن لقب الناظر « بمأمور أشغال المدرسة » . وكان انقسام (إدارة) المدرسة بين الناظرة والمأمور مدعاة لاستمرار النزاع بينهما ، مما دعا إلى تدخل الديوان وطلبه « أن يتحدا » لإدارة شئون المدرسة [٣] .

ثم تولى نظارة المدرسة « برعى افندى » من يناير ١٨٧٧ إلى مارس ١٨٨٢

ثم عادت السيدة روزة فتولت النظارة من مارس ١٨٨٢ إلى ديسمبر ١٨٨٢

ثم خلفتها السيدة شمس جيهان من يناير ١٨٨٣ إلى اكتوبر ١٨٨٩ [٤] .

أما (قلفوات) المدرسة فقد اخترن فى الشهور الأولى من افتتاح المدرسة من تلميذات مدرسة الولادة اللاتى يعرفن القراءة والكتابة . [٥]

الخدمة الصحية بالمدرسة : على الطبيب أن يزور المدرسة فى كل صباح ، ويشرف على قيد التلميذات المريضات وعلاجهن (المادة ٢٨) ، وعليه أن يذهب إلى المدرسة كلما

---

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٩٢ رقم ٢٢ إلى مدرسة السيوفية فى ٢١ شوال ١٢٩٠

(٢) وكان مرتبها فى الشهر ١٥ جنيها انكليزيا — دفتر ٤٨١ (مدارس عربى) ص ١١٠ رقم ٢٣١ إلى كتاب الحسابات فى ٢٥ ربيع الأول ١٢٩٢

(٣) دفتر ٤٨٧ (مدارس عربى) ص ٦٣ رقم ٢٥٥ إلى مدرسة السيوفية ، ص ٦٤ رقم ٢٦٠ إلى مأمور أشغال المدرسة السيوفية فى ٢٣ جمادى الثانية ١٢٩٢

(٤) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر . القسم الخامس ملحقات ص ٨٨

(٥) دفتر ٤٦١ (مدارس عربى) ص ٢٠ رقم ٩٢ إلى المدرسة الطبية فى ١٤ رجب ١٢٩٠

طلب منه ذلك (المادة ٢٩) أما التلميذات اللاتى يصبن بأمراض خطيرة فعلى الطبيب أن يرسلهن حالا إلى آبائهن أو إلى مستشفى قصر العينى (المادة ٣٠) .

وتعين حكيمات (أو مولدات sages-femmes) لإدارة المستشفى ويتناوبن الخدمة ، ويقيدن أسماء التلميذات المريضات وما خصص لكل منهن من علاج ، ويناولن الأدوية للمريضات (المادة ٣٢) . وتكون المولدات تحت إدارة ناظرة المدرسة ويعاونها فى الملاحظة العامة فى الدروس والمشغل والعنابر (المادة ٣٣) . وتختار ممرضة من قصر العينى لتعاون المولدات فى عملهن (٣٥) .

وقد بلغ من حرص ديوان المدارس على (سمعة) المدرسة أن طلب إلى الطبيب — وهو حكيمباشى المدارس — أنه عند ذهابه إلى المدرسة فى صباح كل يوم يقف بباب المدرسة حتى تحضر الناظرة وترافقه فى زيارته ، « وبخلاف ذلك تعلموا (كذا) أنكم ليسوا مأذونين بإقامة وقت داخل المدرسة دقيقة واحدة »[1] .

هيئة التدريس بالمدرسة

جعلت اللائحة الحد الأعلى لعمل المعلمين والمعلمات ٣٠ ساعة فى الأسبوع (المادة ١٢) . ويشرفون على استذكار التلميذات دروسهن (المادة ١٣) ويخضعون لأوامر الديوان والناظرة (المادة ١٤)[2] .

---

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٩٦ رقم ١٨٤ إلى محمود أفندى إبراهيم حكيمباشى المدارس فى ٢٥ شوال ١٢٩٠ وعينت الست نفيسة والست آمنة والست زينب حكيمات بالمدرسة ، وكن يعاون فى دروس العربية والحساب والأشغال (دفتر ١ (امتحانات السوفية) .

(٢) ونثبت فيما يلى أسماء أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة نقلا عن بعض وثائق الديوان وإحصاء سنة ١٨٧٥ ودفاتر امتحانات المدرسة :

تلميذات المدرسة

اشترطت اللائحة فى التلميذة أن تكون سليمة الجسم والخلق ، ولا يقل سنها عن السابعة ولا يزيد على الحادية عشرة . والتعليم فى المدرسة بالمجان (المادة ٣٦) .

وبمراجعة أسماء تلميذات المدرسة وأعمارهن فى جداول الامتحان[٢] وجدنا أن أعمارهن تتفاوت بين السابعة والخامسة عشرة (من الفرقة الرابعة إلى الأولى) أى فى نطاق السن التى حددتها اللائحة ، وتراوحت مدة إقامة تلميذات الفرقة الأولى (النهائية) بالمدرسة بين أربع وسبع سنوات .

وتفحص الحكيمة المنوبة عن التلميذات الجديدات (المادة ٣٧) . وتقبل التلميذات داخليات بالمدرسة أو خارجيات[٣] (المادة ٣٨) وتخرج التلميذات الداخليات إلى

= معلمو القرآن واللغة العربية : المشايخ أحمد زغلول . أحمد هنداوى . أحمد هلال

معلمة الحساب : الست روزة — معلمو الفرنسية : الست روشية ومسيو فالبرج ومسيو بلاو ومصطفى رضوان

معلمو الرسم : محمد رشوان وستمارى

معلمو الجغرافية : محمد رشوان ومدموازيل اسبيرون

معلمو التركية : محمد فاضل ومصطفى أفندى ويحيى أفندى

معلمات الأشغال اليدوية والتدبير المنزلى : السيدات روشيه (Rochet) ولويزة وكاملة وزينب وعائشة وصفية وسباط ومريتة وفاطمة وأرينوله (Arânuola)

معلمات البيانو : السيدات ڤيدال وأميلى كوزاجى ومسيو نيقولا ومسيو بينو .

(٢) دفتر ١ (امتحانات السيوفية) بدفترخانة المعارف .

(٣) كان قد اقترح فى (مشروع) اللائحة أن تكون التلميذات جميعا داخليات .

أهليهن مرة كل خمسة عشر يوما[1] من مساء الخميس إلى صباح السبت ، ويمنع زيارة أهالى التلميذات لهن بالمدرسة (المادة ٤٩) .

وتقوم التلميذات الداخليات بأنفسهن — وتحت إشراف الملاحظات — بجميع أعمال النظافة من كنس وترتيب للأسرة وغسيل ، كما يقمن بطهى الطعام تحت إدارة ملاحظات مخصوصات (المادة ٤٠) .

ومدة الدراسة خمس سنوات تخرج التلميذة بعدها من المدرسة إلى أسرتها أو للخدمة أو للعمل فى (المصانع) التى ستنشأ لإصلاح الملابس اللازمة لمدارس الحكومة أو الأفراد (المادة ٤١) .

التلميذات الخارجيات يتعلمن بالمدرسة ويكسون ويتناولن وجبة الغداء ويتسلمن الكتب وأدوات الدراسة والأشغال بالمجان ، ولكنهن يعدنها إلى المدرسة عند خروجهن منها (المادة ٤٣) .

جميع أشغال التلميذات الداخليات والخارجيات تكون ملكا للمدرسة (المادة ٤٤) .

ويصحب التلميذات الخارجيات فى ذهابهن إلى مدرستهن وإيابهن منها أهلوهن أو خدمهن (المادة ٤٥) ، ويستطيع أهل التلميذة أو أولياء أمرها أن يأخذوا بنتهم من المدرسة فى أى وقت شاءوا ، وفى هذه الحالة لا يمكن قيدها أثناء العام الدراسى الذى خرجت فيه (المادة ٤٧) أما التلميذات اليتيمات فلا يخرجن من المدرسة (المادة ٥٠) .

وتوقع على التلميذات العقوبات الآتية : (المادة ٥١) .

---

(١) وكان الديوان حريصا على تنفيذ هذا البند بدقة — دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ٣٧ رقم ٦٣ إلى مدرسة السيوفية فى ٢٤ ذى الحجة ١٢٩٠

١ — التحذير شفاها .
٢ — التحذير كتابة فى دفتر الفصل .
٣ — الحجز فى وقت الفسحة فى مكان خاص .
٤ — الحجز فى المدرسة أيام الجمع .
٥ — تأنيب الناظرة للتلميذة بمفردها أو أمام زميلاتها فى الفصل .
٦ — الحضور والتأنيب أمام هيئة المعلمين مجتمعة .
٧ — كتابة خطاب مفصل لأولياء التلميذات ، فإذا كن يتيمات أرسل الخطاب للديوان .
٨ — الحرمان من امتحان آخر السنة .
٩ — الطرد من المدرسة .

وتحرم قطعاً العقوبات البدنية والسب (المادة ٥٤) .

وتعطى الناظرة التلميذة المنتهية من المدرسة — إذا طلب أهلها — شهادة دراسية تختم بخاتم الديوان عن أعمال التلميذة وسلوكها (المادة ٥٣) .

امتحانات المدرسة

تعقد أسوة بالمدارس الأخرى فى شعبان من كل عام ، وتعقد امتحانات مدرسية فى كل ثلاثة أشهر (المادة ٥٥) . وتقدر الدرجات من صفر إلى ٢٠ درجة . وتضع هيئة المعلمين مجتمعة درجة لمتوسط أعمال التلميذة فى السنة ، ثم يؤخذ متوسط درجات الامتحان ، والمتوسط النهائى يحدد النتيجة النهائية للتلميذة (المادة ٥٨) . وللانتقال من فرقة إلى أخرى أعلى منها يجب أن تحصل التلميذة فى المتوسط النهائى على ١٤

درجة (المادة ٥٩)[١] . وتمنح المتفوقات جوائز أو شارات الشرف[٢] .

وختمت اللائحة بتنظيم يوم التلميذات المدرسى كما يلى :

(١) قبل شروق الشمس بساعة إلى ما بعد شروقها بنصف ساعة : يقظة ، نظافة ، صلاة ثم إفطار . ثم توزع الناظرات التلميذات بين أعمال الطهى والغسيل والكى .

	ق	ت		ق	ت	
(٢) من الساعة[٣]	—	١	إلى	٣٠	١	دخول التلميذات الخارجيات .
(٣) » »	٣٠	١	»	٢٥	٢	درس القراءة والكتابة والأشغال اليدوية .
(٤) » »	٣٥	٢	»	٣٠	٣	درس القراءة والكتابة والأشغال اليدوية .
(٥) » »	٣٠	٣	»	—	٤	فسحة (ويوم السبت نداء لأسماء التلميذات) .
(٦) » »	—	٤	»	٥٥	٤	دراسة وأشغال إبرة .
(٧) » »	٥	٥	»	—	٦	» » » » .

---

(١) وكانت التلميذات يرتبن فى كشوف الامتحان طبقا للدرجات الآتية : أعلى الأعلى . أعلى . عال . وسط . دون . أدنى . وكان يعطى للتلميذة بعد درجات المواد والأشغال درجة خاصة للأخلاق : انظر دفتر ١ (امتحانات السيوفية)

(٢) وقد أعطيت للمتفوقات فى أحد الامتحانات (علب خياطة) — دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ٨٦ رقم ١٣٠ إلى كتاب الحسابات فى ١٩ ذى الحجة ١٢٩١

(٣) الوقت محدد هنا طبقا للتوقيت العربى : فالساعة الواحدة تقع بعد شروق الشمس بساعة وهكذا .

	ق ت		ق ت	
(٨) من الساعة	— ٦	إلى	— ٧	نداء وغذاء[1] .
(٩) »	— ٧	»	— ٨	فسحة وصلاة .
(١٠) »	— ٨	»	٨ ٤٥	درس اللغة التركية للفرقة الأولى وأشغال يدوية للفرق الأخرى . ثم بعد ذلك تعطى للفرقة الأولى دروس فى التاريخ والجغرافية .
(١١) »	٨ ٥٠	»	٩ ٣٥	حساب للفرقة الأولى وأشغال يدوية للفرق الأخرى .
(١٢) »	٩ ٤٠	»	١٠ ٣٠	أشغال يدوية لجميع الفرق .
(١٣) »	١٠ ٣٠	»	١١ ٣٠	خروج التلميذات الخارجيات فسحة وصلاة .
(١٤) »	١١ ٣٠	»	١٢ ٣٠	عشاء[2] .
(١٥) »	١٢ ٣٠	»	١ ٣٠	فسحة وصلاة ثم نوم .

ميزانية المدرسة

قلنا إن سمو الأميرة جشمة آفت هانم أفندى هى التى أنشأت المدرسة على نفقتها ، وكانت تؤدى إلى ديوان المدارس ما تتكلفه المدرسة فى السنة من مصروفات

---

(١) كان يرفه عنهن فى الغذاء : فكانت المدرسة تطعمهن فاكهة ولبنا وزيتونا وتأتى لهن بالبيض يوم شم النسيم — دفتر ٤٨٦ (مدارس عربى) ص ٢٧ رقم ١٦٨ إلى مدرسة السيوفية فى ١٦ ربيع الاول ١٢٩٢

(٢) الساعة الثانية عشرة والنصف (بالتوقيت العربى) تكون بعد غروب الشمس بنصف ساعة .

ومرتبات ، ويتولى الديوان الصرف على المدرسة . وفيما يلى بيان (بميزانية) المدرسة فى سنوات مختلفة من تاريخها :

	بارة	قرشا	جنيها
سنة ١٨٧٣ (١)	٣٥	٣	٩,٣٠٧
سنة ١٨٧٥ (٢)	١٥	١٢	٧,٢٢٩
(منه)	٢٤	١٥	٥,٥٩٧ مصروفات والباقى مرتبات (٣).

وقيل فى تعليل هبوط (ميزانية) المدرسة أن الارتباكات المالية التى حلت منذ سنة ١٨٧٥ اضطرت الأميرة جشمة آفت إلى بعض الاقتصاد فى مصروفات مدرستها (٤) .

وقد اتجهت رغبة الخديو فى السنة الأولى لإنشاء المدرسة إلى ربط إيراد ثابت لها يخصص ريعه للصرف على المدرسة (٥) ، ولكن هذه الرغبة لم تتحقق ، ولو تحققت

---

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٦٢ رقم ١٣ إلى المعية السنية فى ١٤ ذى القعدة ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٨١ (مدارس عربى) ص ٢٢ رقم ٩ إلى المعية السنية فى ١٣ صفر ١٢٩٢

(٣) دفتر ٤٨٦ (مدارس عربى) ص ٤٨ رقم ١٧١ إلى مدرسة السيوفية فى ٢٢ ربيع الأول ١٢٩٢ . وكان ديوان المدارس يطلب إلى دائرة الأميرة منشئة المدرسة صرف هذا المبلغ على أربع دفعات : دفتر ٤٨٢ (مدارس عربى) ص ٥١ رقم ٨٨٠ إلى وكيل دايرة دولنلو أوجنجى هانم أفندى فى ٢٥ جمادى الاولى ١٢٩٢

(٤) Yacoub Artin Pacha, op.cit.p. 136.

(٥) دفتر سنة ١٥٩٠ (إرادات للمدارس) ص ٥ رقم ٥ ، دفتر ١٩٤٧ (أوامر) ص ٥٧ رقم ٥ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٨ ذى الحجة ١٢٩٠

لأنقذت المدرسة مما حل بها على أثر خلع الخديو فى سنة ١٨٧٩ ورحيله إلى خارج البلاد .

مصير المدرسة

رأى ديوان الأوقاف — على أثر حرمان المدرسة مؤسستها — أن يقنع بمدرسة واحدة للبنات ، فاحتفظ بمدرسة السيوفية وضم إليها مدرسة (القربية) ، فأصبحتا مدرسة واحدة ، تضم ٢٤٤ تلميذة وأحد عشر معلماً ومعلمة .

وكان لهذا الاضطراب أثره السيء على المدرسة فقد ساءت حالها بعد ازدهارها وفقدت قيمتها فى أعين الناس ، وقد درس (قومسيون تنظيم المعارف) فى سنة ١٨٨٠ حالة المدرسة فقرر أنها « لا تقوم فى الوقت الحاضر بالخدمات التى كانت تنتظر منها ، ولا يهتم بها أهل القاهرة إلا قليلا ، وأوضح دليل على ذلك العدد القليل من البنات بالقسم الخارجى »[1] . ولكن القومسيون لم يعتبر هذا الانحطاط سوى أزمة عارضة يجب العمل على التغلب عليها ، وتقدم دور بك المفتش العام إلى القومسيون بتقرير عن المدرسة أشار فيه إلى ضرورة وجود إدارة حازمة مستنيرة وإلغاء بعض مواد دراسية لا غناء فيها ، بل قد تتعارض مع تقاليد البلاد ، وهو الكفيل بعد ذلك بأن تنجح المدرسة وتكسب ثقة الرأى العام .

واقترح القومسيون أن تسعى الحكومة لإعداد العدد الكافى من المعلمات ذوات الاستعداد لمهنة التعليم ، وأن تفتح مدرسة أخرى فى مدينة غير القاهرة « على سبيل التجربة والمقارنة » ويكون تلميذاتها جميعاً خارجيات . ويقتصر فى هاتين المدرستين على

---

(١) عدد التلميذات الخارجيات فى سنة ١٨٨٠ $\frac{1}{8}$ مجموع تلميذات المدرسة : تقرير القومسيون بالملحقات (الجزء الثالث ص ٢١٢) .

التعليم الابتدائى والأشغال التى تعدّ الفتاة لتكون ربة بيت . حتى إذا نجحت التجربة أمكن التوسيع فى إنشاء مدارس البنات برفق وحذر [١] .

على أن هذه المقترحات النافعة ظلت بدون تنفيذ .

وتحوّلت المدرسة عن غرضها تماماً ، حتى أصبحت تكاد تكون ملجأ لليتيمات ولبنات الطبقات الفقيرة [٢] ، وعدّها ديوان المدارس مدرسة خيرية (école de charité) ينفق عليها إحساناً من ديوان الأوقاف ، وهبط عدد تلميذاتها إلى مائة تلميذة وتلميذتين يعلمهن ٦ من المعلمين والمعلمات ، ثم إلى ٩٩ تلميذة كلهن داخليات .

وفى أواخر سنة ١٨٨٥ أحيلت — مع غيرها من مدارس الأوقاف — إلى ديوان الأوقاف [٣] ، ثم عادت نظارة المعارف وتسلمتها فى سنة ١٨٨٩ فوضعت لها نظاماً جديداً وبرامج جديدة ترمى إلى أن تجعل من البنات الفقيرات ربات بيوت أو خادمات أو عاملات ، ومن تقبل منهن أن تعدّ لتكون معلمة قدم لها ما يلزم من التعليم . وتقبل بعض التلميذات مجاناً وتفرض رسوم دراسية على البعض الآخر ، وهى عشر جنيهات فى السنة للتلميذة الداخلية وأربع جنيهات للتلميذة الخارجية . وأعطى للمدرسة اسم جديد (المدرسة السنية) « بالنظر لما حصل (فيها) من الترتيبات والتعديلات التى صيرتها هو فى درجة أرقى مما كانت عليه » [٤] . وأملت نظارة المعارف أن تصبح المدرسة — فى وضعها الجديد — نواة لنظام عام لتعليم البنات [٥] .

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٣

(٢) Yacoub Artin, op. cit. p. 136.

(٣) Minist. de l'Inst. publique. Exposé des réformes. p. 19. 110. 114.

(٤) انظر قرار النظارة فى : قاموس الإدارة والقضاء لفيلب بك جلاد ج ٤ ص ١٨٩

(٥) Minist. de l'Inst publique. Cinquième rapport. 1889. p. 20.

مدرسة القربية للبنات

كان إنشاء مدرسة السيوفية للبنات وإقبال الأهالى على إرسال بناتهم إليها أول إنشائها حافزاً للتفكير فى إنشاء مدارس أخرى للبنات .

فى أبريل ١٨٧٣ — أى بعد افتتاح مدرسة السيوفية بنحو ثلاثة أشهر — صدر أمر الخديو إسماعيل إلى ناظر الأشغال والأوقاف والمعارف بتسليم قصر المسافرخانة (دار الضيافة) بالجمالية بعد نقل المسافرخانة منه وإجراء عمارة به لجعله مدرسة بحى الجمالية . وكان القصر قد وقفه إبراهيم باشا على الخيرات ، ولما كانت المدرسة المزمع إنشاؤها فيه « من الأمور الخيرية فلا يلزم تكليف المدارس بدفع أجرة عليه للوقف » ، على أن لا تغير العمارة شيئاً من شكل المنزل ، « بل إن المحلات التى يلزم تعميرها يصير إعادتها كأصلها »[1] . وفى هذا القصر كان مولد الخديو إسماعيل .

وكتب الديوان إلى (تفتيش المدارس) بتسلم القصر والشروع فى عمارته[2] . وتقدمت سمو الأميرة « أورطنجه هانم أفندى » حرم الخديو الثانية بما يلزم من المال[3] .

---

(١) محفظة ٤ (مدارس عربى) رقم ٢١٢ ودفتر سنة ١٥٨٩ (إرادات للمدارس) ودفتر ١٩٤٣ (وأمر) ص ١٤٣ رقم ٢٠ و ص ١١٢ رقم ٨ أمر إلى الدايرة السنية والمدارس فى ٦ ربيع الأول ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٥٩ (مدارس عربى) ص ٥٢ رقم ١١ إلى تفتيش المدارس فى ١٦ ربيع الثانى ١٢٩٠ .

(٣) أمر إلى (وكيل دايرة فاملیتنا) بصرف ١٦٩ ألف فرنك وكسور لديوان المدارس — دفتر سنة ١٥٩٠ (إرادات للمدارس) ص ٤ رقم ٤ ، دفتر ١٩٤٧ (أوامر) ص ٢٨ رقم ٤ أمر إلى ديوان المدارس فى ٦ ذى الحجة ١٢٩٠ . وأعلنت جريدة Courrier de Port - Said هذا النبأ فى مقالها عن تعليم البنات الصادر فى ٨ فبراير ١٨٧٥ =

ولكن مضت على ذلك ثلاث سنوات ، « ولم يعمل شيء بالمدرسة للآن »[١] .

ولم يتح قط لهذه المدرسة أن تظهر فى حيز الوجود .

فى تلك الأثناء كان ديوان الأوقاف جاداً فى افتتاح مدرسة للبنات ينفق عليها من الأوقاف . وقدافتتحت هذه المدرسة فى سنة ١٨٧٣ بالقربية[٢] ، وعين لنظارتها « إبراهيم أفندى منصور »[٣] . وكانت هذه المدرسة أقل اتساعا من زميلتها السيوفية ، إذ كان مقررها من التلميذات ١٠٠ تلميذة داخلية و ٥٠ تلميذة خارجية[٤] ، كما كان قصدها أكثر تواضعاً من قصد السيوفية : فغرضها الأساسى أن تعد تلميذاتها للخدمة المنزلية[٥] .

= وهذا المقال ناقص من مجموعة أعداد هذه الجريدة الموجودة بمكتبة المجمع المصرى ، ولكننا عثرنا على صورة منه (كانت رفعت إلى الخديو) فى المحفوظات الأوروبية بعابدين .

(١) دفتر ٨ (أوامر) ص ٤٠ رقم ٢ أمر إلى ديوان الأوقاف فى ٤ جمادى الأولى ١٢٩٣

(٢) ذكر أمين باشا سامى أن مدرسة القربية للبنات فتحت فى سنة ١٨٧٥ (التعليم فى مصر ص ٣٠) وذكر فى موضع آخر (ص ٨٨) أنها فتحت فى سنة ١٨٧٤ ، ولكنا وجدنا وثائق تشير إلى وجود المدرسة فى سنة ١٨٧٣ (دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٨ رقم ١٠٠ إلى ناظر مكتب القربية فى ٢٦ شعبان . ١٢٩ بارسال الجوارى بالمدرسة إلى الحمام — ، دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ١٦٣ رقم ٢٥٨ إلى ابراهيم أفندى منصور (بتعيينه ناظرا على المدرسة) فى ١٦ ذى القعدة ١٢٩٠ (ديسمبر ١٨٧٣) وقد يرجع هذا الاضطراب فى التواريخ إلى أن تلميذات القربية أرسلن لفترة قصيرة إلى مدرسة السيوفية .

(٣) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ١٦٣ رقم ٢٥٨ إلى ابراهيم أفندى منصور فى ١٦ ذى القعدة ١٢٩٠

(٤) مقال جريدة Courrier de Port-Said السابق ذكره .

(٥) Mc. Coan. op. cit. p. 218. ويذكر أن مدرسة القربية كانت تنفق عليها الزوجة الأولى للخديو . ولكن الحقيقة ماذكرنا من أنه كان ينفق عليها من ديوان الأوقاف .

ولهذا فقد طلبت المدرسة السيوفية أن تنقل بعض تلميذاتها القذرات إلى القربية ، ولكن ديوان المدارس رفض قائلا : « إن أمر النظافة مطلوب بالمدرستين »[١] ، وأرسلت إلى مدرسة القربية جوارى سودانيات ، « حتى يستعدوا (كذا) للدخول بمدرسة السيوفية »[٢] .

ولكن مدرسة القربية كان يعوزها الاستقرار فى بدء حياتها : فإنها لم تنتظم سوى ٣٠ تلميذة ثم ٥٠ بعد أشهر ، ولم يكن لها خدم خاصون بها ، بل كان يحمل الطعام إلى تلميذاتها خدم المدرسة التجهيزية ، وينسل ملابسهن غسالوها[٣] . ويظهر أن الأوقاف كانت تضن بالصرف عليها . وفى أغسطس ١٨٧٤ — ولما يمض على افتتاحها عام واحد — نقل ما كان بها من الجوارى والتلميذات إلى مدرسة السيوفية[٤] وفصل ناظرها[٥] .

ولكن مدرسة القربية ألغيت ريثما تفتتح من جديد برعاية الخديو وتشجيعه المادى[٦] .

---

(١) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ١٤٠ رقم ٩٥ إلى مدرسة السيوفية فى ١٢ المحرم ١٢٩١

(٢) دفتر ٢٦٩ (مدارس عربى) ص ١٢ رقم ٦٥٠ إلى مدرسة القربية فى ٤ ربيع الأول ١٢٩١

(٣) دفتر ٤٧٦ (مدارس عربى) ص ٣٢ رقم ١٤٦ من المدرسة التجهيزية فى ١٧ ربيع الأول ١٢٩١

(٤) دفتر ٤٧٢ (مدارس عربى) ص ١٧٥ رقم ٣٠٨ إلى مدرسة السيوفية فى ٢٦ رجب ١٢٩١

(٥) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربى) ص ٤٨ رقم ١٤ إلى الأوقاف فى ٩ شعبان ١٢٩١

(٦) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربى) ص ١٣ رقم ٤ إلى المعية السنية فى ٩ رمضان ١٢٩١ إشعار بتسلم ١٤٨,٥٢٥ قرشا و ٢٤ بارة لشراء أشياء لازمة لافتتاح المدرسة .

وافتتحت المدرسة من جديد فى ٢٦ شوال ١٢٩١ (ديسمبر ١٨٧٤) ، وعينت مدام سيسيل نجار « ضابطة » لها [١]، وأعيد إلى الخدمة ناظرها السابق إبراهيم افندى منصور بوظيفة « معاون أشغال » المدرسة [٢] . وقدّر لها فى السنة مبلغ ٨ بارات و ٣٩ قرشا و٢٧٧٦ جنيها لمصروفاتها ومرتبات موظفيها وخدمها ، ويصرف هذا المبلغ من ديوان الأوقاف [٣] ، وهو أقل من نصف المبلغ الذى كان مخصصاً لزميلتها السيوفية .

واجتمع بمدرسة القربية للبنات فى عامها الأول ١٤٧ تلميذة ٧٦ بالقسم الداخلى ٧١ بالقسم الخارجى وتسعة من المعلمين والمعلمات [٤]، وامتحن من تلميذاتها ١٤٤ تلميذة كن موزعات على الفرق الآتية [٥] :

---

(١) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربى) ص ١٧٦ رقم ٤٨ إلى الأوقاف فى ٣ ذى القعدة ١٢٩١

(٢) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربى) ص ١٧٦ رقم ٤٩ إلى الأوقاف فى ٥ ذى القعدة ١٢٩١

(٣) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ١٨٠ رقم ١٢١ إلى الأوقاف فى ١٩ المحرم ١٢٩٢

Ecoles aux frais des Wakfs (s.d) : وثيقة بالمحفوظات الاوروبية بعابدين .

(٤) Minist. de L' Inst. Publique. Statistique des Ecoles Civiles. 1875 .p.14.

(٥) دفتر ٢٢ (امتحانات القربية) بدفترخانة المعارف . وفيما يلى أسماء معلمى ومعلمات المدرسة نقلا عن بعض وثائق الديوان والإحصاء العام لسنة ١٨٧٥ ودفتر امتحانات المدرسة :

معلمو القرآن : المشايخ أحمد الصفتى وأحمد القبانى وحسانين جاد وأحمد سنجر وحسن اللبيدى .

حكيمة وملاحظة الأشغال ومعلمة : الست أمونة .

معلمات الأشغال : سارة (أشغال الإبرة) عائشة (المنسج العربى) روشيه وأسماء (الأشغال) صفية نقولا (الكى والغسيل) وليز (معاونة خياطة) .

الفرقة الأولى : وبها ٥٢ تلميذة موزعات بين فصلين . وقد درسن القرآن الكريم (مطالعة وإملاء وحفظا) والهجاء واخترن بين شغل المنسج والأشغال اليدوية (الخياطة، منسج أفرنكى ، شغل الجرابات) وصناعة الكى .

الفرقة الثانية : وبها ٤٦ تلميذة موزعات بين فصلين درسن المواد السابقة بإيجاز

الفرقة الثالثة : وبها ٤٦ » » » » » » » » »

وفى العام التالى جدت دراسة الحساب لتلميذات الفرقة الأولى .

وهكذا ترى أن مستوى الدراسة بمدرسة القربية كان أضعف كثيراً منه فى مدرسة السيوفية .

وفى سنة ١٨٨٠ ضم تلميذات مدرسة القربية إلى السيوفية وشاركتها مصيرها .

وقيل إن هناك مدرسة ثالثة فى طريق الإنشاء ، وإن الاستعدادات تجرى لفتح مدارس للبنات فى المدن الرئيسية [١] ومنها المنصورة [٢] . وقيل إن الخديو شرع فى سنة ١٨٧٨ يؤسس مدرسة كبيرة لتعليم فتيات الأسر الراقية ، ولذا سميت (مدرسة بنات الأشراف Ecoles des filles nobles) [٣] . ولكن عصر إسماعيل انتهى ، ولم ينشأ من مدارس البنات سوى مدرستى السيوفية والقربية .

---

(١) Mc. Coan, op. cit. p. 218.

(٢) انظر مقال Conrrier de Port—Said السابق الذكر .

(٣) Yacoub Artin, op cit .p 135.

الفصل الثامن

التعليم فى السودان

يشغل السودان من إسماعيل جانبا كبيرا من عنايته المستمرة وتفكيره الدائب ، وما كان عجبا أن يهتم إسماعيل ببلاد السودان وأهليه منذ تولى الحكم فى مصر ، بل منذ كان وصيا على الحكم حين كان عمه سعيد يشخص إلى بلاد الحجاز أو إلى البلاد الأوروبية . وإذا كان محمد على [1] قد ربط بين فتوح السودان والاتساع المصرى — أو العثمانى فى حقيقته — فى بلاد العرب والبحر الأحمر ، إلا أنه فعل أكثر من هذا : إنه استنقذ للعالم الاسلامى وللحضارة الاسلامية شعوبا كانت ظروف الحياة قد أدت بها إلى اعتزال التيارات التى كان يضطرب بها العالم الاسلامى ، وولت وجهها شطر «الجنوب» ، وقنعت بالمحافظة على بقايا التراث العربى الاسلامى تستمد منها ما يعينها على البقاء بين مسيحيي الحبشة من جهة وزنوج إفريقية الوسطى من جهة أخرى ، ولم يستطع الاتصال التجارى والدينى — المتقطع — بين هذه الشعوب الاسلامية العربية — فيما نسميه فى الوقت الحاضر بلاد السودان وبين الشعوب الإسلامية العربية الأخرى فى الشطر الشمالى من وادى النيل أو فى بلاد الحجاز أو اليمن أو إفريقية ، هذا الاتصال الماثل فى خروج القوافل التجارية فى مواسم التجارة أو خروج الحجيج السودانى فى

(١) انظر فى سياسة محمد على فى السودان كتاب « محمد على الكبير » للأستاذ شفيق بك غربال ص ١٢٧ — ١٣١

مواسم الحج من كل عام — لم يستطع هذا الاتصال أن يخرج شعوب السودان الإسلامية العربية من عزلتها ويربط ما بينها وبين العالم الاسلامى وما يضطرب فيه من أسباب الحياة. حتى كانت فتوح السودان فى عهد محمد على : ومنذ ذلك الوقت بدأت حياة جديدة تدب فى تلك الأقاليم، حياة جديدة ليس مبعثها الحكم أو الاستعمار أو الاستغلال فقط وإنما مبعثها فوق ذلك الرغبة فى التمدين والنهوض و« العمارية » على حدّ تعبير ذلك الوقت. والحق إن خلفاء محمد على جميعا قد نظروا إلى بلاد السودان وشعوبها هذه النظرة، وإذا كانت أداة الحكم المصرى فى السودان فى القرن التاسع عشر لم تستطع أن تسمو إلى الأغراض السامية التى كانت تهدف إليها السياسة المصرية « العليا » فى حكم القطر الشقيق، فان هـــذه الأداة — على قصورها وفسادها فى أحوال كثيرة فى مصر نفسها — قد استطاعت حتى فى عهد عباس الأول وسعيد أن تحتفظ بالتراث الخالد من فتوح السودان فى عهد محمد على، فاحتفظ بهذه البلاد وشعوبها فى نطاق العالم الاسلامى الذى يضطرب بالحياة وحالت دون عودتها إلى حياة العزلة والركود التى كانت تحياها، حتى إذا تولى إسماعيل الحكم فى الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ كان مجال العمل أمامه متسعا للاحتفاظ بتراث محمد على فى مصر والسودان من ناحية والعمل على تحسينه وترويجه من ناحية أخرى.

فى عهد إسماعيل تم — أو كاد — انضمام الشعوب والقبائل العربية فى الجهات الشرقية والغربية من النيل : جهات النيل الأزرق والنيل الأبيض وكردفان ودارفور، ووصلت الفتوح إلى حدود الحبشة من ناحية وإلى حدود الصحراء الكبرى من ناحية أخرى، وامتدت الفتوح إلى الجنوب فتكونت مديرية خط الاستواء، ورفع العلم المصرى فى أوغندة. وبذلك تمت الوحدة (الإدارية) لبلاد السودان وتهيأ السبيل لنمو وحدة قومية كان الدين — لاشك — من أعظم مقوماتها.

وإلى جانب الفتح العسكرى سارت الكشوف الجغرافية جنباً إلى جنب فى رعاية من إسماعيل وبإرشاد من علم الغرب ، فحلت مسألة منابع النيل على حقيقتها ، وعرف الكثير عن النيل وروافده وبحيراته وشعوبه ، وكسب العلم من ذلك كله كسباً محققاً .

وإلى جانب الفتح العسكرى والفتح العلمى اطردت (عملية) التمدين و « العمارية » ، بتنظيم الزراعة وتشجيع زراعة القطن وتعويد القبائل على الاستقرار وتنمية التبادل التجارى ومقاومة النخاسة . وكان من الواضح أن نشر التعليم والدين الصحيح فى تلك الأرجاء الشاسعة من أقوى الوسائل لتمدين هذه البلاد و « عماريتها » . والحق أن أكثر حكام السودان أو « حكماريهم » لم يقصروا فى الدعوة إلى هذه الغاية والعمل على بلوغها . فقد كانوا يرون أن نشر التعليم والدين الصحيح عن طريق إنشاء المدارس وتشييد المساجد وتشجيع الفقهاء والعلماء والطلاب يؤلف القلوب النافرة ويطامن النفوس القلقة الحائرة ، ويخضع العاصى ، ويقوى أسباب الود والتعاطف ، وهو لذلك — بالإضافة إلى فائدته فى حد ذاته — مما يوطد للحكم المصرى ويقوّى أواصره ، فضلا عن أنه — بالمدارس التى ستنشئها الحكومة أو تشجع على إنشائها — يمدّ أداة الحكم بما تحتاج إليه من صغار الموظفين والمشايخ والقضاة والمفتين الذين تحتاج اليهم محاكم السودان ومجالس الفتيا ، إذ كانت الحكومة تلقى أكبر مشقة فى تخير الموظفين الذين تبعث بهم من مصر إلى العمل فى السودان ، فقد كان عليها أن تقاوم فيهم الرغبة عن التغرب بشتى صنوف الإغراء[1] ، فضلا عن حاجة مصر نفسها إلى المتعلمين من أبنائها ، وكانت الحكومة — فى الوقت نفسه — حريصة على أن تعلم أبناء السودان

---

(١) كان رفاعة بك رافع ومن معه من مدرسى المدرسة التى أنشأها عباس الأول بالخرطوم يعدون إقامتهم بالسودان كأنهم فى منفى .

فى مدارس السودان أوفى مصر ، ليتقلدوا وظائف القضاء والتعليم والوظائف الإدارية الصغرى فى بلادهم إشاعة للمدنية وتشجيعاً لنشر العلم من ناحية وتأليفاً للقلوب من ناحية أخرى .

* * *

ولم يكن العلم غريباً عن بلاد السودان وأهليه : فقد لاحظ عليهم رفاعة بك رافع [1] — وقد أقام بالخرطوم عدة سنوات ناظراً لمدرستها — « قبولهم للتمدن الحقيقى لدقة أذهانهم فإن أكثرهم قبائل عربية » ، ولاحظ أيضاً أنهم يشتغلون « بما ألفوه من العلوم الشرعية شغل رغبة واجتهاد ولهم مآثر عظيمة فى حسن التعلم والتعليم ، حتى أن البلدة إذا كان بها عالم شهير يرحل إليه من البلاد الأجنبية للمجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجم الغفير ، فيعينه أهل بلدته على ذلك بتوزيع المجاورين على البيوت بحسب الاستطاعة ، فكل إنسان من الأهالى يخصه الواحد أو الاثنين فيقيمون بشئونهم مدة التعلم والتعليم » .

ونوّه رفاعة بك بسيدة عرفها بمديرية دنقلة تدعى السيدة أمونة « تقرأ القرآن الشريف ومؤسسة مكتبين أحدهما للغلمان والثانى للبنات كل منهما لقراءة القرآن وحفظ المتون تنفق على المكتبين من كسبها بزراعة القطن وحلجه وغزله وتشغيله ولا ترضى أن يشوبه شىء من مال زوجها ، وبجانب المكتبين خلوات لمن يختلى من العباد والزهاد الحاضرين من أقصى البلاد لأداء فريضة الحج الشريف ، ومنزلها كالتكية للفقراء وأبناء السبيل والقاصدين بيت الله الحرام . وأمثال ذلك كثير هناك فى ظل الحكومة المصرية » .

وجاب رفاعة بك كثيراً من قرى السودان ، ولاحظ أنها لا تخلو « عن نوع

---

(١) فى كتابه : مناهج الألباب .. ص ٢٦٢ — ٢٦٣

التقدم فى الحضارة مع مساعدة الوارد والمتردد إليها فى هـــذه الأيام لقصد الزيارة أو التجارة ، فإنها أقرب للتمدن من أقاليم أمريقة بكثير ، وجميع أهلها ماعدا بعض الجبال لسانهم عربى فصيح ، حيث أن جلهم من نسل العرب المنتجعة القبائل قديماً يحفظون أجسامهم وأنسابهم وفيهم كمال الاستعداد وذكاء الفطنة » .

ورسم رفاعة بك سبيل النهوض بالسودان وأهليـــه : فهم « إنما يحتاجون فى حصول المطلوب إلى اطمئنان النفوس وتأليف القلوب من حكام أرباب صداقة وعفاف وعدل وإنصاف ، لا تحملهم المطامع الدنيوية على محض الالتفات إلى الأمور الدنية بل توجد القابلية أيضاً فى الأهالى المتأصلين » . « وبالجملة فمتى زالت من السودان وسائل الوخامة والسقامة ودخلت أهاليها بحسن الإدارة فى دائرة الاستقامة صارت هى وديار مصر فى العمار كالتوأمين وفى إيناع الأثمـار صنوين حتى ينشد لسان حالها :

نحن غصنان ضمنا عاطف الوجـــد جميعاً فى الحب ضم النطاق
فى جبين الزمان منك ومنى غرة كوكبيـــة الانفلاق

ولذلك قدّر رفاعة أن إنشاء حكومة إسماعيل للمدارس الخمس بالسودان وإرسال البعوث الهندسية والجغرافية دليل على أنه « قد لاح على قرب عمارتها علامة ظاهرة »[1].

ووصف رحالة أوروبى زار بلاد السودان ووسط إفريقية ونشر رحلته إليها فى سنة ١٨٩١[2] قرية من قرى السودان والمكتب الذى يقوم بها وهو أشبه ما يكون بالمكتب فى القرية المصرية ، قال : فى مركز متوسط من القرية توجد « ركوبة » وهى

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٨٠

(٢) Petherick, F: Egypt, the Sudan and Central Africa, being sketches from 16 years travel. London, 1861. p. p. 216—220.

مدرسة يتلقى فيها الصبية فقط القرآن ويحفظونه عن ظهر قلب ، حتى إذا أتموه وتعلموا القراءة والكتابة انتهى تعليمهم ، وقليل جداً من يستطيع حفظ القرآن كله أو يجيد الكتابة . ويدير المدرسة فقير (ولعله يقصد الفقيه) ويدفع له كل تلميذ قرشين فى الشهر ويذهب التلاميذ إلى المدرسة فى الصباح من الرابعة إلى السادسة وفى المساء من السابعة إلى التاسعة ، حتى لا يصرفهم التعليم عما يشتغلون به . ويجتمع التلاميذ فى المساء حول النار ويرددون عبارات الفقير (؟) فى صوت مرتفع ، ويبدءون كل درس بتلاوة ما حفظوه فى الدروس السابقة بصوت مرتفع معاً ، ولكل تلميذ لوح يسطر عليه بالمداد آيات القرآن ، ويأخذه الولد معه الى بيته وفى وقت فراغه يعيد نسخه . وبعد أن يقضى الصبى فى هذه المدرسة سنتين أو ثلاث سنوات يتم تعليمه ، ويندى التلاميذ غالباً ما تعلموه بعد فترة وجيزة . وهذا الفقير (؟) هو كاتب الخطابات فى القرية وواعظها ومستشارها فى الشئون الخطيرة وكاتب ما يحتاجه أهلها من الأحجبة والتمائم .

وكان للسودان شيوخه وفقهاؤه فى المساجد على قلتهم بالنسبة لأقاليمه المتسعة : فهذا شيخ «ورع انقطع لتدريس العلوم وله من التلاميذ ٥٤ نفراً» ، وهذان شيخان «مواظبان على تدريس العلوم لتلاميذهما ، والأول منهم يدرس لمائة وثلاثة وخمسين تلميذاً ، والثانى لسبعة وخمسين تلميذاً »[1] .

هذا هو نوع التعليم الذى كان موجوداً بالسودان . وهو تعليم من نوع التعليم الذى كانت تقدمه المكاتب والمدارس الملحقة بالمساجد فى مصر ، نستطيع أن نسميه التعليم « العربى » أو التعليم « الدينى » ، وقد قدرت حكومة إسماعيل فى السودان أهمية

---

(١) محفظة ٣٤ (معية تركى) رقم ٢٠٢ من شريف باشا ناظر الخارجية والداخلية إلى صاحب السعادة الأفندى بالمعية فى ٢٥ ربيع الثانى ١٢٨٢ .

هذا التعليم وإمكان استخدامه لنشر الإسلام بين القبائل التى دخلت فى الإسلام حديثاً ، ولتخريج القضاة والأئمة والمفتين [١] ، فعملت على الاحتفاظ به وتشجيع القائمين عليه بإجراء المرتبات الشهرية من النقود والذرة على الشيوخ والفقهاء والطلاب [٢] ، وتشجيع الطلاب على الانقطاع لطلب العلم بإعفائهم من دفع الضرائب والأموال و (المطلوبات) الأميرية الأخرى إذا ما تركوا الاشتغال بالزراعة والتجارة ، وحرصت الحكومة — أو الحكمدارية — على أن تتخذ من وسائل التشجيع هذه أداة للإشراف على هذه (المدارس) الدينية : فاقترحت تعيين أحد العلماء المبرزين فى الخرطوم ليكون ناظراً وملاحظاً على هذه المدارس ، ويمنح لقب « شيخ العلماء » راتباً قدره ٥٠٠ قرش وثلاثة أرادب من الذرة فى كل شهر ، كما اقترحت تعيين أحد الفقهاء المتقدمين ليكون « قارئاً وحافظاً » ويمنح لقب « شيخ الفقهاء » وراتباً قدره ٣٠٠ قرش وأردبين من الذرة فى كل شهر ، على أن يكون لحكمدار السودان الحق فى التفتيش عن هذه المدارس وشيوخها والفحص عن مؤهلاتهم العلمية وقطع مرتبات من لا علم لهم ونقلها إلى من يفوقونهم علماً [٣] .

وعملت الحكومة على وصل هذه (الثقافة) الدينية القاصرة بالثقافة الإسلامية

---

(١) محفظة ٤٦ (معية تركى) رقم ٤٠ من جعفر باشا حكمدار السودان إلى مهردار الخديو فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٨٦

(٢) محفظة ٣٤ (معية تركى) رقم ٢٠٢ من شريف باشا ناظر الخارجية والداخلية إلى صاحب السعادة الأفندى فى ٢٥ ربيع الثانى ١٢٨٢

(٣) محفظة ٤٦ (معية تركى) رقم ٤٠ من جعفر باشا حكمدار السودان إلى مهر دار الخديوى فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٨٦

فى منبعها الأصيل وهو الأزهر ، فقامت « ببذل ضروب الترغيب لحمل بعض الذين حفظوا القرآن من أهالى السودان وحصـــلوا على بعض المبادىء النحوية والفقهية للانتساب إلى الجامع الأزهر لمدة ثلاث سنوات لإكمال علومهم وثقافتهم »[١] حتى إذا انقلبوا إلى أهليهم كانوا رسل الثقافة الدينية السليمة ودعاة الدين القويم . ولا شك فى أن دوائر الحكومة فى مصر والأزهر حققت أمل الحكمدارية ، فأحسنت استقبال هذا الفوج الأول من شباب السودان ، وكان يتألف من طالبين استصحبهما جعفر باشا حكمدار السودان حين حضر إلى القاهرة فى سنة ١٨٦٧ ، « وقد حفظا القرآن حفظاً تاماً وأحاطا ببعض المسائل الفقهية »[٢] .

هذا بعض ما فعلته حكومة إسماعيل لتشجيع التعليم الدينى أو العربى فى السودان . وقد وجد هذا التعليم أكبر داعية ونصير فى شخص حكمدار السودان « جعفر مظهر باشا »[٣] ، وقد عرفت عنه الثقافة والاستنارة والحماسة فى الدعوة إلى الإسلام فى ربوع السودان ونشر التعليم بين أهليه ، كما وجد فيه التعليم الحديث بالسودان أيضا راعيه وناشره .

ولم يكن هذا أول اتصال بين السودانيين والتعليم (الحديث) : فقد أدخل محمد على نفرا من أبناء عمد السودان وأعيانه فى المدارس التى أنشأها بمصر : كمدرسة

---

(١) محفظة ٤٢ (معية تركى) رقم ٢٩٨ من جعفر باشا حكمدار السودان إلى سكرتير خاص الخديوى فى ٢٧ رجب ١٢٨٤

(٢) وقد التمس الحكمدار أن يمنح كل منهما فى كل يوم قرشين علاوة على رغيف (الجراية) « منعا لنفورهما وتثبيط عزائمهما وخوفا من عدم رغبة غيرهما فى الالتحاق ... وإعانة لهما على المعيشة » — الوثيقة السابقة

(٣) انظر عن حكومة جعفر مظهر باشا بالسودان كتاب : Douin: Histiore du règne du Khedive Ismail, Tome III, 1 re. &2 me. parties.

الزراعة ومدرسة الألسن ، وكان « القصد من ذلك — على حد تعبير رفاعة بك — أن يذوقوا طعم المعارف التمدنية لينشروها فى بلادهم »[١] . وعند ما عادوا إلى وطنهم عينوا فى وظائف إدارية[٢] .

أما عباس الأول فقد افتتح مدرسة ابتدائية بالخرطوم، ونصب رفاعة بك رافع الطهطاوى ناظرا عليها . ولم تنجح مدرسة الخرطوم ، لأن رفاعة وزملاءه من الأساتذة والأطباء كانوا برمين بحياتهم فى السودان دائمى الرغبة والإلحاح فى العودة إلى مصر ، حتى إذا بدأت المدرسة تجمع التلاميذ وتبدأ عملها فاجأها أمر سعيد بالإلغاء[٣] .

ولم نر لسعيد — على ما قيل من شدة عنايته بالسودان إلى حد السفر إليه لتفقد ربوعه — اهتماما بأمر التعليم فى السودان . حتى إذا تولى إسماعيل كان مجال العمل فى هذه الناحية — كما كان فى كل النواحى الأخرى فى مصر والسودان — متسعا لنشاطه واستنارته . وإذا كان إسماعيل قد بدأ يهتم بتجديد المدارس فى مصر منذ الأيام لولايته ، فكذلك فعل للسودان .

بدأ التفكير بإنشاء المدارس الحديثة فى السودان بدافع من الرغبة فى توفير العدد الكافى من السودانيين المتعلمين لدوائر الحكومة ، اقترح حكمدار السودان فى ذلك الوقت « موسى حمدى باشا » الإذن بإلحاق كل من يود من أبناء العمد والأعيان والأهالى بدواوين المديريات والحكمدارية « بقصد تعلم فن الكتابة من حسابات وتحريرات » ،

---

(١) مناهج الألباب . . . ص ٢٦٣

(٢) المصدر السابق .

(٣) تكلمنا على مدرسة الخرطوم تفصيلا فى الجزء الأول : عصر عباس وسعيد ص ١١٤ — ص ١٢٣

وتربط لهم مرتبـــات شهرية ، حتى إذا تعلموا أخذ منهم ما يلزم لوظائف الكتاب والمعاونين . وافق إسماعيل على طلب حكمدار السودان ، ولكنه رأى أن هذا الأسلوب فى تعلم أبناء السودان لا يكفى ، وكان « من أقصى آماله انتشار حال التمدن والرفاهية وحسن التوطن والعمارية . . . ومن لزوم ذلك استحصال الرعايا على اكتساب العلوم ليمتازوا بها ويكونون دائما مجبولين على حب الوطن ومتشوقين لنوال ثروة الامتياز والتقدم فى المعارف والفنون » . وتنفيذا لهذا رأى أن يعهد الى الحكمدار أمر إنشاء مدرسة بالخرطوم أو مدرستين لخمسمائة تلميذ « مع إشهار مايلزم من التشويق والترغيب إلى الأهالى فى استحصال هذه الثمرات المدنية » ، وإلحاق من يود من أبناء الترك المقيمين بالسودان أيضا ، وأبدى استعداده لإرسال العدد اللازم من الأساتذة للغتين العربية والتركية من مصر (١) .

وكان موسى حمدى باشا — على صرامته وشدته — يميل إلى تعليم السودانيين ، فكتب إلى الخديو بأن « بلاد السودان عبارة عن ديار متسعة وأن المديريات بعيدة بعضها عن بعض وأن قصر الخمسمائة تلميذ على مدرسة أو مدرستين يوجب تمتع أهل المديرية التى بها تلك المدرسة فحسب بثمران التمدن وحرمان أهل غيرها من تلك الثمرات النافعة » ، واقترح إنشاء خمس مدارس صغيرة فى مديريات الخرطوم وبربر ودنقلة وكردفان والتاكة ، على أن يتعلم بكل مدرسة منها مائة تلميذ ، « كى تشمل ثمرات التمدن وانتشار العلوم أهالى عموم بلاد السودان ومتوطنيها ويمتازوا بتحصيل العلوم والفنون النافعة » (٢) .

---

(١) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر إسماعيل م ٢ ج ٣ ص ٤٥٢ أمر إلى حكمدارية السودان فى ٦ شعبان ١٢٧٩

(٢) محفظة ٢٩ (معية تركى) رقم ٥٠٨ من موسى حمدى حكمدار السودان إلى باشمعاون الخديوى فى ٢٠ رمضان ١٢٧٩

وصادف اقتراح موسى باشا هوى من الخديو ، فأصدر أمره بالموافقة عليه[١] ، ووضعت ميزانية لهذه المدارس تشمل مرتبات خمسة معلمين و ٥٠٠ تلميذ والخدم وأثمان التعيينات والأدوات ... الخ وقد بلغت ٣٨ بارة و ١٩,٩٠٦ قروش[٢] ، وعهد إلى ديوان المدارس بتخير المدرسين « بحيث يكونوا من أرباب المعارف فى تعليم التركى والنحو والصرف والخط الثلث والرقعة » ، وقدر لكل منهم فى الشهر عشرة جنيهات ، وجمعت الأدوات والكتب وكانت مما يقرؤه تلامذة المدارس الابتدائية فى النحو والصرف وهى : شرح الكفراوى وشرح الشيخ خالد وشرح الأزهرية وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وكتاب تاريخ واصف (فى اللغة التركية)[٣].

أنشئت مدارس السودان الخمس فى سنة ١٨٦٣ ، وعين لها المعلمون وجمع لها الطلاب ، ثم أضيفت إليها فى سنة ١٨٧١ مدرسة بسواكن وأخرى بمصوع ، ويتعلم فى كل منهما ٥٠ تلميذاً[٤] . ولكنا لا نملك من أخبار هذه المدارس سواء فى الكتب المطبوعة أو وثائق الحكومة ما يلقى ضوءاً على حياة التلاميذ فيها ومواد الدراسة التى كانوا يتعلمونها

---

(١) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر إسماعيل م ٢ ج ٣ ص ٤٧٦ — ٤٧٧ أمر إلى حكمدار السودان فى ١٠ ذى القعدة ١٢٧٩

(٢) دفتر ١٩٠٤ (أوامر) ص ٦٤ رقم ٢٣ أمر إلى حكمدارية السودان فى ٥ ربيع الأول ١٢٨٠

(٣) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربى) ص ٣٤ رقم ١ إلى المعية فى ٥ ربيع الثانى ١٢٨٠ ، ص ٩٤ رقم ٥ فى ٢٣ منه ، ص ١٦٨ رقم ١٤٠ فى ١٩ جمادى الأولى ١٢٨٠

(٤) دفتر ٣٧٧ (مدارس عربى) ص ٦٤ رقم ٤٣٥ إلى مدرسة التجهيزية فى ٥ المحرم ١٢٨٣

سوى أخبار متناثرة تحملها إلينا بعض الوثائق من آن لآخر .

وكانت هذه المدارس تابعة — من الناحية المالية — لحكمدارية السودان ، ولكنها كانت — من الناحية الفنية — وثيقة الصلة بديوان المدارس بالقاهرة . فهو الذى ينظم ميزانيتها ويعين أساتذتها ويجمع لها الكتب والأدوات وينظر فى جداول امتحاناتها(١) ، والتماس طلابها للترقى (٢) ، حتى إذا حضر نفر منهم إلى القاهرة قام على شئونهم وأشرف على توزيعهم على مدارس القاهرة أو الاسكندرية(٣) .

وكان يؤذن لطلبة هذه المدارس (بالتحول) إلى المدارس المصرية ، لأن « المدارس بالسودان وبجهة بحرى على حد سوى » . . وقد وجد نفر منهم « موافقين » فى القراءة والكتابة فألحقوا بالمدرسة التجهيزية بالقاهرة(٤) .

ولاشك فى أن دوائر الحكومة — سواء ديوان الحكمدارية بالخرطوم أو دواوين المديريات — قد استوعبت العدد الأكبر من طلاب هذه المدارس ، فقد كانت حاجة هذه الدوائر الى السودانيين المتعلمين أول ما دعا الى إنشاء هذه المدارس . وقد حاول جعفر باشا حكمدار السودان أن يستغل قيام هذه المدارس (الابتدائية) للتوسع فى

---

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٦١ رقم ٢٠ إلى مفتش المدارس فى ٦ شوال ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٦٣ (مدارس عربى) ص ٨ رقم ١٣١ من مديرية كردفان فى ٢٢ شوال ١٢٨٩

(٣) دفتر ٤٥٠ (مدارس عربى) ص١٣٩ رقم ٤٢ إلى الداخلية فى ٢٨ ربيع الثانى ١٢٨٩

(٤) دفتر ٤٤٣ (مدارس عربى) ص ٩٢ رقم ٦٣ من الداخلية فى ٢٣ ربيع الأول ١٢٨٨

تعليم تلامذتها بعض العلوم العملية والفنية ، فاختار نفراً منهم علمهم فن التلغراف فأتقنوه فى ثلاثة أشهر ووزعوا على محطات التلغراف بالسودان ، واختار نفراً آخر علمهم الهندسة والحساب بضعة أشهر ثم وزعهم على البواخر ليتعلموا هندسة البواخر ، وأكثر من ذلك أنه تخير عشرين من طلاب هـــذه المدارس ودفع بهم الى طبيب مستشفى الخرطوم ليدرس لهم الطب والصيدلة فى وقت قصير [١] ؛ وإذا كان الخديو قد ارتاح لتعلم تلاميذ المدارس الابتدائية بالسودان فن التلغراف أوهندسة البواخر ، الا أنه رفض أن يكل أمر الصحة والصيدلة فى السودان إلى هؤلاء الصبية وأستاذهم ، فأمر بوقف هذه الدراسة وبإرسال العدد اللازم للسودان من الأطباء والصيادلة [٢] .

ورأى جعفر باشا أن مجال التعليم بالسودان لايمكن تلامذة مدارسه من متابعة دراسة التخصص : فأرسل فى سنة ١٨٧٢ بعثة كبيرة منهم بلغت ٨٠ طالباً ليوزعوا على المدارس المصرية وخاصة مدرسة العمليات ومدرسة الزراعة ، ليتعلموا الهندسة الميكانيكية والعلوم الزراعية [٣] ، ولـكن الخديو إسماعيل — مع ترحيبه بالطلاب السودانيين فى مصر وإصدار أوامره بالحاقهم بالمدارس المصرية — كان لايشجع كثيراً على إرسال هؤلاء الطلاب الى مصر ، كان يرى أن هذه المدارس أنشئت ببلاد السودان « لتعليم أهاليها القراءة والـكتابة وتمدنهم ، وإذا صار حضور التلامذة بالمحروسة ضرورة الأهالى تنفر طبيعتهم ولا يرغبوا دخول أولادهم خوفا من تفريقهم منهم » ؛

---

(١) محفظة ٤٧ (معية تركى) رقم ٦٥٨ من جعفر مظهر حكمدار السودان إلى مظهر دار الخديوى فى ١٩ شعبان ١٢٨٧

(٢) دفتر ٥٨٤ ص ٥٨ أمر فى ١٦ يناير ١٨٧١

(٣) دفتر ٤٥٠ (مـــدارس عـربى) ص ١٣٩ رقم ٤٢ إلى الداخلية فى ٢٨ ربيع الثانى ١٢٨٩

ولهذا ينبغى إبقاؤهم بمدرستهم وإرسال المدرسين لتعليمهم ، جانب من مبادىء علوم الفقه والنحو والصرف والحساب حسب مايلزم بالمبتديان »[١] .

أما مصير هذه المدارس فلا نعلمه على وجه التحقيق : روى سرهنك باشا[٢] أن غوردن باشا — عند ما عاد الى السودان فى سنة ١٨٧٧ حكمداراً عاما — أقفل هذه المدارس ، بدعوة أنها تكلف الحكومة المصرية نفقات طائلة لا وجوب لها . . . وأمر أيضاً فأبطل إرسال الطلبة الناجحين بمدارس الحكومة بالخرطوم الى مصر » .

---

(١) دفتر ٤٦٣ (مدارس عربى) ص ١٦٠ رقم ١٩٣ من المالية فى ١٧ ربيع الأول ١٢٩٠

(٢) سرهنك باشا : حقائق الأخبار . . . ج ٢ ص ٣٣٥

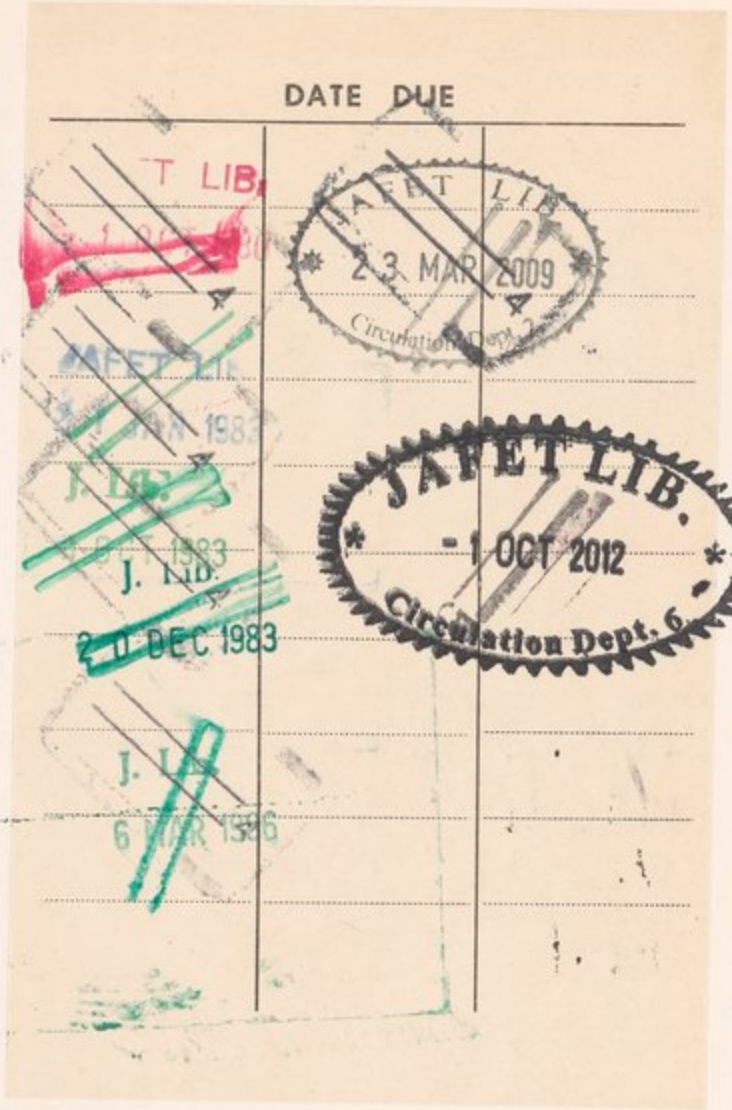
DATE DUE
T LIB
23 MAR 2009
Circulation Dept.
J. LIB.
20 DEC 1983
6 MAR 1986
JAFET LIB.
- 1 OCT 2012
Circulation Dept. 6

370.962:T92mA:v.2:pt.1:c.1
عبد الكريم ،احمد عزت
تاريخ التعليم فى مصر من نهاية حكم م
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01022942

A.U.B. LIBRARY

370.962
A13A
V.2
Pt.1